العدد ٣٣٩ السنة الثلاثون فبراير ١٩٨٧



العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس : MITR 44041KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI

Issue No. 339 feb. 1987 P.O.Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

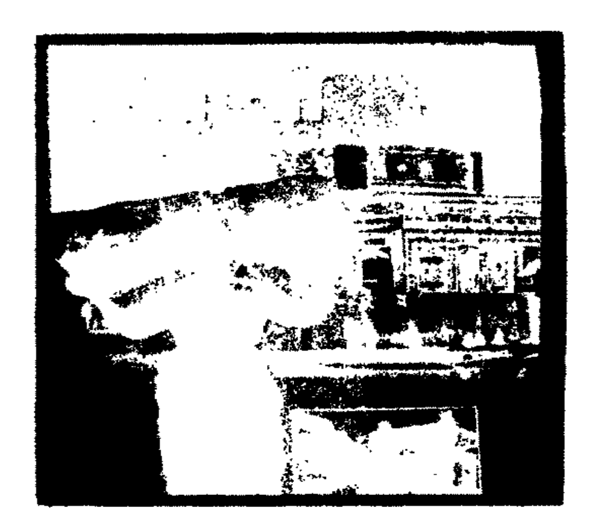
الإشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

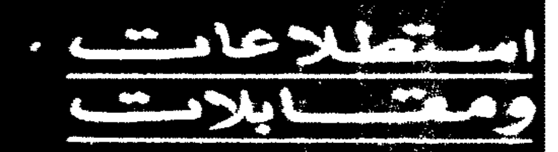
الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو ما يعادلها بالاسترليني
مصر ٣٠ قرشاً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران





عبدالحميد
بن هدوقة

أبو المعاطي
أبو النجا



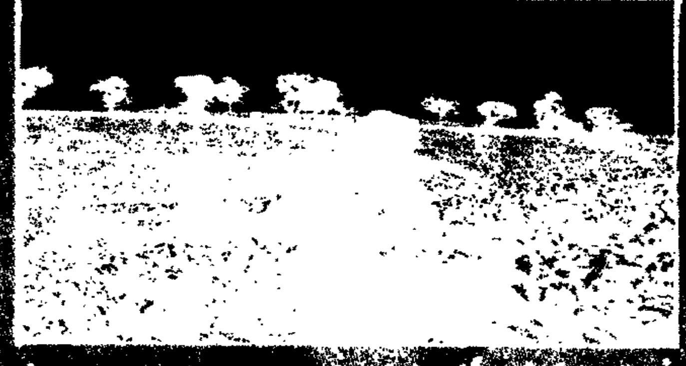
استطلاعات ومقابلات

■ القدس . الإنسان والمكان
ـ سليمان الشيخ ٣٦

■ أوغندا لؤلؤة أفريقيا : قبائل ، وعسكر ، وسلاطين
ـ محمود عبدالوهاب
١٠٠

■ وجهاً لوجه
عبدالحميد بن هدوقة
ـ أبو المعاطي أبو النجا

■ [illegible]
ـ ١٤٤



أوغندا لؤلؤة أفريقيا ص ١٠٠



العربي - العدد ٣٣٩ - فبراير ١٩٨٧

أبواب ثابتة :

■ عزيزي المحرر ٧
■ المرآة ١٢
ـ قضية : هل أفران الغاز النازية حقيقة تاريخية ؟ أم أكذوبة صهيونية ؟
ـ ظفر الإسلام ٨٦
ـ تعقيب : سقف التجديد بين التطور والتطوير ـ مصطفى سليمان . ٨٩
■ البيان في أسباب نزول القرآن
ـ حسين أحمد أمين ٩٦
■ أرقام : مريض الشمال ، ومريض الجنوب ـ محمود المراغي .. ٩٨
■ الجديد في العلم ، والطب .. ١٥٩
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة ١٦٢
■ حضارات سادت ثم بادت : «هرابا» من حضارات حوض الاندوس
ـ إعداد : يوسف زعبلاوي . ١٨٤
■ جمال العربية :
ـ صفحة لغة : الأشجار الأولى خضراء مزهرة
ـ محمد خليفة التونسي ٢١٤
ـ صفحة شعر : هكذا غنى الآباء : حنين ، لأبي صخر الهذلي ـ حيرة الحب ، لجنادة العذري ٢١٦
■ الكلمات المتقاطعة ٢١٨
■ مكتبة العربي :
ـ كتاب الشهر : السياسة الدولية والشرق الأوسط ـ د. أديب نصور ٢١٩
ـ من المكتبة العربية : رحلة جبلية رحلة صعبة ، سيرة فدوى طوقان الذاتية ـ جمال وردة ٢٢٤
ـ مكتبة العربي : مختارات ٢٢٦
■ مسابقة العربي الثقافية ٢٣٠
■ حل مسابقة العدد (٣٣٦) .. ٢٣٢
■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ٢٣٤
■ حوار القراء ٢٣٦

البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع

■ هكذا كانت الحياة . المرأة الكويتية في الزمان والمكان
ـ ريم الكيلاني ....
ـ وفاء طه ناجي ١٩٠
■ الابن الضال لعبة ضارة ، تساهم فيها الأسرة بأكملها
ـ راجي عنايت ٢٠٠
■ هو . هي ٢٠٤
■ طبيب الأسرة : عصير الفاكهة وقاية وعلاج
ـ د. عز الدين فراج ٢٠٦
■ مساحة ود : أبناء للبيع .. ٢٠٩



عزيزي القارىء

في فبراير من كل عام تحتفل الكويت بعيدها الوطني ، عيد الاستقلال ، ودخول مرحلة جديدة من تاريخها الطويل ، هذه المرحلة التي اتسمت بحشد الجهود نحو التنمية في جميع المجالات وتحل المناسبة هذا الشهر كي تسجل سنة اخرى من التطور ، ويسجل معها حدث عربي إسلامي كبير هو انعقاد مؤتمر القمة الخامس للدول الاسلامية على أرض الكويت ـ هذا المؤتمر الذي اعتبر منعطفا هاما في العمل السياسي العالمي ، فما سبقه من تحضير وإعداد على مستوى وزراء الخارجية للدول الاسلامية وما لحقه من توافد كثير من رؤساء الدول الاسلامية ورؤساء المنظمات وقادة الرأي العالمي وممثلي الاعلام جعل من الكويت موطن إشعاع ومنارة إعلامية رائدة

وتواصل العربي بهذه المناسبة الكبيرة إتمام الملف الذى قدمته في عددها السابق ـ يناير ١٩٨٧ ـ حول قضايا العروبة والاسلام الشائكة وبالغة الأهمية

فهنا نقدم لك ـ عزيزي القارىء ـ ما حل بالمكان والانسان في موطن أولى القبلتين وثاني الحرمين ، القدس العربية كما نقدم لك « المسلمون على طريق المستقبل » كما يراه الدكتور كمال أبو المجد ، و « الاسلام والأرض » للدكتور أحمد علبي ، وغير ذلك من موضوعات إسلامية بالاضافة الى تحليل ومناقشة موضوع « الارهاب من زاوية عربية » للدكتور فؤاد زكريا

وتنقلك « العربي » الى أوغندا في استطلاع ملون عن هذه البلاد التي أنهكت الحروب شعبها ثم تنتقل معك « عزيزي القارىء » الى الولايات المتحدة الامريكية حيث تعرض لمحات من حياة العرب فيها

وفي مجال العلم تنطلق بك العربي في « رحلة الى حافة الكون » كما تكشف لك المعدن العجيب الذى يسمى الكوارتز

ومع مسيرة احتفالات الكويت بالعيد الوطني السادس والعشرين نقدم لك لمحات من حياة المرأة الكويتية في الماضي والحاضر ، ونستعرض دور الصندوق الكويتي للتنمية وانجازاته في مجال دعم جهود التنمية على الصعيدين العربي والعالمي .

المحرر



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

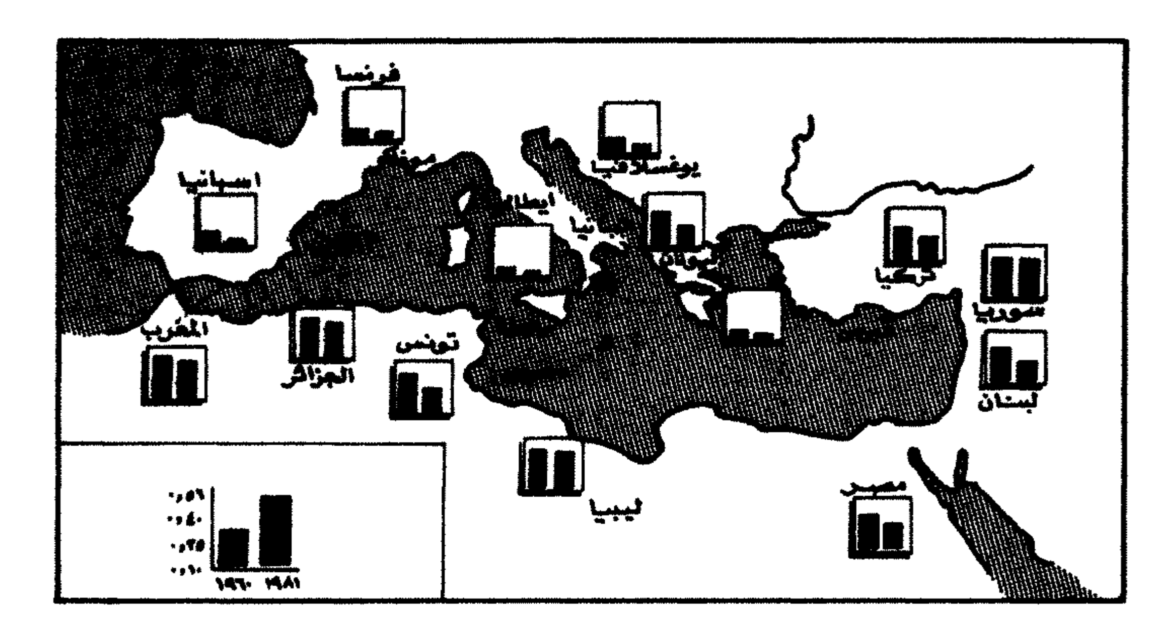
ضجيج الأرقام



بعض الأرقام تتكلم ، وكلام بعضها له ضجيج يكاد يصم الآذان ، خصوصا اذا كانت لهذه الأرقام علاقة بمشكلات المستقبل ، مشكلات السكان والبيئة والمشكلات الاقتصادية .

بعض الأرقام علقت في ذهني عندما حضرت في أكتوبر الماضي ندوة عالمية في مدينة « رميني » الواقعة على الشاطيء الأدرياتيكي الشرقي في ايطاليا ، التي يعتبرها البعض « فلوريدا الأوروبية » .

في تلك المدينة الساحلية ، وفي الخريف من كل عام ينظم معهد « بيامنزو » منذ سنوات طويلة ملتقى فكريا تطرح فيه المشكلات التي لها علاقة مشتركة بين اوروبا والشرق الأوسط والحوض الباسفيكي . وندوة اكتوبر المنصرم كانت بعنوان واسع هو « التحكم في المشكلات الكبرى » ، وكانت تتناول ثلاث مشاكل هي : النفط والصناعة والبيئة ،



المعدل الإجمالي للمواليد بين عامي ١٩٦٠ – ١٩٨١ في دول حوض البحر المتوسط

مشكلات البيئة لاتتكلم



الآذان

وعن الأخيرة أتحدث لأن الأرقام التي قدمت ـ كما قلت ـ لا تتكلم فقط ، لكن كلامها يصم الآذان . . !

لماذا ؟

لأنها تتكلم عن مستقبل البيئة والسكان في حوض البحر الأبيض المتوسط ، هذا الحوض لايشترك في الاطلال عليه جنوب اوروبا من الشمال فقط ، بل بلاد عربية واسلامية أيضا ، تمتد من تركيا في الشمال الشرقي الى المملكة المغربية في أقصى طرفه الجنوبي الغربي ، مرورا بكل تلك البقع العزيزة من وطننا العربي التي تضم سوريا وفلسطين ولبنان ومصر وليبيا وتونس والجزائر ، واذا كانت السعودية والاردن والعراق وبقية أقطار الخليج لا تطل عليه ، وكذلك السودان، فإن ذلك لا يجعلها بعيدة كل البعد عن المخاطر البيئية الضخمة التي تواجه تلك البلدان ،

أي أن ما يحدث في البلدان المجاورة للبلدان المطلة على البحر الأبيض ، في شماله (اوروبا) أو جنوبه وشرقه ، التي تنتج أنشطتها الاجتماعية والاقتصادية نفايات ومخلفات تتزايد على مرور الزمن ، يجعل عدم التوازن البيئي يصل الى حد الأزمة ، بل الكارثة .

يتمثل أهم عامل لانعدام التوازن الذي تعاني منه مجتمعات حوض البحر الأبيض المتوسط في تزايدها السكاني ، اذ يقدر أن عدد السكان سيبلغ بعد ثلاثين عاما من الآن من ٥٥٠ الى ٦٠٠

مليون نسمة تقريبا ، في حين أنه ـ في الوقت الحاضر ـ يقدر بحوالي ٣٥٠ مليون نسمة ، أي أن تزايد السكان في الثلاثين سنة القادمة سيبلغ حوالي ٦٤٪ من المجموع الحالي ، إلا أن هناك حقيقة أخرى بجانب الأرقام الاجمالية ، وهي أن هناك اختلافا كبيرا من حيث المساحة والكثافة السكانية ومستوى التنمية بين هذه البلدان ، وكذلك من حيث مستوى التحكم في البيئة .

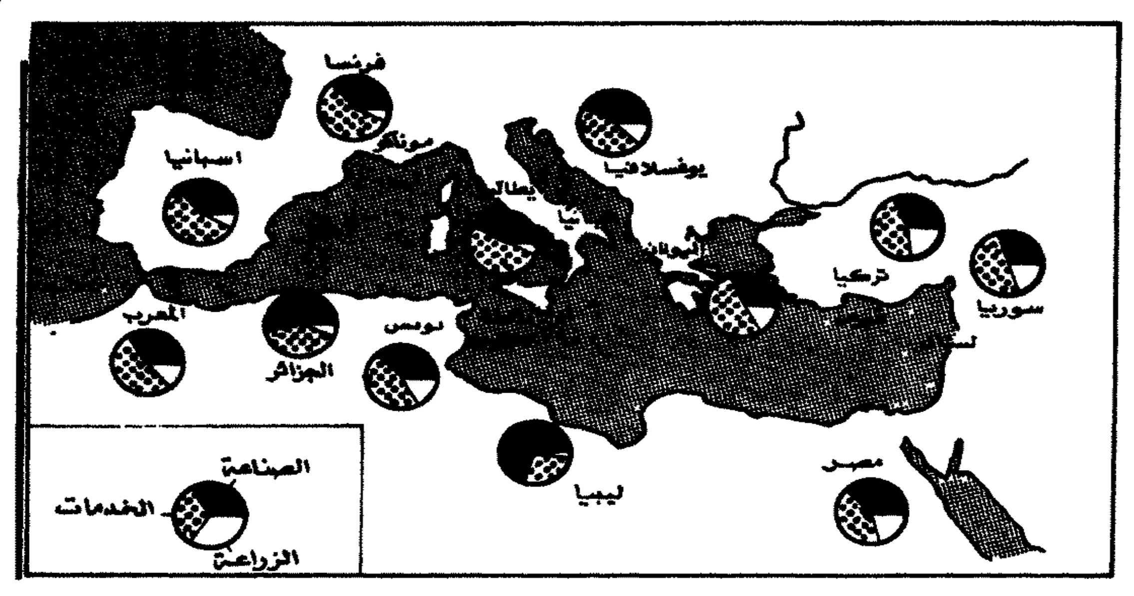
تبلغ المساحة الاجمالية للبلدان المشاطئة لحوض البحر الابيض ما يزيد على ٨,٥ مليون كيلومتر مربع ، ولكن اكبر المساحات هي في اقطار الجنوب (العربية) ، اذ أن أكبر بلاد البحر المتوسط مساحة هي الجزائر (٢,٤ مليون كيلـو متر مربع) ، ثم ليبيا (١,٧ مليون ك م٢) ثم مصر التي تبلغ مساحتها حوالي مليون كيلو متر مربع . عدا المساحات ، فإن معظم الإيجابيات التنموية في حوض البحر المتوسط هي من خصائص دول الشمال الأوروبي التي تزداد قـدرتها التنمـوية في ظـل تزايـد معقول في السكان ، في الوقت الذي تضعف فيه قدرات البلدان المشاطئة في الجنوب مع تزايد في عدد السكان .

حتى الآن ـ باستثناء مصر التي يبلغ عدد سكانها حوالي ٥٠ مليون نسمة ـ توجد الأعداد السكانية الأكبر في الدول المشاطئة الشمالية : ايطاليا وفرنسا وتركيا واسبانيا ، الا ان هذا التوجه سوف ينعكس في الثلاثين سنة القادمة . بذور هذا الانعكاس في التوجه موجودة ، فبينما شهدت دول الشمال المتقدمة خلال الثلاثين عاما المنصرمة (من ١٩٥٠ ـ ١٩٨٠) زيادة سكانية تبلغ نسبتها ٢٢٪ ايطاليا و٣٧٪ يوغسلافيا ، تضاعف عدد سكان الدول المشاطئة الجنوبية ، وقارب ثلاثة أمثاله في نفس الفتـرة ، بزيـادة ١١٦٪ في الجزائر وتـونس ، و١٢٥٪ في المغرب ، و١٥٧٪ في سـوريا و١٨٩٪ في ليبيا .



هذه الأرقام تقول لنا إن الدول المشاطئة الشمالية الأكثر سكانا في وقتنا الحاضر يتزايد سكانها بمعدل أقل بكثير من معدل التزايد في الدول المشاطئة الجنوبية .

واذا أخذنا بعض المؤشرات الرقمية الأخرى كمعدل الوفيـات ، ونسبة الخصوبة ، وتوزيع السكان بالنسبة للجنس والسن في كل من دول الشمال ، ودول الجنوب المشاطئة للبحر الأبيض ، نصل الى نتيجة هامة مفادها أنه في نهاية الثلاثين سنة القادمة سيصل عدد سكان هذا الحوض



إجمالي الناتج القومي في دول حوض البحر المتوسط عام ١٩٨٠

الى ما بين ٥٥٠ ـ ٦٠٠ مليون نسمة ، وستحتل المراكز الأربعة الأولى في عدد السكان دول الجنوب : مصر وتركيا (حوالي ١٠٠ مليون نسمة لكل منهما) ، ثم الجزائر والمغرب (حوالي ٦٠ مليون نسمة لكل منهما) ، وفي الوقت الذي ستكون البلدان الشمالية في وضع ثبات نسبي لعدد السكان لن تكون بلاد الجنوب ـ بعد ثلاثين عاما ـ قد وصلت الى الثبات السكاني النسبي ، ولن تصل اليه الا في الثلث الاخير من القرن القادم ، او في نهايته،وعند مستويات تقدر بين ١١٠ و١١٥ مليون نسمة في مصر وتركيا ، و١٢٠ مليون في الجزائر ، وبين ٧٠ و٨٠ مليون في المغرب.وطبقا لتقديرات البنك الدولي فان بعض البلاد ذات الاهمية السكانية النسبية الان في حوض البحر الابيض المتوسط ستزيد زيادة ملموسة ، ومنها مثلا سوريا التي يقدر عدد سكانها بحوالي ١٠ ملايين نسمة ، والذي سيصبح بعد ثلاثين سنة ٣٣ مليون نسمة ، وكذلك ليبيا التي سيرتفع عدد سكانها في نفس الفترة من ثلاثة ملايين نسمة الى ١١ مليون نسمة .

عدد سكان حوض البحر المتوسط يتزايد خلال ٣٠ سنة بنسبة ٦٤٪

ماذا تعني كل هذه الأرقام ؟ هل تعني شيئا او هل تقول كلاما مستقبليا له معنى ؟ انها تتكلم ، وكلامها كما قلت له ضجيج .

تقول هذه الأرقام فيما تقول اننا سنشهد خلال العقود القليلة القادمة انعكاسا سكانيا مزدوجا لبلدان حوض البحر الابيض المتوسط ، وهو انعكاس كمي ، حيث سينتقل الثقل من الشمال الغربي

(اسبانيا ـ فرنسا ـ ايطاليا) الى الشمال الشرقي (تركيا) ، والى الجنوب (مصر ودول المغرب الغربي) ، اي الى الاقطار العربية ، وهذا التزايد السكاني لدى الاقطار العربية في الشمال الافريقي وغرب اسيا لن يعادله تزايد سكاني في (اسرائيل)، اذ متوقع أن يبلغ عدد سكانها ٨ مليون نسمة في اواخر الثلاثين سنة القادمة .

كما تقول لنا هذه الأرقام ـ من حيث الجنس والسن ـ إن انعكاسا نوعيا سيصيب التركيب السكاني لحوض البحر الأبيض المتوسط ، ففي الشمال ، سيكون هناك سكان أصابتهم الكهولة ، بينما في الجنوب سكان صغار بل صغار جدا . .

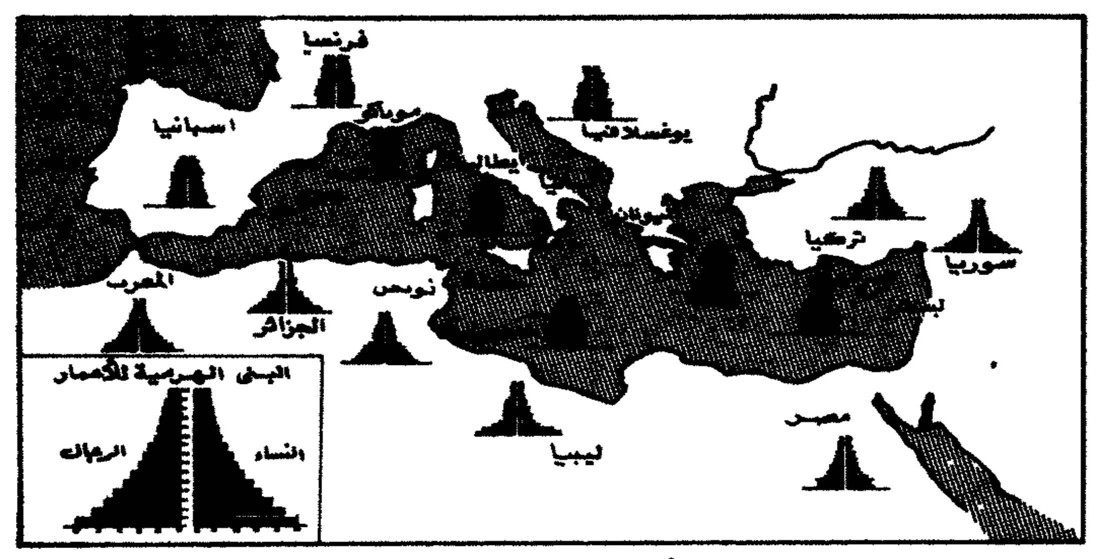
وسيكون هناك مشكلات المسنين في الشمال ، ومشكلات الصغار غير المنتجين في الجنوب .

لا يجب أن يذهب أحد منا ـ نحن العرب ـ إلى تفسير كل ذلك تفسيرا إيجابيا لصالحنا ، فهناك عنصر هام يدخل في تركيبة الموضوع ، ويجعل هناك فوارق في استخدام هذه الاحتمالات السكانية . . هذا العنصر هو معرفتهم ـ في الشمال ـ بالاحتمالات المختلفة ، وتحسبهم لها ، مع جهلنا النسبي بها ، وانعدام الخطط على المستوى الاقليمي ، للاستفادة ـ ايجابيا ـ من هذه التغيرات والسيطرة على مسارها .

مستوى المعيشة والبيئة :

☐ تقاس التنمية ـ التنمية الحقيقية ـ بشقين ، إشباع مادي ، وإشباع معنوي لجماهير الشعب ، وفي موازنتنا بين شمال البحر الابيض وجنوبه نجد انه حتى في الشق الأول توجد فروق واضحة في متوسط الدخول للأفراد بين الشمال والجنوب ، ففي الشمال نجد متوسط دخل الفرد الفرنسي ١٠٥٠٠ دولار ، ودخل الفرد الاسباني ٥٣٧٠ دولارا في العام ، ودخل الفرد الايطالي ٤٧٨٠ دولارا (عام ١٩٨٣) ، بينما هي أقل من ذلك بكثير في مصر، اذ نجدها تبلغ ٧٠٠ دولار للفرد ، وفي المغرب ٧٦٠ دولارا للفرد . ومع تزايد عدد السكان في جنوب البحر الأبيض الذي لمحنا الى مؤشراته في السابق ، ومع تحديد أكثر لمستوى المعيشة بادخال متغيري المستوى الصحي والتعليمي اللذين يؤثران بدورهما في الانتاج من جهة ، والطلب الاجتماعي من جهة اخرى ، سنجد أن هذه المؤشرات تشير الى أن بلدان اوروبا المشاطئة للبحر الابيض يتوفر لسكانها





البنى الهرمية لأعمار السكان في حوض البحر المتو

حالة صحية معقولة ويبلغ متوسط عمر الفرد ٧٠ عاما ويوجد في أغلب بلدانها نظام تأمين اجتماعي يتكفل برعاية المرضى ، كما ان أنظمة حماية الاطفال والفئات الخاصة قد تطورت ، وتبحث السلطات بدأب عن نماذج جديدة لسير عمل المرافق الصحية لملاقاة الطلب على العلاج المتنوع .

كل ذلك في الوقت الذي تتزايد فيه الصعوبات أمام كثير من المواطنين في الدول المشاطئة الجنوبية ، رغم الجهود المبذولة للحصول على رعاية صحية أفضل وذلك بسبب التكلفة العالية لهذه المؤسسات الصحية الحديثة وانتشار الأمراض ، مما يؤثر في النهاية على ازدياد نسبة وفيات الأطفال من جهة ، وانخفاض متوسط العمر من جهة ثانية .

وعلى الرغم من المؤشرات الهامة التي يقدمها مستوى العناية لأي قطر فإن الثراء بدون تعليم لا يكفل صحة جيدة ولا نموا فما بالك اذا انخفض مستوى التعليم مع ضعف في الدخول الحقيقية . فهناك في الجنوب توجد بعض البلدان الثرية ، بمعنى ارتفاع مستوى الدخل الفردي الا أن انخفاض مستوى التعليم فيها يعني بقاء معتقدات وأساليب شية وعادات غذائية معطلة للتنمية ، أما إذا تواكب ضعف الدخل مع مستوى تعليمي متدن فإن ذلك يعني بيئة غير صحية ومساكن مكتظة واضطرابا اجتماعيا .

الأرقام الخاصة بالتعليم في دول شمال البحر الأبيض وجنوبه تقول لنا أشياء أخرى ، فالنسبة المئوية للأطفال المقيدين في المرحلة الابتدائية من

ماهى
اما
للملايين
البشر؟

فئة السن المناظرة (وهي بشكل عام من ٦ إلى ١١ سنة) تبلغ ١٠٠٪ في بلاد شمال حوض البحر المتوسط ، مع مساواة شبه تامة بين البنين والبنات ، وفي بلاد جنوب الحوض كانت نسبة الأطفال المقيدين من الجنسين لعام ١٩٨٢ تبلغ بين ١١١٪ في تونس (أعلى من ١٠٠٪ بسبب تجاوز المقيدين فئة السن من ٦ ـ ١١ سنة) ، و١٠١٪ في سوريا ، مع رجحان طفيف للبنين في كل من تونس وسوريا ، و٨٠٪ في المغرب (٩٨٪ للبنين و٦٢٪ للبنات) ، و٩٣٪ للجزائر (١٠٥٪ للبنين ٨١٪ للبنات) ، و٧٨٪ لمصر (٩٠٪ للبنين و٦٥٪ للبنات) .

التوازن البيئي

وعندما ننتقل الى نسب المقيدين في التعليم العالي من فئة السن (بين ٢٠ الى ٢٤ سنة التي لا تغطي طول مدة أغلب الدراسات العليا) فإن أهم ما يمكن ملاحظته ليس هو الاختلاف المتوقع بين دول الشمال حيث تبلغ المقيدين ٢٥٪ من ذلك السن والرقم الأصغر لدول الجنوب ، وإن ما يمكن ملاحظته أيضا هو التقدم الحثيث الذي أحرزته الدول المشاطئة الجنوبية في خلال عقدين من الزمان . . فبين عامي ٦٥ ـ ١٩٨٢ ارتفعت النسبة في مصر من ٧ الى ١٥٪ ، وفي سوريا من ٨ الى ١٦٪ ، وفي تونس من ٢ الى ٥٪ ، وفي المغرب من ١ الى ٦٪ ، وهذا يعني ـ مرة اخرى ـ ازدهار الوعي النسبي بالمطالب الاجتماعية .

بل الكارثة

على الرغم من أن الأرقام تعني شيئا الا انها لا تعني كل شيء اذا ربطنا التعليم والتربية بالبيئة ، فالأساليب المتبعة في التعليم تختلف من فئة إلى أخرى ، بل من مدرسة الى أخرى ، وربما من مدرس الى آخر . ولا يعنى بتدريس البيئة ومخاطرها في كثير من مدارس حوض البحر الجنوبي ، ففصول الطبيعة والمراكز الدائمة للتعرف على البيئة مازالت في أسفل أولويات كثير من مناهج الدراسة .



□ عندما أسر إليّ أحد الخبراء العرب منذ فترة بأهمية الالتفات الى الصراع المحتمل مع اوروبا على المصادر الأولية من غذاء وطاقة الذي سيولده تزايد السكان في جنوب البحر الأبيض المتوسط ، ومعظمه ـ ان لم يكن كله ـ عربي ، وما يمكن أن يجره ذلك الصراع على البيئة ، لم أكن مقتنعا كل الاقتناع بأولوية الحديث في الموضوع وقرع أجراس الخطر . وعندما قرأت الوثائق المقدمة في ـ بيامنزو ـ وشهدت المناقشات أيقنت أننا

الصـــراع القاتـــل المواد الأوليـــة

أن مــنـدق الخطــر

حتى الآن لم نعط الأمر حقه من الالتفات ، وإليك بعض الأرقام الخاصة بالمواد الزراعية والغذائية ، فالاستهلاك من الحبوب يبلغ ١٨٠كجم للفرد في السنة في بلاد جنوب البحر المتوسط بينما يبلغ نحو ٨٠٠ كجم في الشمال ، والقمح يمثل حوالي ٥٠٪ من الحبوب التي يتم انتاجها ، و٨٠٪ من هذا القمح تنتجه بلاد شمال البحر المتوسط ، وإجمالا فقد بلغ انتاج الحبوب في بلاد البحر المتوسط ١٥٠ مليون طن في سنة ١٩٨٢ ، واحتلت فرنسا المكان الأول في الانتاج بفارق كبير حيث بلغ انتاجها نحو ٤٨ مليون طن ، وتليها تركيا (٢٦ مليون طن) ، وايطاليا واسبانيا (١٨ ، ١٣ مليون طن على التوالي) ، أما البلد الأول في الجنوب فهو مصر بإنتاج يزيد قليلا على ٨ ملايين طن ، ويليها المغرب (٤,٨ ملايين طن) والجزائر وتونس (١,٥ و١,٣ مليون طن) .

واذا اخترنا مؤشرا آخر هو انتاج اللحوم نجد أنه في عام ١٩٨٠ كان مجموع عدد رؤوس الماشية في حوض البحر المتوسط نحو ١٤٩ مليونا من الأغنام (١٣,٣٪ من الاجمالي العالمي تقريبا) و٤٣ مليونا من الماعز (٩,٣٠٪) و٦٩,٣ مليونا من الأبقار والجاموس (٥,٧٪) و٦٤٠ مليونا من الدواجن (١٠٪ من الاجمالي العالمي تقريبا) . الا أن العجز في اللحوم لدول البحر الأبيض بلغ ١,٢ مليون طن (٨٪ من انتاج البحر المتوسط) ، ويقابله واردات قيمتها (٢,٥ مليار دولار) .

في المقابل نجد أن اكثر البلاد المنتجة للحوم هي فرنسا تليها ايطاليا ثم اسبانيا ويوغسلافيا . أي أن دول شمال البحر الابيض المتوسط أنتجت من اللحوم في سنة ١٩٨٠ ما مقداره ١٢,٧ مليون طن في حين أن مجموع انتاج دول البحر الأبيض - بشماله وجنوبه -كان في ذلك العام حوالي ١٥,٧ مليون طن ، أي أن الجزائر والمغرب وتركيا ومصر وغيرها قد أنتجت من اللحوم فقط (٣ مليون طن) ، بينما أنتجت يوغسلافيا وحدها كمية قريبة من ذلك .

تلك الأرقام تتشابه تقريبا في قطاعات الصناعة والمواد الأولية والطاقة ، وتفرض علينا - شئنا أم أبينا - سؤالا مفاده : ما هي صورة



لابد من التحذير من البطالة والعنف وارتفاع مستويات التلوث

المستقبل لملايين من البشر سوف يوجدون خلال حوالي ثلاثين سنة قادمة ؟ ماذا سيأكلون وكيف نعتني بهم صحيا ؟ وهل هناك أمل لتعليمهم ؟ وبعض أسئلة ملحة أخرى .

اذا كانت فكرة التحكم في المشكلات الكبيرة فكرة لها أولوية قصوى ، كما أن التطلع الى التنمية هو تطلع مشروع ، فإن الموازنة بين الاثنين - بين الموارد المتاحة الزراعية والصناعية وبين الانقلاب السكاني - تجعل من المؤكد أن يؤدي كل ذلك-بعد ثلاثين سنة من الآن - وتحت تأثير التطورات الجذرية المتلاحقة وبخاصة في جنوب حوض البحر الابيض وشرقه-سواء فيما يتعلق بالسكان أو التوسع الحضري أو التصنيع أو الاستهلاك - الى بطالة وعنف وارتفاع مستويات التلوث ، وعلى ذلك فإن التنمية الاقتصادية سوف تصطدم سريعا بشكل مروع بحدود بيئية يصعب تجاوزها .

والتساؤل المطروح هو : كيف يمكن اعادة التوازن في حوض البحر المتوسط لصالح بلاد الجنوب التي يتكاثر سكانها وتقل قدرتها على الوفاء باحتياجاتها المشروعة في ظل التوازن القائم .

الأوروبيون يتخوفون من هذه المؤشرات ويعتقدون - إن عاجلا أو آجلا - أن (غزوا) بشريا سوف يأتيهم من الجنوب المكتظ بالسكان الأكثر فتوة وهم يحاولون - بطرقهم من الآن - من خلال الإعانات الاقتصادية وإعادة التوزيع الجغرافي لبعض الصناعات - ومعظمها مضر بالبيئة - الاطاحة بها وتطويقها في الجنوب ، مع تشدد مستمر في قوانين الهجرة والاقامة .

ولن تظل الأزمة محصورة في دول جنوب البحر الأبيض المتوسط ، اذ سوف تتعداها أيضا إلى الأقاليم المحيطة ، كالسودان والخليج والجزيرة العربية .

ورغم المحاولات العديدة للحوار في أكثر من اطار لملاقاة تلك المشكلات الملحة في وسط الطريق ، الا أن الجهود الاقليمية في البحر الابيض المتوسط - مثلها مثل كثير من المناطق الاقليمية - مازالت منطقة تتعامل دولها مع بعضها البعض من الباطن ، أو بمنطق البطالة البنيوية ، ومن ثم يتفاقم عدم الاستقرار الاجتماعي والسياسي الدائم الجيشان .

ألم أقل لكم ان بعض الأرقام لها ضجيج ؟

محمد الرميحي




الشيخ صباح الأحمد


الرئيس حسني مبارك



الصادق المهدى

■ مشاكل العالم الاسلامي ليست سهلة ولا يسيرة ، واذا لم يتم حل هذه المشاكل في مؤتمر قمة بحجم القمة الاسلامية ، وبمستواه وزخمه ، فان التعقيدات ستزداد وسيصبح من الصعب حلها على أي مستوى آخر .

الشيخ صباح الأحمد
نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية ـ
الكويت

■ نحن في اليمن مع انعقاد القمة العربية ، ونشعر ان الظروف القائمة تتطلب انعقادها في أسرع وقت ممكن ، كما تتطلب ان ترتفع الدول العربية الى مستوى مسئولياتها الكبيرة وترتفع فوق الخلافات الثانوية والجانبية

الرئيس أبو بكر العطاس

■ الأمم مثل الأفراد ، يخشى البعض منها قول الآخرين وحكمهم عليها ، ويستقبلها البعض الآخر بالفضول ويستفيدون من آراء الآخرين

ميشيل جوبير
وزير الخارجية الفرنسي الأسبق

■ ان صندوق النقد الدولي لا يدرك الأبعاد النفسية والسياسية للشروط التي وضعها لمساعدة الدول التي تلجأ اليه ولم يستخلص العبرة مما حدث .

الرئيس حسني مبارك

■ الاعلام لا يخلق انتصارات ، انه انعكاس للحالة على أرض الواقع .

لطيف نصيف جاسم
وزير الاعلام والثقافة العراقي

■ ان الاعتقاد الديني قضية متروكة للضمير ، ولا بد ان تترك بحرية .

الصادق المهدى
رئيس وزراء السودان

■ تراثنا القديم مليء بثروات وكنوز هائلة من حيث الفكر والوصول الى أعماق الحقائق ، ولكن علينا ان نخوض أهوالا من أجل اعادة تبويبها ومراجعتها وتنقيحها واعادة بنائها واستبعاد ما لا يلزم منها واحلال ما هو جديد مكانه .

فتحي رضوان
كاتب مصري

المسلمون ..
على خريطة المستقبل

بقلم : الدكتور أحمد كمال أبو المجد

لا يستطيع مهتم بأمور المسلمين في هذا العصر أن يفلت من الاحساس الغامر بالحزن والأسى ، وهو يرى شعوب الدنيا من حوله تتسابق الى استخدام عقولها لكشف المزيد من أسرار الحياة،واتمام عمارة الكون بما ينفع الناس ، تغمرها الحركة الدائبة ، والتوجه الذي يتزايد يوما بعد يوم الى الاهتمام بأمر المستقبل والاعداد له .. وتصور البدائل المحتملة لصور الحياة الفردية والجماعية في ظله ...

المسلمون ... حيث هم ، يدورون حول أنفسهم ، ويتنازعون أمرهم بينهم ، ويلتمسون للفرقة والشقاق أوهن الأسباب .. ثم لا يواجهون واقعهم المر إلا بكلمات وشعارات ، متمنين على الله الأماني ، ومتحدثين ـ مع ذلك ـ عن نصر وعدوا به ، وعن صبح قريب ينتظرهم ، وعن ظن يحسنونه بالله الذي استخلفهم في الأرض ، « وكذبوا ... لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » ..

هذا كله يتردد على الألسنة سؤال كبير ، يتلجلج في الصدور ، ويحدث به الشباب المسلم بعضه بعضا .. أما لهذا الليل من آخر ؟ وهل ضاعت ـ حقيقة ـ فرص الاصلاح ، وآمال النهضة الإسلامية التي راودت أجيالا متعاقبة من المصلحين والمفكرين والساسة والمجددين ؟ هل طوى الواقع المر الذي يحيط بنا تلك الآمال الكبار التي كان يتحدث عنها رجال أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد إقبال ، وحسن البنا ، ومالك بن نبي ..؟؟ هل بلغت حضارة المسلمين مرحلة الشيخوخة التي تحدث عنها الفيلسوف المؤرخ اشبنجلر ومن قبله المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون وهما يتحدثان عن دورة الحضارات ؟

إننا حين نطرح هذا السؤال لا نريد أن نحرك الهموم ، أو نشيع روح اليأس وأسباب القنوط .. فان عندنا جميعا من ذلك ما يكفينا .. وإنما نطرح هذا السؤال لنحرك الإحساس بضرورة « العمل السريع » لإنهاء حالة الضياع ... والحيرة ... والدهشة ... التي تلف العالم الاسلامي .. وحالة الذهول عن الواقع القريب والبعيد .. وحالة الرتابة والكسل والجمود على الموجود التي مازالت تخيم على كثير من المسلمين أفرادا وشعوبا ، رغم ما حققته

الثورة في وسائل الاتصال من تقريب للمسافات ، وإسقاط للحواجز ، ووضع للمعلومات والمعارف على أطراف أصابع سكان المشارق والمغارب على السواء .

نعم . . إن المستقبل كله بيد الله . . وتقدير الغيب كله من أمره وعلمه سبحانه . . ولكن يد الله في دنيا الناس عدل ورحمة ، ولذلك فهي لا تحاسب الناس ولا تحدد مستقبلهم بإرادة « كن فيكون » ، وإنما تضع الموازين للقسط للناس جميعا ، وترسي السنن الثابتة التي تضبط الكون كله والتي تحكم البيئة وسكانها . . لا تغيير لها ولا تبديل . . لهذا فإن ما نصنعه في حاضرنا هو الذي يحدد مكاننا على خريطة المستقبل . . وما نحققه في واقعنا من شروط النهضة وأسباب الانبعاث ، هو وحده الذي يفتح أمامنا آفاق الرجاء ويطرق بنا أبواب الأمل في التغيير . . .

استشراف المستقبل

والدارسون لعلوم التخطيط واستشراف المستقبل يقررون أن منهج هذا الاستشراف يمر بمراحل ثلاث :

الأولى : رسم خريطة الواقع ، وتحديد مكوناته ، وتحليل القوى المحركة لها . . وبيان الوزن النسبي لكل منها . .

الثانية : تصور البدائل الممكنة الوقوع ، إذا تركت مكونات الواقع تتحرك حركتها الذاتية . . أو تتأثر بمؤثرات خارجية توجهها مصالح « الآخرين » . .

الثالثة : تحديد الحركة الواجبة الاتباع في الحاضر ، لتوجيه التحرك الى المستقبل توجيها يحقق القدر الأكبر من أهداف الجماعة . . وهذه المرحلة الثالثة تتجاوز في الواقع مجرد التحليل والاستشراف لتدخل في نطاق « التوجه والتأثير » على صورة المستقبل . .

وعلى كثرة ما قيل ويقال في وصف حاضر المسلمين وتحديد مكوناته . . وعلى تعدد محاولات « تشخيص » الأزمة التي تواجه المسلمين المعاصرين . . فلا يزال مستقرا عندي أن تلك الازمة ترجع - في جزء كبير منها على الأقل - الى علل ثلاث :

أ - سوء فهم وظيفة المسلمين في الدنيا ، والعجز عن إجابة السؤال الكبير . . ماذا يريد الاسلام من المسلمين ؟

ب - الحيرة التي لا تنقضي في محاولة التوفيق بين « طاعة الله » والنزول عند أوامره الواردة في نصوص الكتاب والسنة ، وبين « استخدام العقل » وإطلاق حريته في البت ، ورفع الحرج والتأثم عن محاولات بناء النهضة الاسلامية الحديثة بناء يستفيد من تجارب الناس والشعوب ، قديمهم وحديثهم ، المسلم منهم وغير المسلم .

ج - الاضطراب في تحديد الموقف العقلي والنفسي من الأبعاد الثلاثة لحد « الزمن » ، وهي الماضي والحاضر والمستقبل ، وانكفاء أكثر المسلمين على الماضي وحده ، وتعلقهم بما يسمونه « التراث » ، وهو ركام كبير متعدد العناصر ، وإصرارهم على إضفاء القداسة على كثير من عناصره التي لا ترتبط بالاسلام ، ولا تستحق كثيرا ولا قليلا من تلك القداسة . .

إن المواجهة الصريحة لهذه العلل الثلاث ، وتصفية موقف العقل المسلم والنفس المسلمة منها جميعا ، هي الخطوة الأولى على طريق الحركة السوية نحو المستقبل . . . وبغيرها تظل الأحاديث الطويلة المنمقة عن عظمة الاسلام . . مخدرا خطيرا تقنع به النفوس العاجزة . . وتستكين له الهمم الساقطة . .

١ - ماذا يريد الاسلام من المسلمين ؟

قد يكون من الغريب أن نعيد اليوم طرح هذا السؤال ، والمسلمون يستفتحون قرنهم الخامس عشر تحت راية الاسلام . . ولكن هذا الطرح لابد منه ونحن نرى حولنا ما نراه من نماذج السلوك المضطرب والموقف الحائر تجاه الحياة . . . آلاف من الشباب المسلم يقاطعون الدنيا ، ويركن بعضهم إلى عزلة تحاجز بينهم وبين تيار الحياة . . ويحتمون وراء أسوار من الرفض ، والإحساس بالغربة ، والانقباض . . ويتصورون أن كل ما عرفه الناس من الأفكار والمذاهب والنظريات . . فالاسلام خلافه . . !

إن الأمل المعقود على صحوة إسلامية مبصرة

ورشيدة رهن بسقوط هذه التصورات المريضة عن دور المسلم في الحياة . .

ان الجيل الذي يصنع الحضارة لابد أن يدرك أن المسلمين ناس كأمثال الناس ، وأن مهمتهم على هذا الكوكب مهمة بناء وتعمير ، وأن مقاطعة الحياة لايمكن أن تكون مسلكا إسلاميا مقبولا ، كما أن الإعراض عن الدنيا والتقاعس عن الضرب في الأرض لا يفضي إلا الى تراجع شأن المسلمين وهوانهم على أمم الأرض . . لا تحول دون ذلك دعاوي « التميز » ونداءات « العزة » التي للمؤمنين ، ووعود « الاستخلاف في الأرض » ، ذلك أننا نخبة المسلمين نعرف أن سنة الله في الناس لاتتخلف ، لا تعفي من حكمها أمة ولا شعبا .

كما نعرف أن وعده بالنصر والاستخلاف في الأرض وعد مشروط « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » . . وأنه سبحانه قد كتب في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عباده الصالحون . . وليس من الصلاح في شيء أن يعجز المسلمون وأن يتكاسلوا وأن يمضوا أعمارهم كلها يطحنون كلاما . . ويجترون ماضيا . . ويعتزون بأمجاد أمة قد خلت . . وقد علموا أنه من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه كما يقول النبي (ﷺ) .

إن معنى هذا كله ، بلغة العصر ، أنه لا مكان للمسلمين على خريطة المستقبل إلا إذا تابوا من خطيئة الكلام الكثير والعمل القليل . . وإلا إذا شمر كل واحد منهم عن ساعديه وتعبد لله في ليله ونهاره ، بالعمل الكثير الذي يعوض ما ضاع من عمر الأمة في الجدل العقيم ، وما ضاع من عمر الأفراد في محاسبة النفس ومحاسبة الآخرين على صغائر الامور ، وهم جميعا واقعون في كبائرها . . وإلا فهل ينفع الأمة أن يفنى شبابها عمره في بحث وجدل لا ينتهيان حول أمور يدخل أكثرها في باب آداب الزي أو آداب الزينة أو آداب العلاقة بين الرجال والنساء . . . والأمة كلها واقعة في خطايا من « الوزن الثقيل » . . خطيئة الظلم المتبادل بين الأفراد والجماعات . . وخطيئة ترك الشورى والاعتياد على تحكم الواحد في المجموع . . ومصيبة الاستخفاف بالعمل . . والغش في أدائه عند الاضطرار إلى هذا الأداء . . ؟!

نعم إن المهمة الكبرى للمسلمين إنما تتمثل في هداية الناس ، وترشيد حركة المجتمعات بقيم الحق والهدى والعدل والاستقامة على أمر الله . . ولكن الناس لا يستمعون الى هذه النداءات كلها إذا جاءت من كسالى عاجزين . . أو ارتفعت بها أصوات يكذب حالها مقالها . . وتختلف سيرتها عن شعاراتها . .

٢ - العمل بالشريعة ، وممارسة الاجتهاد العقلي لا يتناقضان . .

وتلك قصة لا تزال حية وقائمة حتى إذا خيل إلينا أحيانا أن الجدل حولها قد انقطع أو فتر أو شغل عنه الناس . . إذ لا يزال كثير من المسلمين يتصورون الإسلام كيانا جاهزا ، ويتصورون الشريعة مخلوقا ثابتا عليهم أن يستدعوه ، وأن يعلنوا الرضا به ، فينصلح حال المسلمين بين يوم وليلة . . ولا يزال منهم من يتحدث عن « حاكمية الله » سبحانه كما لو كانت إعلانا بسقوط العقل ، وإلغاء دور الانسان ، وبطلان الدعوة الى الاجتهاد . . ولا يزال من عامة المسلمين وخاصتهم من لا يزال ينظر الى الثورة العلمية بوجل وإشفاق . . لا انتباها الى بعض آثارها الجانبية التي تقلق - بحق - سائر الأمم والشعوب ، وإنما اعتقادا بأن المسلم الصحيح عليه أن ينحاز للوحي . . دون العقل . . وللاحكام الواردة بنصها في الكتاب والسنة . . دون تلك التي يتحدث عنها علماء الطبيعيات وعلماء الانسانيات . . .

إن الخطر الداهم في هذا الفهم المغلوط يكمن فيما يؤدي إليه من تعطيل العقول أو شل ملكات الإبداع والسعي لاقتحام المجهول . . والميل بالجيل كله الى متابعة القديم ، والجمود على الموجود ، وطلب الحلول الجاهزة من أقوال الأقدمين . .

ونحن - من جانبنا - لن نمل أبدا من التذكير بوحدة خلق الله ، وبأن التعارض الموهوم بين العقل والنقل كارثة هائلة لا مكان لها إلا في بعض العقول الضيقة والصدور الحرجة . . وأنه لا أمل للمسلمين في استرداد مواقعهم التي خسروها بين الأمم والشعوب إلا إذا أدركت أجيالهم الجديدة أن كلمة الله المقروءة في كتابه المنزل على نبيه المرسل هي هي حكمته المبثوثة في الكون والأنفس والآفاق . . وإلا

إذا سلمت هذه الأجيال بأن « العقل » ، هذه النفحة الإلهية التي من بها على الانسان . . هي أداة فهم نصوص الكتاب ، وهي كذلك أداة فهم أسرار الكون الفسيح الذي يحيط بالانسأن .

إن الذين لا يتصورون الاسلام ولا يعرفون عنه إلا أنه مجموعة من النصوص ، قد يأخذها بعضهم على ظاهرها ويعرض عن سياقها ، ثم يلقي بها في وجه كل مجتهد وكل صاحب رأي حريص على الفهم وتدبر آيات الله . . أولئك يحتاجون الى مواجهة لامداراة فيها ولا مجاملة . . حتى يذهب الزبد جفاء الى غير رجعة . . ولا يمكث في الأرض إلا ما ينفع الناس . .

لقد جاء دور العقل المسلم لينتعش من جديد ، ولترتفع به رؤوس الأتقياء والصالحين ، ولتضرب به أمة الإسلام جنبات الكون ، في غير تهيب ولا وجل ، ولا إشفاق على النصوص والمقدسات . . وليدار ـ حول ظلاله الوارفة ـ حوار متصل حول قضايا الساعة وهموم الناس . . . ذلك أن الفكر الموضوعي النافع عبادة أو كالعبادة ، لأنه استخدام لنعمة الله فيما أمر به الله . . .

وتعالوا نذير أعناقنا نحو المستقبل . .

لقد التوت أعناق أجيال متعاقبة من المسلمين ، وهم مشدودون الى الوراء . . . منكفئون على الماضي . . مشغولون بالذات . . وحجتهم في ذلك كله أن من يقطع صلته بما فات . . لا رجاء له فيما هو آت . . وتلك لعمري كلمة حق يراد بها باطل . . فإن أحدا من عقلاء المسلمين لا يقول بقطع الصلة بالماضي . . أو الإعراض ـ جملة ـ عن التراث ، ولكن . . أي ماض ؟ . . وأي تراث ؟ . . القرآن والسنة . . ؟؟

ان كلام الله سبحانه وهَدْيَ نبيه (ﷺ) لايستمدان قدسيتهما من ارتباط بماض قريب أو بعيد . . فتعالوا نسمي الأشياء بأسمائها ونقول أننا ملتزمون بالكتاب متبعون للسنة الصحيحة . . ولكن ما لهذا ولتقديس آراء الرجال ، والتعبد بمتابعة الأقدمين . . وهي بدعة ممقوتة حكى لنا القرآن من أمرها ما حكى،وهو ينكر على أصحابها أشد الانكار . .

ثم إن الماضي ـ بكل ما فيه ـ ليس من صنعنا نحن ، وأمجاده لا فضل لنا فيها . . وإنما تتمثل أمجادنا الحقيقية فيما نفعله ونحققه نحن . . ثم إن الماضي ساحة هائلة امتدت في الزمن قرونا . . وفي المكان آلافا من الأميال . . شغلها الحق والباطل . . واجتمع فيها الهدى والضلال . . وتصارع فيها الاسلام مع الكفر والظلم والنفاق . . ورأى فيها الناس ألوانا شتى من الخطأ والصواب . . فماذا بقي ـ إذن ـ من أسباب هذا الانكفاء الشديد على أيام مضت وانقضت . . وفيم هذا الإعراض العقلي والنفسي عن مواجهة المستقبل والاعداد له . . والاحتفال بأمره . ؟ ثم كيف يستطيع هذا الجيل من المسلمين أن يذهل عن السرعة الهائلة التي يتم بها التقدم العلمي بأشكاله وصوره التي لم يكن يخطر أكثرها على بال الأقدمين . . وكيف يعزلون عقولهم ووجدانهم عن الإيقاع السريع المتزايد السرعة لحركة الحياة من حولهم . . وهل يطمع جيل ثقيل الخطو ، مقيد العقل بالأغلال أن يكون له مكان على خريطة المستقبل والناس من حوله يتسابقون ويتدافعون ، ويقفزون قفزا للفوز بمكان على تلك الخريطة . . ؟!

والخطاب بعد ذلك لجيل الشباب . . أن تعالوا نرفع أصابعنا عن آذاننا ، ونزيل الغشاوة عن عيوننا . . ونشحذ الهمة لعمل كبير . . وجهاد طويل . . نمد فيه أبصارنا الى المستقبل ، ونرتحل فيه بمشاعرنا عن الماضي الذي وقعنا في أسره ونحن نحسب أننا بهذا نتقرب الى الله .

أما إذا غفلنا عن ذلك كله . . فإن الحديث عن صحوة إسلامية ونهضة حضارية . . لا يكون إلا فرقعة لفظية . . ولغوا لا يصح به دين ولا تصلح حياة . □

■ لا يفترض فيك أن تحب جميع الامور ، وانما عليك أن تفهمها مجرد فهم .

■ الإنسان لا يقتل في الحرب الرجل الذي يود قتله .

ارنست هيمنجواي



الاسلام والأرض

بقلم : الدكتور أحمد عُلَبي

« ما زالت قضية الملكية في الاسلام من القضايا التي لم يحسم حولها الخلاف ، والاجتهادات فيها لم تنته . وحول ملكية الأرض يدور حوار أكثر سخونة . هل الأرض من الملكية الخاصة ؟ أم أنها مشاع لكل المسلمين الذين يشتركون في الماء ، والكلأ ، والنار ؟ » .

بات في حكم الأمور التي لا يداخلها ريب ، أو لا يملك الباحثون لها دفعا ، أن الاقتصاد محرّك أساسي للتاريخ ، وعلى سيره وغمط تطوره تترتب نتائج اجتماعية ، بالغة الدلالة في النسيج العام للتكتلات البشرية ، ولهذا لم يعد المؤرخون يُعْنَوْن بسرد الأحداث السياسية ، والمعارك العسكرية ، بمقدار ما أخذ جهدهم ينصرف الى اكتناه الخلفيّة الاجتماعية الاقتصادية التي حتّمت أن تأخذ الأحداث والمعارك مجراها على هذا النحو أو ذاك ، فصار المؤرخ شارحا ومفسرا ومعللا ، وصار التاريخ الانساني هو التاريخ الاجتماعي الاقتصادي لهذه الدولة أو تلك . في العصور الأولى للاسلام كان الانتاج الزراعي هو محور الحياة الاقتصادية لتلك العصور ، فترتبت على هذا النمط الانتاجي علاقات اجتماعية ، سادت دار الاسلام ، وغلبت على حياة المسلمين . لذا فإن موضوع مُلكيّة الأرض يتّسم ـ في تاريخنا ـ بالأهمية والأولوية ، فالأرض منبع الخيرات ، ومنها شِبَع الناس ، واستمرار ديمومتهم ، وذلك في مجتمع مشرقي ، عماده الفلاحون على العموم .

أبو يوسف

إن هذا المدخل الذي ندبّجه حول مُلكيّة الأرض في الاسلام يدعونا ـ على الأخص ـ إلى مراجعة نقدية لكتب الخراج والأموال . كان القاضي أبو يوسف (ت ١٨٢ هـ) رائدا في « كتاب الخراج » الذي وضعه استجابة لطلب هارون الرشيد ، ليستعين الخليفة بمعطياته في عملية جباية الخراج والجزية والعُشور والصدقات ، وبما أن أبا يوسف كان يعالج أمرا جديدا فقد عمد إلى مناظرة أهل العلم بالخراج كما كاتب العارفين بالموضوع ، يستوضحهم الرأي عمّا درجت عليه الأحكام هنا أو هناك في صدد بعض أراضي الفتوح . إن أبا يوسف يتحلّى بالاستنارة

أمثال بلال بن رباح ، وعبدالرحمن بن عوف ، والزُّبير بن العوّام ، يلحّون على الخليفة عمر بن الخطاب بوجوب أن يقسم هذه الأراضي . وهذه الأراضي كانت ـ في الحقيقة ـ تشكّل الحلقة الكبرى في الفتوحات ، لأنها تشمل الجزء الأكبر من مُلكية الأرض ، لكن مصلحة المسلمين المادية والمعنوية ، كمجموعة بشرية ، وكدولة طامحة ، وكمستقبل منتظر لأجيال المسلمين التالية ، أملت على عمر التأمل ، والتأني ، وإعمال النظر ، واستشارة المهاجرين الأولين ، وقد أيده على رأيه ـ فيما بعد ـ عثمان وعليّ وطلحة . وانتهى عمر إلى إبقاء الأرضين للعاملين فيها ، ثم حصّل الخراج منهم ووزّع حينئذ على المسلمين وذراريهم .

واعتمد عمر في الحل الذي انتهى إليه على ما جاء في القرآن الكريم ، فقد جاء في سورة الحشر أن ما أفاء الله على الرسول يكون مآله لأصحاب الخُمُس الذين تقدّم ذكرهم ، وللمهاجرين والأنصار ، وللذين جاءوا من بعدهم من المسلمين ، وهكذا ائتلف النص مع الواقع الجديد الذي عرفه العرب مع الفتوحات خارج الجزيرة ، في العراق والشام ومصر . لقد أقدم عمر بن الخطاب على ضرب من التأميم للأرض ، فجعلها وقفا على المسلمين ، ومُلكية جماعية لهم ، تتولاها الدولة الاسلامية عن طريق تحصيل الخراج ، وهو ما نرغب أن نسميه خراج الأجرة ، باعتبار أن ملكية الأرض للمسلمين كافة ،والخراج ههنا بمنزلة الكِراء المتوجب على المستثمرين للأرض . ثم إن عمر كان بمكنته أن يسترشد بالمثل الأعلى ، محمد صلى الله عليهِ وسلم ، وذلك أنه عندما استولى على مركز أعدائه العتاة في مكة لم يعمد إلى تطبيق قاعدة الغنيمة عليها ، وهي التي أخذت عَنْوة ، بل استثناها ، وعفا عن أهلها ، وقرّبهم منه ، وذلك لأن مصلحة الدعوة الناشئة كانت تملي عليه سياسة مرنة حيال أفظّ أعدائه .

كُتُب الخراج

إن كُتُب الخراج المتخصصة تؤلف في مجموعها مكتبة صغيرة جدا ، وذلك لأن كثيرا من كتب الخراج ضاع على الأرجح ، أو ربما ما زال مخطوطا . يأتي ابن النديم (ت ٤٣٨ هـ) على ذكر عدد من كتب الخراج لرجال لم نعثر لغالبيتهم المطلقة على ترجمات في المصادر لم من أمثال حفصويه ، وابن عبد الكهم ، وابن الماشِطَة ، وابن بشّار ، ومحمد بن خيار ، وابن سريح ، وكانوا ـ كما يظهر من كلام ابن النديم عنهم ـ من معاصريه ، أو القريبين من زمانه ، فابن عبد الكهم مثلا مات سنة ٢٧٠ هـ ، وابن سريح من مواليد سنة ٣٠٠ هـ ، وابن الماشِطة كان حيا سنة ٣١٠ هـ . وعن حفصويه يذكر ابن النديم : « وكان من أفاضل كتّاب الخراج ، متقدما في صناعته ، وهو أول من ألّف في الخراج كتابا » ، فما مقدار الصّحة في هذه الرواية عند علمنا أن القاضي أبا يوسف هو صاحب أول كتاب في الخراج ؟ ومما يخالجنا أن أبا يوسف من المتقدمين ، وأن حفصويه من المتأخرين الدائرين في فلك زمن ابن النديم . ومما يخفف من أسفنا على افتقاد هذه الكتب في الخراج أن كتاب ابن سلّام في الأموال يعود أولا الى زمن قديم نسبيا ، ما دام أن مؤلفه توفي في أواخر الربع الأول من القرن الثالث الهجري ، ثم لأن كتاب ابن سلّام عبارة عن دائرة معارف ثمينة في موضوع الخراج ، قد أفاد واضعها من السابقَيْن عليه ، فهما له أصلان ، عنينا أبا يوسف وابن آدم .

وهناك كتب أخرى في الخراج متقدمة ومتأخرة ، لكنها لا تضيف شيئا كبيرا إلى معلوماتنا ، من ذلك كتاب « نُبَذ من كتاب الخراج وصنعة الكِتابة » لقُدامة بن جعفر (ت ٣٢٠ هـ) ، وهذه النُبَذ التي وصلتنا جغرافية الطابع في معظمها ، فالفائدة المتحصّلة منها هي كالفائدة التي نجنيها من كتب المسالك والممالك ، وأهم ما اشتملت عليه هذه النُبذ يتمثل في الجداول المالية

بيد أن ما يستوقف النظر مليًّا أن الدارسين المحدثين الذين أكبوا على موضوع الاسلام وأحكامه الصادرة حول الأرض ، قد جنح كثير منهم الى موقف محافظ متزمّت ، فهم راغبون في إسلام يتفق وآراءهم التي لا غلوّ في نعتها بالتخلف ، فهذا أبو الأعلى المودُودي ، الباحث الباكستاني ، صاحب « مسألة مُلكيّة الأرض في الاسلام » ، يقف عند أحاديث نبويّة تكاد تكون محور كتابه ، وتدور حول زراعة الأرض ، وخلاصة هذه الأحاديث التي عدنا اليها لنتحقق من نصّها ، تقول بشكل جليّ واضح

لا لَبْس فيه ، إنّ مَنْ كانت له أرض أو فَضْل أرض فليقم بنفسه بزراعتها ، فإذا عجز فليُعْطها منحة لأخيه ، أو ليُعِرْها لآخر من غير أجر ، وإلا فليَدَعْها وليُمْسِكْها ، وهذا الموقف الأخير صادر عن النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التوبيخ . إن المودودي يجهد لاهثا لينفي صِحّة أو معقولية هذه الأحاديث النبوية ، ولسنا الآن في صدد مناقشة الباحث ، والدخول معه في تشعّبات القضية ، لكننا نكتفي بأن نسجّل أن النبي على أي حال حضّ على منح الأرض بلا أجرة ، فنقل عنه ابن عبّاس قوله : « لأنْ يمنح الرجل أخاه أرضه خيرٌ له من أن يأخذ عليها خَرْجا معلوما » . والخَرْج والخَرَاج معناهما واحد . ولكن المودودي في هلع دائم من تأميم وسائل الانتاج ، أو المساواة في توزيع الثروة ، أو المسّ بالمُلكيّة الخاصة ، أو وضع القيود عليها ، وبالتالي فهو يطلب إسلاما يتلاءم ونيّاته ، ويتجانس ورغباته ، أما المسلمون فليأكلهم الدود ، والفقر ، والجوع !

الحسيني

وهو يرى أن الأرض الزراعية مُلْك شائع في الاسلام ، يملكها مَنْ يزرعها ، ويعوّل في إسناد رأيه على بعض الأحاديث النبوية حول منح الأرض والنهي عن كرائها ، وقدتقدّم بنا ذكرها لدى الكلام على المودودي ، لكن هذا الدارس يقع نظريا في تناقض ، إذ نراه حريصا على أن يظل الاسلام هو نفسه في دوام حقيقته ، « وهذا الدوام ينقص أو يفقد إذا جُعل هو تابعا لأوصاف ونعوت خاصة عارضة ، أي إذا قيل فيه انه يتصف بصفات التطور الزماني والمكاني » ، وذلك كما يقول بعد قليل : « ما دام من مبادئه تقدير الظروف أيا كان نوعها » ، إن « تقدير الظروف » يعني مراعاة فاعلية التطور على صعيد الزمان والمكان ، ومن رأي الباحث « أن التفاوت في قسمة الثروة بين أفراد الشعب راجع الى التفاوت الخِلْقي الموجود في قوى الأفراد المختلفة ، ومصدره مشيئة الله ، وليست المُلكية الخاصة » ، فالتفاوت بين البشر أمر غريزي عنده ، ولا سبيل الى القضاء عليه ، والمُلكية الخاصة لا مفرّ منها ، إذ بواسطتها تتحقق الحرية ، هذه الحرية التي تُورِّث بتوريث المُلكية الخاصة المكتسبة ، ويذهب السيد الحسيني إلى أن الاسلام شجّع الملكية الخاصة للأرض من طريق الاقطاع والاحياء ، وهو بذلك ـ حسب اعتقاده ـ قد سبق النازية والفاشستية في هذا المضمار ، في حين أن الاسلام باعتباره الأرض المَوَات غير العامرة بمنزلة مُلكية عامة للمسلمين قد تقدّم على الاشتراكية والشيوعية في هذا السبيل .

ـ إن المقارنات العشوائية الساذجة التي أغرم بها الباحث ـ وقد أوردنا طرفا منها ـ تدل أولا على أن لا مجال إلى إهمال عامل التطور الزماني والمكاني ، وأن هذا العامل يفعل فعله في المسلمين ، بوعي منهم أو بغير وعي ، بحيث يحملهم على تفحّص آخر مبتكرات التطور الاجتماعي ، والابداع العقلي ، فينقادون بعدها الى عقد المقارنات بين تراثهم والمذاهب الاجتماعية الحديثة ، ليصلوا الى نتائج ، ليس المهم الآن القول بأنها صدقت أو أخطأت ، إنما المهم أنها تلغي ـ في قرارتها وبشكل منطقي ـ عقدة هؤلاء الدارسين الذين يتشبثون بالتراث على نحو جامد ، ويشوّهونه على صعيد النظرية ، مع أنهم يعيشون العصر فكرا ومسلكا ، ويتأثرون على هذا النحو أو ذاك بمكتسباته وأنواره ، وعلى هذا فمقارنات هذا الدارس تلتصق بالعصر ، لكنها تبدو أحيانا في غاية الركاكة ، وتنبيء بأنه متبحّر في ظواهر المذاهب الاقتصادية والاجتماعية الحديثة دون بواطنها ، أنظره يعلّق على رأي أبي جنيفة الذي لا يسوّغ إحياء الأرض إلا بإذن الامام فيقول : « يوافق الرأي المذكور لأبي حنيفة في ترجيح إرادة الحكومة ، وهي التي يمثّلها لدى الاسلام الامام ، على إرادة الفرد ، مذهبَي النازية والفاشستية ، إذ كلاهما يقرران أن الحكومة أفضل من الأفراد التي تكوّنها ، وأن لها حقوقا تفوق حقوق الفرد » ، إن أي حكومة ـ مهما كان نوعها ـ مسؤولة عن أمور لا تُحصى ، تملي إرادتها فيها ، لكن هذا لا يبيح نعتها بالنازية والفاشية ، ثم إن هذا النعت هو اساءة بالغة تلحق بالاسلام ، وليس ـ بأي حال ـ مديحا له ، لأن الفاشية وصمة عار في جبين الانسانية ، وليست نظاما مستساغا كسائر الأنظمة الاجتماعية ، مهما كانت وجهة نظرنا في هذه الأنظمة . أوْلى بنا أن نفهم الاسلام في إطاره التاريخي ، لا أن نُسقط عليه صياغات عجيبة ، لا تتفق والدور الحضاري الذي نهض به . □



الإرهاب من زاويـــة عـربيـــة

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

المقاييس الأخلاقية التي يصدر العالم على أساسها حكمه بأن هذا الفعل العنيف أو ذاك « إرهابي » أو « غير إرهابي » . . هي مقاييس تفرضها القوة والمصالح السياسية أكثر مما تفرضها مبادىء العدالة . . رغم ذلك فإنه لا يعفينا كعرب من اختيار الأساليب التي نحارب بها عدونا بما جبل عليه تراثنا ـ المقال وجهة نظر الكاتب وهي وجهة نظر تستحق في أضعف الايمان ـ أن تسمع وتقرأ .

لن أبدأ مقالي بمحاولة لتعريف « الارهاب » ، لأني أعلم أن مئات الصفحات قد كُتبت حول هذا الموضوع ، ومازال الجدل مستمرا . ولن أبدأه بتلك الاشارة ـ التي هي في رأيي مشروعة تماما ـ الى الاختلاف الأساسي بين طريقة استخدام الكلمة في العالم الغربي ـ الذي كان حتى عهد قريب استعماريا ـ وطريقة استخدامها في العالم الثالث ، وبخاصة حركات التحرر فيه ، لأن أطنانا من الأوراق قد دُوّنت حول هذا الموضوع ، ومازال الخلط بين طريقتي الاستخدام يوّلد مغالطات لا أول لها ولا آخر ، وخاصة لدي أجهزة الاعلام الدولية الواسعة الانتشار . فأنا أعترف مقدما بأن نصف مشكلة الارهاب على الأقل ، يكمن في الاستخدام الفضفاض ، المتعدد المعاني لهذا اللفظ ، وأعترف بأن هذا التعدد والخلط ليس مجرد مشكلة لغوية ، وانما هو يعكس وجهات نظر متضادة ازاء قضايا الشعوب ، ومشكلات التحرر ، وعلاقات القوة في العالم المعاصر ، وربما كان يعبر في نهاية المطاف ، عن موقف أساسي من قضية الانسان في هذه المرحلة من تاريخ البشرية .

ولكنني مع اعترافي الكامل بهذا كله ، لا اريد أن أبدد الوقت والجهد في المقدمات ، مهما كانت ضرورية ، وأود أن أدخل مباشرة في صميم الموضوع ، ومن هنا فإني سأتغاضى عن التحديدات اللفظية الدقيقة ، وأستخدم الكلمة بمعنى قد لايكون دقيقا ، وقد لا يوافق عليه الكثيرون ، لأن هناك قضايا أخرى أهم بكثير ، تحتاج الى معالجة تنفذ مباشرة الى لب المشكلة .

ان أعمال العنف التي تسمى ارهابا ، والتي تُنسب الى العرب ، في ربع القرن الأخير ، ترتكز على مجموعة من الحجج أو التبريرات الأساسية . وهدفنا في هذا المقال هو أن نناقش هذه الحجج واحدة تلو الأخرى ، لكي نصل في نهاية الأمر الى نظرة لموضوع الارهاب أعتقد أنها تكشف عن بعض العناصر غير المألوفة .

أولا : نفاق الأخلاق الشائعة :

الحجة الأولى التي يرتكز عليها المدافعون عن أعمال العنف ، أوما يسمى بالارهاب ، هي أن المعايير الأخلاقية الشائعة تنطوي على قدر كبير من النفاق ، حين تحكم على العنف الذي تمارسه دولة قوية ، على نطاق واسع ، بأنه مشروع ، وتستنكر العنف الذي يقوم به فرد أو بعض الأفراد ، في نطاق أضيق بكثير . فالتدخلات العسكرية وأعمال القمع والاضطهاد المخطط والمنظم (كمذابح صبرا وشاتيلا) ، وشن الحروب العدوانية على الدول الضعيفة (كغزو « اسرائيل » للبنان ، أو غزو أمريكا لجزيرة جرينادا) وتحريض عصابات من المرتزقة لتخريب مجتمع يحاول أن يبني نفسه في أصعب الظروف (كالدعم الامريكي الشامل لجماعة الكونترا في نيكاراجوا أو لمنظمة يونيتا في أنجولا) ، كل هذه نماذج صارخة للارهاب الذي تمارسه دول قوية على شعوب أضعف منها بكثير ، ومع ذلك ، فان الاخلاق الشائعة لاتُدين هذه الفظائع بوصفها إرهابا ، بينما تحمل بشدة على عمليات أضيق نطاقا بكثير ، وتهاجمها بكل قسوة .

هذه في رأيي حجة صحيحة كل الصحة ، وهي تؤدي في الواقع الى اعادة نظر شاملة لجوانب هامة من تاريخ العالم الحديث . مثال ذلك أننا اعتدنا نتيجة تأثرنا بوجهة النظر الغربية ، أن ننسب القسوة والعنف خلال الحرب العالمية الثانية الى المعسكر المعادي للحلفاء ، ونسينا أن الحلفاء الغربيين بدورهم قد ارتكبوا أعمالا لاتقل وحشية عن أعمال هتلر ضد المدنيين الأبرياء ، كما حدث ، على سبيل المثال ، في الغارة التي محيت فيها مدينة درسدن الألمانية من الوجود ، وراح ضحيتها مئات الألوف ، مع أن المدينة كانت خالية من أي هدف عسكري . كما نسينا أن كل فظائع اليابانيين ، طوال سنوات الحرب ، لاتساوى شيئا بالقياس الى القنبلتين الذريتين اللتين ألقتهما أمريكا في الشهر الأخير من تلك الحرب على هيروشيما ونجازاكي .

وهكذا فان الاعلام الغربي ، والأمريكي بوجه خاص ، يتحكم في الصورة التي تكونها معظم العالم عن القسوة والوحشية والهمجية والارهاب على المستوى الدولي ، ويلونّ تلك الصورة باللون الذي يخدم مصالحه ، بحيث يكون الغرب دائما هو الراقي والانسان والمتحضر ، وخصومه هم دائما الوحوش والبرابرة والهمج . بل ان هذا الاعلام أفلح في طمس أكبر عملية ارهابية بُني عليها تاريخ الولايات المتحدة نفسها ، هي إبادة شعب كامل مسالم هو الهنود الحمر ، وجلب الزنوج كعبيد من أفريقيا ، واستخدامهم بالسخرة في تشييد أسس الرخاء والثراء الأمريكي . .

واذن فالمقاييس الأخلاقية التي يُصدر العالم على أساسها حكمه بأن هذا الفعل العنيف مشروع أو غير مشروع ، أخلاقي أو غير أخلاقي ، هي مقاييس مشوهة ومضللة أو متحيزة الى حد بعيد . هذه حقيقة لاشك فيها . ومع ذلك فان هذه الحقيقة لاتحدد لنا ، بوصفنا منتمين الى الأمة العربية ، نوع الأعمال التي نستطيع أن نسهم بها في الكفاح من أجل قضايانا . ان ما نستنتجه من مناقشتنا لهذه الحجة الأولى ، هو أن صورة العمل الارهابي أو غير الارهابي كما يرسمها الاعلام الغربي ، كثيرا ما تكون مشوهة ومغرضة .* ولكن هذا الاستنتاج لايقدم إجابة شافية عن السؤال الأساسي المطروح ، وأعني به : مانوع الأعمال التي يكون من حقنا ، كعرب ، أن نوجهها ضد أعدائنا ؟ ذلك لأن إدراكنا أن الصورة التي يكونها العالم عن الارهاب مشوهة ، لايعطينا مبررا لكي نرتكب أعمال العنف كيفما اتفق ، وبغير تفكير أو توجيه . صحيح أن الأخلاق السائدة في هذا الموضوع ، يسودها قدر كبير من النفاق ، ولكن وجود هذا النفاق العالمي لايعفينا من أن نفكر بامعان في كيفية اختيار الأساليب العنيفة التي ينبغي أن تُستخدم ضد أعدائنا ، ونمتنع عن اختيار أساليب أخرى .

ثانيا : حرب الضعيف ضد القوي :

أما الحجة الثانية التي يرتكز عليها مبدأ العنف الارهابي ضد العدو ، فهي أن العربي ، والفلسطيني بوجه خاص ، يجد نفسه في موقف الضعيف ازاء العدو ، ولا يستطيع أن يواجهه بأساليب القتال التقليدية ، وذلك لأسباب عديدة لاسلطان له عليها فقد تكفلت أقوى دول العالم : الولايات المتحدة وألمانيا الغربية وبقية الدول الصناعية

الرأسمالية الكبيرة ، بامداد « اسرائيل » بكل أسباب القوة العسكرية والاقتصادية والبشرية ، مما أتاح لهذه الأخيرة أن تقيم دولتها على أرض مسلوبة بقوة الحديد والنار . وقد أثبتت التجارب أن هذا المعسكر بأكمله على استعداد للوقوف بكل قوة وراء « اسرائيل » اذا ما تأزمت معها الأمور ، كما حدث بالفعل بعد هزيمتها في بداية حرب ١٩٧٣ ، عندما دخلت أمريكا بكل ثقلها لدعم الأداة العسكرية « لاسرائيل » .

فما الذي يستطيع الضعيف ازاء عدو كهذا ؟ انه لايملك الا أن يحاربه حربا غير نظامية ، ترتكز على عمليات مفاجئة غير متوقعة ، يقوم بها أفراد مدربون على التضحية بأنفسهم مثلما هم مدربون على حمل السلاح . ومهما بدا من قسوة هذه العمليات ، وذهاب بعض الأبرياء ضحايا لها ، فان هذا أمر لا مفر منه حين تُفرض عوامل الضعف على أحد الطرفين رغم أنفه ، مع بقاء جذوة المقاومة والنضال مشتعلة فيه . وهكذا يتلمس الطرف الأضعف أية نقطة رخوة لدى العدو ، وأي هدف غَفَل العدو عن تحصينه أو حراسته ، لكي يوجه اليه ضربة سريعة ، ويهلك العدو بالمفاجآت المستمرة التي تصيب أبعد أماكنه عن التوقع .

هذه بدورها حجة يستحيل الاعتراض عليها ، لأن الضعفاء الذين يرفضون الاستسلام ، وهم كثيرون في هذا العالم ، لابد أن يبحثوا لأنفسهم عن وسائل أخرى لمناوأة أعدائهم ، يتحقق لهم فيها قدر معقول من التكافؤ . ولكن يظل السؤال مع ذلك قائما : هل يلجأ الضعيف في هذه الحالة الى « أية وسيلة » ، أم أن عليه أن يختار ؟ لاجدال في أن مناوأة العدو لابد أن يكون لها هدف ، هو إنهاكه وتهديد مصالحه الحقيقية . وليست المسألة مجرد إثبات وجود فحسب : فخاطفو الطائرات المدنية مثلا ، يختارون أسهل الطرق ، أعني طريقا لا يحتاج الى كفاح حقيقي . بل انهم يبحثون لأنفسهم عن مزيد من السلامة بأن يطالبوا بانتقال الطائرة الى مطار دولة متعاطفة معهم . وفي مقابل ذلك فان هناك حركات أخرى ، ضعيفة بدورها ، تقض مضاجع أعدائها بعمليات شجاعة تمس صميم مصالحهم ، وتحتاج الى قدر كبير من التصميم والقوة المعنوية وروح التضحية .

وعلى ذلك فان وجود طرف ضعيف مظلوم أمام طرف قوي ظالم ، لايعني أن من حق الأول أن يضرب كيفما اتفق ، وبغير تفكير أو تمييز ، بل ان مشكلة الاختيار تظل قائمة ، ويظل السؤال الأساسي مطروحا : اذا كنتُ ضعيفا رغم إرادتي ، ولديّ إصرار على مواجهة عدو يتفوق عليّ تفوقا ساحقا ، فأي الأهداف ينبغي أن أختار ؟

ثالثا : لفت أنظار العالم الى القضية :

منذ اللحظة الأولى لظهور أعمال العنف التي شاع وصفها بالارهاب ، كانت هناك حجة أساسية تتردد على ألسنة مخططي هذه العمليات والمتعاطفين معهم ، هي : أننا نريد أن نلفت أنظار العالم الى قضيتنا . ولا جدال في أن عملية مثل خطف طائرة مدنية وتحويل مسارها وابقاء ركابها بين الحياة والموت ساعات طويلة أو أياما كاملة ، لابد أن تحتل العناوين الكبرى لصحف العالم ، والموقع الأول في نشرات الأخبار ، طوال فترة استمرارها . ومن المؤكد أن القائمين بهذه العملية ، لو أعلنوا عن قضيتهم خلال فترة التفاوض معهم على سلامة الركاب والطائرة ، سيرغمون العالم على التحدث عن هذه القضية على أوسع نطاق يمكن تصوره . ولما كانت الأجهزة والوكالات التي تتحكم في وسائل الاعلام الكبرى ينتمي معظمها الى المعسكر المعادي لقضايا الضعفاء في هذا العالم ، وبالتالي فانها لا تعير هذه القضايا ، في الظروف العادية ، الا آذانا صماء ، وتتعمد تجاهلها لكي ينساها العالم ويدب اليأس الى نفوس أصحابها ، فاننا نستطيع أن نتفهم الأسباب التي تكمن من وراء هذه الحجة الثالثة ، والمنطق الذي يستند اليه أصحابها : ففي عالم أصم ينبغي أن تصرخ لكي يسمعك الناس . والصراخ في ساحة الصراعات الدولية ، يعني أن تقوم بعمل غير عادي من أعمال العنف ، يلفت انتباه الجميع ويشد أعصابهم .

ولكن فهمنا للأسباب التي ترتكز عليها هذه الحجة لا يمنع من مناقشتها .

فهناك سؤال أساسي ينبغي الاجابة عنه ، في كل مرة يلجأ فيها المرء الى حجة كهذه : مامعنى « لفت أنظار العالم » في هذه الحالة ؟ ان لص البنوك الذي يخرج ، عندما يحاصر ، محتميا بموظفة مذعورة يأخذها رهينة

تحت تهديد السلاح ، يلفت بتصرفه هذا أنظار الناس جميعا ، ولابد أن يحتل في اليوم التالي مواقع بارزة في الصحف ونشرات الأخبار ، ولكن نوع « لفت الأنظار » الذي سيحظى به من في هذه الحالة هو أن الجميع سيكيلون له شتائم وأوصافا من نوع « نذل » و « حقير » و« جبان » . وأنا لم أضرب هذا المثل الا لكي أبين أن لفت الأنظار ليس غاية في ذاته ، وانما المهم أن تلتفت الأنظار الى قضيتنا « بفهم وتعاطف » . ان عملية معينة يمكن أن تجعل العالم كله يتحدث عنا أياما متواصلة ، ولكن السؤال هو : أي نوع من الحديث ؟ في اعتقادي أن اختطاف طائرة مدنية ، أو قتل عجوز مشلول والقاءه في البحر من سفينة مخطوفة ، أو احتجاز مجموعة من الرياضيين ، ينتمون الى بلد الأعداء ، ويشاركون في رياضي عالمي تتركز عليه كل الأضواء ، أو حبس رهينة وضربها حتى الموت كل هذه أعمال ستلفت الينا أنظار العالم ، ولكن بأسوأ صورة يمكن تخيلها ، وستجعل العالم يتحدث قطعا عن قضيتنا ، ولكنه سيكون حديث السخط والكراهية والاشمئزاز .

ولست أدعي أنني أول من أثار هذا الاعتراض ، فهناك كثيرون كتبوا من قبلي في هذا الاتجاه ، وفي جميع الحالات كان رد الفعل على كتاباتهم سيلا من الخطابات أو المقالات التي تدور كلها حول معنى واحد : ألا ترى مايفعلونه هم بالشعوب العربية ، وبالشعب الفلسطيني ؟ هل توازن حادثة كذا أو كذا بمذبحة ديرياسين أو صبرا وشاتيلا ، أو بتشريد شعب كامل من دياره ؟ هذا كله صحيح ، ولا أحد في وطننا العربي ينكره ، ولكن النقطة التي أود إثارتها هي التناقض الكامن في سلوك القائمين بأمثال هذه العمليات : فهم حين يعلنون أنهم يريدون لفت أنظار العالم الى القضية ، يصبحون ملزمين بمخاطبة هذا العالم باللغة التي يفهمها ، أما حين يستفزونه بمثل هذه الأعمال فلن يكون لذلك سوى معنى واحد : هو أننا لم نعد بحاجة الى لفت أنظار أحد ، وأننا استغنينا عن تعاطف الجميع .

ان الانسان العادي الذي يشاهد أخبار التليفزيون في المساء ، لن يتعاطف الا مع ركاب الطائرة المدنيين ، أما الخاطفون فسوف يكونون موضع سخطه واحتقاره ، بغض النظر عن قضيتهم . مثل هذا الانسان يتوحد قطعا مع راكب الطائرة ، ويتصور أنه كان يمكن أن يكون بداخلها في هذه الساعات العصيبة . وهكذا تكون الرسالة الوحيدة التي ينقلها اليه الخاطفون هي : كل واحد منكم مهدد أيضا . . . فكيف نتوقع تعاطفا في هذه الظروف ؟ بل ان التأثير السلبي لمثل هذه الأحداث يمتد طويلا ، حتى بعد انتهائها . ففي كل مرة يشعر فيها مسافر بالطائرة ، من بين مئات الملايين الذين يتنقلون بين مختلف أرجاء العالم ، بثقل وطأة الاجراءات الأمنية التي تزداد في كل يوم تعقيدا ، ينصبّ سخطه على العرب ، ونكسب بذلك ملايين الأعداء الجدد .

المستفيد والخاسر

وهنا نصل الى النقطة الأساسية التي لم أكتب هذا المقال في الواقع ، الا لكي أؤكدها ، فنحن نسلم تماما بأن أعداءنا يمارسون ارهابا أشمل ، وأفظع ، وأوسع نطاقا بكثير من كل ما تفعله هذه الجماعة العربية أو تلك . هذه قضية لا تحتاج الى مزايدة ، ولا الى أصوات تلقننا دروسا في الوطنية . ولكن المشكلة هي أن أعداءنا يستفيدون من ارهابهم ، بينما نمارس نحن الارهاب لكي نخسر ، ونعلم مقدما قبل أية عملية أننا سنخسر . ولن يخفف من وقع هذه الحقيقة الأليمة قول البعض إنك لا تستطيع التحكم في مشاعر شبان صغار رأوا شعبهم شريدا مطرودا ، ورأوا أهلهم يقتلون أمام أعينهم بأيدي الأعداء والأصدقاء . ذلك لأن معظم العمليات التي تشير اليها لم تكن رد فعل عفويا أو ارتجاليا ، وانما كانت عمليات مخططة بدقة ، ولم تُنَفَّذ الا بعد إعداد طويل وتجهيز معقد وحساب لكافة الاحتمالات . فلماذا لم يضع أحد نتائج العملية في حسبانه ؟ ان المنفذين المباشرين للعملية قد يكونون بالفعل ضحايا لظروفهم القاسية ، ولكن هل من المعقول أن يكون الذين يخططون لهم غير واعين بأنهم يقدمون لأعدائنا ، بمثل هذه العمليات ، دعاية مجانية لم يكن أحد منهم يحلم بها ، ويلحقون بقضايانا كلها ضررا يستحيل اصلاحه ؟

هذه المناقشة تحدد لنا معالم المعيار الذي ينبغي أن نقيس به أعمال العنف المشروعة ، من وجهة نظرنا

العربية ، وتلك التي ينبغي أن نـدينها ونتبرأ منهـا ونفضحها على أوسع نطاق ممكن : فالمعيار السليم في هذه الحالة هو موازنة الفوائد والأضـرار . أي أن العملية تكون مشروعة اذا كان الضرر الذي تلحقه بأعدائنا واضحا ، والفائدة التي تجلبها لنا مؤكدة ، وتكون غير مشروعة اذا لم نجن منها الا الخسارة ، بينما يجني أعداؤ نا كل المكاسب . وبهذا المقياس يسهل أن ندرج ضمن العمليات المشروعة ، من وجهة نظر الشعب الذي اغتصبت أراضيه ظلما ، عملية نسف مقر المارينز في بيروت ، أو ضرب المجندين في حائط المبكى ، بينما تنتمي عمليات مثل خطف السفن أو الطائرات أو قتل المسافرين في المطارات الأجنبية بالجملة ، الى ميدان الأعمال غير المشروعة ، لأن المخططين لها يعلمون منذ البداية أنها لن تجلب لنا الا الضرر ، ولأن هذا هو نوع العمليات الذي كان يمكن أن يفتعله أعداؤنا افتعالا ، لو لم يتطوع البعض منا لاسداء هذه الخدمة الجليلة اليهم .

النافع والضار

وهكذا فان مشكلة الارهاب ، اذا تأملناها من الزاوية العربية ، لا تعود مشكلة صواب أو خطأ ، ولا عدل وظلم ، وانما هي ببساطة مشكلة نفع أو ضرر . ففي مثـل هذا المجتمـع العالمي المنافق ، الذي يتشـدق بأخلاق وقيم ومثل عليا يطبقها حين تخدم مصالحه ، ويـدوسهـا بـأقـدامـه حـين تتعـارض مـع هـذه المصالح ، ينبغي علينا أن نسأل أنفسنا قبل الاقدام على أي عمل عنيف ضد الأعداء ، هل سيعود هذا العمـل علينا بـالنفع وعـلى أعدائنـا بـالضـرر ، أم العكس ؟ أما أولئك الذين لا يكترثون بالنتـائج ، ويندفعون الى العمـل العنيف كـالثـور الهـائـج ، ويرغمون أبناء شعبنا في كـل مرة عـلى أن يعتذروا عنهم قـائلين:إن أعداءنـا يفعلون ما هـو أفـظع من ذلك ، أما هؤلاء فلابد أنهم يعملون ، بصـورة أو بأخرى ، لحساب أعدائنا ، ومن واجبنا ألا نتردد في فضح ارتباطاتهم الى أن تخلو الساحة من أمثالهم .

تبقى في نهاية الأمر حجة أخيرة ، لم أشأ أن أعالجها ضمن الحجـج الثلاث السـابقـة ، لأن لهـا وضعـا خاصا . تلك هي الحجة التي تقول : ليذهب الرأي العـام العـالمي ، وليـذهب التفكـير في الفـوائـد والأضـرار ، الى الجحيم ! فنحن نـعيش في عـالم لاأخـلاقي يسوده العنف ، ولا مفـر من أن يسلك المظلوم طريق العنف بدوره كما يفعل الظالم . تلك هي الحجة التي تقول إن الخراب ينبغي أن يحل على الجميع ، مادام قد حل علينا من قبل .

مثل هذه الحجة ، في رايي ، منطقية مع نفسها ، فليس فيها ذلك التناقض الذي نلمسه لدي أولئـك الذين يسعون الى لفت أنظار العالم بأعمال يحتقرها العالم . ولكن الركيـزة الأساسيـة لهذا المـوقف هي مبدأ : عليّ وعلى أعدائي . وأنا لا أنكر أن الـظلم الفادح الذي يسود العلاقات الدولية يمكن أن يؤدي بالبعض الى هذا النوع من التفكير . ولكن على من ينادي برأي كهذا أن يتحمل مسئوليته : فمعنى رأيه هذا هو أنه ببساطة ، قد أعلن الحرب على العالم ، ولم يعد في حاجة الى تأييد من أحد . ومعناه أن يكف عن المطالبة بـالحق والعدل ، مـا دامت القـوة قـد أصبحت عقيدته الوحيدة . ومعناه أن يقف وحده ، بقوته المحدودة ، أمام جبابرة العالم متحديا إياهم على ساحة العنف ، لا لاثبـات أية قضيـة ، بل لمجـرد الانتقام والمعاملة بالمثل .

انه كما قلت ، موقف متسق مع نفسه ، ليس فيه تناقض ، ولكنه موقف يائس ، بل هو أقرب الى أن يكون موقفا انتحاريا ، لايلجأ اليه الا من استغنى كلية عن العالم ، وقرر أن يقف منه مـوقف العداء السافر . ونهاية هذا الموقف معروفة مقدما ، وهي تكاثر الجميع على صاحبه،وتحالفهم ضده وتكاتفهم من أجل القضاء عليه . ولما كنت أعتقد أننا لم نصل بعد الى هذه المرحلة ، وأننا مازلنا بحاجة الى العالم ، ومازلنا نوجه اليه خطابنا ونستعين بقوى فيه يمكن أن تناصر قضايانا في وجه القوى المعادية ، فإني أعتقد أن هـذا الموقف الانتحـارى يمثـل من وجهـة النـظر العربية ، خسارة لاتقل عن تلك التي يجلبها لنا من يعرفون ، عن وعي وسبق اصرار ، أنهم يقومـون بعمليـات تخدم أعـداءنـا،ولا تلحق بنـا الا أشـد الأضرار . □

عروبة أم إسلام؟

بقلم : الدكتور محيي الدين عميمور *

عاش المغرب العربي ظروفا تاريخية مميزة حكمت شكل تطوره اللاحق ونهج التفكير فيه ، وحددت موقفا من قضية العروبة والاسلام يختلف عنه في بلدان المشرق العربي . والمقال التالي محاولة لمناقشة موقف كل من المشرق والمغرب العربيين من هذه القضية في ضوء التطور التاريخي لكل منهما

عاش المغرب العربي ، والجزائر بوجه خاص ، دائما ظروفاً تاريخية خاصة،وممارسات نضالية مميزة ، عاش نوعا من الاندماج الكلي بين الاسلام والعروبة ، بحيث كان من العسير على مواطنين في الجزائر لم يعرفوا المشرق العربي،تخيل امكانية وجود عرب غير مسلمين ، وكم أدى هذا الى مشاكل مع رجل الشارع البسيط ، خاصة خلال شهر رمضان ، وذلك في المرحلة التي تلت استرجاع الاستقلال .

لكن حدث بعد ذلك ، في مجال التفاعل الفكري بين المشرق والمغرب ، تأثر بغياب الديموقراطية الفكرية التي تعتمد على الحوار الهادىء والنقاش العلمي ومقارعة الحجة بالحجة ، وذلك في إطار ثقافي يضمن ان تصل الى الساحات العامة افكار ناضجة قتلت بحثا ودراسة وتحليلا ، لتكون أساسا للقناعات الفكرية الثابتة .

ويبدو لي اننا بدلا من ذلك عشنا نوعا من الارهاب الفكري وذلك لأسباب قد لاتكون لها علاقة عضوية بالفكر ، وهكذا أصبحت مادة التعامل بين كثيرين ، ينتسبون إلى الفكر أو ينسبون اليه ، القاب الخيانة والعمالة والانحراف المذهبي والجمود العقائدي والتطرف الديني . ولعل هذا كان من الاسباب التي وصلت بنا الى ما اصطلح اليوم على تسميته بالزمن الرديء ، وأكبر ما فيه من أخطار تلك الهوة السحيقة بين الاجيال .

لم يكن جوهر الخلافات فكرياً ، بل أجرؤ على التأكيد بأنه لم يكن في معظم الأحيان عقائديا بقدر ما كان سياسيا محدود النظرة ضيق الأفق عقيم التفكير . جوهر القضية في تصوري هي محاولة البعض صنع

* المستشار الاعلامي لرئيس الجزائر الراحل هواري بومدين

مائدة لها أقل من ثلاث أرجل ، أو محاولة بناء بيت بجدارين ، أو محاولة التصفيق بيد واحدة .

ولعلي أعيد هنا بعض ما سبق أن قلته على منابر لم يصل صوتها الى الكثيرين في المشرق ، وهو ما أعتذر عنه للقارىء في الجزائر .

هناك في نظري ثلاثة جوانب متكاملة لشخصية الانسان ، والحديث هنا عن الوطن ، إذ لا يمكن فصل أحدها عن الآخر ـ هي الجانب اللغوي بمعناه الحضاري ، والجانب الديني بمضمونه الروحي ، والجانب الاجتماعي بدلالاته الاقتصادية ، وهذه الجوانب قد تشكل دوائر مختلفة الأقطار لكنها تشترك في مركز واحد .

وبدون الاغراق في الرموز أقول ببعض الوضوح إن محاولة تجاوز بعض الحساسيات المذهبية في المشرق ، وربما بتأثير ممارسات العثمانيين في مرحلة معينة ، قادت الى « ابتكار » عروبة أرادوا لها أن تكون عروبة تكاد تكون عرقية .

وبدون الدخول في التفاصيل المعروفة فان هذا الاتجاه لم يتمكن من تقديم الحلول للازمة الفكرية وللفراغ الايديولوجي ، بل وساهم في تعقيد القضية لأنه كاد أن يجعل من القومية نقيضا للعقيدة الدينية ، وهكذا ولد صراع لم يكن له مبرر غير المبرر السياسي ، وربما كان الانقسام الذي عرفه الوطن العربي من بين النتائج السلبية لذلك الصراع الذي حدثت فيه صور من التطرف لاتعترف بمقاييس نيوتون عن الفعل ورد الفعل .

وزاد الامور تعقيدا ما نتج عن ذلك التناقض الفكري (بالاضافة الى محصلة أوضاع اجتماعية ، وتأثير معطيات مذهبية أو عرقية) من بروز فريق آخر يعتنق نظرة علمية مجردة ، تفتقد العمق الذي تضمنته الحضارة العربية الاسلامية .

ولقد أدى هذا ـ والحديث عن النتائج لا عن النوايا ـ إلى عزلة نخبة متميزة عن الواقع النفسي والوجداني للجماهير ، ثم عن فعالية التأثير وامكانية التوجيه والتأطير ، مما أدى بها الى أن تصبح رهينة القرار الفوقي إن لم تصبح ضحيته ، هذا اذا لم تنسحب من الميدان تحت ضغط التزامات الحياة اليومية !! .

أخطر من ذلك في نظري كانت محاولات تجريد العقيدة الدينية من عمقها الحضاري والاجتماعي ، وخلق تناقض بينها وبين المنطلقات الوطنية ، بالمعنى الواسع لتعبير « الوطن » ، وذلك تلويحا بأفكار أممية ، لا يؤمن بها كثيرون ممن يروجون لها ، بل ليحققوا بها أهدافا أشرف ما فيها أنها اقليمية ضيقة .

وبعد أن كنا نستمع ـ أو نرغم على الاستماع ـ لمن يقول بأننا عرب قبل كل شيء وبعد كل شيء ، أصبحنا نضطر إلى الاستماع لمن يقول نحن مسلمون ولا شيء غير ذلك ، ويضيع وقت وجهد في المناقشات البيزنطية حول حدود الدين وحدود القومية ، لنحقق لا شعوريا أهداف العاملين لضرب الدين بكل مايعنيه ، والقومية بكل ما تمثله .

وأدى هذا ـ مع عناصر أخرى لها مجالها ـ إلى بروز اتجاهات إقليمية ونصف اقليمية وتحت اقليمية ! .

وبدلا من أن يصبح البحث في أعماق التاريخ عملا علميا وجهدا فكريا خلاقا يأخذ صورة البحث الأكاديمي ، ويدرك معنى حركة التاريخ وديناميكية تطوره ، ويفهم المراحل التي تجتازها الأمم والشعوب لتأخذ صورتها الحضارية الناضجة ، كان هناك من يتفاخر بحماقة بأنه من لقطاء التاريخ ، لا أعماق له ولا جذور ، وكان هناك من يصر على أن يبقى حبيس احدى مراحله الغابرة ، كالطفل الذي يتوقف نموه ، ويتحول مع مر السنين إلى مجرد قزم ، لا مكان له إلا حلبة السيرك .

ذلك أن حركة النمو عند الشعوب تتشابه إلى حد كبير مع مراحل النمو عند الفرد ميلادا وطفولة ثم مراهقة فنضجا ثم شيخوخة تعود به إلى بعض ممارسات الطفولة وكثير من قصورها . والشعوب العريقة التي تتمتع بالشرعية التاريخية ، تجد من أبنائها طلائع واعية ذات إرادة وتصميم ، تعيد الدورة . وهذا هو الفرق الأساسي بين نمو الفرد وتطور الأمة .

ولكننا أصبحنا ـ لنقص الوعي ـ نعيش عجبا .

فلقد كان من بيننا من يخجل من الاعتراف بأنه كان يوما طفلا رضيعا ، بعد أن شاب فوداه وأصبح له من الابناء فريق كرة كاملا غير منقوص .

وكان أخطر ماعشناه في مناطق كثيرة من وطننا « المعطاء » تراجع مكانة العلم والفكر والمعرفة أمام الآثار الاستهلاكية للثروات الطفيلية التي كدستها ـ بالمضاربة والاستغلال ـ فئات كانت في أسفل الدرجات الاجتماعية ، وهكذا ارتفعت السيولة النقدية ، وبشكل يثير الدوار ، في مستوى شرائح اجتماعية ، لم تكن دائما أكثر الشرائح ثقافة أو وعيا ، أو أهم الطبقات إنتاجية ، أو أقوى الجميع ارتباطا بالوطن وحرصا على مصالحه ، بالاضافة الى انها كانت تفتقر غالبا الى الضوابط التي تلتزم بها البورجوازيات العريقة .

سلطة المال هذه لاتقبل النظام الرأسمالي لان قواعد اللعبة فيه تفترض وجود تعدد حزبي يوفر الحماية للنظام نفسه من تجاوزات المال ، وهي بالطبع ترفض النظام الاشتراكي لأنه لايعطيها امكانية التضخم على حساب المكتسبات الاجتماعية للمواطنين .

وكان الطريق الذي سلكته هو العمل على بروز مفهوم للدين ، يتناقض تماما مع روح الاسلام وممارسات ابن الخطاب ، لانه يعتمد أساسا على الجهل بقواعد الدين التي تربط العبادات بالمعاملات ، ويفتقر الى العمق الاجتماعي الاقتصادي في بلاد عدوها الاول هو التخلف ، ومطمحها الاساسي تحقيق التقدم في ظل العدالة الاجتماعية ، وبفضل تكافؤ الفرص ، والقضاء على الاستغلال ، وعلى تحكم رأس المال الطفيلي في مقدرات الامور الذي يقود الى ما أسماه توفيق الحكيم « زمن انفتاح الجيوب وانغلاق العقول » .

واستفادت تلك الاتجاهات من تواطؤات خارجية لاتريد خيرا للعروبة والاسلام بقدر ما استفادت من الفشل الايديولوجي والاحباط القومي ، والصراع الذي امتص طاقة المثقفين وشتت صفوفهم .

ولأن الطبيعة لاتحتمل الفراغ خلا الجو للذين يعملون ليكون الاسلام نقيضا للعروبة ، بحجة أن « الاسلام أممي » ، ونقيضا للفكر الوطني القومي لأن « الاسلام جاء للناس كافة » ونحن مسلمون قبل كل شيء ، ونقيضا لمفاهيم العدالة الاجتماعية الحقيقية التي هي بنت الشيوعية ، « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق » ، ونقيضا للاعتزاز بالعمق التاريخي للشعب والامة « لأن تلك هي دعوى الجاهلية » ، ونقيضا لكل تفتح على روح العصر ومتطلباته « لأن تلك بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » .

ولا جدوى للنقاش ، بل لا داعي للنقاش ، فهو جدل ممقوت ، ومن لايقبل بهذا فهو ملعون ، وقد يأتي يوم يهدر فيه دمه !!!

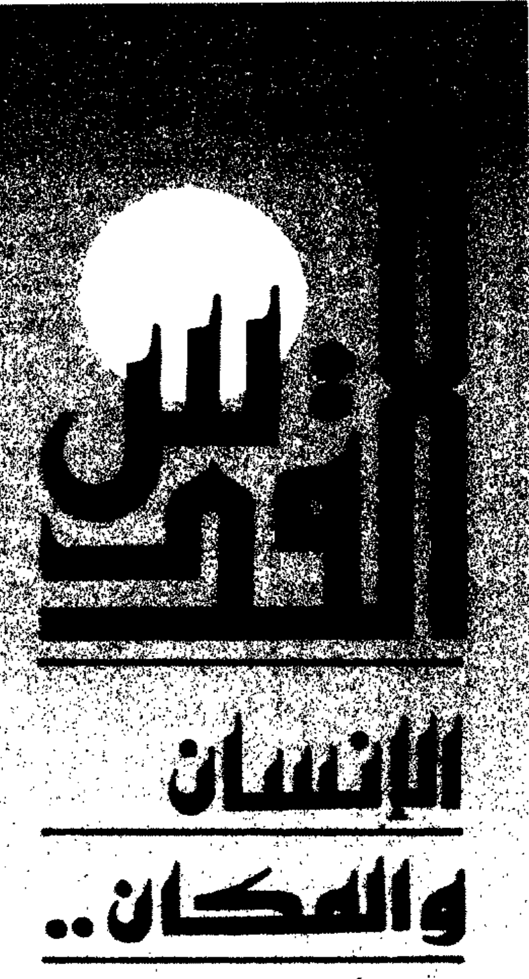
هذه في نظرى هي أزمة الشخصية العربية الاسلامية اليوم ، وهي نتيجة طبيعية لمحاولة تفتيت مكوناتها ومقوماتها .

واذا كان التشخيص متفقا عليه فان هذا أول الطريق نحو العلاج . □

بئر الخاتم أو بئر أريس

● تمتاز المدينة المنورة بكثرة الآبار والعيون فيها ، ولا يزال بالمدينة عيون وآبار منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، من بينها بئر أريس أو بئر الخاتم ، وهي تقع بجوار مسجد قباء ، وقد أغلقت الحكومة السعودية هذه البئر بسبب ما كان يحدث من بعض الحجاج اذ ينزلون الى باطنها للبحث عن خاتم الرسول فيها .

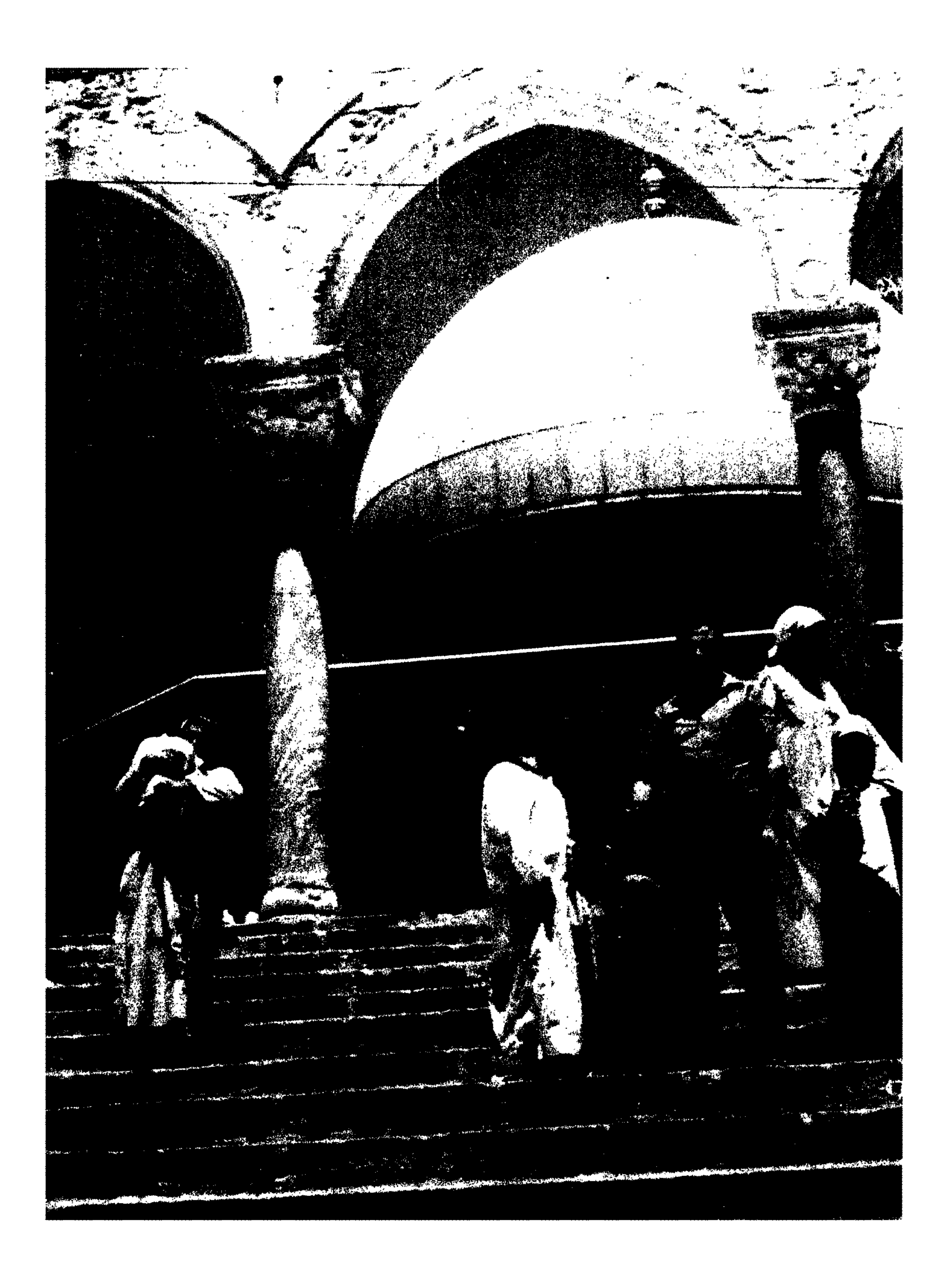
وقصة هذا الخاتم أنه بعد مضي نحو ست سنوات من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه جلس عثمان يوما على حافة بئر أريس ، فسقط خاتم النبي ﷺ الذي كان يلبسه بصفته ثالث الخلفاء ، وظل عثمان يبحث عن الخاتم ثلاثة أيام بعد أن نزح ماء البئر فلم يعثر عليه ، ومنذ ذلك اليوم سميت هذه البئر « بئر الخاتم » .



الإنسان والمكان..

استطلاع : سليمان الشيخ
تصوير : أوسكار متري
محمد الأسطل





(مامن موضع فيها الا وتجد به أثرا صلى فيه نبي أو سكنه ملك وأقام عليه ملكه) . هكذا يقال عن القدس المدينة المقدسة عند الديانات السماوية الثلاث . فما هي حكايتها كمكان على مدى العصور والأزمان ، وكيف توالت عليها مصائر الانسان ؟

قالت لي وفي صوتها رنة حزن :
أنا من حارة السعدية بالقدس القديمة بالذات ، ولدت هناك ، وعشت طفولتي ، وصباي ، سور القدس كان جداراً من جدران بيتنا وما زال ، عشت وتعايشت مع حاراتها وأحجارها وأزقتها ، أبي كان يعمل في دائرة الأوقاف الإسلامية ، ولأنه كان دائماً في المسجد الأقصى أو في أحد الأبنية التي تحاذيه فإنني كثيراً ما كنت أزوره هناك ، كل شبر وكل حجر لي ذكريات معه .

خرجت مع من خرج إثر حرب حزيران سنة ١٩٦٧ ، بعد أن هدم الصهاينة حي المغاربة ، وأحياء أخرى من القدس ، وعدت في العام الماضي ، أي بعد أن غبت حوالي ١٩ سنة . عندما طرقت باب بيت جارتنا المسيحية خرجت كالملهوفة بعد سماع صوتي ، كأنها وجدت ابنة لها ضاعت منذ زمن طويل ، حضنتني وحضنتها ، وبكينا بحرقة ، ثم خرجت كلماتها من بين شهقات البكاء :

ـ أين ذهبتم وتركتمونا . . . أين ؟

أحسست في تلك اللحظة أنها لا تخاطبني وحدي ، وأحسست أن الصوت لم يكن صوتها وحدها ، كأنها كانت تخاطب كل من يهمه أمر القدس ، بل أمر فلسطين كلها ، من عرب مسلمين ومسيحيين وغيرهم ، كأنها كانت تعاتب وتقرّع وتستغيث . . أين أنتم ؟

نعم ، أحسست أن صوتها لم يكن وحده ، كأنه كان يختزل آلاف الأصوات ، وصداها ، من بشر وأزقة وحجارة وطيور وحيوانات وكل ما يحتويه المكان . أحسسته يسأل : لماذا تركتمونا . . لماذا . . لماذا ؟

بكيت ، بكيت ، صك السؤال على مسامعي ، كان طنينه عظيماً ، وغامت الرؤية في عيني ، ولم أعد أسمع إلا أصوات المؤذنين ، مختلطة بدقات النواقيس ، وعبقت في أنفي رائحة حارات القدس ودهاليزها وسككها ، وطالت وقفة الاحتضان بيني وبين جارتنا المسيحية وخرس اللسان ، وبقيت أصوات المكان وروائحه ، وما يمثله من قداسة ، تحتل مركز العصب في كياني ، حتى جاء من نقلنا إلى داخل البيت .

أنا بدرية عمران ، ابنة القدس ، لم أكن أحلم ، ولم تطرق الكتابة يوماً بابي ، لكنني أقول ما أحسست ورأيت وسمعت ، بعد ١٩ سنة من مغادرتي للمكان الذي ولدت ، وعشت فيه طفولتي وصباي .

هكذا علقت بدرية عندما سألناها عن اللحظات الأولى التي واجهتها ، عندما عادت إلى مدينتها ، مدينة القدس ، بعد غربة .

المكان والانسان :

تقع القدس في منتصف فلسطين تقريباً ، مع ميل واضح نحو الجهة الشرقية ، بنيت على جبل تتراوح ارتفاعاته بين ٧٢٠ و ٧٨٠ متراً فوق سطح البحر ، تنقسم المدينة إلى قسمين ، قسم داخل السور ، وهو البلدة القديمة ، مساحتها حوالي كيلو متر مربع واحد ، وتقع فيها الاماكن المقدسة للاسلام والمسيحية وآثار لليهودية ، وقسم خارج السور .

بني السور منذ قديم الزمان ، وتم تجديده في كثير من المراحل ، طوله ٤٢٠٠ متر ، وارتفاعه في بعض الأماكن ٣٠ قدماً ، وبه سبعة أبواب ، هي العمود ، والساهرة ، والنبي داود ، والمغاربة ، والأسباط ، وباب الخليل ، والباب الجديد ، وربما يطلق أكثر من اسم على كل باب منها ، وتلك الأسماء تسود وتختفي ، حسب المرحلة التاريخية ، وحسب القوى الحاكمة المهيمنة عليها . كان بالسور في ستينيات هذا القرن ٣٠ برجاً وقلعة كبيرة .

داخل السور يقع مسجد قبة الصخرة المشرفة الذي بناه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بين (٦٨٥ و ٦٩١م) ، ويقع مسجد الأقصى إلى الجنوب من مسجد قبة الصخرة ، وقد بدأ في بنائه الخليفة عبد الملك بن مروان أيضاً سنة ٦٩٣م ، وأتمه الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٥م . ويمكن اختصار تاريخ القدس على الصورة التالية :

* اليبوسيون هم بناة القدس الأولون ، نزحوا من الجزيرة العربية مع القبائل الكنعانية التي ينتمون إليها ، واستوطنوا هذه الديار حوالي سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد .
* خرج بنو « اسرائيل » من مصر حوالي سنة

١٣٥٠ ق.م ، في زمن فرعونها رمسيس الثاني النبي موسى عليه السلام ، وتاهوا في صحراء سيناء حوالي أربعين عاماً ، ثم دخلوا فلسطين ، واستوطنوا جنوبي مدينة الخليل ، ثم احتلوا أريحا بقيادة يشوع ، ثم حكمهم يهوذا ، ودخلوا القدس في عهده .

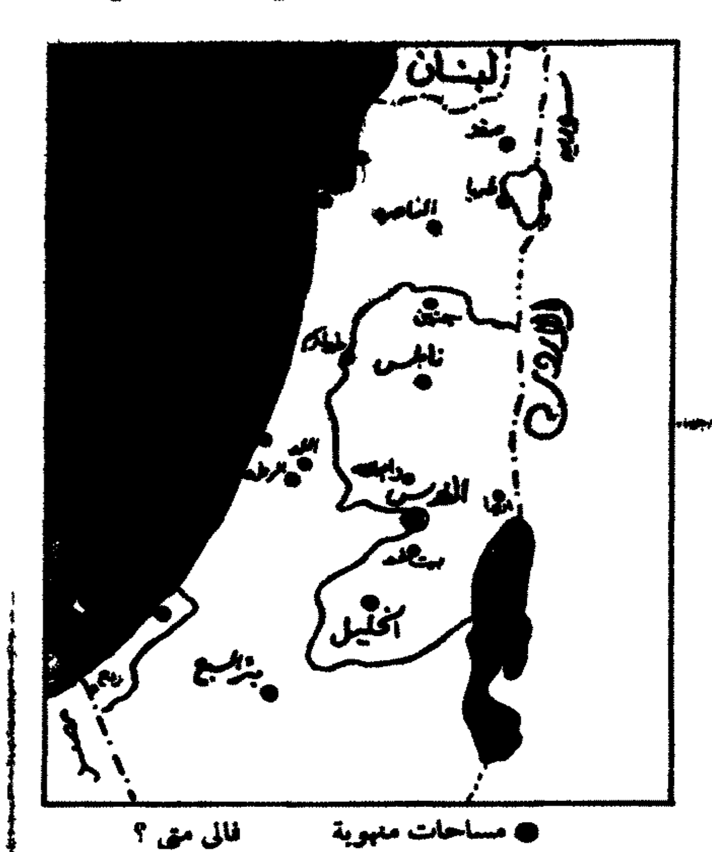
بدأ الحاكم النبي داود عليه السلام بناء هيكل للعبادة ، ثم تابع عمله الحاكم النبي سليمان عليه السلام ، وأتم بناء الهيكل سنة ١٠٠٥ قبل الميلاد . وقد هدم هذا الهيكل على يد نبوخذ نصّر الكلداني سنة ٥٨٧ قبل الميلاد ، وهو الذي سبى اليهود إلى بابل ، ثم أعاد ترميمه الملك هيرود سنة ١٨ قبل الميلاد ، ثم جاء تيطس الروماني بعد ذلك وهدم الهيكل الثاني سنة ٧٠ ميلادية ، ثم جاء بعده الأمبراطور الروماني هدريان وأزال آثار الهيكل بالكامل عام ١٣٥ ميلادية .

● في عهد الحاكم الروماني هرقل (٦١٠ ـ ٦٤١ ميلادية) حدث إسراء ومعراج النبي العربي محمد ﷺ ، ثم فتح العرب بلاد الشام ، ودخل الخليفة عمر بن الخطاب القدس ، وبنى فيها مسجداً في موقع المسجد الأقصى الآن (٦٣٦م) ، وجدده الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان . ودانت المنطقة كلها للعرب بعد ذلك ، وتتابعت دولهم حتى احتلها الصليبيون سنة ١٠٩٩م ، وارتكبوا مجزرة ذهب ضحيتها ٧٠ ألفاً من المسلمين ـ كما تقول المصادر التاريخية ـ ثم استرجعها المسلمون تحت قيادة صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٧م .

وتوالت عليها الأسر المملوكية المسلمة بعد ذلك ، حتى دانت المنطقة للأتراك العثمانيين سنة ١٥١٧م ، واستمروا يحكمون المنطقة (ومن ضمنها القدس) ، حتى وقعت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م ، فدخل الجنرال الانكليزي اللنبي فلسطين ، ووصل إلى القدس في ١٩١٧/١٢/١١م ، وكانت بريطانيا قد أصدرت وعد بلفور عام ١٩١٧م ، ووعدت فيه اليهود بوطن قومي لهم في فلسطين .

وتذكر المصادر أن آخر ترميم لسور مدينة القدس وبعض مبانيها تم في سنة ١٥٣٦م ، زمن السلطان التركي سليمان القانوني ، وأن المباني بقيت محصورة ضمن الأسوار إلى سنة ١٨٥٨ عندما بدأت بعض البعثات الدينية ببناء بعض مبانيها خارج الأسوار ، ثم تبعها السكان في ذلك .

يوجد في القدس كثير من الآثار المقدسة حسب ما جاء في كتاب (كنوز القدس) الذي أشرف على اعداده الدكتور رائف نجم فانه يوجد بها حوالي ٢٠٠ أثر اسلامي ، و ٦٠ أثرا مسيحيا ، و ١٥ أثرا يهوديا .



● مساحات منهوبة فإلى متى ؟

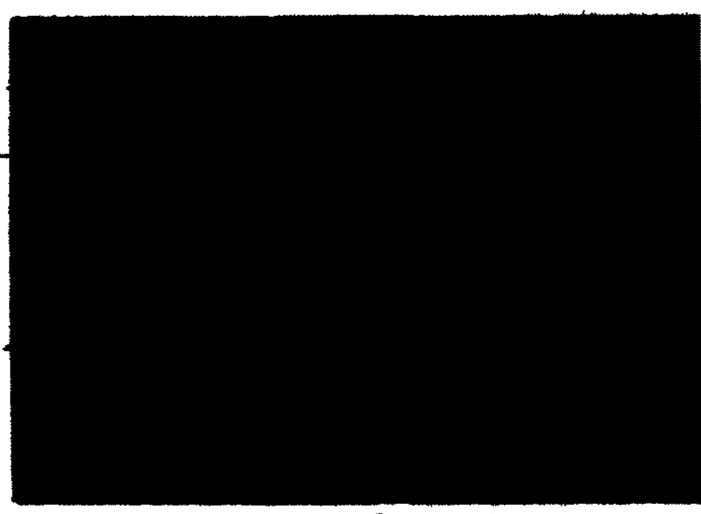
إنها المدينة التي قيل فيها (ما من موضع فيها إلا وتجد به أثراً صلى فيه نبي ، أو سكنه ملك وأقام عليه ملكه) .

تقول المصادر التاريخية إن أول اسم أطلق على مدينة القدس هو (يبوس) ، في عهد الملك (ملكيا صادق) ملك اليبوسيين ، ثم أصبح اسمها أورسالم ، أي مدينة سالم ، في عهد الملك سالم اليبوسي ، ثم توالت الأسماء عليها ، فهي مدينة داود زمن سيطرة العبرانيين عليها ، ثم مدينة أورشاليم ، ثم مدينة إيليا كابيتولينا زمن السيطرة الرومانية عليها ، ثم مدينة القدس أو بيت المقدس زمن الفتح الإسلامي لها .

العهد العمري :

يجدر بنا تسجيل مجموعة من الحقائق التي تم ثبوتها عبر التاريخ :

ـ على الرغم من توالي هجمات الشعوب وتغيير المعالم والأديان في المدينة (عبرانيون ، ورومان ، وفرس ، وصليبيون ، وأتراك وغيرهم) فإن الطابع الحضاري العربي الإسلامي ـ في النهاية ـ هو الأبقى في المنطقة ، وبخاصة في القدس ، وقد أعطاها سماتها ونسقها وقسماتها .



● القدس كما تخيلها الفنان تيسير شرف .

العرب المسلمين ، كان المسيحيون ـ من العرب أو من غيرهم ـ واليهود يعيشون حياتهم ، ويمارسون شعائرهم بحرية ، ولم يقلل منها بعض تصرفات وأوامر ونواهي قلة قليلة نادرة من حكام المسلمين (كالحاكم بأمر الله على سبيل المثال) .

وأكبر دليل على ذلك هو ما جاء في العهد العمري عندما فتح المسلمون إيليا ـ أي بيت المقدس ـ زمن الخليفة عمر بن الخطاب ، وقد جاء في العهد الممهور في سنة ١٥هـ الموافق ٦٣٦م ما نصه :

« هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين ، أهل إيليا من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم ، وأموالهم ، ولكنائسهم ، وصلبانهم ، وسقيمها ، وبريئها ، وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود » . وهذا الشرط الأخير ، اشترطه بطريرك القدس صفرونيوس ، ومع ذلك فإن هذا الشرط تم التحلل منه تدريجيا فيما بعد .

جاء في مذكرة الوكالة اليهودية التي رفعتها إلى لجنة وودهيد (لجنة بيل لتقسيم فلسطين) المرفوعة سنة ١٩٣٨ ما معناه (ما من شك أن الفتح العربي في القرن السابع للميلاد قد مثل تقدماً ملحوظاً في مركز اليهود بالمدينة المقدسة) ، وأشارت المذكرة إلى أن خلفاء الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي قد سمحوا لليهود بتعمير أماكن قضائهم الديني وبناء معابد لهم .

ـ إن تركيزنا على المدينة المقدسة لا يعني أنها يجب أن تكون خارج نطاق محيطها العربي الفلسطيني ، إذ أن ما يصيبها هو نفس ما يصيب غيرها من مدن وقرى عربية فلسطينية محتلة .

بـــلاد التسامـــح :

(لا معنى لفلسطين بدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون إقامة الهيكل مكان الأقصى) هذا ما قاله بن غوريون رئيس الوزراء « الإسرائيلي » الأسبق في أحد تصريحاته . وتوالت الاعتداءات ومحاولات السيطرة على الأراضي والأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية في مدينة القدس ، وفي غيرها من المدن والقرى الفلسطينية بعد ذلك ، ولن تكون محاولة إحراق المسجد الأقصى بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢١ الأخيرة

● فكيف كان اليهود يعيشون مع العرب زمن الحكم العثماني والانكليزي ؟

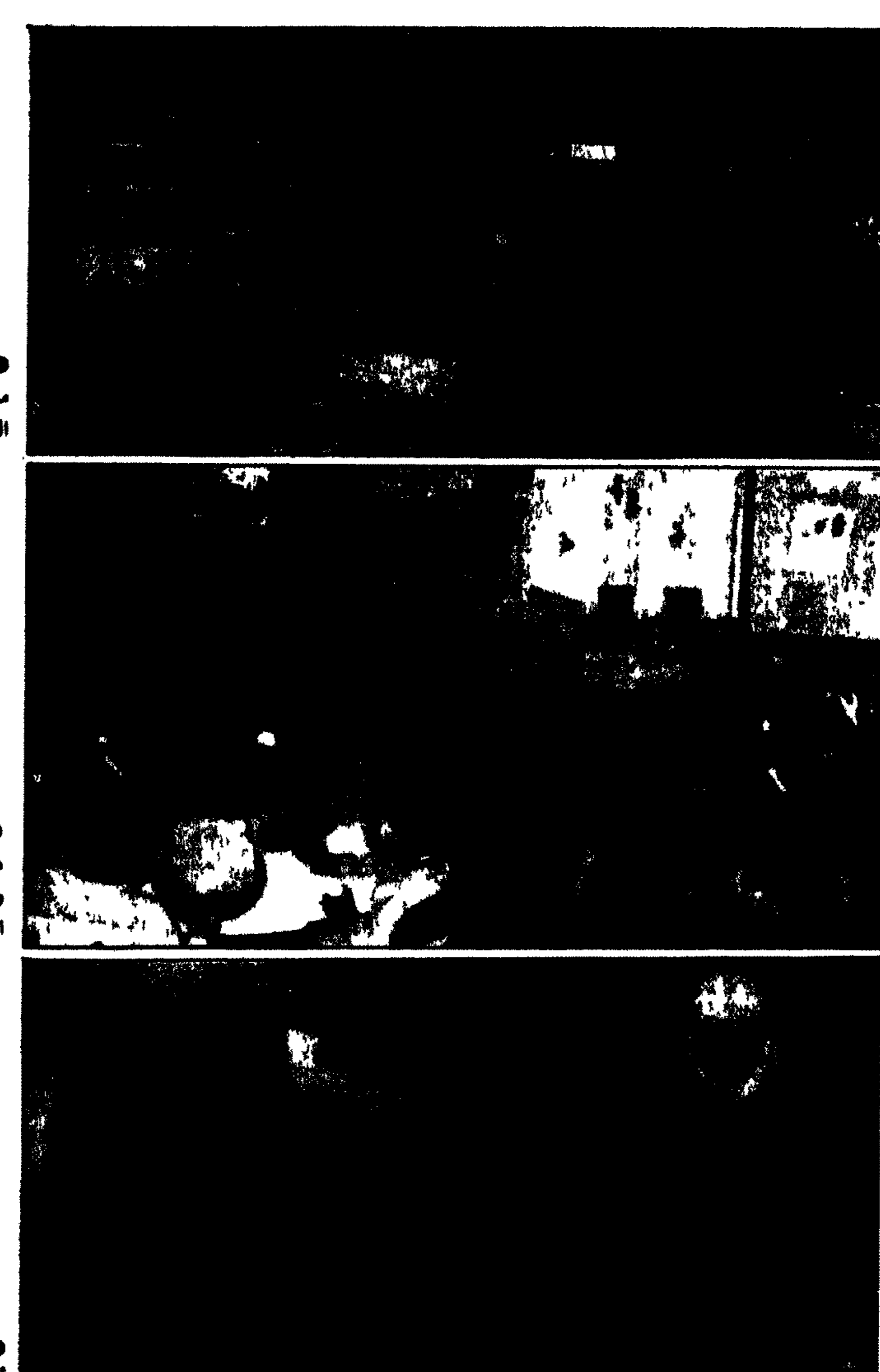
قال لنا الشيخ عبد الحميد السائح رئيس المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الأخيرة ، ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى المقدسي ، المبعد عن القدس بتاريخ ١٩٦٧/٩/٢٣ عندما التقينا به في مدينة عمان :

(لقد كان اليهود يعيشون بيننا في القدس وفي غيرها من المدن الفلسطينية ، وكانت علاقاتنا بهم علاقات جيدة تماماً مثل غيرها من العلاقات التي كانت قائمة مع إخواننا المسيحيين مثلا ، بل إن بعض العقارات والأملاك منحناها منحة لليهود كمقابر رأس العامود ، بل إن الحي اليهودي بأكمله كان وقفاً إسلامياً ، منحناه لليهود لأننا كنا نعطف عليهم . وبعضنا تزوج منهم . وإذا كان لي أن أوثق للفترة التي أخذنا بها مراجعة بعض مواقفنا معهم فهي بعد صدور وعد بلفور سنة ١٩١٧م الذي نص على إقامة وطن قومي لهم في فلسطين . ومع ذلك فإن الكنيسين اليهوديين في القدس تم الحفاظ عليهما على الرغم من كل الأحداث التي تلت سنة ١٩١٧م ، وقد (كافأونا) على ذلك بأن أطلقوا نيرانهم من داخلهما على المسجد الأقصى) .

وقال لنا الدكتور صبحي غوشة ، ابن القدس المبعد عنها في منتصف مايو (أيار) ١٩٧١م بعد اعتقاله مدة تزيد على عامين :

(إن بلادنا هي بلاد التسامح ، والقدس بلد مقدس عند جميع الأديان ، لذلك فإننا لم نكن نرى غضاضة في أن تعيش جميع الطوائف والمذاهب فيها . لقد كان الفصل الدراسي يجمع طلبة من جميع الطوائف والأديان ، نعم أنا درست مع طلبة يهود . ولم يكن يخطر ببالنا التفرقة. لكنهم كانوا يخططون في الظلام ما لم يكن مكشوفاً في النور ، لقد كنا نعطف عليهم كغرباء ، اضطهدتهم الدنيا ، فتحولوا إلى مضطهدين لنا) .

أما المطران إيليا خوري مطران الكنيسة الأسقفية للقدس والشرق الأوسط ، وعضو لجنة تنفيذية لمنظمة



● المخيم الفلسطيني .
مازال يردد أخي جاوز
الظالمون المدى !

● وأنا راجع لك يا
دار هكذا يغني
ويقسم الصغار في
المخيمات

● تطريز فلسطيني على
أثواب لتوكيد الهوية .

التحرير الفلسطينية ، المبعد عن القدس في ١٦/٤/١٩٦٩م ، فقال لنا : كنا نعيش دون تفرقة ، (مسلمون ومسيحيون ويهود) حتى عقد المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧م ، وتم الإعلان عن قيام الحركة الصهيونية التي بدأت بإقامة المستوطنات في فلسطين ، وأخذت في تدريب اليهود عسكرياً ، تمهيداً لطردنا ، وقد لعبت بريطانيا دورا كبيرا في رعاية هذا المخطط وتنفيذه ، ثم رعتهم الولايات المتحدة الأمريكية بعد أفول شمس الامبراطورية الانكليزية ، وما زالت) .

ممارسات المحتل :

* ما الذي حصل للقدس بعد احتلال قسم منها سنة ١٩٤٨م ، وما الذي حصل بعد احتلال بقيتها سنة ١٩٦٧م ؟

ـ جاء في كتاب (القدس والمدن الفلسطينية تحت الحكم العسكري « الإسرائيلي » وهو من إعداد روحي الخطيب ، أمين مدينة القدس ، المبعد عنها بتاريخ ٧/٣/١٩٦٨م : ـ

(بعد إعلان قيام دولة الغزو « الإسرائيلي » في فلسطين سنة ١٩٤٨م ، بدأت المخططات الإسرائيلية ضد القدس وأهلها ومقدساتها تتكشف وتظهر ، وكان من أبرز هذه المخططات ما يلي :

ـ إعلان القدس المحتلة سنة ١٩٤٨م عاصمة « لإسرائيل » بتاريخ ١١/١٢/١٩٤٨م ونقل مقر حكومتها إليها .

ـ إصدار سلطات الاحتلال الإسرائيلي بتاريخ ٣١/٣/١٩٥٠م قانوناً اسمه (قانون أموال الغائبين سنة ١٩٥٠م) ، اعتبر بموجبه كل مواطن فلسطيني كان يقطن المناطق المحتلة وغادرها بعد ١/٩/١٩٤٨ غائباً ، وحرمته من حق العودة ، وصادرت أملاكه .

ـ إعلان ضم القدس التي كانت تحت الإشراف الأردني إلى دولة الاحتلال العسكري « الإسرائيلي » إداريا في ٢٨/٦/١٩٦٧م ، وإلغاء القوانين الأردنية فيها ، واستبدال القوانين « الإسرائيلية بها » .

ـ مصادرة معظم الأراضي العربية المحيطة بها ، وإنشاء ستة عشر حياً يهودياً فيها ، يشكلون طوقاً حديدياً حول من تبقى من عربها (يبلغ عددهم الآن حوالي ١٢٠ ألفا ، في حين بلغ عدد الإسرائيليين في القدس وما حولها ما يزيد على ٣٠٠ ألف نسمة) .

ـ مصادرة خمسة أحياء عربية داخل أسوار القدس ، ملاصقة للمسجد الأقصى المبارك ، وهدمها ، بعد إجلاء أهلها ، وإنشاء حي يهودي مكانها .

ـ إعلان ضم القدس سياسياً لدولة العدوان العسكري الإسرائيلي بتاريخ ٣٠/٧/١٩٨٠م ، وتأكيد جعلها عاصمة أبدية لهم ، خلافاً للقرارات الدولية .

ـ مصادرة ما يقارب من ٣٠٪ من أراضي المناطق الفلسطينية المحتلة في سنة ١٩٦٧م ، وإنشاء مئات المستعمرات الصهيونية عليها ، وما زالت سياسة مصادرة الأراضي وطرد السكان وإبعادهم خارج فلسطين المحتلة ناشطة ، وما زال السكان يتعرضون إلى تضييق سبل العيش عليهم ، واعتقال وسجن المئات منهم .

كما تتعرض الجامعات والمدارس إلى فترات إغلاق طويلة ، ويتعرض أساتذتها وطلبتها إلى الملاحقة ، والاعتداء ، والاعتقال بين فترة وأخرى » .

ويفيد التقرير الصادر في (٨/١٠/١٩٨٦م) الذي أعدته مديرية الدراسات والأبحاث بوزارة شؤون الأرض المحتلة في المملكة الأردنية الهاشمية أن عدد المستوطنات « الإسرائيلية » المقامة في القدس وما حولها بلغت ٣٥ مستوطنة ، كما بلغ عدد المستوطنين المقيمين فيها ٩٠ ألف مستوطن ، وأن السلطات الصهيونية قد صادرت ٥٦ ألف دونم ، من أصل ٦٣ ألف دونم (وهي مساحة القدس العربية حسب الحدود البلدية التي رسمت لها بعد عام ١٩٦٧م) .

وقد بدأت السلطات الصهيونية بتنفيذ مخطط (القدس الكبرى) ، حيث تم توسيع حدود بلدية مدينة القدس ، لتشمل إضافة إلى القدس مدن رام الله والبيرة وبيت ساحور وبيت جالا وبيت لحم ، هذا بالإضافة إلى ٦٠ قرية عربية ، ويهدف هذا المخطط إلى عزل منطقة القدس عن باقي المناطق العربية الفلسطينية ، لتصبح قسمين منفصلين ، قسم شمالي مركزه نابلس ، وقسم جنوبي مركزه الخليل . وباشرت السلطات الصهيونية في تنفيذ خططها الرامية للاستيطان في مدينة القدس ، ومحاولة طرد سكانها العرب ، واستبدال مستوطنين يهود بهم .

* وعندما سألنا المطران إيليا خوري عن ممارسات الصهاينة في الأماكن المقدسة المسيحية علق قائلا :

لا تحضرني الآن كامل الممارسات الصهيونية في الأماكن المقدسة المسيحية ، لكنني أتذكر أن أماكن مسيحية كثيرة دنست في القدس وغيرها من المدن والقرى ، فقد سرقوا تاج العذراء من كنيسة القيامة أواخر سنة ١٩٦٧م ، وحتى الآن لم يجدوا السارق ولا المسروق !

* جاء في كتاب (القدس والمدن الفلسطينية تحت الحكم العسكري « الإسرائيلي ») الآتي :

ـ تم تحطيم قناديل الزيت والشموع فوق القبر المقدس بتاريخ ٢٤/٣/١٩٧١م .

ـ تعرض دير الأقباط ليلة عيد الميلاد في ٢٥/٤/١٩٧٠م إلى الاعتداء على ممتلكاته ورهبانه .

- تم إحراق المركز الدولي للكتاب المقدس على جبل الزيتون بتاريخ ١٩٧٣/٢/٦م .

- جرى إحراق أربعة مراكز مسيحية في القدس بتاريخ ١٩٧٤/٢/١١م .

كل هذا بالإضافة إلى الضغوط والإرهاب الذي يتعرض له رجال الأديرة المسيحية ، وإجبارهم إما على بيع بعض الأملاك ، أو التخلي عنها بالقوة ، فضلاً عن الاعتداء بالضرب والإهانة لكثير من رجال الدين المسيحيين ، والتضييق على سكان القدس - ومن ضمنهم المسيحيين - مما دفع بعضهم إلى الهجرة . وقد كان عدد المسحيين في القدس قبل الاحتلال حوالي ١٨,٣٠٠ فرد ، في حين لا يصل عددهم في أوائل سنة ١٩٨٥م الى أكثر من ١٢,٣٠٠ فرد) .

وقد بلغ عدد سكان محافظة القدس من العرب بما فيها من البوية وأقضية سنة ١٩٦١م حوالي ٣٤٤,٢٠٠ فرد ، وانخفض عددهم بعد الاحتلال الإسرائيلي سنة ١٩٦٧م إلى ٢٤٣,٣٠٠ فرد ، وسبب هذا الانخفاض ممارسات قوات الاحتلال وضغوطها ، وسمها لكثير من الأحياء ، ومصادرة كثير من الأراضي . وقد عاد عدد العرب في القدس إلى الارتفاع ، فوصل إلى ٣٢١,١٠٠ فرد في سنة ١٩٨٠م .

ما قالته الحفريات :

* بعد احتلال فلسطين كلها من قبل العدو الصهيوني - ومن ضمنها القدس - جرت محاولات محمومة ، بدلتها المؤسسات الصهيونية الرسمية ، والتنظيمات الإجرامية فيها ، للحفر والبحث عن أي أثر يمكن أن يفيدهم في ادعاءات التملك والوجود في فلسطين . فما الذي وجدوه منذ سنة ١٩٤٨م حتى الآن ؟

في هذا الصدد قال لنا الدكتور رائف نجم وزير الأشغال الأردني الأسبق ، وعضو عدة لجان ، كاللجنة الملكية لشؤون القدس ، ولجنة إعمار المسجد الأقصى والصخرة المشرفة ، ومنسق كتاب (كنوز القدس) ما يلي :

(لقد أجريت حفريات في قطاع القدس الذي احتلته « إسرائيل » عام ١٩٤٨م ، إلا أنهم لم يجدوا شيئاً يهودياً فيها . وبعد احتلال عام ١٩٦٧م باشروا بالحفر عند برك سليمان (المقصود سليمان القانوني السلطان العثماني) على طريق الخليل - القدس ، فلم يجدوا شيئا يذكر حتى الآن .

أما البروفسور مازار وفريقه فقد قاموا بالحفر بمحاذاة جدار المسجد الأقصى الجنوبي ، علهم يجدون آثار هيكل الملك سليمان ، إلا أنهم وجدوا آثارا فاطمية وأيوبية وبيزنطية .

* وماذا غير تلك الحفريات يا دكتور نجم ؟

- بدأت مجموعة من المتدينين المتطرفين اليهود - من بينهم جماعة كاخ - سنة ١٩٦٨م بحفر خندق شمال حائط البراق حتى مسافة ٣٥٠ متراً من آخر باب في منطقة الحرم القدسي الشريف تحت الأرض بارتفاع مترين ونصف ، وبعرض نصف متر ، وقد وجدوا إنشاءات إسلامية فيها ، ولم يجدوا أي أثر يهودي ، ومع ذلك فإن اليهود يدخلون هذا المكان الآن ويقيمون فيه صلواتهم ، وهو يوازي حائط البراق .

- وهناك حفريات كثيرة غيرها .

* وبعد ذلك يا دكتور نجم ؟

- اختلفوا في تحديد الموقع الذي يمكنهم أن يجدوا فيه بقايا الهيكل ، بعضهم قال إنه كان مكان المسجد الأقصى ، ورأى فريق آخر أن الهيكل كان مكان الصخرة المشرفة ، واعتبرها بعض اليهود حجر الأساس للهيكل . أما البروفسور كوفمان فيقول ان مكان الهيكل يقع شمالي الصخرة المشرفة بحوالي مائة متر .

واختلاف الآراء هذا يدل على بلبلة كبيرة بينهم ، ويفيد بأن مكان الهيكل غير معروف .

* هل المقصود هو الوصول إلى مكان الهيكل ، أم تدمير الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية ؟

- من المعروف أنه تم بناء عدة هياكل ، منذ أن وصل اليهود إلى فلسطين في الألف الأول قبل الميلاد ، وحتى خروجهم منها سنة ١٣٥ ميلادية ، كما أنه لا يوجد نص في التوراة يحدد تحديداً دقيقاً مكان هيكل سليمان ، وبإمكانهم - حسب دينهم - بناء الهيكل في أي مكان ، وليس في مكان محدد . لذلك فإنني أرى هدفهم ليس دينيا ، بل تدمير مقدسات الأديان الأخرى .

* ولكنهم قادرون إذا ما أرادوا تدمير أي مكان في القدس ؟

- نعم يمكنهم ذلك بسهولة ، لكنهم لا يريدون استفزاز العالم ، خاصة العالم الإسلامي الآن . وهم سيستمرون بالحفر ، إما لاكتشاف أي أثر كاذب ، أو لخلخلة وزعزعة أركان مباني أماكننا المقدسة ، كما يمكنني التأكيد بأن محاولة حرق المسجد الأقصى التي تمت بيد روهن الأسترالي بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢١م ، والذي اتهم بالجنون من قبل السلطات الإسرائيلية - كانت عملاً مدبراً ، إذ أن هناك من ساعد روهن من الجهة التي يسيطر عليها الإسرائيليون .

هذا ويمكن القول بأنه تم ترميم ما تم حرقه ، ما عدا منبر صلاح الدين ، كما تم رصد ميزانية لتجديد القبة والمنبر . وسيتم الاستعاضة بالنحاس المذهب عن الألمنيوم المتشقق في القبة . وسينجز هذا المشروع في هذا العام إن شاء الله .







● سكيك القدس العتيقة عراقة تاريخ يحتاج لمن يحميه أعلى يمين

● مازال صوت وترنيمات بائع العرقسوس يترددان في أسواق القدس ـ أعلى يسار

● اليد التي تجيد نسج الغطاء يمكنها أن تحمل الحجر وغيره أيضا ـ أسفل



حائط البُراق أم المبكى ؟ !

* يبدو أن مشكلة حائط البراق ليست جديدة ، فقد تنسى الذاكرة ، وقد يهب عليها غبار النسيان ، لكن الوثائق تبقى حاضرة لمن يمكنه الاستفادة منها ، أو لمن تمكنه القوة من توظيفها في مكانها الصحيح .

فحائط البراق ـ كما جاء في كتاب كنوز القدس ـ يمثل الجزء الجنوبي من جدار الحرم الشريف ، ويبلغ طوله حوالي ٥٠ متراً ، وارتفاعه حوالي ٢٠ متراً ، وهو من الأملاك الإسلامية ، لأنه جزء من الحرم الشريف ، وله علاقة وطيدة بإسراء ومعراج النبي محمد ﷺ .

وقد قام العرب بهبة سُميت هبة البُراق سنة ١٩٢٩م عندما أخذ اليهود بالبكاء خلف حجارته وافتعلوا المشاكل ، فثار المسلمون ، واشتعلت الاشتباكات بين الطرفين مما دعا عصبة الأمم إلى تكوين لجنة لتقديم تقرير في هذا الأمر .

قال لنا السيد روحي الخطيب أمين القدس المبعد : إن اللجنة جاءت إلى فلسطين وعاينت المواقع وقابلت كثيرا من الناس ، وبقيت في البلاد حوالي ستة أشهر ، ثم أصدرت تقريرها سنة ١٩٣٠م . وقد نشر التقرير كاملاً في كتاب (الحق العربي في حائط المبكى في القدس) ، ضمن منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، الذي صدر في بيروت سنة ١٩٦٨م ، وجاء فيه :

(استناداً على التحقيق الذي أجرته اللجنة ، فإن حق ملكية الحائط وحق التصرف به وبما جاوره من الأماكن المبحوث عنها في هذا التقرير للمسلمين ، لأن الحائط نفسه ملك للمسلمين لكونه جزءاً لا يتجزأ من الحرم الشريف ، كما أنه ثبت للجنة منْ التحقيق الذي أجرته ـ سواء في المحكمة الشرعية أو من الشهادات والبينات التي أدلى بها الشهود ـ أن الرصيف الكائن عند الحائط ، حيث يقيم اليهود صلواتهم ، هو أيضاً ملك للمسلمين) .

* وعندما سألنا الدكتور كامل العسلي ، الباحث العلمي في الجامعة الأردنية ، عن حقيقة الأمر قال :

ـ إن اليهود يعتقدون أن المداميك السفلية للحائط هي جزء من هيكل سليمان ، مع أن الهيكل دمر تدميراً كاملاً من قبل عدة مرات) .

* أما الدكتور رائف نجم فقد علق على هذا الأمر فقال :

(باعتقادي أن الأمر فيه خلط وتشويش كبير ، فقد تم آخر ترميم للسور في القرن السادس عشر ، وقد بلغ مجموع الترميمات ١٤ مرة حتى ذلك التاريخ ، ومن الطبيعي أن بعض الحجارة قد تم نقلها إلى هذا الموضع أو ذاك لأنها صالحة للبناء ، لكن اليهود يعتقدون أن الجزء السفلي من حائط البراق هو من أساسات الهيكل ، ويتناسون أن طيطس الروماني قد هدمه سنة ٧٠م ، وجاء بعده هدريان وأزال آثاره كلها ، فأصبح مكانه قاعاً مستوية .

ويبدو أن سماحة المسلمين أذنت لليهود بزيارة هذا الحائط والبكاء خلفه ، ولهذا سموه (حائط المبكى) ، بينما اسمه (حائط البراق) .

مفاتيح كنيسة القيامة :

* هناك عدة أسئلة تتوارد على الذهن بعد قراءة بعض تاريخ المدينة المقدسة ، منها أن مفاتيح كنيسة القيامة بأيدي المسلمين ، فكيف أقيمت هذه الشعيرة ، ولماذا حدث ذلك ، ومتى ؟

همسنا لأنفسنا قائلين : ما دمنا في حضرة المقادسة ، وفيهم الشيوخ والشبان ، فلماذا لا نسأل عن هذه الشعيرة ، وسألنا ، فقال لنا الشيخ عبد الحميد السائح وهو من مواليد سنة ١٩٠٧م :

ـ أعتقد أن هذا الأمر يعود إلى تقليد تم تثبيته اثر فتح السلطان صلاح الدين الأيوبي للقدس . ونظراً لوجود خلافات وحساسيات بين الطوائف المسيحية فقد اتفقت على أن يحتفظ المسلمون بمفاتيح كنيسة القيامة ، فصارت عائلتا نسيبة وجودة تتوارثان المفتاح ، وأصبحت عائلة نسيبة تحتفظ بالمفتاح الخارجي ، وعائلة جودة تحتفظ بمفتاح الباب الداخلي . وقد حاول اليهود تغيير هذه الشعيرة ، إلا أن الطوائف المسيحية تمسكت بها ، وأعلنت أن الأمر تم برضاها الكامل ، وما زال يتم كذلك .

وقال لنا الدكتور صبحي غوشة : (لقد كانت الطوائف المسيحية تختلف أحياناً ، حتى علىّ كنس بلاط كنيسة القيامة ، لذلك ارتأوا ـ حلا لهذا الاشكال ـ إبقاء مفاتيحها بيد هاتين العائلتين المسلمتين ، وما زال هذا التقليد ساري المفعول ـ حسب معلوماتي ـ حتى الآن) .

عائلات القدس :

تقول بعض عائلات مدينة القدس انها جاءت اليها مع الفتح العربي ، زمن الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، وتقول بعض العائلات

الأخرى انها سكنتها بعد فتح صلاح الدين الأيوبي لها . ولما سألنا الدكتور كامل العسلي عن الموضوع قال :

ـ باعتقادي أن القدس كانت خالية من القبائل العربية عندما فتحها السلطان صلاح الدين الأيوبي ، لأن من بقي فيها كان مجبراً على تغيير دينه ، ليصبح مسيحياً ، يوالي الصليبيين ، ولأن الصليبيين قتلوا حوالي ٧٠ ألف مسلم عربي عندما دخلوا بيت المقدس ، وبقيت مهددة ـ بعد فتح صلاح الدين لها ـ من قبل الصليبيين لمدة تصل إلى مائتي سنة .

وحسب معلوماتي فإن قبيلة بني سعد استوطنت القدس زمن صلاح الدين ، وقد سمي حي باسمهم ، كما أن هناك حي بني غانم (الغوانمة) ، وسكن القلعة بنو حارث ، وسكن القدس بنو زيد وبنو مرة وقبيلة الجرامنة ، ثم جاء المغاربة وعائلات غيرهم مع الجيش المصري . ويمكنني القول بأنني لم أقابل عائلة عربية مسلمة واحدة استطاعت أن تثبت لي بالوثائق أنها سكنت القدس قبل فتح صلاح الدين لها .

وقد أقام في القدس كثير من علماء الدين جاؤها من دول أسلامية عديدة .

أما بالنسبة للعائلات المسيحية في القدس فإنها تنقسم إلى قسمين :

ـ الأول : عائلات من عرب المشرق ، سكنوها زمن الصليبيين ، في حي المشارقة . ومما يجب تذكره أن الغساسنة وهم قبائل عربية كانت تسكن بلاد الشام ، وقد بقي بعضهم على دينه مسيحياً .

ـ الثاني : غربيون تعربوا مع الزمن ، وربما أسلم بعضهم أيضاً .

التشريد :

(أعرف أن الوضع صعب على الإنسان العادي ، لأنهم يحاربونه في رزقه ، ويصادرون أراضيه ، أو يمنعون عنه الماء ، أو يحاصرونه بالمستعمرات . أو يصادرون دكانه وهو مصدر رزقه ، ثم يجد بعد ذلك جنود الاحتلال أو غيرهم يدنسون مقدساته وينهبونها ، وأحياناً يصادرون بيته ويجد نفسه عاطلاً عن العمل وبلا مأوى ، فهل يمكن للإنسان العادي أن يتحمل ذلك ؟

باعتقادي أنه أمر صعب الاحتمال ، فكيف ستكون حال من سيستمر على ذلك ؟

إن الصمود ليس شعارات ، فدون ترجمة الصمود إلى مؤسسات تعمل ، وتصل إلى المواطن العادي ، وتقف على معاناته ، وتحاول مداواتها ، سيتسرب الناس من أرضهم ، وسيهاجرون ، وسيصبح ذلك مقتلاً في خططنا . إنني من الذين ينادون بتعميق جذور الناس في أراضيهم ، ومهما كانت الدواعي والأسباب فإن عليهم ألا يفكروا بالرحيل . لكنني أقول إن طاقة الاحتمال عند بعض الناس محدودة ، لذلك فالوصول اليهم وتوفير حلول لبعض مشاكلهم يفيد في استمرار صمودهم ووقف هجرتهم) .

هكذا قال لنا المطران إيليا خوري عندما سألناه عن الناس وهجرتهم

وسألنا السيد روحي الخطيب أمين القدس المبعد ، عن ظاهرة تناقص العرب من سكان القدس فعلق قائلاً :

(إن تفسيري لتناقص عدد السكان العرب من مسلمين ومسيحيين ، يعود إلى الضغط المعيشي ، وتضييق مجالات العمل أمامهم ، واغتصاب أراضيهم وأملاكهم بحجج عديدة ، ولوجود ضرائب باهظة على كثير من الأمور ، كما وأصبح اليهود يقلدون معظم الصناعات والأعمال التي كان يقوم بها العرب ، وأخذوا بذلك يضيقون على العرب في معيشتهم ووجودهم) .

في كتاب (المؤامرة على الأقصى) للكاتبة الأمريكية جريس هالسيل الذي نشرته صحيفة الشرق الأوسط على حلقات مسلسلة وجاء على لسان الأب جوزيف لوفينشتاين الذي يرأس جامعة بيت لحم ما يلي : ـ

(إن قبضة الإسرائيليين الخانقة على فلسطين تعني أن المسيحيين الكبار في السن سيبقون ، وسيموتون ، وأن المسيحيين الشبان الذين لا يستطيعون المغادرة سيبقون ، لكنهم لن يجدوا مستقبلاً هنا .

إن الفلسطينيين يفقدون أراضي باستمرار ، ولا يبدو أن أحداً سيفعل شيئاً لإيقاف ذلك ، وإنني غير مسرور أبداً بالسياسة الأمريكية التي تتماشى مع السيطرة الإسرائيلية ، بل أعتبر ما يحدث إبادة للشعب الفلسطيني بدون أفران) .

مؤسسات وأدوار :

لأن (القدس) حملت طابع القداسة والتقديس ، ولأن فيها ثالث الحرمين وأولى القبلتين على الصعيد الإسلامي ، ولأن فيها كنيسة القيامة وغيرها من الأماكن المسيحية المقدسة ، فإنه من الطبيعي أن يتم



● تطريزات مقدسية .. مازال الثوب يعطي للمكان والزمان هويته أيضا .

● العيزرية ... أحد أحياء القدس .. يمكن أن تشاهده بالعين المجردة من شواطىء البحر الميت على مبعدة حوالي ٢٠ كيلومترا

● عقود وأقواس وأزقة .. وحجارة تاريخ ، وبشر ورثوا كل هذا فجاء من ينازعهم فيها

إنشاء عدة مؤسسات تحمل اسم القدس ، وتعمل لأجلها إعلامياً وخيرياً وسياسياً على النطاق العربي ، وعلى النطاق الإسلامي أيضاً . ومن المؤسسات التي وقفنا على بعض نشاطاتها في مدينة عمّان ، اللجنة الملكية لشؤون القدس على سبيل المثال ، وقد التقينا برئيسها السيد أكرم زعيتر ، وأمينها العام العميد فايز جابر ، فقالا لنا :

(لا شك أن الأمل كبير جداً في أن تحظى قضية القدس العربية بالاهتمام الذي تستحقه في مؤتمر قمة الدول الإسلامية الذي سينعقد في الكويت ، وقد أوجزا لنا أهداف اللجنة ونشاطاتها على النحو التالي :

ـ منذ إنشاء اللجنة الملكية لشؤون القدس سنة ١٩٧١ م وهي بحق اللجنة أو الهيئة التي انفرد بها الأردن للدفاع عن قضية القدس ، ودعم صمودها ، وصيانة مقدساتها ، ومتابعة ما يجري من متغيرات على أرضها يومياً .

ـ وقد تم إصدار عدة قرارات دولية نصت على عروبة القدس ، كما استطاع الأردن تسجيل المدينة في قائمة التراث العالمي الذي ترعاه هيئة اليونسكو .

ـ واستطاعت اللجنة إعداد المئات من الدراسات والبحوث والخرائط والوثائق التاريخية والسياسية والجغرافية والاقتصادية والعلمية التي تدعم الحق العربي في المدينة المقدسة .

ـ واستطاعت اللجنة ـ أيضاً ـ تحقيق فكرة (صندوق القدس) ، وذلك في المؤتمر السابع لوزراء خارجية الدول الإسلامية الذي انعقد في استانبول ، وقد قدم هذا الصندوق منذ إنشائه حوالي عشرين مليون دولار لمختلف المشاريع والمؤسسات في مدينة القدس ، ومن خلال وزارة شؤون الأرض المحتلة ووزراء الأوقاف وشؤون المقدسات الإسلامية الممثلين في اللجنة .

ـ وقد قام الأردن بعمليات إعمار المقدسات الإسلامية وترميمها ، قبل الاحتلال الإسرائيلي للقدس وبعد ذلك ، ومازال مستمراً في ذلك حتى الآن ، وقد بلغت الأموال التي أنفقت حتى الآن حوالي ٦ ملايين دينار أردني .

وهناك كثير من الخطوات تم إنجازها أو تم التخطيط لإنجازها بواسطة اللجنة ، أو بواسطة الوزارات والمؤسسات المختصة ، وكلها في خدمة القدس أرضاً وسكاناً ومؤسسات .

ـ والتقينا بالمهندس عاصم خوشة رئيس جمعية القدس الخيرية التي تم إنشاؤها سنة ١٩٧٣م ، وركزت جهودها ـ كما ذكر لنا السيد عاصم ـ على :

× توفير المساعدة للأفراد والأسر المحتاجة بالتأهيل العلمي والمهني .

× توفير المساعدة للطلبة .

× تشجيع النشاطات الرياضية والثقافية والاجتماعية .

× توفير المساعدة المالية والعينية للحالات الإنسانية الطارئة .

وتطبيقاً لهذه الأهداف العامة فقد تم إنشاء روضة ومدرسة تتبعان الجمعية ، وأنشئت عيادة خارجية مجانية للفقراء ، وأقيمت نشاطات ثقافية متعددة ، وتم تحمل مصاريف مبعوثين جامعيين ، سواء في جامعة مدينة القدس ، أو في عمّان ، أو في جامعات في أماكن أخرى ، كما تمت مساعدة كثير من الأسر المحتاجة .

خميرة الوطـــــن :

« نعم لقد بدأنا كجمعية مقدسية ، كل أفرادها ومؤسسيها من مدينة القدس أو من منطقتها ، وكان ذلك سنة ١٩٦٩م ، لكن الجمعية الخيرية لرعاية الأسرة أصبحت الآن تجمع أفراداً عاملين من مدينة القدس وغيرها ، وبقيت الأهداف على ما هي عليه ، إلا أنها أصبحت أكبر نمواً وأوسع شمولاً » .

هكذا قالت لنا السيدة حنان الحسن رئيسة الجمعية الخيرية لرعاية الأسرة وأضافت : لقد بدأت الجمعية في مخيم جبل الحسين بعمّان ، بمركز واحد ، من نشاطاته تعليم فنون الخياطة والتطريز ، والتدبير المنزلي ، وروضة للأطفال ، ثم افتتحت مركزاً لمحو الأمية .

وفي سنة ١٩٧٤م افتتحت فرعاً لها في مخيم الوحدات ، يضم مركزاً لتأهيل الفتيات في فنون الخياطة والتطريز والتدبير المنزلي .

وفي عام ١٩٧٨م امتدت أنشطة الجمعية ، وتوسعت خدماتها ، فأصبح لها مركز لتعليم الخياطة والتطريز ، وروضة أطفال ، ومركز لمحو الأمية ، في مخيم الطالبية (زيزيا) ، وآخر في مخيم ماركا . وكل هذه المخيمات قريبة من مدينة عمّان .

ثم افتتحت عام ١٩٨٠م فرعاً جديداً في مخيم البقعة ، يشتمل على مركز لتأهيل الفتيات ، وآخر للطباعة ، بالإضافة إلى روضة أطفال ، كما أن لها نشاطاً متنقلاً في مخيم « سوف » قرب مدينة جرش .

* أرى أن الجمعية تهتم بالتراث الشعبي

الفلسطيني خاصة الأزياء ؟

ـ أجابت السيدة حنان : لقد أولت الجمعية اهتماماً خاصاً بالتراث الشعبي (الفولكلوري) ، فعمدت إلى جمعه وإبرازه في مجالات كثيرة ، عن طريق عرضه في حفلات خاصة ، وتطويره وإبراز جماله وروعته وذلك لأنه يبرز بعض سمات الشخصية الفلسطينية ، كما أنها تعمل على تشجيع طالباتها ، وإلزامهن على تعلم أصوله الصحيحة وإتقانه بأشكال متطورة تتناسب مع متطلبات المرأة العصرية ، وتقوم الجمعية بالتعامل مع ما يزيد على ٢٥٠ سيدة ، ينسجن الأثواب والمطرزات الفلسطينية الشعبية في بيوتهن ، إضافة إلى العاملات والطالبات في مراكزها ، وتقوم الجمعية بتزويدهن بالخامات الأساسية ، وتشتري منهن إنتاجهن لتقوم هي بتسويقه وعرضه) .

(أنا حالف الله أكبر
أنا راجع لك يا دار
وأنا بيتي قريب من الصخرة
ما بين ثيابي والحفرة
أنا حالف الله أكبر
أنا راجع لك يا دار)

أصوات طفولية كانت تترنم بالقسم ، والرياح تنقل الأصوات وتنشرها بين أزقة مخيم ماركا (مخيم بالقرب من مدينة عمّان يزيد عدد سكانه على خمسين ألفاً من النازحين) ، وتزرعها بين شقوق بيوت (الزينكو) ، لتبقى حرزاً مقيماً في الضمائر . البناء بناء عادي تماماً ، لكنه مميز في مخيم جل أبنيته مسقوفة (بالزينكو) ، ثقلت بحجارة الاسمنت كي لا تقتلعها الرياح عندما تهب بقوة . المكان روضة أطفال (العودة الثانية) التابعة للجمعية الخيرية لرعاية الأسرة ، فيها خمسة فصول ، وفي الفصل يوجد حوالي ٢٠ طفلاً وطفلة ، يتعلمون بأساليب حديثة ، تحت اشراف معلمات متخصصات ومدربات ، ومع العلم ينغرس حب الوطن من خلال الأغنية والأهزوجة والمثال والتمثيلية .

أنشدوا أغاني كثيرة ، وأسمعونا أنغام الحنين إلى الوطن ، إنهم الأطفال الذين حرموا منه ، بل ربما لم يولدوا فيه ولم يروه . وسائل إيضاحية بسيطة كانت موزعة في الفصول ، وبعض الأراجيح والألعاب الفقيرة كانت موزعة في ملعبهم الصغير . لكنهم كانوا يتعلمون ، ويتقافزون ، ويهزجون وتظهر على ألسنة بعضهم لثغة محببة .

« يا بلدنا علينا واجب
نفديك صغار وكبار »

تتكرر هذه الأناشيد ، وتوزعها الرياح فلعل صداها يستقر في بعض الصدور ، ولعّل سريانها يسير مع شرايين الدم .

عندما رأينا أن الاسبست كان يغطي أسقف الفصول الخشبية في الروضة علقنا قائلين : تفيد بعض البحوث أن الاسبست يسبب أمراضاً كثيرة .

ضحكت المدرسات وقلن : لقد تعودنا على ذلك ، والاسبست أقوى من الزينكو، لكن الانسان أقوى ، إرادة الإنسان أقوى .

وعندما زرنا مركز التأهيل المهني التابع لنفس الجمعية في مخيم البقعة (مخيم للنازحين الفلسطينيين قرب مدينة عمّان ، يزيد عدد سكانه على ٧٥ ألفاً) الذي وصلناه في ساعة دخول وخروج تلميذات المدارس من مدارسهن ، وكانت أزقة المخيم المتربة تموج بهن ، ومئات منهن كن غاديات أو رائحات ، وكلهن كن يبحثن عن الحرف الذي سيفك طلاسم الحياة ، والوجوه السمراء التي التقينا بها في الأزقة ، أو في مركز التأهيل كانت مغسولة بالجدية ، تبحث عن وسيلة عيش شريفة تقربها من الوطن ، وتجعلها أكثر فهماً وتفهماً لمتطلباته .

كانت ألواح الزينكو وقعقعاتها فوق الرؤوس هنا أيضاً ، وكانت الأغاني في السوق المترب تردد :

(أخي جاوز الظالمون المدى
فحق الجهاد وحق الفدا)

وحملت الريح الصوت ، والصدى وكررت : الفدا ، الفدا ، الفدا ، الفدا .

القدس في الإبداع العربي :

● هل للقدس مكان ومكانة في دنيا الإبداع العربي ؟

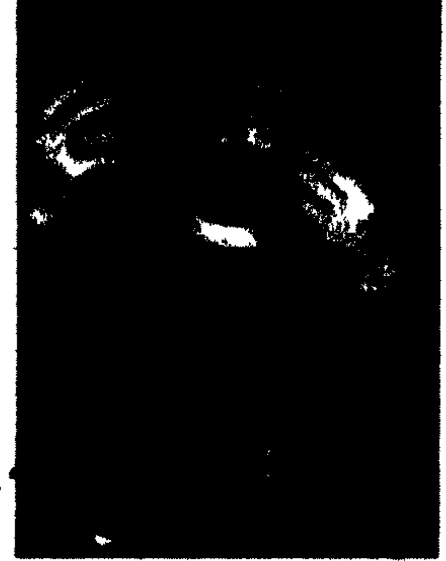
ـ قبل الإجابة عن هذا السؤال يجدر بنا أن نذكر بأن القدس تحتل جانباً مهماً في إبداعات كثير من كتاب اليهود والصهاينة . إن القول (لتنسني يميني إن نسيتك يا أورشليم) هو أحد الشعارات الذي استغلته الحركة الصهيونية من التراث الديني اليهودي ، وبنت عليه كثيرا من (مداميك) بنيانها التحريضي الإعلامي ، ويمكن أن نذكر عشرات الروايات والقصص والدواوين الشعرية التي حملت اسم (أورشليم) لكتاب وشعراء يهود وغير يهود .

● فهل للقدس حضور في ابداعنا العربي ؟

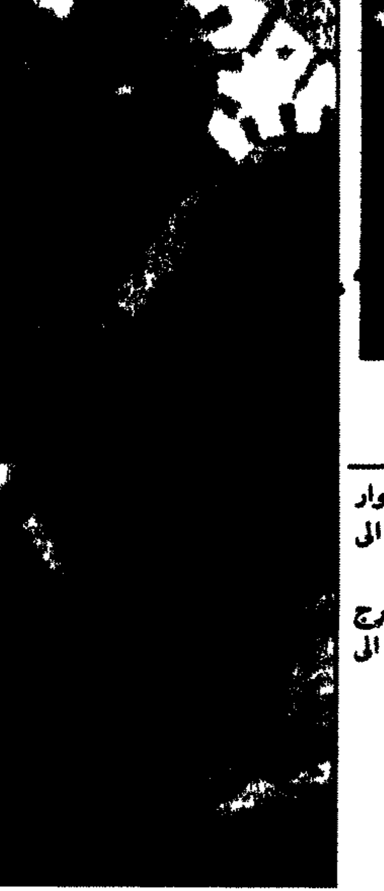
إنها مدينة مقدسة ، وهي عاصمة لفلسطين



● الشيخ عبد الحميد السائح

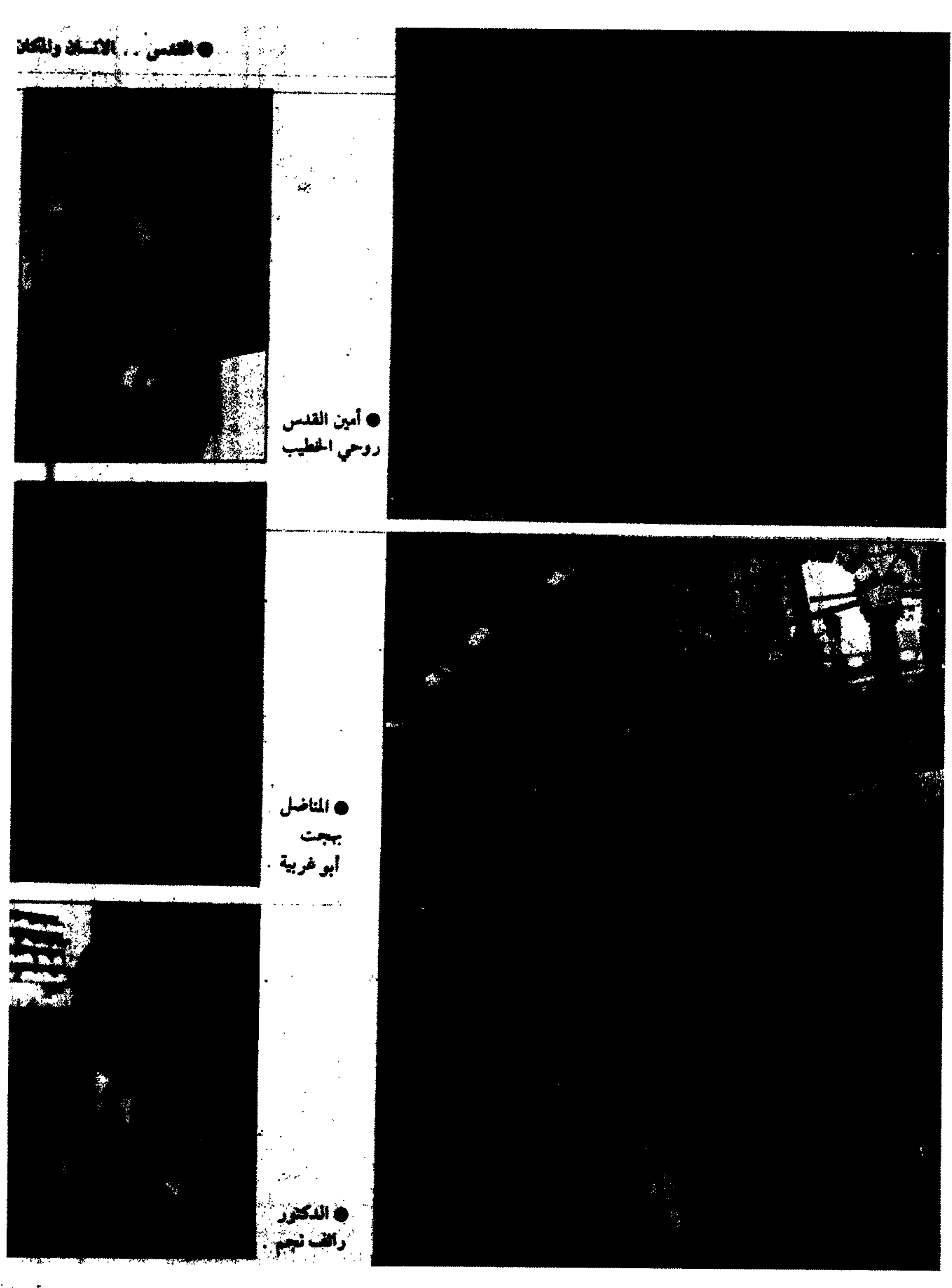


● المطران ايليا خوري .



● حائط البراق في أسوار القدس .. حوله الصهاينة الى حائط مبكى ! (أعلى)

● الصخرة المشرفة ، منها عرج الرسول العربي محمد ﷺ الى السموات العلى◄



● أمين القدس روحي الخطيب

● المناضل بهجت ابو غربية .

● الدكتور رائف نجم .

تاريخياً . فهل المكان المادي والمعنوي له حضوره في تجلياتنا الثقافية ؟

ـ استجابة لطلب بعثة مجلة (العربي) انعقدت جلسة مناقشة في مدينة عمّان ، نوقش فيها هذا الأمر ، واشترك فيها د. عبد الرحمن ياغي ، ود. خالد الكركي ، وخليل السواحري ، و د. صلاح جرار ، ومحمود شقير ، وابراهيم نصرالله ، ، ولهم جميعاً في النقد والقصة والشعر مساهمات متميزة ، وبعضهم من مدينة القدس بالذات أو من أحد أقضيتها ، وبعضهم كتب عن بعض أجوائها مثل خليل السواحري ، ومحمود شقير . وتلخيص المداولات والمناقشات التي تمت في الآتي :

ـ لا شك أن للقدس حضورها في بعض النتاجات الإبداعية العربية ، خاصة في القصة وقصص الأطفال ، والشعر ، والرواية والمسرح ، والفن التشكيلي ، وبعض الأفلام التلفزيونية القصيرة ، عدا السينما فإنها لم تقترب من هذا الموضوع ، في حين أن بعض الأفلام السينمائية الأجنبية حاولت أن تقترب من معالجة جوانب من حياة ناس القدس كفيلم هانا . ك. لكاستا غافرس اليوناني الأصل .

ـ خلت كثير من الأعمال العربية الإبداعية من تجسيد القدس كبعد اجتماعي ، أو من خلال شخصية إنسانية لها حضورها ، بحيث تصبح حقيقة إنسانية .

ـ إن كثيراً مما كتبته أو أبدعته المخيلة اليهودية أو المؤيدة لها كانت بغرض دعائي إعلامي ، فحضور القدس الكثيف في الأعمال اليهودية والصهيونية يمكن فهمه من خلال الشحن الديني ، ثم السياسي ، بسبب عدم وجود القدس بحوزة اليهود منذ ما يزيد على ألفي سنة ، وهذا الشحن والافتقاد وحلم عودة الامتلاك هو السبب وراء كثافة الأعمال اليهودية والصهيونية ، في حين أن المبدع العربي لم يواجه مشكلة افتقاد المكان إلا في فترات زمنية قليلة .

ومع ذلك فإنها حفلت بإبداعات شتى ، بعضها جاء على الهامش ، وبعضها كان من عيون الكتابة الإبداعية العربية .

جاء في شعر الصاحب جمال الدين بن مطروح الذي كتبه بعد سقوط القدس بيد الصليبيين .

المسجدُ الأقصى له عادة
سارتْ ، فصارتْ مثلاً سائراً
إذا غدا بالكفر مُستوطَناً
أنْ يَبعثَ اللهُ لهُ ناصراً

أما الشاعر المهجري الياس قنصل فإنه قد كتب بعد النكبة الحديثة :

وليس يَبْرأ من إثم الورى أحدٌ
فكلنا عن ضياع القدس مَسؤولُ

والشاعر محمود درويش يقول في إحدى قصائده :

أيها الذاهبون إلى صخرة القدس
مُروا على جسدي .
أيها العابرون على جسدي
لن تَمروا ،
إن الأرض في جسدي ،
لن تَمروا .

وهناك عشرات القصائد والقصص والأعمال الإبداعية في هذا المجال لأدباء وفنانين عرب من فلسطين ومن الأقطار العربية الأخرى .

ـ صحيح أن الذهول يسيطر دائماً على الناس بعد حصول النكبات ، وربما يوجد من يدعو إلى خطوات الاستسلام والركون إلى السلبية ، ويبرر ما يدعو إليه ، لقد حصل مثل ذلك بعد سقوط الأندلس ، وبعد سيطرة الصليبيين على أجزاء من المنطقة ، لكن لا يلبث الأمر حتى تظهر طلائع المقاومة في شتى تجليات الحياة قولاً وفعلاً .

*** إن درس الاحتلال علم حتى الأطفال حمل حجارة المقاومة ، فهل يمكن للمبدع أن يقف خارج دائرة الصراع ؟**

إنه داخلها تماماً ، لذلك فإن بعض الكتابات الجديدة فيها كثير من الإبداع ، وفيها كثير من النفس المقاوم ، وإن كان بعضها يطغى عليه الخطابة السياسية المباشرة .

وهناك عشرات الأسماء في شتى مجالات الإبداع تمارس دورها الأدبي ، والنضالي ، مع أنها تحت كوابيس الاحتلال ، ولها عشرات الأعمال المنشورة في هذا المجال ، والقدس حاضرة حضوراً واضحاً فيها .

في الفن التشكيلي :

على صعيد هذا الفن ، فإن الفنان المقدسي سليمان منصور عندما رسم لوحته (جبل المحامل) وغيرها من أعمال فنية فإنه كان يستوحي من القدس كمكان وناس ، الحضور الباقي ، المستمر ، الصابر ، المكابد لأحمال التحديات وأثقالها .

× الفنانة سامية الزرو على سبيل المثال تكرر اسم

القدس في كثير من أعمالها ، وتجعله من ضمن نسيج اللوحة ، وتركز على إدخال الزي الفلسطيني فيها بحضور مشهدي لبعض معالم القدس . إنها تلجأ إلى الزي الموروث ، وإلى الكلمة ، وإلى المعالم المميزة ، لتجعل منها أركاناً أساسية في كثير من لوحاتها ، وهذا يفيد توكيد الحضور ، والانتماء ، وجعل الذاكرة في كامل يقظتها ، كي لا يطمسها غبار النسيان ، أو يؤثر عليها سوء الحاضر ، وانكساراته .

أما الفنان تيسير شرف ، ابن القدس الذي ما زال يعيش فيها ، فإنه أقام معرضاً للوحاته في مدينة عمّان في الفترة من ٢٤ حتى ١٩٨٦/١٠/٣١م عرض فيه ٣٣ لوحة ، كانت معالم القدس مادة أساسية في كثير منها . قال في هذا الصدد : « القدس مدينة مقدسة ، وهي مدينة جميلة ، وهي مدينتي التي ولدت وأعيش فيها ، ويوجد فيها كثير من المعالم المميزة ، لذلك من الطبيعي حضور كثير من معالمها في لوحاتي » .

وأضاف قائلاً : إنني أجسد في لوحاتي ما هو تسجيلي لمعالم المكان ، وأحياناً يتحول في ذاكرتي إلى مادة تشكيلية ، فأضيف أو أحذف أو أعدل فيها حسب اجتهاداتي ، ورؤيتي الفنية » .

وهناك عشرات الأعمال الفنية لفنانين من فلسطين ومن بقية الأقطار العربية ، استوحت تلك الأعمال تكويناتها الفنية من القدس ومن معالمها وما تمثله من قداسة .

لأمـــل :

* دمجنا سؤالين في سؤال طرحناه على المقدسيين الذين التقينا بهم : هل هناك أمل في تحرير القدس واستعادتها دون تحرير كل التراب الفلسطيني أو العكس ؟

ـ أجاب الشيخ عبد الحميد السائح قائلاً : لا يأس مع الأمل ، أعتقد أن أهمية القدس في العمق العربي والإسلامي حاضراً وتاريخاً تجعلني من إمكان العودة إليها واستعادتها ليس أمراً محتملاً فقط ، وإنما هو أمر محتم ، لا بد من تحقيقه .

ـ وقال السيد روحي الخطيب : أنا لا أفقد الأمل أبداً ، فإن كان صحيحاً أن الأوضاع العربية والإسلامية سيئة الآن ، فإن الصحيح أيضاً أن هذا الأمر لن يستمر طويلاً ، لكن إذا لم يتفق العرب ويتضامنوا ، فإن الأعداء سينفردون بكل دولة .

ـ وقال الدكتور كامل العسلي : إن انتفاضة الحياة ستؤكد نفسها ، إن عاجلاً أو آجلاً ، فهذه ليست هي المرة الأولى التي تسقط فيها القدس بيد الأعداء . ومن أقل المطالب عودة قدس ما قبل سنة ١٩٦٧ ، أي ما قبل الاحتلال الأخير .

ـ المطران إيليا خوري علق قائلاً : ما دامت الأمة مبعثرة بهذه الصورة ، فإن الأمل ضعيف في التحرير في هذه المرحلة ، وباعتقادي أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ، والقدس هي قلب فلسطين ، وأي حل بدون القدس فهو حل ناقص ، فالقدس هي فلسطين ، وفلسطين هي القدس ، ولا فرق بينهما ، ومن أقل المطالب مرحلياً هو استعادة القدس وغيرها من الأراضي التي اغتصبت بالاحتلال الأخير .

ـ أما بهجت أبو غربية المناضل الفلسطيني المعروف ورفيق جهاد الشهيد عبد القادر الحسيني فقد قال : باعتقادي أن الأمر يجب عدم قياسه على المعطيات الحاضرة . لقد امتص الشرق عشرات الغزوات الخارجية ، وعادت هذه المنطقة إلى وجهها العربي في النهاية ، والغزوة الصهيونية مصيرها الفشل والاندحار كمصير غيرها من الغزوات ولا يمكن حل مشكلة القدس بمعزل عن حل مشكلة كل التراب الفلسطيني ، إلا إذا كان الحل يهدف إلى الاستسلام والتفريط !

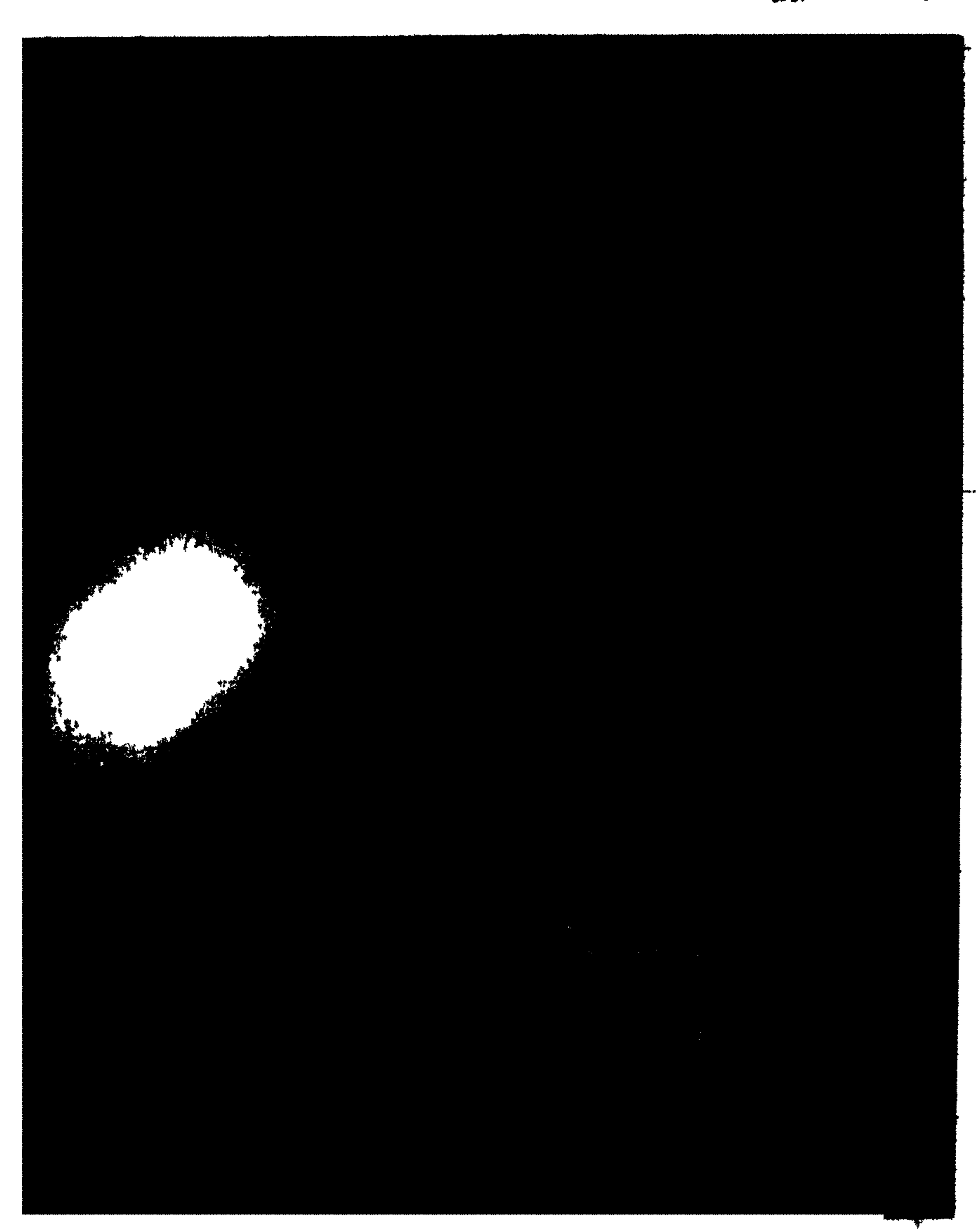
ـ قال العميد فايز جابر : « قضية القدس هي محور القضية ، ولن تحل مشكلة الضفة وغزة إلا بحل مشكلة القدس ، وفي اعتقادي أن قضية القدس ما هي إلا مفتاح الحرب والسلام ، تماماً كما كانت في الماضي ، وإنني غير متفائل بتوفير حل على المدى القريب ، لكنني متفائل بعودة الجهود العربية والإسلامية إلى العمل الجدي المثمر ، والتعاون البناء .

ـ أما الدكتور صبحي غوشة فإنه علق قائلاً : هناك احتلال لكل التراب الفلسطيني ، والتحرير يجب أن يتم لكل هذا التراب ، والقدس عاصمة فلسطين ، ولا يمكن حل مشكلتها إلا بتوفير حل لكل المشكلة .

ـ وقال أطفال فلسطين رأيهم بالأغنية والأهزوجة :

(وأنا بيتي قريب من الصخرة
ما بين ثيابي والحفرة
أنا حالف ، الله أكبر
أنا راجع لك يا دار)

ـ أما جاورة بطرية جمران للمسيحية المقدسية فإنها كانت تتساءل من خلال الدموع : أين أنتم .. أين أنتم .. أهكذا تتركوننا وتذهبون ؟ ! ! ! □



رغم عظم الاكتشافات التي تمت

في مجال الفضاء ، فما زال الكثير

مجهولا في هذا الكون الفسيح ،

والمقال التالي ليس تنبؤا بما

سوف يكتشف في المستقبل، بل رحلة

خيالية عبر مليارات السنوات الضوئية

بين أجزاء هذا الفراغ المترامي ،

تنتهي بنا الى حافة الكون .

بقلم : سمير صلاح الدين شعبان

الي اليمين/ جارتنا مجرة اندروميدا في كوكبة المرأة المسلسلة

أسفل/ صورة الارض بالعدسة فوق البنفسجية لمركبة أبولو ١٦

بعد نجاح الفلكيين في قياس المسافات الفاصلة بين كواكب الأسرة الشمسية ، ظهر التساؤل : كيف السبيل الى تحديد بُعد النجوم ؟ ولم يصعب على الفلكيين أن يلاحظوا ـ وقتها ـ أن النجوم البعيدة كانت بطيئة الحركة في القبة السماوية ،

بالمقارنة مع النجوم القريبة ، التي كانت تغير مواقعها بشكل ملموس ، ورغم اتفاقهم على الانطباع بكونها بعيدة جدا عن أسرتنا الشمسية ، كانوا تواقين لتحديد مسافاتها بشكل دقيق ، فكيف السبيل الى ذلك ؟

جاء الجواب الأول في ١٨٣٨م ، عندما قام الفلكي الاسكتلندي (توماس هندرسون) بمتابعة الحركة الظاهرية لنجم اسمه (الفا سنتوري) ، أثناء دوران محطة المراقبة الارضية على مسارها حول الشمس . قام هندرسون بتكرار هذه المراقبة مرة كل ٦شهور ، واعتمد على المبادىء الأولية لحساب المثلثات ، ليحسب المسافة التي تفصل هذا النجم عن الشمس،لم يكد (هندرسون) يصدق نتيجة ما حسبه بنفسه ، فقد كانت قفزة هائلة في رحلة المسافات قدرها ٢٥ تريليون ميل .

وتبين فيما بعد أن الضوء الصادر عن الفاسنتوري يستغرق ٤,٣ سنوات لبلوغ الشمس بسرعته التي تقارب ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر في الثانية ، وقد حبذ الفلكيون قياس هذه المسافات (بالسنين الضوئية) بدلا من الأميال والكيلومترات ، تجنبا للعدد الهائل من الاصفار .

لم تكن هذه المسافة على كبرها الا خطوة متواضعة في رحلة المسافات ، فبالاعتماد على طريقة القياس نفسها تمكن الفلكيون ـ وقتها ـ من قياس مسافات وصلت الى ١٠٠ سنة ضوئية .

اعتمدت هذه الطريقة على حركة واضحة للأجرام السماوية (المنظور) لذا فقد كانت النجوم البعيدة جدا عديمة الحركة تقريبا ، لكن الفلكيين كانوا يتمنون التمكن من تحديد مسافاتها دون جدوى الى حين كان عليهم انتظار الانجاز التالي الذي تحقق

عندما نجح الفلكيون في حل « شفرة النجوم الغمازة » والنجوم الغمازة تتمتع بتبدل دوري منتظم للبريق : يشتد البريق الصادر عنها فجأة ، ثم يخف تدريجيا ليشتد مرة أخرى ، وهكذا ، وتتكرر دورة البريق هذه في بعض النجوم الغمازة مرة كل يوم ،

لكنها تصل أحيانا الى بضعة شهور ، ولم يفت الفلكيين أن يلاحظوا أن النجم الغماز الطويل الدورة ، يتمتع ببريق أقوى من ذلك الذي ينهي دورته خلال فترة زمنية قصيرة .

لكن النقطة الحاسمة هنا كانت في اهتدائهم الى تسخير فروقات البريق هذه في حساب المسافات النسبية للنجوم .

ويعود الفضل الى تقنية قياس المسافات بواسطة النجوم الغمازة ، في توسيع حدود الكون المعروف آنذاك الى ما يزيد عن ١٥٠,٠٠٠ سنة ضوئية .

توسيع حدود الكون :

بعد ذلك تم ابتكار التصوير الفوتوغرافي ، وقد خطر ببال بعض الفلكيين أن عدسة التصوير الموصولة مع المراقب البصرية (التلسكوبات) بمقدورها أن تحملق في النجوم فترة أطول من تلك التي يصبر عليها

الانسان ، وهذا يسمح لها بكشف النجوم البعيدة باهتة البريق ، التي تعجز العين البشرية عن رؤيتها حتى بمساعدة التلسكوب . وسمح تحليل الصور الملتقطة خلال زمن تصوير طويل ، بمساعدة تقنية قياس النجوم الغمازة ، بتوسيع كوننا المعروف مرة أخرى الى حوالى ٧ ملايين سنة ضوئية .

عندما شعر العديد من العلماء بأن الرقم ٧ ملايين سنة ضوئية هو نهاية مطاف رحلة المسافات ، وأعرب بعض العلماء عن اقرارهم المبدئي بأن هذا الرقم يمثل

بصورة تقريبية حدود الكون « المرئي » بواسطة العين والمرقاب البصري ، تبينوا بعدها امكانية الاستمرار في الرحلة بمساعدة « قوس قزح من صنع الانسان » ؛ انه (المطياف) الذي يقوم بتحليل الضوء الواصل من النجم الى خطوط تشبه البطاقة الشخصية لسكان النجم من العناصر الكيميائية ، الداخل في تركيبه ، فكل عنصر له خط مميز يقع عند طول موجة معينة



مشروع الهوائيات الراديوية سيكلوبس

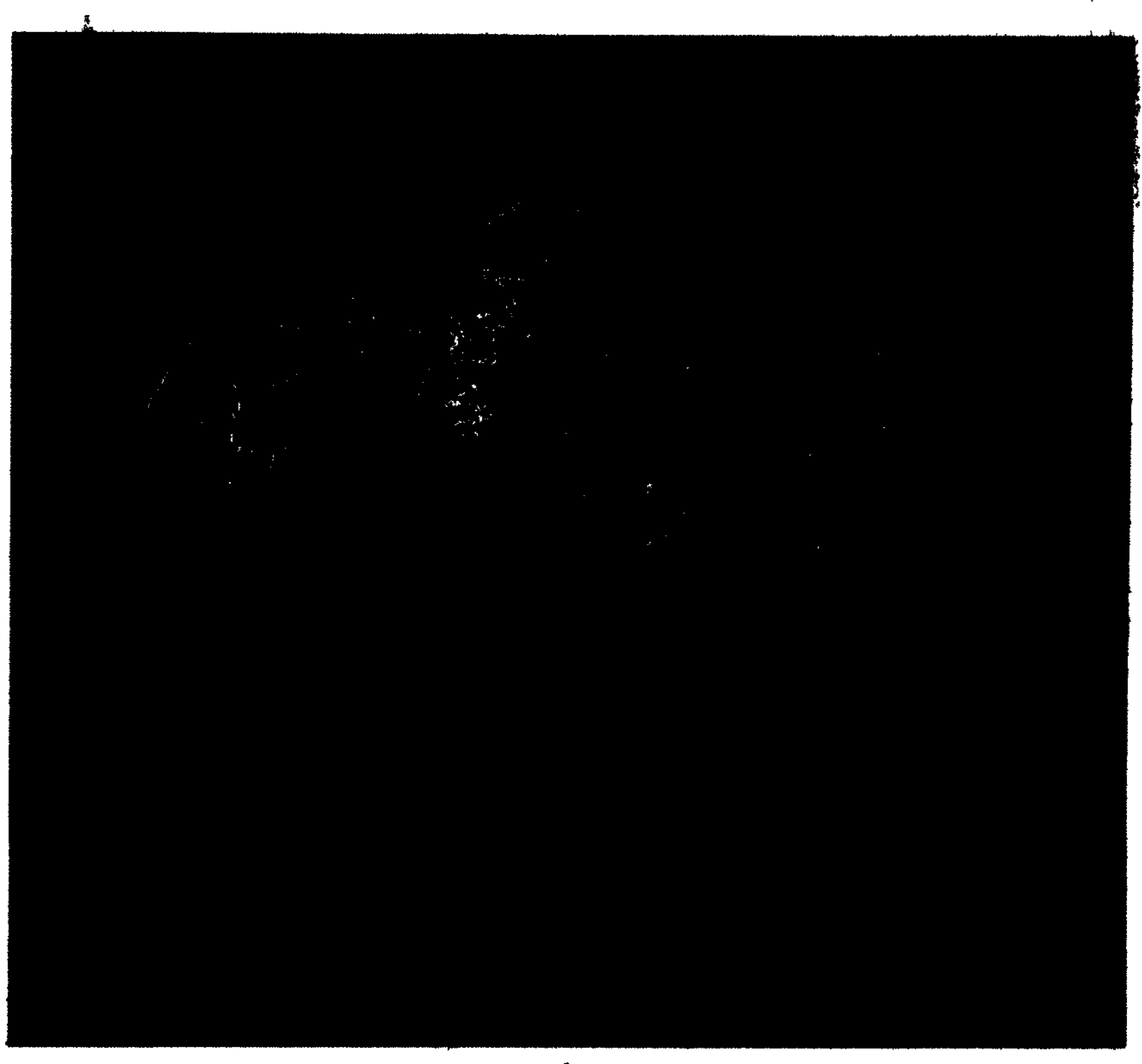
ضمن الطيف ، تكمن أهمية المطاف ـ في مجال رحلة المسافات ـ في كشف العلاقة بين بعد الجرم السماوى ومقدار انزياح خطوط الطيف الحقيقية في اللوحات الفوتوغرافية الطيفية عن مواقعها المألوفة .

يعني انحراف الخطوط الحقيقية نحو النهاية « الزرقاء » للطيف أن الجرم السماوي (أو احدى المجرات مثلا) يقترب من الأرض ، اما انحراف خطوط الطيف باتجاه النهاية الحمراء (أي نحو الموجات الطّويلة) فهذا يعني أن المجرة تهرب مبتعدة عن الارض ، لكن العامل الحاسم هنا هو أنه كلما كبر انحراف خط الطيف عن موقعه النظامي ، زادت المسافة تبعا لذلك . ومرة أخرى تم الاعتماد على حركة المجرات في توسيع حدود الكون الى مسافات كان البشر عاجزين تماما عن تصورها في السنوات السابقة ، الا ان ابتكار المرصد الراديوي اضاف الى رحلة المسافات ابعادا جديدة كليا ما كانت لتخطر على بال بشر ، فقد ساهم في كشف اجرام شديدة الغرابة ، تبعد عن الأرض حوالى ١٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ستة عشر مليار سنة ضوئية . وهي من أكبر المسافات التي تم قياسها حتى يومنا هذا .

بعد استطلاع المسافات التي تفصلنا عن حافة الكون المعروف ، نبدأ رحلة طويلة جدا الى مسافة تقارب ١٦ مليار سنة ضوئية عبر أعماق الفضاء ، ولايسعفنا الوقت للمكوث في جميع المحطات ، لذا سنكتفي بالقاء بعض الضوء على المحطات الهامة ، وتلك التي نجح البشر في كشفها مؤخرا ، بصورة لاتشغلنا عن الهدف الأساسي للرحلة : حافة الكون .

تكتل فضائي :

تنطلق مركبتنا من سطح الأرض لتخترق طبقات



صورة الارض بعدسة مركبة ابولو ١٦ أثناء رحلتها الى القمر

الغلاف الجوي الذي يحيط بكوكبنا ، وتخترق مسار القمر حول الأرض ، ثم مدارات الكواكب حول الشمس ، ونبتعد أكثر فنرى مجرتنا ـ درب التبانة ـ

بشكل قرص رقيق في وسطه نواة مفلطحة ، تدور حول أذرع حلزونية ، تعج بسحب الغاز والغبار ، مهد العديد من النجوم الوليدة ، تستمر الرحلة فنرى

بضع مجرات صغيرة تدور في فلك مجرتنا ، أشهرها سحابة ماجلان الكبرى ، وسحابة ماجلان الصغرى ، نسبة الى البحار البرتغالي ماجلان ، قام

بدورة كاملة حول الأرض ، وكان أول من شاهد هاتين السحابتين من الأوروبيين بعينه المجردة في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية . بعدها نشاهد

مجرة سديم المرأة المسلسلة اندروميدا تحيط نفسها بالعديد من المجرات التابعة ، فاذا ابتعدنا أكثر نلاحظ أن مجرتنا ـ درب التبانة ـ تشكل مع المجرات

الأخرى القريبة منها تكتلا ، يطلق عليه ، اسم (المجموعة المحلية) ، ويتألف من حوالي ٣٠مجرة . وقد أعرب(كونان)عن اعتقاده بأن المعلومات المتوفرة

عن المجموعة المحلية ، توحي بأنها تدور حول مركز ثقل مشترك ، لكن المشاهدات توحي بأن هذه المجموعة غير مستقرة من حيث قوى التجاذب المتبادلة بين مجراتها ، وانها ستفقد الارتباط بين اجزائها ،

وعند ذلك ستذهب كل مجرة مع توابعها في سبيل ، ويعتقد العلماء أن المجموعة المحلية من افضل النماذج المعروفة لما يسمى بعناقيد المجرات غير المنتظمة .

عناقيد المجرات

نقطع مسافة من رحلتنا ، ونرجع بنظرنا الى الوراء ، فنجد ان كل مجرة من المجرات لاتمثلّ فردا تائها في الفضاء الرحب ، بل تميل بدورها الى التكتل وتشكيل ما يسمى بعناقيد المجرات

العنقود هو تكتل فيزيائي حقيقي للمجرات ويتألف العنقود الصغير من ١٠الى٣٠ مجرةبصورة وسيطة ، مثل عنقود المجموعة المحلية ، أما العناقيد الكبيرة فقد يزيد عدد افرادها عن بضعة آلاف مجرة .

تكشف اللوحات الفوتوغرافية الملتقطة بمساعدة المراصد الارضية عشرات الألاف من تجمعات المجرات ، وعناقيدها ، وتنسب الى كوكبة النجوم التي يرى العنقود من خلالها . وهناك عناقيد قريبة نسبيا من مجموعتنا المحلية ، ينظر اليها أهل الأرض عبر كوكبة « اللؤابة » والجاثي ، حسب تسمية احدادنا العرب ، التي يطلق عليها اليوم اهل الغرب اسم هرقل .

قام جورج آبل بتقسيم العناقيد الى منتظَمة وغير منتظمة وجميع العناقيد المنتظمة كبيرة الحجم ويحتوي كل منها على آلاف المجرات ، وشكلها الاجمالي قريب من الكروي ، وتزداد كثافة المجرات في العنقود كلما اقتربنا من « مركزه » ، ومن الأمثلة الشهيرة ـ والمدروسة جيدا ـ على هذا النوع عنقود اللؤابة .

أما العناقيد غير المنتظمة فهي متباينة الحجوم ، تشمل العناقيد المحدودة العدد ، والمتوسطة ، والكبيرة ، التي يقدر عدد افرادها بالآلاف . هذا النوع من العناقيد قليل التناظر ، ولا تزداد كثافة المجرات فيه بشكل واضح عند الاقتراب من المركز ،

ومن الأمثلة الشهيرة على هذا النوع المجموعة المحلية عنقود العذراء ، وهو أقرب العناقيد الكبيرة الى الأرض ويحتوي على حوالي ٢٥٠٠ مجرة

دوالي المجرات :

نلقي نظرة وداع أخيَرة باتجاه كوكبنا الارضي قبل بلوغ نهاية مطاف رحلتنا . فماذا نرى ؟ عند امعان النظر في عناقيد المجرات ضمن مساحات شاسعة من الفضاء ، يلاحظ المرء ان هذه العناقيد لاتتوزع بصورة عشوائية . ويفسر بعض العلماء هذه الظاهرة بأنها ميل « فطري » عند عناقيد المجرات للتكتل في مجموعات تشبه « عناقيد العناقيد أو العناقيد الخارقة » ونحن نراها اشبه بدالية تتدلى منها عناقيد العنب .

ويعتقد بعض العلماء أن المجموعة المحلية تنضوي تحت دالية يقارب قطرها ٧٥ ضعفا لقطر المجموعة المحليه ، وان عنقود العذراء يقع بالقرب من مركزها ، فقد اطلق عليها اسم الدالية المحلية .

هل يقف الميل الى التكتل في مجموعات أكبر عند هذا الحد ؟ يشير كونان في كتابه « علم الفلك » التي تصور بعض الفلكيين لوجود « تجمعات من الدوالي » .

وربما تكتلات على نطاق أوسع ، لكنه يستدرك قائلا بأن هذه الفرضيات لاتستند الى دليل يصمد أمام التمحيص .

هل هناك تجمعات أكبر من الدوالي ؟ لاندري ، والزمن وحده هو الكفيل بتقديم الاجابة المدعمة بالحجج والبراهين .

لكن الذي نعرفه الآن اننا قد بلغنا المحطة الأخيرة في رحلتنا الخلابة الى حافة الكون ، وهذه تستحق وقفة تليق بجلال الحدود النهائية لكوننا كما نعرفها اليوم .

اتصال لاسلكي مع الفضاء

في عام ١٩٣١ كان المهندس الشاب كارل جانسكي من العاملين في مختبرات شركة « بل تلفون الامريكية » يحاول استخدام بعض الهوائيات

التجريبية في الاتصالات الراديوية (اللاسلكية) بعيدة المدى ، وفجأة اكتشف هذا الشاب اثناء قيامه بهذه التجارب ان هذه الهوائيات كانت تلتقط اشارة راديوية ثابتة قادمة من أحد الاجرام السماوية في الفضاء .

كانت هذه الحادثة من اللحظات الحاسمة في تاريخ علم الفلك ، فقد كانت تلك هي المرة الأولى التي ينجح فيها بشر باكتشاف « اشعاعات غير مرئية » قادمة من الفضاء .

وتجدر الاشارة هنا الى ان جميع معارفنا الكونية كانت قبل اكتشاف جانسكي تعتمد على المراقبة باستخدام الضوء المرئي ، الا أن الضوء المرئي لايمثل الا نزرا يسيرا من مجمل انواع الاشعاعات التي قد تصلنا من الفضاء ، لذا فقد فتح اكتشاف جانسكي الباب على مصراعيه لكشف موجات الراديو ، وموجات الاشعاعات الاخرى غير المرئية التي تصلنا من الاجرام السماوية ، المنتشرة في سائر انحاء الكون ،

وهكذا اصبحنا فجأة غير مضطرين للاكتفاء بالمراقبة البصرية وحدها ، وصرنا قادرين على رؤ ية « السماء الراديوية » ، ومراقبة الكون باستخدام اشاعات تعجز عيوننا العادية عن رؤ يتها .

استغرق الأمر نحو ٢٠ سنة لبدء انتشار المراصد الراديوية ، فقد شهدت الخمسينيات ظهور هذه المراصد في كل من استراليا ، وانكلترا ، وهولندا ، والولايات المتحدة الامريكية . مبدأ الرصد الراديوي مشابه لمبدأ المرقاب (التلسكوب) البصري ؛ فبينما يقوم المرقاب البصري بالتقاط الضوء القمري ، وتركيزه ، فان المرصد الراديوي يقوم بالتقاط موجات الراديو ، وتركيزها ، واليه يعود الفضل في حصول البشر على أول مشهد للسماء الراديوية ، غير المرئية .

بدأ الفلكيون الراديويون بمسح السماء بمراصدهم الجديدة هذه ليتبينوا - والدهشة تعلو وجوههم - ان عددا كبيرا من الاجرام السماوية المألوفة ، ما هي إلا منابع للموجات الراديوية . كانت هذه الموجات تأتي من معظم المجرات ، ومن عدد كبير من السدم ، أو السحب ، لكن بعض هذه الاشعاعات كانت تصدر عن مواقع يوجد فيها أي جرم مرئي ، حتى باستخدام أكبر المراقب البصرية ، وبذلك حصل الفلكيون على مشاهد تتباين فيها السماء المرئية ، عن السماء الراديوية بشكل واضح .

أشباه النجوم :

بحلول عام ١٩٦٠ بدأ الفلكيون الراديويون يركزون اهتمامهم على بعض المنابع الراديوية ، المتميزة ، بعض الشيء ، التي كانت تبدو أشبه برأس الدبوس .

اطلق العلماء على أول منبع راديوي « نقطي » اسم 3C48 وقد اطلقت عليه هذه التسمية لأنه الجرم رقم ٤٨ في قائمة تصنيف كمبريدج الثالث للمنابع الراديوية ، ولم يجد الفلكيون صعوبة تذكر في التحقق من أن موجات الراديو كانت آتية من جرم « شبيه بالنجوم » ، هل يعقل أن يكون شبيها بالنجوم ؟ لم يتمكن العلماء من تصور نجم قادر على اصدار اشعاعات راديوية ذات قوة وغزارة كبيرتين ، بشكل يسمح للمراصد الراديوية المتوفرة في أواخر الخمسينيات ، وبواكير الستينيات بكشفها . ومما زاد الطين بلة ان خطوط الطيف للمنبع الراديوى المذكور كانت غريبة جدا ، ولاتشبه أي شيء معروف قبلها ، واعجزت الجميع عن تحديد هويتها ، وهذا ماحدا ببعض العلماء الى الاعتقاد بأن هذا المنبع الغريب يتكون من مواد كيميائية ، غير معروفة حتى ذلك الحين .

تم اقتراح العديد من النظريات الغريبة ، لكن ايا منها لم ينجح في تقديم تصور مقبول أو تفسير لخطوطه الطفيفة .

وفي بحر السنتين التاليتين تم التعرف على مصدر نقطي عجيب ثان لموجات الراديو . ومرة أخرى كانت موجات الراديو قادمة من جرم شبيه بالنجوم ، اسمه 3C273 لانه المنبع الراديوي رقم ٢٧٣ في تصنيف كمبريدج الثالث ، لكن هذا الجرم له لسان ينبثق من أحد جوانبه . ومرة أخرى لم يتمكن أي عالم من تحديد طبيعة هذا الجرم الغريب أو تفسير خطوط طيفه العجيبة .

نحن نعرف الآن حجر العثرة ، الذي وقف حائلا دون تفسير خطوط الطيف ، لكل من المنبعين الراديويين 3C48 و 3C273. كان الجميع يعتقدون بأن هذه الاجرام ماهي إلا « نجوم قريبة من الأرض » ، لذا لم يخطر ببال احد أن تتعرض خطوط طيفها لازاحة كبيرة ، نحو النهاية الحمراء ، أو النهاية الزرقاء من الطيف .

الكازار :

وأخيرا تم كسر طوق الغموض في ١٩٦٣ م ، ففي معهد كليفورنيا للتقنية لاحظ مارتن شميدت ان ٤ خطوط أساسية من خطوط طيف 3C273 لها نفس الهيئة التي تتمتع بها من ٤ خطوط طيف غاز الهيدروجين ، لكنها توجد في مكان مغاير تماما لموقع خطوط الهيدروجين ضمن ألوان طيف « قوس قزح » .

كان مخطط الهيدروجين مزاحا بكامله بقفزة كبيرة قدرها ١٦ بالمائة ، باتجاه النهاية الحمراء « قوس قزح » ؛ وهذا يعني أن 3C273 ينطلق مبتعدا عن الأرض بسرعة هائلة ، تعادل ١٥ بالمائة من سرعة الضوء .

وخلال أيام معدودات وجد شميدت أن الخطوط الغامضة في طيف المنبع الراديوي 3C48 ما هي الا خطوط مألوفة أيضا ، لكنها عانت من انحراف طيفي ، بلغ ـ هذه المرة ـ ٣٧ بالمائة ؛ وهذا يعني أن 3C48 ينطلق مبتعدا عنا بسرعة تقارب ثلث سرعة الضوء .

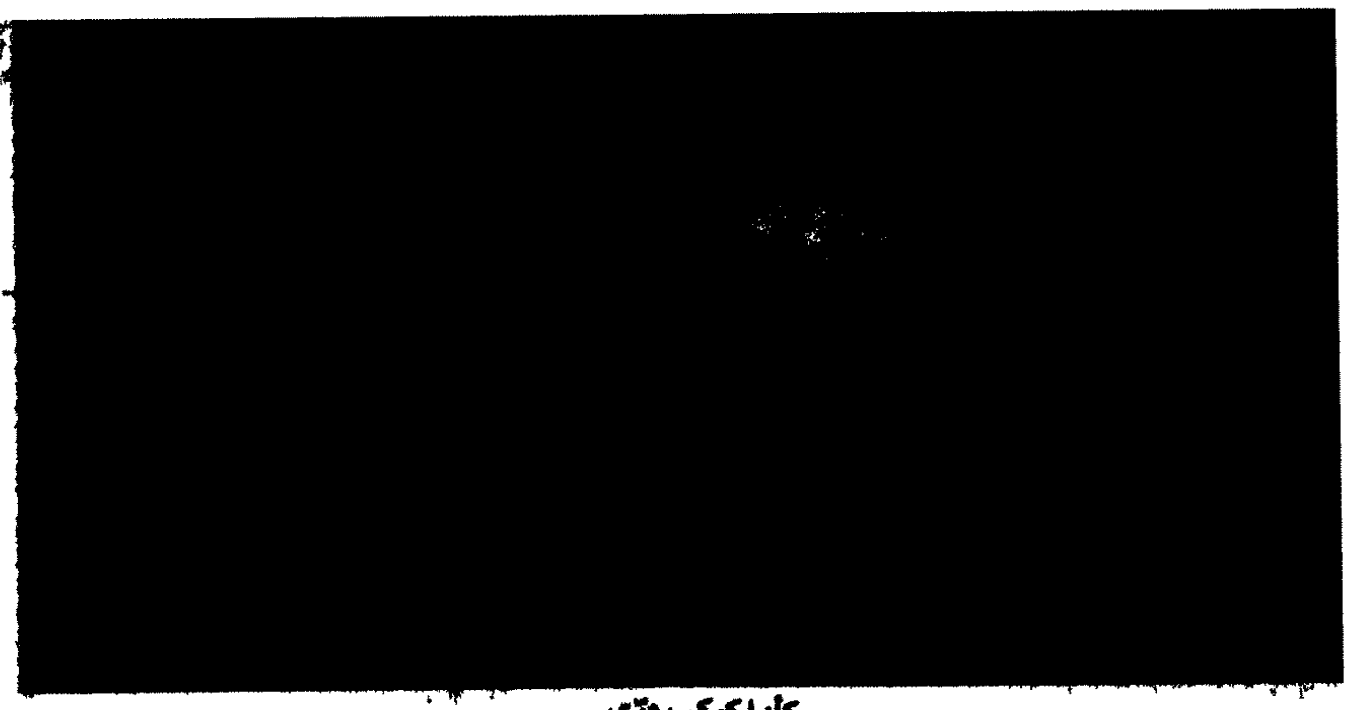
لقد بدا واضحا أن هذه الاجرام يستحيل أن تكون نجوما ، اذ لايعقل أن يتعرض طيف النجوم الاعتيادية لهذه الازاحة الكبيرة نحو النهاية الحمراء ،

ومن ناحية أخرى فقد كان من المؤكد تماما أن مظهرها شبيه بالنجوم ، لذا فقد تم الاتفاق على تسميتها « الاجرام الشبيهة بالنجوم . »

وقد تم اختصار التسمية فيما بعد لتصبح « كازار » .



نماذج من المجرات التي يشاهدها الرحالة الى حدود الكون
مرصد ايفيلسبيرنج الراديوي الالماني المتحرك



كأنها كوكب عزيّ

عرش البريق :

تتابعت الاكتشافات بعدها ليتجاوز عدد الكازارات المكتشفة في سائر انحاء السماء المائة ، تشترك جميعها في بعض الخصائص المميزة ؛ فهي مشابهة للنجوم ، وتتعرض خطوط طيفها « لانحراف » أحمر كبير ، ويعني هذا أنها تنطلق مبتعدة عنا بسرعات هائلة ، وتفصلها عنا مسافات شاسعة الاتساع . وعلى سبيل المثال فان المنبع الراديوي 3C273 يبعد عن الأرض ٣ مليارت سنة ضوئية ، بينما يبعد 3C48 مسافة قدرها ٥مليارات سنة ضوئية .

وعند تطبيق المبادىء نفسها على الخطوط الطيفية للكازار OH471 تبين انه ينطلق بسرعة تقارب ٩٠ بالمائة من سرعة الضوء ، وتفصله عن الارض مسافة هائلة تقارب١٦مليار سنة ضوئية ؛ لذا يعتبر هذا الكازار واحدا من ابعد الاجرام السماوية على الاطلاق .

وعليه فان الكازار هو ابعد الاجرام التي تم التعرف عليها حتى الآن ، ولكن المرء يتساءل هنا : كيف تتمكن مراصدنا الراديوية من كشف الاشعاعات المرسلة الينا عبر هذه المسافات المتباعدة ؟ من الواضح ان الكازار ليس صاحب الرقم القياسي في المسافات فحسب ، بل يتربع كذلك على عرش البريق بين جميع انواع الاجرام السماوية ، ويشير ويليام كوفمان الى ذلك في كتابه « الثقوب السوداء » بقوله : ان الكازار النموذجي يتألق ببريق مماثل لمئات المجرات الاعتيادية . والى هذا البريق القوي جدا يعود الفضل في « رؤية » هذه الاجرام عبر مسافات تكون فيها المجرات متوارية عن الانظار تماما .

نهاية المطاف :

حطت بنا الرحال في المرحلة الأخيرة من رحلتنا في بقعة تمثل حافة الكون المعروف بالنسبة للبشر . لقد قطعنا أثناء رحلة الذهن هذه حوالي ١٦ مليار سنة ضوئية لنكتشف ولو من بعيد ــ اجراماً سماوية شديدة الغرابة ، لاترضى بالحلول الوسط ؛ فهي صاحبة الرقم القياسي للمسافات ، وتتصدر قائمة السرعة ، وتتربع على عرش البريق والتألق .

وبينما نقوم بأعداد العدة للرحيل ، وقبل البدء بكلمات الوداع ، يهتف باسماعنا صوت الكازار متسائلا : هل تعرفون طبيعة مولد الطاقة العملاق الذي يجعلنا نتألق في سماء أرضكم الى حد يجعلنا أشد الاجرام بريقا ، رغم احتفاظنا بالرقم القياسي للمسافات ؟

نقبل الدعوة شاكرين متفائلين بالتعرف على هذا المولد الغريب الذي يؤهل الكازار للتربع على عرش البريق . □

[illegible] في غذاء الأسنان ... [illegible]
[illegible] الكربوهيدرات و
[illegible] الفيتامينات ،

[illegible] ما يحتاج اليه من هذه العناصر
[illegible] ، وتعتبر الكربوهيدرات
[illegible] مصدراً رئيسياً للطاقة ، يليها الدهون ثم
[illegible] ، كما أن الغذاء يمد الجسم بالمواد اللازمة
لبناء الجسم وصيانته ، وتشمل البروتين والماء
والأملاح المعدنية ، كما أن من وظائف الغذاء أنه يمد
الجسم بما يلزمه من مواد لتنظيم العمليات الحيوية
وصيانته ، ويدخل في هذه المجموعات الفيتامينات
والأملاح المعدنية ، والماء والأحماض الدهنية
الأساسية ، والبروتينات. والأسنان تعتبر احدى أجزاء
الجسم التي من أهم وظائفها أنها تقوم بتقطيع ومضغ
الغذاء ، وذلك حتى يسهل امتصاصه وتمثيله
والاستفادة منه ، بالاضافة الى أن الأسنان تضفي
طبيعة جمالية من حيث لونها وشكلها وتنظيمها على
الفم ، وذلك في حالة العناية من كل الأوجه الغذائية
والصحية .

وجهاز الأسنان هو أحد الأجهزة العظمية الذي
يدخل في تكوينه بعض العناصر الغذائية ، ولذلك
كانت التغذية السليمة والصحيحة ضرورة مهمة
لتكوين أسنان سليمة منذ نشأتها الأولى . .

عناصر تركيب الاسنان

ومن العناصر الغذائية الداخلة في تركيب
الأسنان :-

أولا : الكالسيوم والفوسفور : يعتبر الكالسيوم
والفوسفور من أهم مكونات الأسنان ، اذ يوجد ٩٩٪
من الكالسيوم في الهيكل العظمي والأسنان وتتكون
الأسنان مما نسبته ٦٠ - ٧٠٪ من مواد عضوية ،

تترسب على شبكة من مواد بروتينية ، وهي أساس
مادة الكولاجين (بروتين حيواني) ، وملح الأسنان
الرئيسي هو الابتايت ، وهو ملح مزدوج من
فوسفات الكالسيوم وكربونات الكالسيوم ، كما توجد
كميات صغيرة من عنصر الصوديوم والمغنسيوم ،
و[illegible] والبوتاسيوم والزنك ، كما تحتوي على
المعادن الأخرى .

وطبقة الأنامل للأسنان هي الطبقة الخارجية من
السن ، وتحتوي على ٠,٩٩٪ مواد عضوية ، وطبقة
الدنتين وهي أسفل الطبقة الخارجية ، وتحتوي على
٨٧٪ مواد عضوية ، أما مادة الاسمنت فتحتوي على
٧٠٪ مادة عضوية ، وتحتوي طبقة الأنامل على ٣٦٪
كالسيوم ، ١٧٪ فوسفور ، أما طبقة الدنتين فتحتوى
على ٢٧٪ كالسيوم و١٣٪ فوسفور ، ويوجد تبادل
مستمر للمعادن بين الأنامل واللعاب ، ولا يوجد
للسن قدرة على تجديد انسجته اذا تلفت بالتسوس أو
الكسر ، والمادة العضوية الموجودة في طبقة الأنامل
عبارة عن بروتين من مادة الكيراتين ، أما بروتين
الدانتين فهو عبارة عن كولاجين .

امتصاص أغذية

ويلاحظ أن نمو الأسنان وصيانتها ليس فقط
قصراً على ميتابلزم الكالسيوم والفوسفور ، بل
يدخل فيها عوامل اخرى منها فيتامين (أ) (A)
المغنسيوم والمنجنيز ، وفيتامين (ج) (C) ، والأخير
لازم لتكوين المادة الغروية التي تعمل كمادة لاحمة بين
الخلايا ، وأيضا فيتامين (د) (D) ، ويتميز عنصر
الكالسيوم بأنه صعب في الامتصاص ، وعادة يكون
امتصاصه في الجسم غير كامل ، وتختلف درجة
الامتصاص بين الافراد ، وهي تتراوح بين (٢٠ -
٣٠٪) ويحتاج امتصاص الكالسيوم الى جلوكوز
واكسيجين أو مصدر للطاقة ، ويزيد امتصاص
الكالسيوم بزيادة احتياج الفرد له ، ولذا يزيد
امتصاص الكالسيوم أثناء فترات النمو ، وتصل نسبة
الامتصاص في الأطفال الرضع الى (٥٠ - ٧٠٪) ،
والمعروف أن أنسب نسبة من الكالسيوم والفوسفور في
الوجبة الغذائية تكون ١ : ١ ، (وتعرف بنسبة فو /
كا) وهي التي تؤدي الى أحسن درجة امتصاص ،

ولذا كانت هذه النسبة مهمة في حالة الأسابيع الأولى
من حياة الطفل ، وعموما يجب أن تكون نسبة
الكالسيوم الى الفوسفور (١ : ١,٥) في البالغين ،
و(١ : ١) في الأطفال ، وأثناء الحمل والرضاعة ،
ومن العوامل التي تعمل على زيادة تمثيل الكالسيوم في
الجسم فيتامين (د) (D) ، كما أن تناول سكر



● الفسفور له أهميته للاسنان ويوجد في كثير من الأغذية النباتية والحيوانية

اللاكتوز (سكر اللبن) له تأثير واضح على زيادة درجة امتصاص الكالسيوم ، نظرا لتكوينه حامض اللاكتيك ، أما الظروف التي تعوق امتصاص الكالسيوم فهي ارتفاع نسبة الاكسالات وخصوصا الحرة منها ، وأيضا مركبات حامض الفيتيك ، التي تكثر في بعض الأغذية النباتية ، وهذه المركبات تكون ما يعرف بأكسالات أو فيتات الكالسيوم ، وهي أملاح غير قابلة للذوبان في الماء ، ولا يستفيد منها الجسم ، ومن الأغذية الغنية بالاكسالات السبانخ ، والكاكاو ، ومن مركبات الفيتات القشور الخارجية لبعض الحبوب (النخالة) .

ويحتوي دم الانسان في الحالات الطبيعية على كالسيوم بنسبة ١٠ ملليجراماات / ١٠٠ مل دم ، ويحافظ على هذا المستوى بالرغم من اختلاف دخل الأفراد من الكالسيوم ، ويساعد هرمون الغدة فوق الدرقية على نقل الكالسيوم وتحريكه من الدم الى العظام والعكس .

ويعتبر اللبن ومنتجاته أحسن المصادر الغذائية لعنصر الكالسيوم ، كما أن الخضراوات الورقية مصدر جيد له عدا السبانخ ، أما الفوسفور فيمتص في القناة الهضمية بنسبة ٧٠٪ ، ويتم ذلك في صورة فوسفور حر ، ويحتاج الفوسفور الى نفس العوامل اللازمة لامتصاص تمثيل الكالسيوم ، ويوجد الفوسفور غير العضوي في الدم بنسبة ((٢ - ٢,٥) ملليجرام / ١٠٠ جم) ، كما يوجد الفوسفور في كثير من الأغذية ، مثل اللحم والدواجن والأسماك والبيض واللبن والحبوب ، أما الخضراوات والفواكه فهي فقيرة الفوسفور .

حماية الاسنان من التسوس

ثانيا : الفلور : توجد آثار من هذا العنصر في انسجة الجسم المختلفة ، وخصوصا العظام والأسنان ، ولاشك أن آثار هذا المعدن تقوم بحماية الأسنان من التسوس ، والمصدر الأساسي للفلور ماء الشرب ، ويمتص الفلور بسرعة في الدم ويذهب معظمه الى العظام ، كما يترسب في الأسنان ، وتنظم [illegible]

[illegible] جزء واحد في المليون يقلل [illegible] يترسب الفلور على [illegible] النامية للأطفال ، مما يزيد [illegible] ويعمل على تقويتها ، ويقلل من [illegible] ، كما أن الفلور يمنع نمو وتكاثر البكتيريا المنتجة للحموضة ، ولا يترسب الفلور على أسنان البالغين المكتملة النمو ، فلا منفعة اذن من شربهم ماء به فلور ، والدول المتقدمة تقوم بإضافة الفلور الى ماء الشرب ، كما تؤدي زيادة الفلور في الماء عن ٣ ـ ٥ أجزاء في المليون (P . P . M) الى حالة تعرف بتبقع الأسنان ، وهو ظهور بقع بيضاء جيرية على أنامل الأسنان ، وتفقد السن لمعانها ، وتصبح خشنة ، ثم يلي ذلك ظهور بقع صفراء أو بنية أو سوداء ، يصاحبها تكون حفر ، وقد تتأثر كل الأسنان ، الا أن هذه الحالة تظهر بوضوح على قواطع الفك العلوي .

والماء العذب لايحتوي على الفلور ، بينما يحتوي الماء العسر (على ١٠ أجزاء في المليون ، أما الأغذية فقليل منها يحتوى على كميات ضئيلة لا تتعدى جزءاً في المليون ، باستثناء الأسماك البحرية ، حيث تحتوي على كميات تتراوح بين ٥ ـ ١٠ أجزاء في المليون .

ثالثا : الفيتامينات :

أ ـ فيتامين (ج) (C) أو حامض الأسكوربيك ، هذا الفيتامين سهل الذوبان في الماء ، وهو لازم لبناء وصيانة الكولاجين ، وهو المادة الغروية اللاحمة بين جميع الخلايا ، بما في ذلك الأسنان والعظام ، ونقص هذا الفيتامين يؤدي الى ضعف جدر الأوعية الشعرية ، نتيجة لنقص المواد اللاحمة بين الخلايا ، وبتطور الحالة تتورم اللثة وتصبح شبه اسفنجية ، فلا يكتمل بناء الاسنان وتنظيمها ، وفي الحالات الشديدة يزيد ورم اللثة وتتقرح وتختفي الاسنان تحتها ، كما يشمل سقوط الاسنان ، وتعتبر الخضراوات والفواكه الطازجة من المصادر الرئيسية لهذا الفيتامين في غذاء الاسنان ، مثل الموالح والجوافة والطماطم ، ومن المصادر الجيدة الخضراوات الورقية والفلفل الأخضر .

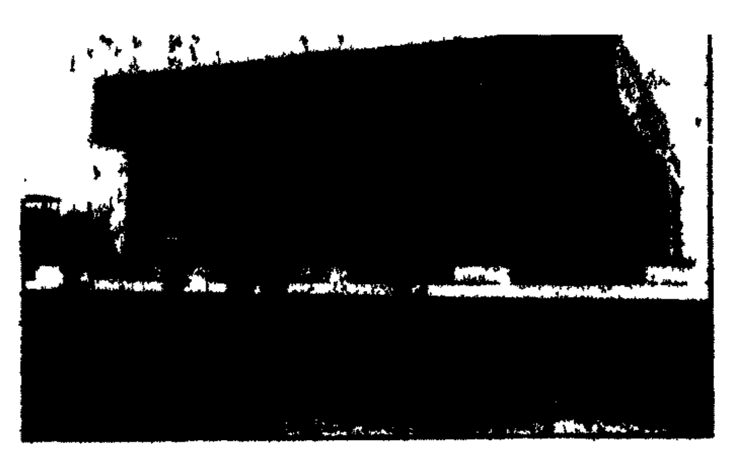
ويتناوله ١٠ ملليجرام يوميا من هذا الفيتامين كافية لحفظ الشخص البالغ في صحة جيدة ، ولكن ينصح بتناول ٥٠ مل من عصير البرتقال ، أو ٥٠ جراماً من خضر ورقية ، وهي كافية لمد الفرد بما يحتاجه يومياً من هذا الفيتامين ، وللمحافظة على ظهور أسنان سليمة للأطفال يجب العناية بالأطفال الرضع ، بإعطائهم عصير الفواكه ، حيث أن لبن الأم يحتوي على ٤ ـ ٨ ملليجرامات/ ١٠٠ جم ، واللبن البقري يحتوي على ٢ ملليجرام / ١٠٠ جم فقط .

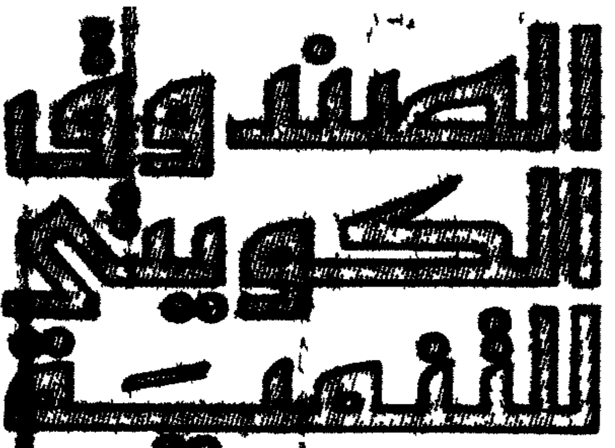
ب ـ فيتامين د (D) : هذا الفيتامين من الفيتامينات التي تذوب في الدهون ، ويعمل على زيادة امتصاص الكالسيوم والفوسفور ، مما يساعد على الاستفادة منها في عمليات الترسب في كل من العظام والأسنان ، وانخفاض مستوى الكالسيوم والفوسفور في الدم قد يؤدي الى تشوه عظام الفك والأسنان ، وضعف الانامل للأسنان ، كما ان الدراسات أثبتت أن هذا الفيتامين يساعد في تحويل الفوسفور العضوي الى فوسفور غير عضوي لازم للعظام والأسنان ، ويتم ذلك بواسطة انزيم يعرف باسم الفوسفاتيز القاعدي ، كما يؤدي نقص هذا الفيتامين حتى لو كان الغذاء به ما يكفي من الكالسيوم والفوسفور الى تأخر ظهور الأسنان .

وفيتامين د (D) ليس منتشرا على نطاق واسع في الطبيعة ، وأحسن مصدر له هو زيت السمك ، وخصوصا زيت كبد الحوت ، كما يوجد في اللبن وصفار البيض ، ولكن بكميات صغيرة في المادتين الأخيرتين .

ويحصل الانسان على هذا الفيتامين عند تعرضه لأشعة الشمس فوق البنفسجية ، ولهذا يجب تشجيع الأفراد على التعرض لأشعة الشمس ، وخصوصا الأطفال ، لتكوين هذا الفيتامين ، اذ يوجد هذا الفيتامين والذي يسمى (7dehydrocholesterol) ويوجد في الأنسجة الحيوانية ، مثل الطبقة الدهنية الموجودة تحت الجلد .

وينبغي تناول ١٠ ميكروجرامات من هذا الفيتامين يوميا منذ الميلاد حتى العام السابع ، وكذا الحوامل والمرضعات ، ويعتبر ملائما لمنع وتلافي مشاكل أو تأخر ظهور الأسنان ، وذلك اذا تم اعطاء الطفل ٥ مل من زيت كبد الحوت ، فإن هذه الكمية تمد الطفل بالمطلوب من هذا الفيتامين . □





ربع قرن من العطاء والنماء

« عقب الاستقلال مباشرة أنشيء الصندوق الكويتي للتنمية ، ليكون بمثابة اليد التي تمتد من حضن الخليج حتى شاطىء المحيط ، تدعم كل العرب ، ايمانا من الكويت بأن ازدهارها جزء من ازدهار الوطن العربي . »

في الأيام الأخيرة من شهر ديسمبر عام ١٩٦١ م صدر مرسوم أميري يعلن فيه أمير دولة الكويت انشاء « الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية » ، بهدف تقديم الدعم والمعونة والقروض الميسرة للبلاد العربية الشقيقة ، لتمويل مشروعاتها ، وتحدد للصندوق مبلغ ٥٠ مليون دينار كويتي كرأس مال

ويعد اعلان انشاء هذا الصندوق اشهار ميلاد لأول مؤسسة من مؤسسات الدعم الثنائي في العالم الثالث ، فحتى ذلك التاريخ لم يكن في العالم مؤسسة إنمائية مستقلة تقدم الدعم للدول من داخل بلدان العالم الثالث ، فقد كان الأمر حتى ذلك الحين مقصورا على دول الشمال والغرب .

الكويت بلاد العرب :

في ذلك الوقت لم يكن قد مر على استقلال الكويت سوى شهور قليلة ، ولم تكن ميزانية الدولة تتكون من أرقام كبيرة ، فقد كانت لاتتجاوز ٢٠٠ مليون دينار ، ولم يكن سعر النفط قد قفز ، فسعر البرميل في ذلك الحين كان يتراوح بين (١,٥ - ١,٧ دولار) ، الا أن كل هذا لم يمثل عقبات تمنع قيام الصندوق الذي شكلت ميزانيته الأولى ربع ميزانية الكويت فقد كان الهدف الاساسي من قيامه توثيق العلاقات العربية ، ايمانا بفكرة مازالت قائمة الى اليوم [illegible] الكويت العربية يكتمل ويسمو بازدهار [illegible] علاقاتها العربية ، أي [illegible] « الكويت بلاد العرب » [illegible]

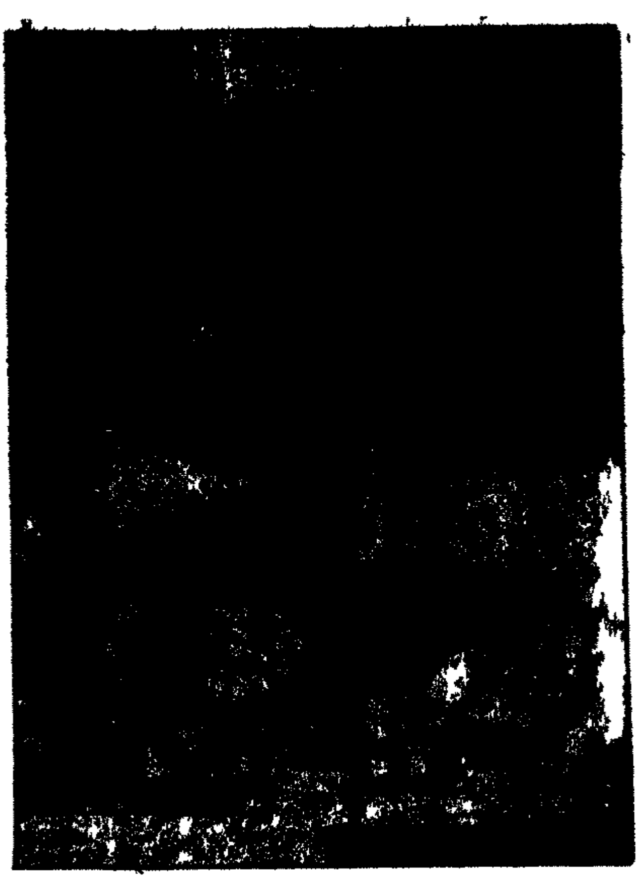
الكويت ، ولذلك جاء الاعلان عن انشاء هذا الصندوق عشية الاستقلال والدولة مازالت في طور تكوينها وانشاء مؤسساتها ترجمة حقيقية على أرض الواقع للشعار المرفوع .

وبدأ الصندوق يباشر أعماله ، فبعد قيامه بثلاثة أشهر فقط وقع أول اتفاقية في تاريخه في يوم ٢٥ مارس عام ١٩٦٢ مع السودان الشقيق ، لتقديم مبلغ سبعة ملايين دينار كويتي لتمويل مشروع السكك الحديدية ، وبدأت مسيرة الصندوق الطويلة المثمرة .

ومنذ اليوم الأول لعمل الصندوق وضعت له سياسة عامة تتلخص في « اننا نعمل بعيدا عن الهموم والاعتبارات السياسية ، فغرض الصندوق هو تقديم الدعم والمساعدة غير المشروطة ، لتحقيق انجازات لها أولوية في خطط التنمية العربية » ومن أجل تحقيق هذا الهدف فان سياسة عمل الصندوق منذ اليوم الأول لانشائه كانت تركز على تقديم المشورة الفنية غير الملزمة للدول طالبة المساعدة ، مع اعداد دراسات استطلاعية للمشروعات ، واعداد دراسات الجدوى ، وتوفير الخدمات الفنية والاستشارية ، وتقديم القروض بشروط ميسرة بعد ذلك ، فسعر الفائدة يتحدد حسب طبيعة المشروع ومدته وقيمة القرض ، ويتراوح بين ٠٫٥ الى ٥٪ ، ومدد القروض تتراوح بين ١٥ ـ ٤٠ سنة ، بفترة سماح من ٣ ـ ١٠ سنوات . ليس هذا فقط بل لقد حرص الصندوق في جميع المشروعات التي قام بتمويلها على أن تعطي الأولوية لمشروعات البنية التحتية وهي عصب أي محاولة للتنمية أو حتى أي محاولة للنهوض الاقتصادي ، فتركز تمويل الصندوق لذلك على مشروعات الطرق والجسور ووسائل الاتصال من موانيء ، وسكك حديد ، وهواتف ، وبرق ، ومطارات ، بالاضافة الى مشروعات مياه الري ، ومشروعات الزراعة . وهذه القطاعات لاتدر عائدا ماديا منظورا في المدى القصير ، بالاضافة الى أنها مشروعات ذات تكلفة عالية ، وبدونها لا يمكن القيام بمشروعات تطوير الاقتصاد والرعاية الاجتماعية .

للعرب وللعالم :

تميز نشاط الصندوق منذ تأسيسه حتى الآن بمرحلتين متكاملتين لبعضهما هما : ـ



* بدر الحميضي مدير عام الصندوق

* المرحلة الأولى : التي اقتصرت فيها عمليات الصندوق على مساعدة الدول العربية ، وتمتد منذ انشاء الصندوق حتى يوليو ١٩٧٤ ، قدم خلالها الصندوق ٤٧ قرضا بقيمة اجمالية قدرها ١٥٨ مليون دينار كويتي ، استفادت منها ١٢ دولة عربية ، وتركزت قروض الصندوق في قطاعات النقل والمواصلات والزراعة والكهرباء والصناعة .

* المرحلة الثانية تبدأ من أغسطس ١٩٧٤ ، أي عقب صدور قرار توسيع نشاط الصندوق ليشمل كل دول العالم ، وفي هذه المرحلة امتد نشاطه ليشمل تمويل المشروعات والبرامج الانمائية في افريقيا وآسيا ومحيط الباسفيك ، وتمت في هذه المرحلة زيادة رأس مال الصندوق الى ٢٠٠٠ مليون دينار كويتي . وقد شهدت هذه المرحلة التي مازالت ممتدة حتى الوقت الراهن ، تقديم الصندوق لقروض بلغ عددها ٢٥٥ قرضا قيمتها الاجمالية حوالي ١٤٣٦ مليون دينار

كويتي ، كان نصيب الدول العربية منها مائة وثلاثة قروض قيمتها ٥٤٢ مليون دينار تقريبا ، أي بنسبة ٤٤,٢ بالمائة من اجمالي القروض ، وكان نصيب الدول الآسيوية ٦٧ قرضا بقيمة ٤١٨ مليون دينار ، أي ما يعادل ٣٤٪ والدول الأخرى ثمانية قروض تبلغ قيمتها حوالي ١٥ مليون دينار كويتي .

وهكذا استطاع الصندوق منذ تأسيسه حتى نهاية العام المالي الماضي في أواخر يونيو ١٩٨٦ من عقد (٣٠٢) اتفاقية قرض ، موزعة على ٦٣ دولة نامية ، منها ١٦ دولة عربية استفادت بـ ١٥٠ قرضا ، قيمتها الاجمالية ٦٧٠ مليون دينار ، أي بنسبة ٥٠ بالمائة من اجمالي القروض ، كما بلغ عدد الدول غير العربية المستفيدة حتى الآن ٤٧ دولة ، منها ٢٨ دولة أفريقية ، و ١٥ دولة آسيوية ، وأربع دول أخرى ، وقد حصلت الدول غير العربية على ١٥٢ قرضا ، بلغت قيمتها حوالي ٦٨٥ مليون دينار تقريبا . وعلى مستوى القطاعات نجد أن عمليات الصندوق اتجهت الى تمويل العديد من مشروعات البنية الأساسية ، فكان لقطاع النقل والمواصلات النصيب الأكبر اد حظى بسة ٣٠,١٪ من احمالي القروض (حوالي ٤١٧ مليون د . ك) ، وحظي قطاع الكهرباء بسة ٢٦,٦٪ من احمالي القروض (٣٦٨ مليون د . ك تقريبا) ، ثم قطاع الزراعة الذي بلغت بسبة قروضه ٢٠,٨٪ من احمالي القروض (٢٨٩ مليون د . ك تقريبا) ، ثم قطاع الصناعة الذي بلغت قروضه ٢٤٦ مليون دينار ، بنسبة ١٧,٨٪ من احمالي القروض .

وبالاضافة الى دور الصندوق في تقديم القروض امتد نشاطه ليشمل تقديم المعونة الفنية التي تهدف الى زيادة القدرة الاستيعابية للدول المستفيدة ، وتدريب (الكوادر) الفنية واعداد دراسات الجدوى الفنية والاقتصادية ، كما امتد دوره ليشمل مساندة الدول العربية في تعبئة الموارد الأجنبية ، ومساعدتها في التفاوض مع الممولين ، والمستشارين ، والمقاولين العالميين ، في الجوانب المتعلقة بتمويل تلك المشروعات وتنفيذها .

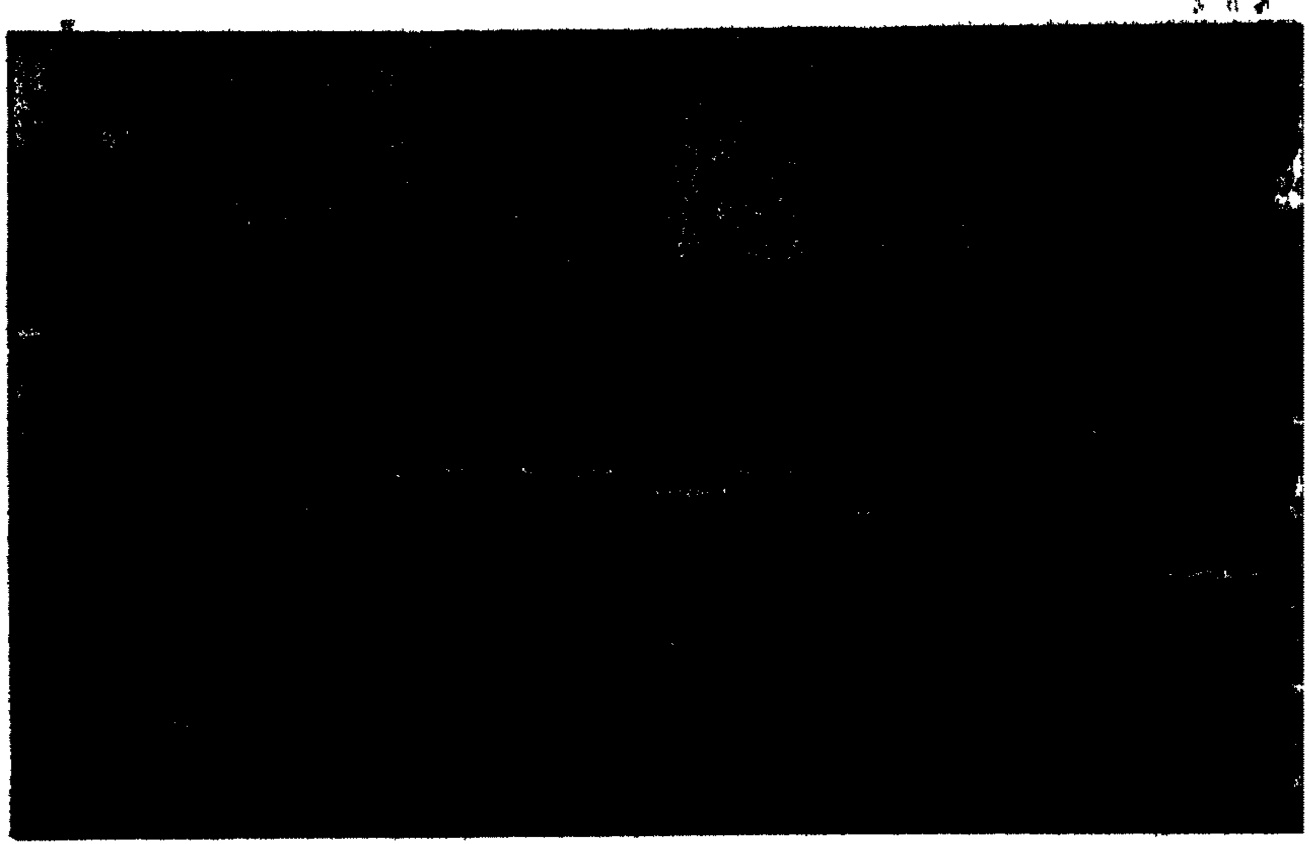
ولم يتوقف دور الصندوق على تقديم القروض والمعونات الفنية ، بل عهد اليه القيام بالمساهمات نيابة عن الكويت في عدد من المؤسسات الانمائية من أصل رأس ماله ، وبلغ [illegible] في هذا المجال مبلغ [illegible] نصيب الكويت على [illegible] من الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي ، والمؤسسة العربية لضمان الاستثمار ، والبنك الأفريقي للتنمية ، والصندوق الأفريقي للتنمية ، والمصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا .

جزء من هذا العالم :

واليوم قد يتساءل بعضهم لماذا تحتفي الكويت بالصندوق ، ولم يمر ربع قرن على تأسيسه ، أهل لأنه صاحب فضل الريادة والسبق ، وان السبعينات فقط قد شهدت مولد مؤسسات بعضها ثنائي في البلدان العربية غيره ، وبعد أن مضت عشر سنوات على تأسيسه ؟ كلا ، ليس هذا فقط ! أم لأن بحجم قروض الصندوق عددا وتمويلا تتفوق قروض ومساعدات المؤسسات المشابهة ، كلا ، ليس هذا فقط أيضا ! أم هل تحتفي به الكويت لأنه يضع أولوية التمويل لمشروعات التنمية ، ويقدم المساعدة غير المشروطة ، ويحاول دفع عجلة التنمية في بلدان العالم الثالث ؟

في تقديرنا أن هذا أقرب لهدف الاحتفاء ، لأن واقع الأمر يقول ان العالم يعيش أزمة اقتصادية شديدة ، ودول العالم الثالث خاصة تواجه أزمات حادة خانقة ، ومجرد محاولة دفع العالم الثالث نحو التماسك ومواجهة أزماته أمر يستحق الاحتفاء ، ويستحق أن يبقى بيننا نقطة ضوء تضيء للمستقبل فالعالم الآن ينقسم الى شمال غني وجنوب فقير ، في الشمال الغني ربع سكان العالم يفوزون بأربعة أخماس دخل العالم ، وفي الجنوب الفقير الذي ننتمي اليه حيما يعيش ثلاثة أرباع السكان ، ويتقاسمون خمس دخل العالم فقط .

وفي الشمال متوسط العمر يقارب سبعين [illegible] ، أما في الجنوب فيموت طفل بين كل أربعة أطفال قبل سن الخامسة ، وفي الجنوب هناك ٤٠٪ من [illegible] لاشيء يشغلهم سوى محاولة [illegible] على [illegible] والوفاء بحاجاتهم الأساسية ، وفي الجنوب [illegible] لأفضل التقديرات أنه سيكون هناك ٤٠٠ [illegible] انسان يعيشون في حالة فقر مطلق بعد ثلاثة عشر [illegible]



● مشروع شاشيكو الكهرومائي في الصين الشعبية ، احد اسهامات الصندوق في تمويل مشروعات البنية الاساسية .

نقط ، أي في عام ٢٠٠٠ ، مطلع القرن الحادي والعشرين . وفي الشمال تتركز ٩٠٪ من المنشآت الصناعية التحويلية ، وأغلب حقوق الاختراع ، وفنون الانتاج الجديدة ، والشركات المتعددة الجنسية التي تملك الجزء الأعظم من النشاط الاستثماري في العالم ، وتتحكم في التجارة الدولية ، سواء في المواد الأولية أو في المنتجات المصنعة .

ورغم اختلاف ملامح الأزمة في دول الجنوب يتباين حدتها من الموت جوعا ، الى خلل الهياكل الاقتصادية ، الى الديون ، الا أن هذه الدول جميعها تشترك في ملامح عامة لازمتها وهي مستوى الدخل المنخفض ، وقلة فرص عمل ، وسوء حال الخدمات الأساسية (اسكان ، وصحة ، وتعليم ، ومواصلات) وقلة الاستثمارات ، وواردات تفوق قدرة التصدير . وفي قول مجمل ان بلدان العالم تعاني من مشكلة تنمية حقيقية . فلقد كانت تراكمات التاريخ جزءاً أساسياً من مشكلة الجنوب التي يعيشها اليوم ، بدءا من كل قصص الوحشية والاستعباد التي مارسها الغازي المستعمر ، وانتهاء بما يحدث في التاريخ الحديث وبخاصة بعد الحرب العظمى الثانية ، عندما بدأ العالم يعيد النظر في بقاء المستعمرات ، وفي نفس الوقت يحرص على تأمين تبعية ملائمة من دول الجنوب تضمن استمرار تدفق الموارد الأولية الى الشمال ، وتدفق السلع المصنعة من الشمال الى الجنوب ، فالجنوب هو منبع المواد الخام ، وهو السوق المتعطشة لسلع الشمال الكثيرة العدد .

لم تكن دول الغرب راغبة بشكل حقيقي في تحسين أحوال دول الجنوب ، ومايردده بعضهم عن ضرورة اسهام الدول الصناعية المتقدمة في دعم ومعاونة الدول النامية للخروج من أزمتها ماهو الا دعوة مشكوك فيها ، لأن تقدم البلدان النامية وتطورها ونموها يعتبر في المحصلة النهائية غير متوافق مع مصالح البلدان المتقدمة . ولعل خير دليل على صحة هذه الرؤية هو الدور السلبي للبنك الدولي للانشاء والتعمير ، وصندوق النقد الدولي ، في مساعدة دول العالم الثالث ، فرغم أن هاتين المؤسستين قد قامتا



• مشروع سد متالى على نهر السنغال . تمويل وخبرة فنية من الصندوق لمحاربة الجفاف

ـورهما كاملا لاعـادة تعمير أوروبـا واليابـان عقب لحرب العالمية الثانية ، فان دورهما تجاه العالم الثالث ـديد السلبية ، ولعله أصبح معروفا للجميع مشكلة ـامل دول العالم الثالث مع صندوق النقد الدولي ، لصندوق الـدولي بوصفـه يملك صلاحيـات دولية ـنوية تتمثل في منح القروض أو الايعاز الى بيوت ـال العالمية بالاقراض أو الامتناع عن الاقـراض ، ـيجة هذه الصلاحيات فان الصندوق يشـترط قيام ـدول المتلقية للقروض باجراء تعديلات أساسية في ـياستها الاقتصادية ، وبينما يقول بعضهم ان هـذا تدخل هو املاء شروط ، وان مـساعدات الصندوق ـدولي مساعدات مشروطة ، فان الصندوق يقول ان ـذه الشروط هي وجهـة نظرنـا لاصـلاح النـظام ـلاقتصادي في هذه الدول ، لكي تتمكن بعد ذلك ـن الوفاء بقـروضها وبـين وجهتي النظر يتبـين أن ـصانع المؤسسات العالمية تغفل خصوصية وظروف ـعالم الثالث اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ولذلك فان ـثيرا من الاقتصاديين يعتبرون مؤسسـات الـدعم

الثنائي التي نشأت في البلدان العربية هي خير سند لدول العالم الثالث ، ومن أجل مواجهة أطول ومن أجـل السعي الى الخروج من عنق زجـاجـة الأزمـة الخانقة .

تطوير الأداء في المستقبل :

تـولى ادارة الصنـدوق ـ منـذ تـأسيسـه ـ أربع شخصيات اقتصادية ، مشهود لها بالكفاءة والعلم ، فقد كان عبد العزيز البحر أول مدير لـه ، ثم عبد اللطيف الحمـد ، ثم فيصل الخـالد ، وأخيرا بدر الحميضي مدير عام الصندوق الحالي . وللصندوق مجلس ادارة يـرسـم سياسته ، ويوجهها ، ويرأس مجلس ادارة الصنـدوق سمـو ولي العهد شخصيا بموجب مرسوم تأسيس الصندوق .

وأمـام بـدر الحميضي ، مـدير عام الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية ، التقينا بتساؤلاتنا عن أداء الصندوق في المستقبل .

• [illegible]



وكان يتحول تحت الأظافر ...
فيذكر أشواقه
وبلادا تلاحقه ... زاحف
ويمضي وحيدا ... يجوب الحقول
ويجمع عنه ظلال الأساطير
ينثرها في ليالي القمر .
تظل البنات الصغيرات اذا ... رأين
القريب الكبير من الشرفات ...
يلوحن بأجنحتهن ... ويركضن ... بحلم
وبلاد سعيدة .
وفي الصبح يدنو من الفقراء ... اليتامى –
– الأرامل – مثل الندى في الوجوه .
يحن الذي يطلب العون ...
يجلس كالنبع فوق الطريق ،
يداعب في الطرقات الصغار ،
ويجمع في مقلتيه النهار ، يوزعه في الظلام ... على البائسين .
ينام اذا ما النعاس أقام له مهجعه
ويصحو اذا الطير بشر بالفجر .



بقلم : فهمي هويدي

عالم الاسلامي

من قيادة التاريخ إلى حقائق الجغرافيا!

ربما كانت احدى أهم مشكلات العالم الاسلامي المعاصر، أنه بمثابة جسم كبير بغير رأس، أو قل انه جسم متعدد الرؤوس، الأمر الذي رتب عدة نتائج، أهمها أن الهم الاسلامي العام لم يعد مسئولية أحد بذاته، أو جهة بذاتها، وانما بات موزع المسئولية بين عدة جهات بغير حصر، تختلف بينها معايير الحساب، كما تختلف زاوية الرؤية.

وربما سارع البعض الى التحفظ والاستنتاج، متسائلا أولا عن مدلول عنوان العالم الاسلامي، ثم مستفسرا عن ماهية «الرأس الواحد»، وهل هي اشارة محملة بأية أبعاد سياسية أم لا؟ أو بصراحة أكثر، هل هي دعوة الى تبني فكرة الخلافة التي ينادي بها البعض ويرون فيها ملاذا وحلا؟

ولكي نحسم الأمر من البداية، فاني أقول ان تعبير العالم الاسلامي المعاصر ليس محملا بأكثر من عنصرين أساسيين، أولا أنه حقيقة جغرافية لا تنكر، ثانيا: أن الكيانات الموزعة على تلك الرقعة الجغرافية الشاسعة تربط بينها رابطة الدين، والتراث الفكري وربما التلاحم التاريخي.

ويدخل في اطار العالم الاسلامي الذي نعنيه الأقليات أو «الجاليات» المسلمة التي تعيش في مجتمعات غير اسلامية، وأعدادها بالملايين في دول آسيا خاصة، مثل الهند والاتحاد السوفيتي والصين، غير مئات الألوف من المسلمين الذين نزحوا الى أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية.

واذا كان من الطبيعي أن تصنف الدول التي يمثل المسلمون فيها أغلبية السكان باعتبارها اسلامية، الا أننا لا نجد غضاضة في ضم الأقليات الاسلامية - نظريا على الأقل - الى عالم الاسلام، ليس فقط لأن تلك الأقليات قد تضم ملايين البشر الذين يصعب تجاهلهم، ولكن أيضا لأننا نجد وجاهة في الرأي الفقهي الذي يرى بأن دار الاسلام تستوعب كل مكان يستشعر المسلمون فيه الأمن والأمان، وان لم تطبق فيه شريعة الاسلام، باعتبار أنه اذا أقيمت الشعائر الاسلامية أو غالبها، كانت البلاد دار اسلام، حتى ولو تغلب عليها حاكم كافر (العلاقات الدولية في الاسلام - د وهبه الزحيلي).

من ناحية أخرى، فان الذي ندعو اليه ليس له علاقة بالخلافة من قريب أو بعيد، واذا كان من الطبيعي أن تكون هموم المسلمين من شواغل خلافة المسلمين، الا أنها لابد وأن تحتل مكانها الطبيعي لدى أي حكم رشيد، فضلا عن أية من الأخطاء

الشائعة بين المسلمين أن « الخلافة » هي صورة الحكم الاسلامي الوحيد ، والواقع أن لفظ الخلافة أو الامامة الذي أصبح علما على نظام الحكم في الدولة الاسلامية ، لا يعني في مدلوله السياسي أو الدستوري ، أكثر من تنظيم رئاسة الدولة الاسلامية تنظيما يشمل اختيار الرئيس وتقرير حقوقه وواجباته ، على نحو يشير الى محاولة اتباع المثل الأعلى للدولة الاسلامية اذا لا خلاف على أنه ليس في الشريعة الاسلامية نظام حكم معين محدد التفاصيل - لا في اسمه ولا في رسمه ، وانما جاءت الشريعة في هذا المجال بالقواعد العامة فحسب (د . محمد سليم العوا - النظام السياسي الاسلامي) .

●●

أسهم في الذي نشكو منه أن الاسلام لم يعرف المؤسسة الدينية ، أو الرأس الدِّيني ، التي عرفتها أوروبا ، وعانت من سلطانها كثيرا ، ليس فقط من جراء سوء استخدام ذلك السلطان ، ولكن ايضا من الاصرار على الانفراد به، وهو ما تمثل في دعوة البابا جريجوري السابع (القرن الحادي عشر الميلادي) الى اعتبار سلطة القساوسة هي السلطة الشرعية الوحيدة في العالم ، لا سيما أسقف روما ، باعتباره نائب المسيح في الأرض ، مما كان طبيعيا في ظله أن يصطدم البابا بامبراطور المانيا ، الذي كان أقوى حاكم في أوروبا آنذاك . وقد رجحت كفة الكنيسة في ذلك الصراع ، لكن هذا الوضع لم يستمر ، اذ ظهرت الملكية في انجلترا وفرنسا في أواخر القرن الثالث عشر ومطلع الرابع عشر ، وبدأت تنافس سلطة الكنيسة ، وظلت تلك العلاقة موضع شد وجذب ، حتى انتهى الأمر بتحالف الملكية والبابوية ، في غرب أوروبا وفرنسا بوجه أخص ، مما خلق وضعا لا يقل سوءا ، حسمته الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر ، التي قضت على ما تبقى للكنيسة من سلطة . لكن السلطة ذهبت وبقي الرأس ، اختفى الدور السياسي المباشر للكنيسة والبابوية ، ولكن قيادتها الروحية ظلت قائمة ، ساعد على ذلك أن التعاليم المسيحية تحتمل هذا الفصل بين الأدوار ، (الروحية أو العبادية - والسياسية) ، من حيث انها تعترف بوجود سلطتين ، سلطة الله وسلطة قيصر ، وذلك في الجواب المشهور للسيد المسيح الى الفريسيين عليه السلام ردا على السؤال الذي وجهه اليه اليهود حول ولاء السياسي (انجيل متى : ٢٢ : ٢١) .

اختلف الامر على الجانب الاسلامي ، فلأن تعاليم الدين جاءت شاملة لحياة المسلم كلها ، بحيث تداخلت فيها العناصر العبادية والسلوكية والعملية ، فقد باتت سلطة الحكم الشرعية محملة بالبعدين معا ، الديني والدنيوي ، ان جاز التعبير حتى فكر الماوردي (المتوفى سنة ٤٥٠ هـ) في « الاحكام السلطانية » الامامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا » . واذا أضفنا الى ذلك أن الاسلام لم يعرف فئة تسمى رجال الدين ، موظفة لأداء هذا الدور ، حيث لا رهبانية في الاسلام ، بنص الحديث النبوي ، فقد اختفت فكرة المؤسسة الدينية تماما من الواقع الاسلامي ، ولئن عرف التاريخ الاسلامي فقهاء في العلوم الشرعية ، الا أن الأجيال المبكرة من هؤلاء الفقهاء كانوا أهل صنعة وحرفة . فقد عمل الامام ابو حنيفة خزازا ، واشتغل الامام مالك بالتجارة ، وعمل أحمد بن حنبل في استنساخ الكتب ، الى جانب ذلك ، فان سجل فقهاء المسلمين حافل بألقاب مثل الخصاف الذي كان يعيش من خصف النعال ، والكرابيسي الذي كان يبيع الكرابيس أو الثياب الخام ، والقفال الذي كان يعيش من صناعة الأقفال ، والجصاص من العمل في الجص ، والصفار الذي كان يعمل في بيع الأواني.. . هؤلاء جميعا كانوا أعلاما في الفقه ، ولهم نتاجهم الجليل ، لكنهم كانوا فقهاء و صناعا ، ولم يكونوا رجال دين بالمعنى الشائع ، لاحقا ظهرت أجيال تفرغت للعلم وعاشت منه ، وكان انصرافهم الى العلم الديني مماثلا لانصراف آخرين لمختلف فروع العلم الدنيوي ، لكن ذلك لم يفتح الباب أيضا لا لظهور طبقة رجال الدين ، ولا لقيام المؤسسة الدينية .

وعندما تضعضعت الخلافة الاسلامية برز دور الفقهاء كحراس الدين والملة ، وكحملة لهموم الأمة ، فكان لابن تيمية دوره في مواجهة التتار ، وللعز بن عبدالسلام دوره في مواجهة طغيان المماليك ، وكان لشيوخ الأزهر [illegible] الحملة الفرنسية الفرنسيين ، ثم لمعه أسماء مثل محمد بن عبدالوهاب



والمهدي والسنوسي وعبدالقادر الجزائري الى الافغاني ومحمد عبده ، لكن هؤلاء جميعا كانوا أفرادا أو في أحسن الفروض تيارات فكرية تلعب أدوارا في مناطق مختلفة من العالم الاسلامي ، بصيغ تتفاوت بين التربية والمقاومة بالكلمة والرأي ، او بالتمرد والثورة المسلحة .

عبر أنه في وقت مبكر ، بدأت تتبلور ألقاب لبعض الرموز الاسلامية ، التي كانت قائمة ، خارج دائرة السلطة فقد لقب الامام مالك (امام دار الهجرة) . وعرف الجويني بامام الحرمين ، ومن ناحية أخرى فقد أطلق لقب « قاضي القضاة » على أكبر القضاة منصبا ، وكان أبو يوسف ، صاحب أبي حنيفة هو أول من منح هذا اللقب في عهد الخليفة هارون الرشيد ، وعرف لقب « شيخ الاسلام » وكان أول من حمل هذا اللقب عبدالله الانصاري الهروى المتوفى سنة ٤٨١هـ - كما أطلق شيخ التابعين على سعيد بن المسيب ، وعلى الحسن البصري

وفي ظل الدولة العثمانية اصبح شيخ الاسلام أحد مناصب الدولة الرسمية ، وكان يقصد به المفتي ، واعتبر شيخ الأزهر شيخا للاسلام ، اذ كان يتولى قيادة تلك المؤسسة العلمية الكبرى ، فضلا عن انه كان يتولى مسئولية الافتاء . . وكان اختياره يتم بالانتخاب ، وقد بدأ هذا المنصب رسميا في سنة ١١٠١ هجرية منذ ثلاثة قرون تقريبا ، وكان أول من تولاه الفقيه المالكي محمد عبدالله الخراشي ، وقد وصفه الجبرتي المؤرخ المصري الشهير - بانه (الامام العلامة والحبر الفهامة وشيخ الاسلام والمسلمين ، وارث علم سيد المرسلين) ، ومنذ ذلك الحين ، والى الآن ، تولى مشيخة الأزهر ٤٢ فقيها ، أغلبيتهم الساحقة مصريون ، باستثناء الشيخ حسن العطار المغربي الأصل ، والشيخ محمد الخضر حسين من مواليد مدينة نفطة في تونس .

طوال هذه الرحلة ، كانت المتغيرات تترى على خارطة العالم الاسلامي ، كانت « مملكة الاسلام حرسها الله تعالى » - والتعبير للمقدسي في أحسن التقاسيم » - قد صارت ممالك عدة موزعة بين آسيا وافريقيا ، بل متصارعة في بعض الأحيان (مثل الذي حدث بين الصفويين والعثمانيين) - ولم يعد للأمة الاسلامية امام واحد ، بينما كان الماوردي يعارض ذلك ، اذ قال انه لا يجوز للأمة امامان في وقت واحد وإن شذ قوم فجوزوه) - وتحدر بالغ لم يمانع الجويني - امام الحرمين - في ذلك اذ أجاز تعدد الأئمة لضرورات جغرافية قاصرة (اذا بعد المدى وتخلل بين الامامين شسوع النوى » - واعتبر ذلك أمرا سائدا على القاعده

ثم يخطر على بال أمثال أولئك الفقهاء المبكرين امكانية انقسام عالم الاسلام الى أكثر من بلدين ، يحكمهما امامان اثنان . وهو الأمر الذي تحقق عندما قامت الدولة العباسية ، بينما استمرت الخلافة الأموية في الاندلس . لكن المفتت حدث على الرغم من الجميع ، بل حدث ما هو أسوأ منه ، اذ تحول عالم الاسلام من دور القائد الى دور التابع « المحتل ، بعدما استجمع العالم الغربي قواه ، وبدأ بتصفية حساباته مع دولة الاسلام ، التي أسقطت القسطنطينية ، ودقت جيوشها أبواب فرنسا والنمسا ، فمنذ بدايات القرن السادس عشر ، انتقل المغرب - ممثلا في اسبانيا والبرتغال وفرنسا ، ثم انجلترا لاحقا - من الدفاع والهرب الى الهجوم والتطويق ، وبدأ الغزو الاستعماري من الباب الخلفي للاسلام - الأشد عجزا وضعفا - فسقطت جزر الهند الشرقية (اندونيسيا) في القرن السابع عشر ، وضاعت الهند ما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وكذلك الملايو ، ومع القرن التاسع عشر جاء دور الباب الأمامي للاسلام في الوطن العربي فسقطت الجزائر وتونس ومصر والسودان وبمضي الوقت ، وحتى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م) كان العالم الاسلامي كله خاضعا للاستعمار العالمي ، باستثناء اليمن وقلب الجزيرة العربية

وفي ظل مرحلة الهزيمة ، شهد العالم الاسلامي ، والوطن العربي منه بوجه أخص ، تغيرا في بنيته العقلية والثقافية ، أسهمت في صنعه عناصر عديدة ،

السلطة الاستعمارية من ناحية ، والحكام المتغربون من ناحية أخرى (محمد علي باشا ـ رضا شاه ـ مصطفى كمال أتاتورك) ـ وشرائح المثقفين الذين نهلوا معارفهم وتشكلت عقولهم في الجامعات الغربية ـ ثم الطبقات التي استفادت وتعلقت مصالحها بالوجود الاستعماري أو بالمؤسسات الغربية .

أسهم ذلك كله في تخلي أكثر دول العالم الاسلامي عن الشريعة ، وأخذها بالنظم الغربية . وكان لسلطة الاحتلال الانجليزي دورها الحاسم في هذا الصدد ، في الهند ثم مصر بوجه أخص .

انفرط العقد في أكثر من اتجاه ، وعاشت الأمة الاسلامية مرحلة من الانحسار والتردي لم تشهدها في تاريخها ، وعندما أطل القرن العشرون كان كل ما تبقى من دولة الاسلام دعوات تتردد بين الحين والآخر ، تطالب بالابقاء على « الجامعة الاسلامية » ـ التي كانت الدولة العثمانية رمزا لها ، وأصوات فتية تدعو الى التمرد والثورة من أجل تحقيق الوحدة الاسلامية (جمال الدين الافغاني) ، وأخرى تطالب بالوحدة العربية الاسلامية (عبدالرحمن الكواكبي) .

وصارت العلائق بين ممالك الاسلام واهية وفي أضعف حالاتها ، إذ لم يتبق من تلك العلائق غير علة العقيدة ومشاعر التعاطف او التضامن بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وانتهى الأمر بأن بات موسم الحج هو المظهر الوحيد لاجتماع المسلمين ووحدتهم ، التي انفرطت وبادت .

●●

وفي ظل تنامي الاهتمام بالوطنية ، والقومية ، الذي تواري مع ضعف المؤسسات والرموز الاسلامية ـ والأزهر في مقدمتها ـ كان طبيعيا أن يكون الهم الاسلامي العام على رأس ضحايا تلك المرحلة ، وكان الذين دفعوا الثمن غاليا من جراء ذلك هم « مسلموا الأطراف » في اسيا وافريقيا ، الى جانب الأقليات الاسلامية المتناثرة في مختلف أنحاء العالم من الصين الى جنوب أفريقيا مرورا بالبلقان .

وعلى الرغم من رحيل الاستعمار ، فان تلك الاطراف التي بدأ منها الغزو ، تواجه الآن حملات مكثفة للتنشير ، هي أوضح ما تكون في أندونيسيا والفلبين وشرق افريقيا وغربها ، ومن أسف أن عمليات التبشير باتت تشكل خطرا حقيقيا ، يكاد يهدد بتغيير الخريطة العقيدية لهذه المناطق ، وهو أمر ينبغي الا تستغربه بعدما بات أحد طرفي المعادلة يعمل مدعوما بأموال الكنيسة ومخططاتها وجيوش مبشريها ، بينما الطرف الآخر الاسلامي إما ملتزم الصمت والترقب ، أو متململ ومتحرك حركة محدودة وبطيئة .

نعم ، هناك حركة نشطة لبعض المراكز الاسلامية ، في العالم الغربي ، وهناك انتشار مهم وملحوظ للاسلام بين السود في الولايات المتحدة الأمريكية ، وهناك تحول مرصود من الهندوكية الى الاسلام في الهند . وهناك مول للاسلام بين قبائل غرب افريقيا ، لكن ذلك كله ليس ثمرة جهد مخطط ومدروس ، لكنه يكاد يكون أقرب الى « المصادفات السعيدة » التي تضاف بالمجان الى أرصدة أعداد المسلمين .

ورغم أن الضمير المسلم لابد أن يستشعر قلقا ازاء عمليات التبشير الموجهة ، الى العالم الاسلامي ، الا اننا نحسب أن قائمة الهموم الاسلامية المعاصرة تتصدرها قضيتان أساسيتان هما : انتهاك حقوق الانسان في العالم الاسلامي ، وخطر الفرقة المذهبية متمثل في محاولات الدس والوقيعة بين السنة و الشيعة بالأخص بعد الثورة الايرانية .

ورغم جسامة كل من الخطرين ، وما يشكله كل منهما من تهديد لا يخفى اثره ، فاننا لا نكاد نجد جهة معينة تهتم بأي منهما ، حتى كاد اليأس يدب في نفوس كثيرين ، ولم يعد أمامهم الا أن يبثوا همهم ويشكونه الى الله ! □

■ قد يبدو يسيرا أن تعيش في قمقم أنانيتك ، لكن من العسير أن تسعد بذلك إذا كنت إنسانا حقا .

نجيب محفوظ .



بقلم/ د . عبد المقصود عبد الكريم *

يمينا . . يمينا

هو الثأر يقسم لن أرجئه

سأقتل منهم ، بما استعبدوني

سأقتل منهم مئه

وأقتل أقتل منهم مئه

(سميح القاسم - انتقام الشنفرى)

الشنفرى ، أمير شعراء الصعاليك، وبطل أسطورة الثأر العربية ، وصاحب « لامية العرب » هو ثابت بن أوس الأزدي الملقب بالشنفرى ، والشنفرى اسمه وقيل لقب له ، ومعناه العظيم الشفة ، وهو ابن أخت تأبط شرا ، وكان أحد الثلاثة العدائين ، كما ورد في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، ويقول صاحب القاموس المحيط : الشنفيرة بالكسر نشاط الناقة وحدتها كالشنفارة بالكسر ، والرجل السيىء الخلق ، والشنفرى الأزدي شاعر عداء ، ومنه أعدى من الشنفرى ، والشنفار الخفيف ، ولأن الشنفرى ما كان أميرا على غير مملكة الشعر لم يعرف تاريخ مولده، ولكنه مات - على الارجح - في أوائل القرن السادس الميلادي ، وقد نشأ أسيرا ، وقضى حياته شريدا ، وصعلوكا

* طبيب الأمراض النفسية بمستشفى المطرية التعليمي بالقاهرة - شاعر له دراسات في عدد من المجلات الثقافية وصاحب ديوان«لا أزدحم بالممالك».

ا بين رفاقه من الصعاليك (تأبط شرا ، عروة بن الـورد ، السليـك بـين السلكـة ، عمـرو بن بـراقـة . . .) الـذين يشكلون عـلامـة بـارزة لهـا خصوصيتها وتفردها في تاريخ الشعر العربي ، وقـد فرضوا سلطانهم على تاريخ الشعر ، بفضل تميزهم كظاهرة فنية فريدة ، وكان الشنفرى عداء يضرب به المثل في العدو ، ولصا له مكانته بين اللصوص ، وله رهبته ، وقد عـاش معتصما بـالجبال ، دائما يغير ، ودائما يأوي الى الجبـل ، وحين يكـون اللص على شاكلة الشنفرى أو عروة بن الورد أو تأبط شرا ، فلا بد ان نستبعد النفور عن نفوسنا ، وعلينا أن نتوقع ان في الأمر خطأ ، ولكن ما هي طبيعة هدا الخطأ ؟ أولا : علينا ان نستبعد خطأ الرواية ، فكل المصادر التـاريخية تجمـع على ذلـك ، وليس الخطأ يكمن في شخصيات هؤلاء الشعراء ، أي أن يكونوا من ذوي الشخصية المرضية أو السيكوباثية ، لأنه من الصعب ـ على الرغم من كل المحاولات التي بذلت لربط الفن بالجنون ـ أن يجود المرض أو الخلل في الشخصية عما يمكن أن نعتبره أول جماعـة شعريـة لها سمـات فنية متميزة في تاريخ الأدب العربي . ثانيا : اذا كان لابد من خطأ يجعل الشعراء العباقرة لصوصا ، فمرده الى الشكل الاجتماعي ، بالجزيرة العربية في ذلك الـوقت وهوالذي دفـع بهؤلاء الشعـراء الى التمـرد والخروج على المجتمع ، في أول حركة تمرد جماعي يـرويها تـاريخ الأدب العـربي ، قـام بهـا عـدد من الشعـراء ، وهـل يمكن أن يكـون اللص العبقـري الموهوب غير متمرد ضد مجتمع يضيق به ؟ ان تمرد الصـعاليـك كـان في الوقت نفسـه ، يحمـل دعـوة اجتماعية صامتة ، عبرت عنها أشعارهم في تصوير حياة الجوع والنقمة على الأغنيـاء الذين نصبـوا جدارا بينهم وبين صراخ المتألمين ، لقد بادر الصعلوك بنبذ حياة القبيلة قبـل أن تنبذه ، ورفض الخضـوع لتقاليد لم يشرعها ، وفي الوقت ذاته شـرع تقاليـده الخاصة وقيمه التي تحمل في كثير من الأحيان روح الفروسية والبطولة في أعظم صورها ، ويتجلى الأمر عند الشنفرى اذ يعلن تمرده وخروجه على بني أمه في صـدر « لامية العـرب » حيث يعلن الشاعـر رحيله بعيدا عن الأهل ، منطلقا الى الجبال ، حيث يعيش أصدقاؤه من الصعاليك ووحوش البرية الذين يميل



اليهم ، ويشعر بالألفة بينهم اكثر مما يشعر بها بين أهل قبيلته :

« أقيموا ، بني أمي ، صدور مطيكم
فـاني الى قـوم سـواكم ، لأمْيَـلُ »

رؤية الشعراء المحدثين للشَنْفَرىٰ

« لا تصالح على الدم . . حق بدم !
لا تصالح ! ولو قيل رأس برأس
أكل الرؤوس سواء ؟ !
أقلب الغريب كقلب أخيك ؟ ؟ !
أعيناه عينا أخيك ؟ !
وهل تتساوي يد . . سيفها كـان لك
بـيـد سـيـفـهـا أثـكـلـك ؟ »
(أمل دنقل)

في القصيـدة « انتقام الشنفـرى » يحاول سميح القـاسم صيـاغـة لقسم الثأر العـربي على لسـان

الشنفرى ، وفي قصيدة أمل دنقل « لا تصالح » يلح أمل على مواصلة الكفاح ضد العدو ، من خلال عشر وصايا ، مرتكزا على وصية « كليب » التي كتبها بدمه إلى أخيه الأمير الزير سالم ، لم نكن في أي وقت عبر تاريخنا الطويل في حاجة الى صياغة أسطورة للثأر ترمز للبطولة العربية بقدر حاجتنا الآن ، وهذا ما تؤكده نشرات الأخبار كل يوم ، فكل شيء ينهار على أيدي أعدائنا ، والسيوف العربية تصدأ وتنهل من الدم العربي ، والشنفرى ـ الشاعر الصعلوك ـ نموذج فريد لمحاولة كهذه . « امتشقوا أقلامكم الذهبية ودونوا في معكراتكم : ٩٩ قتيلا حصاد غضبي وانتقامي !

اقتحمت خنادق الديسكو المحصنة بالضياع والقنابل العنقودية . . . ٩٩ هولة بما يتمتمون وما استعبدتموني . . فلتنتظرني السنابلَ . . . الأطفال ، الهوايات والأزهار ، هناك على صخرة الزمن اللزج بدماء الشهداء والضحايا المساكين (سميح القاسم ـ نتقام الشنفرى) ان الطريق الحقيقية الى رغيف الخبز لابد ان تمر بصحراء موحشة من الثأر والدم « انها الحرب ! قد تثقل القلب لكن خلفك عار العرب » (أمل دنقل) . والثأر ليس عطشا للدم ، لكنه عطش للحياة ، عطش للبيت والأطفال غير المشوهين بالقنابل العنقودية ، عطش لرغيف الخبز وجرعة الماء ، وعطش لتوديع الذل على أمل عدم اللقاء مرة ثانية .

« كم تساوي حرية الانسان ؟ » من غير المنطقي ان يسأل المرء سؤالا كهذا ، فهذا يفترض سلفا ، ان الحرية يمكن أن تتساوى بشيء آخر ، أو انها مسألة تقبل المساومة ، وهو ليس صحيحا « هي أشياء لا تشترى » كما يقول أمل دنقل ، ولكن ، من الممكن صياغة السؤال على النحو التالي : اذا سلبت حرية الانسان ظلما وعدوانا ، كيف يكون الثأر ؟ كيف ينتقم الانسان لحريته ؟ وهل يجوز مساومة أعداء الحرية على الصلح ؟ ويري الشنفرى ان الانتقام المناسب لحرية الفرد يتمثل في قتل مئة من الأعداء ، قد يكون الثأر خبرة اجتماعية ، لكنه على مستوى الانتقام من اعداء الحرية أعداء الوطن (أو أعداء القبيلة في المجتمع الجاهلي) شكل من أشكال الكفاح المشروع ، وضرورة حتمية فرضتها الخبرة التاريخية في العلاقات بين الشعوب ، حيث يمثل الصلح شكلا استسلاميا ينزلق بكرامة الانسان الى الدرك الأسفل من الحضيض ، ويهدد مستقبله ، حيث ان عدو الحرية يبقى عدو الحرية ، وتبقى التضحية بالحياة هي

الحياة الوحيدة « فالدم ـ الان ـ صار وساما وشارة ـ لا تصالح ،ولو توّجوك بتاج الامارة » ، تبدأ اسطورة الشنفرى عندما يأسر بنو سلامان طفلا صغيرا اسمه ثابت بن أوس ، فرض عليه الأعداء حياة العبودية ، وتحكي الكتب أن الشنفرى ، حين جرت في عروقه دماء الرجولة ، تحرك قلبه تجاه احدى بنات الرجل الذي كان يعيش في كنفه ، ووقع في حبها ، وحرك العشق في قلب الشنفرى نوازع الحرية ، وتغلب الشنفرى ـ داخله ـ على الفارق الاجتماعي المصطنع بينه وبين محبوبته ، فاتجه اليها يصارحها ، ولما كانت نزعات الاستبداد والتسلط تتملكها ، فقد اعتبرت تصريحه لها بالحب إهانة ، وقيل انها صفعته فاشتعلت الأسطورة ، وكانت النتيجة مئة قتيل من أهلها ، حين أفاق الشنفرى اكتشف حزينه ، واعتصم بالجبل ، وأقسم على الانتقام :

« هو الثأر يُقسم لن أرجئهْ\
بمن يتمون وما شردوني وما استعبدوني\
سأقتل منهم مئة »

(سميح القاسم ـ انتقام الشنفرى)

لقد أقسم الشنفرى أن ينتقم من بني سلامان ، وأن يقتل منهم مئة ، ونفذ الشنفرى قسم الانتقام ، وأخذ يثأر من أعدائه حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلا ، ثم احتال عليه بنو سلامان فأمسكه عداء منهم هو أسيد بن جابر وقتله ، ومر بجثته رجل منهم فرفس جمجمته ، فدخلت شظية منها برجله فمات واصبح القتلى مئة ، وبرت الجمجمة بقسم الشنفرى ليتمم صفحات أسطورة الثأر ، لقد عاش الشنفرى حينا بين زملائه الصعاليك ، ومنفردا حينا ، ودائما في الجبال والصحاري، وكان يغزو تارة على قدميه ، وعلى فرسه تارة أخرى ، ودائما ينتقم لحريته ، وفي ديوان « جهات الروح » يوجز لنا سميح القاسم حياة الشنفرى : « الشنفرى ـ أغنى الشعراء الصعاليك

وأجمل أغربة العرب قاطبة ، تقاذفه بنو شبابة وبنو سلامان بالاستغلال والاستعباد ، حين حاول ممارسة حقه الانساني في الحب ، صكت وجهه الفتاة السلامية ، ولم يطل به الوقت لاكتشاف الضرورة في ممارسة العنف ضد مذليه ومستعبديه ، اذا هو شاء استرداد ذاته السليبة ، أقسم أن يقتل منهم مئة بما استعبدوا ، وحين بلغ عدد القتلى ٩٩ أسروه ومثلوا به حيا ، فارتجز قبل الموت ، ولم يتح لهم سبيل الشماتة بيده المقطوعة ، في قمة المأساة ، بلغ قمة الانسانية ، حين أوصى للضبع « أم عامر » بجثته . . واكتمل انتقام الشنفرى حين تعثر أحد مستعبديه بجمجمته ، فسقط وقضى نحبه ، ليكون الكفارة المئة عما لحق بالشنفرى من حيف وعسف.

الشنفرى هو أمير شعراء الصعاليك ، يتقدمهم بمفضل قصيدة (لامية العرب) التي تنطق بلسان البادية الأولى ، وحياة التشرد والعنفوان . ويعتبرها البعض من أفضل نماذج الشعر الجاهلي ، وقد ألف الزمخشري كتابا في شرحها بعنوان « أعجب العجب في شرح لامية العرب » ، وفي القصيدة تبرز حياة الشاعر الصعلوك التي تميزت بالفروسية والسطوة وصداقة الوحوش ، تعبيرا عن اليأس من العدالة في المجتمع الانساني ، وإعلانا للتمرد على التقاليد التي تفرق بين الانسان وأخيه ، ويؤمن الشاعر الصعلوك ان الكريم يستطيع دائما أن ينأى عن ظلم البشر ، ودائما يوجد في العالم متسع لكل من يكافح لتحقيق أهدافه « وهو يعقل » . ويفضل الصعلوك أن يتخذ أهلا وعشيرة من بين الوحوش (الذئب ، والنمر ، والضبع) وفي لغة الشنفرى : سِيْد عملس ، وأرقط زهلول ، وعرفاء جيأل) ، وفي القصيدة يرسم الشنفرى شخصيته زاهيا بقدرته على مواجهة تقلبات الايام وتحديات الطبيعة ، ويصف سرعته في الغزوات .

« وفي الأرض منأى ، للكريم عن الاذى
فيها ، لمن خاف القلى ، متعزَّل
لعمرك ، ما بالأرض ضيق على امرىء
سرى راغبا أو راهبا ، وهو يعقل
ولي دونكم ، أهلون : سيد عملّس
وأرقط زهلول ، وعرفاء جيأل »

والحياة التي اختارها ليست سهلة ، انه يتشرد في البراري ، ويأكل التراب حتى لا يطلب احسانا من أحد

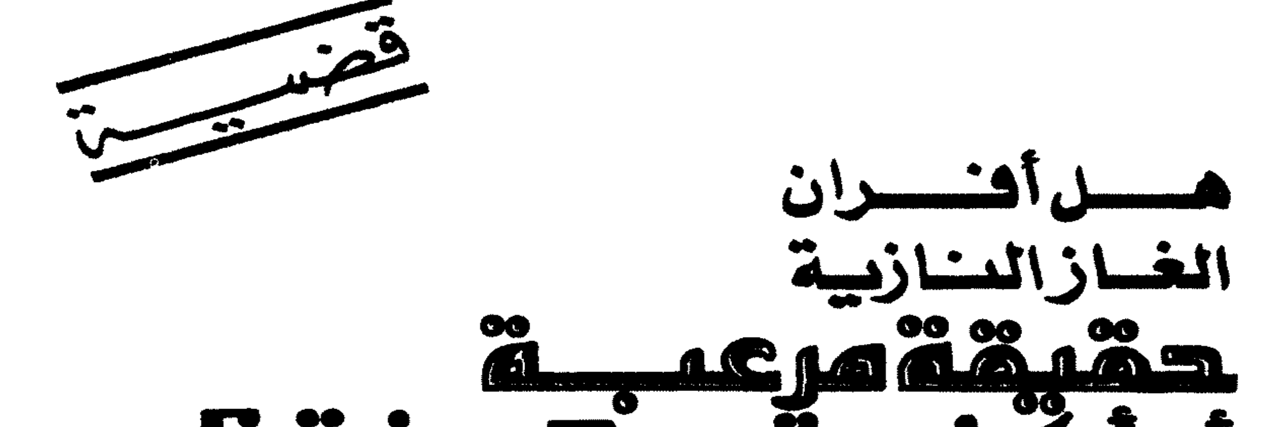
لقد صور الشنفرى حياة الصعاليك ، وقد ارتفع في تصوير هذه الحياة بعبقرية لا تدانيها عبقرية صعلوك آخر ، وتعد لامية العرب من أهم الوثائق الفنية المعبرة عن نموذج المعيشة في الجاهلية ، ويؤكد الشنفرى باستمرار على طبيعة اخلاقيات الصعلوك ككائن متفرد يتمرد على التقاليد الظالمة ، كما يصور أساليب الغزو وأنواع الأسلحة التي يستخدمها الصعلوك ، وهي الفؤاد المشيّع (أي القلب الشجاع) الذي يخوض الشدائد وهو راسخ ، وأبيض إصليت (أي سيف مصقول لامع) وصفراء عيطل (أي قوس صفراء طويل العنق ومتينة) ، وأسلحة الصعلوك تعنيه حين تضيق على الشدائد والاهوال سبل الحياة .

« ثلاثة أصحاب : فؤاد مشيّع
وأبيض إصليت ، وصفراء عيطل
« هتوف من الملس المتون ، يزينها
رصائع قد نيطت اليها ، ومحمل
إذا زل عنها السهم ، حنت كأنها
مُرزّأة ، ثكلى ، ترن وتُعول

يتميز شعر الشنفرى بصياغته التي تكشف عن التوغل في أسرار اللغة ، وعلاقات المفردات وقدرتها على تشكيل الفضاء النفسي المناسب ، « كانت حياة البداوة الأولى أشبه بعالم أسطوري ، وكان الشنفرى واحدا من أبطال هذا العالم . . ولذلك ، فان واقعية الوصف لمظاهر هذا العالم ، قد شمفتها أجواء الأسطورة التي نسجها الشعر الملتهب بأهوال الاقبالة شبه الصوفية ، على عناصر هذا النوع من الوجود الغريب ، فإن حماسة الشنفرى للصحراء والوحوش ، وتطلعه الى الحرية والوحدة ، ومغامراته في سبيل اكفاء نفسه وأصحابه ، كل ذلك صنع طبقة من الفكر والذوق والرقي المعنوي فوق خشونة المظهر المبتذل للسرقة والغزو ، ومعاناة الصعلكة بتفاصيلها التي قد تصدم الوجدان المتخصر (موسوعة الشعر العربي) ، لقد كانت الصياغة الشعرية لاسلوب حياة الصعلوك من العبقرية بحيث ساهمت في تحويل ما يمكن أن يسمى مباذل الصعلكة الى قيم خاصة . □



منتدى العربي



هل أفران الغاز النازية حقيقة مرعبة أم أكذوبة صهيونية ؟

بقلم : منذر الأسعد

من المألوف أن يختلف المؤرخون في رؤيتهم للأحداث الكبرى ، ومن البدهي أن الجدل فيما بينهم يتسم بالمزيد من الحرارة والحدة إذا ما كانت القضية ـ موضوع البحث ـ أقرب إلى عصرهم من سواها ، وقد تكون قدرة المؤرخين على التجرد أوفر إذا كانت القضية بعيدة عن عصرهم .

بيد أن الادعاء بإبادة ستة ملايين يهودي في أفران الغاز النازية إبان الحرب العالمية الثانية تخرق ذلك المبدأ الراسخ ، وتخرج على كل ما هو سائد ومستقر من حقائق التاريخ ، واللوبي الصهيوني الذي يتاجر بقصة أفران الغاز يفرض إرهابا فكريا خطيرا على كل من تسول له أمانته العلمية فتح ملف الأفران المزعومة ، ووضعه تحت مجهر البحث العلمي المحايد أقول «المحايد» لأن الرايخ الثالث اندثر ولم يعد ثمة من يمالئه رغبا أو رهبا ، فإذا ما تخلص المؤرخ في هذه القضية من الارهاب الصهيوني ، لا ريب أنه سيكون متحررا من كل الضواغط الخارجية ، مما يعني أنه سيصدر حكم ضميره هو لاحكم الآخرين بلسانه .

لقد استغل الصهاينة (الأفران) في إقامة كيانهم على أرض فلسطين ، وما زالوا يستثمرونها بمكر شديد في خدمة مصالحهم العدوانية ، وكل من ينتقد الكيان الصهيوني يسلطون على رقبته سيف الاتهام الشهير (اللاسامية) .

بداية اليقظة :

كان في مقدمة المؤرخين الذين تصدوا للارهاب الفكري الصهيوني مؤرخ فرنسي ، اسمه (روبير فوريسون) نجح اللوبي الصهيوني في فصله من عمله بهيئة التدريس في جامعة ليون .

إن مما يثير الريبة في قصة الابادة النازية المزعومة لليهود تناقض الروايات الصهيونية حول عدد الضحايا ، فلقد زعمت الصهيونية العالمية بدءا أن ١٢ مليونا من اليهود الأوروبيين قضوا نحبهم على يد الجيش النازي في معسكرات الاعتقال ، ولما اكتشفت أن أكبر التقديرات لعدد اليهود في أوربا عام ١٩٣٩ (قبل الاجتياح النازي لأوروبا) لا يتعدى ثمانية

ملايين ونصف المليون يهودي أخذت تقلص من مجموع عدد الضحايا إلى ستة ملايين .

إضافة إلى هذه النقطة العظيمة الأهمية ما جعل (فوريسون) نفسه مضطرا إلى ممارسة الشك المنهجي إزاء أسطورة (الأفران) ، بعد أن كان مقتنعا بها ، حينما تبين له أن مئات الألوف من اليهود قد وجدوا في معسكرات الاعتقال النازية وهم على قيد الحياة ، وذلك عقب انتصار جيوش الحلفاء . وكان (فوريسون) على يقين تام بوجود غرف الغاز ، إلى أن اطلع ـ في عام ١٩٦٠ في مجلة (داى تساين) ـ على رسالة بعث بها مدير معهد التاريخ المعاصر في ميونخ ، الدكتور مارتن بروزات ـ أحد المناهضين المعروفين للنازية ـ وقد نفى في رسالته أن يكون قد أعدم أحد بالغاز في الرايخ كله .

ولم يقف فوريسون عند هذا الحد ، بل قرأ كل ما استطاع الحصول عليه عن الحرب العالمية الثانية ، وطالع عشرات المجلدات الضخمة [1] التي تضمنت محاكمات نورمبرغ الشهيرة التي عقدها الحلفاء المنتصرون لمجرمي الحرب النازيين ، ودون أي تهوين من شأن جرائم النازيين يتساءل المؤرخ الفرنسي بحق : (أفلا تستحق جرائم الحلفاء في الحرب أية محاكمات ؟ ونحن نحدد فنقول : هيروشيما على الأقل !!) . ولقد أثارت محاكمات نورمبرغ حفيظة فوريسون ، لا لكونها تمارس العدالة بعين واحدة فحسب ، بل لأن بنية المحكمة كانت من أعجب ما عرفه التاريخ الحديث من محاكم ، فالمادتان ١٩ و ٢١ من قانون تكوين المحكمة تتيحان للقضاة حق الادانة ، دون الاستناد إلى أدلة قطعية ، والاكتفاء بطريقة (يقال .. يحكى .. إلخ) ، وقد لاحظ فوريسون أنه خلال ٣٥ عاما لم يعاقب أحد أمام تلك المحاكم لادلائه بشهادة كاذبة ، مع أن مجلدات المحاكمات تضمنت روايات متناقضة تماما ، بالذات حول غرف الغاز !

بل إن المحاكمات التي عقدت في فرانكفورت بألمانيا وفي شتروتهوف بفرنسا (١٩٦٣ - ١٩٦٥) لم تكلف نفسها عناء البحث عن أدوات الجريمة ، أي غرف الغاز .

وتابع الرجل مسيرته دون وجل ، فاتجه نحو مواقع أفران الغاز ـ بحسب الأسطورة ـ في اوشفتس وميدانيك وشتروتهوف ، وفتش ـ عبثا ـ عن أي معتقل من نزلاء هذه المعتقلات . ويقول إنه شاهد هو شخصيا غرفة غاز واحدة ، ومما أدهشه أن سلطات متحف داخاو ـ متحف أقيم خصيصا لتسجيل جرائم النازية ـ تحتفظ بصورة لغرفة لم يكتمل بناؤها ، ومع ذلك تزعم تلك السلطات أن الصورة لغرفة غاز غير كاملة !

أما اعترافات المتهمين أمام المحاكم المذكورة فإن صحتها موضع شك كبير ، فالاعترافات قد احتوت على معلومات غير معقولة ، مما يجعل احتمال صدورها تحت ضغوط نفسية وجسدية أمرا غير مستبعد . وعلى سبيل المثال فقد عقد فوريسون مقارنة بين اعترافات الجنرال النازي (رودلف هيس) للمحكمة ، وبين ملفات متحف اوشيفتس ببولندا الخاصة بقضية أفران الغاز ، فاتضح له أن قبول تلك المتناقضات يفترض حشد ٢٨٦ إنسانا ـ وقوفا على أرجلهم ـ في مساحة لا تزيد على ٥ م × ٤ م² !

وتتحدث الاعترافات عن تنفيذ الابادة الجماعية في أفران الغاز ، كأنها نزهة ، وإلا فهل يصدق عاقل أن الجنود ـ حسبما ورد في اعترافات هيس ـ كانوا يدخلون إلى الغرف لتنفيذ الاعدام الجماعي وهم يتعاطون التبغ ؟

إن أقل حيطة حتمية يتوجب اتخاذها لحماية المنفذين من الموت ، هي أن يضعوا كمامات محكمة للغاية على أنوفهم ، لا أن يدخنوا !!! فجو الغرف مشبع بحامض السيانيد الرهيب ـ وهو وسيلة الاعدام المفترضة ـ الذي لا يزول أثره الفتاك قبل أقل من ٢٠ ساعة .

ويتساءل فوريسون بمرارة : هل من الأمانة أن تعرض علينا أجهزة تعقيم الثياب بالغاز ، على أنها أفران غازية مهمتها حرق البشر الأحياء جماعيا ؟

---

١ ـ بلغت مجلدات محاكمات نورمبرغ الكبرى ٤٢ مجلدا ، بالاضافة الى ١٥ مجلدا للمحاكمات الأمريكية ، ١٩٠ مجلدا أعدتها جامعة امستردام ، ناهيك عن عشرات المجلدات السوفياتية .

ونقدم مؤرخا – لتصيد خرافة أفران الغاز النازية – عرضا دقيقا لغرف الاعدام بالغاز التي أنشأها الأمريكيون في بلادهم (١٩٣٦ – ١٩٣٨) ، والتي تبيح تنفيذ حكم الاعدام بشخصين على الأكثر ، وسرد التعقيدات والضوابط الشديدة التي وضعها الامريكان ، حرصا على ارواح المعدمين.

وفي ضوء ذلك لو افترضنا ان الألمان كانوا قد صمموا – فعلا – على إعدام ملايين البشر بالغاز ، لتوجب عليهم تأسيس نظام عام – لم نعثر على اي دليل على وجوده – يتضمن تصميمات خاصة وتعليمات دقيقة ، وجهود مهندسين واطباء وكيماويين كانت جبهات القتال بأمس الحاجة اليهم ، وصرف اموال طائلة كان مجهودهم الحربي بحاجة إليها ، ويتوجب عليهم – ايضا – اختيار مواقع ملائمة لمعسكرات الاعتقال ، وعدم السماح للعمال المدنيين بالاختلاط مع المعتقلين ، وعدم منح الجنود العاملين في تلك المواقع اي إجازات ، وعدم إعطاء المعتقلين الذين تنتهي مدة اعتقالهم فرصة للعودة إلى بلدانهم . وقد اماط اللثام عن هذه الحقيقة – بعد سنوات طويلة من تكتم المؤرخين الغربيين عليها – لويس دي يونغ ، مدير معهد تاريخ الحرب العالمية الثانية بامستردام.

لقد كان الألمان يحرصون كل حرص على ان يعمل ، لانهم كانوا في حاجة إلى كسب كل جهد يساعدهم على إحراز النصر في الحرب ، فهل يعقل أن يقتلوا ملايين الايدي العاملة ، ويعطلون القاطرات والعربات عن اداء الاعمال العسكرية ، من أجل تسيير قوافل الذبح المزعومة تلك ؟

ويعطينا فوريسون دليلا اخر على كذب خرافة الافران ، من خلال كتاب تم التقاط صوره (الفوتوغرافية) من الجو ، إذ يكتشف انه حتى عام ١٩٤٤ – حين ارتفعت كثافة اليهود المحتجزين في معسكرات الاعتقال – لم يظهر أي أثر للدخان فوق مواقع المعسكرات ، في الوقت الذي يفترض فيه ان تستمر مداخن المحارق في قذف دخان وهج مطور على بعد بضعة كيلومترات ، وعلى مدى أربع وعشرين ساعة !

وهنالك قرائن اخرى ، منها أن سلطات الاحتلال النازي في شمال فرنسا فرضت على اليهود (من ١/ ٩/ ١٩٤١ إلى يونيو ١٩٤٢) حمل علامة مميزة ، وحددت لهم ساعات معينة يسمح لهم فيها بالتجول ، وذلك من باب الاحتياطات الامنية ، وبتاريخ ٢٤/ ٧/ ١٩٤٢ وجه هتلر تحذيرا علنيا الى اليهود بضرورة مغادرة البلاد الى مدغشقر ، او الى اي بلد اخر لانشاء وطن قومي يهودي ، والا فانه سيعلن مطاردتهم واخضاعهم في كافة انحاء … اساس ، بعد ان تضع الحرب اوزارها ، ولم يكونوا قد غادروا البلاد حتى ذلك التاريخ ، وهذا دليل واضح على كذب … الابادة . فضلا عن انه يؤكد شياع هتلر بخطط الحركة الصهيونية التي كانت تسعى لافراغ اوروبا من اليهود ، شريطة ان يتجهوا الى الوطن القومي المنشود ، وتلك جانب اخر من المؤامرة النازية الصهيونية ، سنتحدث عنه في موضعه.

يتضح لنا من خلال ما سلف ان افران الغاز النازية اكذوبة ، صنعتها الدوائر الصهيونية ، لتحقيق مآربها العدوانية ، ضد امتنا العربية.

كما تبين لنا ان … الروس قدموا في الحرب العالمية الثانية ٢٠ مليون ضحية ، بالاضافة الى ١٠ ملايين من البولنديين ، ليوغسلاف ونسبة … التي اكبر … الحرب العالمية الثانية . فاليهود – إذن – ليسوا الضحايا الوحيدين للحرب ، فضلا عن انهم ليسوا بالملايين كما يزعمون ، ولو سلمنا – جدلا – بصحة دعواهم حول افران الغاز – فان الصهيونية قد شاركت هتلر في جريمته من خلال تحريضه ضدهم ،

ومن خلال التحالف بين الطرفين يؤكد مؤلف كتاب (بريلنكا) انه لو شاء الصهاينة إنقاذ اليهود من بين براثن النازية لفعلوا ، روب بلاو (زوجة اكيحام عمر ام بلاو) ينقل ضد التبرعات الأسطورية التي جمعها أثرياء الصهاينة في العالم للكيان الصهيوني عقب حرب ١٩٦٧ مع العرب ، بينما لزم هؤلاء صمتا مطبقا إبان الاضطهاد النازي □





سقف التجديد بين التطور والتطوير

نشرت « العربي » في العدد ٣٣٣ ـ آب أغسطس ٨٦ قضية هامة للأستاذ شوقي بغدادي ، بعنوان « سقف التجديد » ، يرى فيه أن الحياة تتطور باستمرار ، والتجديد حاصل دون انقطاع ، لكنه يتساءل : ما الأشياء التي تطورت فعلا ، ونشأت معها حالة جديدة حقا ؟ وماذا طرأ على الكائن البشري من تطور حقيقي ، من حيث احتياجاته البيولوجية ، وغرائزه الأصلية ، منذ ثلاثة آلاف عام مثلا ؟ وهو يرى أنه لم يظهر تطور فعال ملموس على نظام الطبيعة في تعاقب الفصول والمد والجزر والعواصف والبرودة والسخونة ، لذلك لا بد من الاعتراف ـ حسب رأيه ـ بأننا لسنا واثقين من حدوث هذا التطور على المدى القريب ، وأن ذلك لن يحدث قبل مرور آلاف السنين ، بل ملايينها .

ومن المصادفة الموفقة التي ستكفينا مؤونة البحث عن أفكار مضادة أن « العربي » نشرت في العدد نفسه مقالا علميا هاما للأستاذ عبد الرحمن حريتاني ، وهو حول « نباتات الأنابيب » والثورة الزراعية القائمة ، والقادمة قريبا ، وبخاصة قضية صهر الخلايا ، وتقديم أنواع جديدة من النبات ، والحديث عن « فاصوليا الشمس » المستنبتة من بذور جديدة ، تم تطويرها بعزل الجينات المصنعة للبروتين في خلايا الفاصوليا ، ثم زرعت تلك الجينات في خلايا نبات « عباد الشمس » .

ويؤكد ذلك المقال أنه خلال عشر سنوات من الآن سيكون في فرنسا أكثر من مليون عرسة نحيل ، وذلك بطريقة تكاثر بل تكثير « ساتات الأنابيب » ، بعد أطفال الأنابيب !

هذا التطوير لا التطور الذي يمارسه الانسان على قوانين الانسات ، والشيفرة الوراثية ، لن يتركه الانسان يستغرق آلاف أو ملايين السنين .

أما على صعيد الطبيعة فإن التلوث قد أصاب الغلاف الجوي لكرتنا الأرضية ، وأحدث فيه تغيرا هاماً في نسب الغازات المكونة له ، وخلق غازات جديدة ، كل ذلك في غضون عقود معدودة من السنين ، لم تبلغ الآلاف ولا الملايين ، وفي الماضي القريب بدأ الايقاع المنتظم للفصول يتغير . فأبحاث الفضاء بارتياده بالمركبات التي تحملها صواريخ إلى خارج نطاق غلافنا الجوي ، واستخدام طائرات أسرع من الصوت ، يؤدي إلى إحداث ثقوب في طبقة « الأوزون » التي تشبه نظارة شمسية ، تلبسها كرتنا الأرضية ، لتقيها شر الأشعة الكونية ، بما فيها أشعة الشمس ، إلا أن هذا الاضطراب الذي يحدث في طبقة « الأزون » يصيب تلك النظارة بثقوب تسمح

عبور كثير من الاشعة الكونية الضارة ، بسبب خطيرة مما يؤدي إلى الاصابة بأمراض سرطانية في الدم والجلد ، لم يعهدها الانسان منذ عقود قليلة من السنين فقط ، وليس منذ آلاف او ملايين السنين

ويؤكد العلماء ان درجة حرارة الأرض سترتفع اربع او خمس درجات قبل نهاية هذا القرن ، بسبب زيادة نسبة غاز ثاني اكسيد الكربون في طبقة الغلاف الجوي ، وذلك نتيجة للتلوث الصناعي ، ثم سيسبب ذوبان احجام كبيرة من ثلوج المناطق المتجمدة ، وزيادة ارتفاع مستوى الماء في المحيطات ،

واختلال التوازن (المناخ) بين السطوح المائية والشواطىء في كثير من البلاد الساحلية ، وزيادة حدوث العواصف ... لعل تذاكرنا إلى ... وسمعنا عن تلك العواصف المدمرة في كثير من الدول ، عبر وسائل الاعلام المختلفة حول نتيجة الانهيار المنتظم للغلاف (راجع مجلة الدوحة ، عدد يوليو ١٩٨٦ م .) ففيه بحث هام للمهندس سعد سعفان

ومناطق القطبين المتجمدة لن يتركها العلماء بين ايدي التطور لآلاف او ملايين السنين ، بل سيخضعونها للتطوير العلمي الذي تحصر اسس في التطور ، فهم يفكرون الآن باستخدام الطاقة الذرية

لتذويب ثلوج القطبين ، وتحويلهما إلى اقاليم دافئة للسكن والاستثمار ، وكذلك الأمر في استخدام الطاقة الذرية للقضاء على اعاصير المحيطين الهادي والاطلنطي ،

والهريكين والأستاذ سوقي يقول ان الانسان عاجز عن التحكم بالعواصف ، لكنه لن يعجز طالما بقي مسخرا العلم لأغراض المنفعة البشرية

وهناك من يفكر الان في تعديل درجة تأثير الغلاف الجوي الغازي ، بحيث يؤدي ذلك إلى تغيير في درجة تأثيره على أشعة الشمس المخترقة له ، أو على الاشعاع الارضي المتجه إلى الفضاء الخارجي ، ومن ثم التأثير على الحرارة المكتسبة ، والدورة الهوائية ، ويعد بخار الماء من أهم العناصر التي تمتص الاشعاع ، لذلك فإن أي تعديل لكميته في الهواء

يؤدي إلى نتائج بالغة الاهمية ، بالنسبة للأحوال المناخية

وهناك كثير من التجارب والطموحات التي يسعى الانسان من خلالها إلى تطوير قوانين الطبيعة ، مادة ، ونباتا ، وحيوانا ، وبشرا

(للمزيد من التفاصيل راجع الغلاف الجوي للدكتور يوسف عبد المجيد فايد دار المعارف ـ مصر

ما الانسان فانه منذ آلاف السنين المتطورة ... (مولوجيا) ... الاصلية ، والسبب يكمن في ان الانسان عبر هذه الآلاف حتى حددها الاستاذ سوقي بثلاثة آلاف عام ... تلك هذه ... تمنحها ... تطور ... الطبيعة والمادة ، او النبات ، او الحيوان

وإذا كان الاستاذ يعتقد في ... الموضوع في ... للتحديد ، ... عند ... ، في هذه الدعوة بسبب ... ،

ووقوفه ... من تلك الفلسفة في مبادىء التطور ، والتطوير ، والتحديد ، في مجالات الانسان ، والمادة ، والنبات ، والحيوان ، والآداب والفنون ... الانسان القرون القادمة ، بل العقود القادمة ـ حتما ـ سيختلف عن انسان العصر

الراهن ، وكذلك فنونه المختلفة ، من رسم ونحت وموسيقى ، إضافة إلى اخلاقه وسلوكه ، وقيمة ممارسته لدوافعه العضوية وطبعها ، واحتياجاته (البيولوجية) ، ومن هذه الزاوية نفهم صرخة « الدوس هكسلي » في روايته الفذة : عالم جديد

شجاع » ، لانه يدرك ان الانسان سيصل إلى مرحلة مذهلة من التطوير العلمي الذي قد يخلخل قمة الأخلاقية العامة ، إن قصة الانسان هي قصة احتراق

السقوف ، اما الطفرات او الصرعات الأدبية والفنية التي تحدث عنها الأستاذ شوقي وكانت بمثابة محاولات تجديد عبر تصنيفه ، فإنها لم تكن وليدة عصر متقدم

علميا إلى الدرجه المذهلة لي براها - بل سسبع عنها - في عالمنا المعاصر في الثمانينات . فالعشرينات والثلاثينات بل حتى الخمسينات ليست شيئ ، دي بال في سلم التطور والتطوير المذهل

لقد تحدث ارسطو منذ القرن الرابع قبل الميلاد عن النشوء الارتقائي للاجناس الأدبيه في كتابه الخالد (فن الشعر) ، ويحدث مطولا عن الملحمة ، ثم ماتت الملحمه وعليه فلا مانع من نشوء فنون

وأجناس ادبية جديده . لكن ليس ضرعات او طفرات ، فالشيء يتطور . وما يتطور يتبدل وينقص

يقول الأستاذ شوقي إن الانسان سرعان ما يعود إلى أدواته القديمه الأولى ، وطرائق تعبيره الاولى - بعد الصرعات والطفرات - دون أن يفقد بمقدار طاقاته الأولى

ترى هل نتصور أن المبدع القادم سيطل اسير أدواته التعبيريه في المئات القادمه من السنين ؟ لقد بدأ عصر الرسم بالفرشاه ينتهي . ليفسح المجال أمام الرسم باشعه الليزر ، والعمل (الالكتروني) ، وكذلك تعلم اللغات ، وفن الترجمه ، ونمط القراءه من كتاب مطبوع ، فقراءة الكتاب أصبحت تشكل عبئا في عمليه حفظه ، والرجوع إليه ، لذا سيحل محله الكتاب المسموع والمرئي . إن تطوير الماده والنبات والحيوان والانسان سيتم باسرع مما نتصور او نتوهم ، اما نحن فربما نظل الاف او ملايين السنين تحت سقوف التحديد في كل شيء ، إذا بقينا على هامش الحضاره ، نحيى ونسبح تحت السقوف

مصطفى سليمان

أشهر مكتبات العالم الحديث

● تعد مكتبة لينين على رأس المكتبات في العالم من حيث عدد المجلدات . فهذه المكتبة أنشئت عام ١٩٢٤ ، ويبلغ عدد مجلداتها ١٤ مليون مجلد ، ويليها في عدد الكتب مكتبة الكونجرس اذ تحتوي على ٩ ملايين كتاب وقد انشئت عام ١٨٠٠م

أما مكتبة باريس الأهلية التي انشئت في القرن السادس عشر فتعد ثالث مكتبة في العالم من حيث عدد الكتب اذ تحتوي على ٦ ملايين من الكتب المخطوطة والمطبوعة . بينما نجد أن مكتبة نيويورك العامة تحوي ٥ ملايين كتاب

وتعد مكتبة أمبروزو بايطاليا التي أنشئت عام ١٦٠٩م . والتي تحوي على ٦٠٠ ألف كتاب مطبوع و٢٥ ألف مخطوط ، و٢٠٠٠ كتاب نادر ، ثم مكتبة الأزهر الشريف التي أنشئت عام ١٧٩٧م . التي كانت تحتوي على ٨ الاف مجلد . ثم أصبحت الان تحتوي على ١٠٠ ألف مجلد . منها ٢٥ألف مخطوط في الحديث والتفسير والفقه وعلوم الدين . فانها تأتي في مرحلة تالية لتلك المكتبات الكبرى من حيث عدد الكتب

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□



• قصة قصيرة •

من المصحة

لمسات صغيرة

بقلم محمد المحزنجي

لقد سمعت صـ حا ، صراخا مدعا ، بسه حوا حه ـ يكاد عليه احدا ء ـ . ه ءفعه ارصا ، وسوه بعب لسديح . فاسرعب محطوف الملب ، والسب سصـ ى من النافذه لمطله على الحديقه الخلفيه ، فـ به وحيدا في عمـ الحديقه المحصور بين (سياحين) من نبات للاساسا ، الكبسه الاوراق ذات الهور الذكيه الصغيره ، كان برندي (بيجامه) المصحه البيضا . به مطروحا على ظهره فوق بساط (النجيل) الاخضر . بسطح الممر بالعرض ، وكان بصدب موخر راسه في الحافه الاسمنية لحوض اللاساسا ، بعنف ، توقعت ان ارى الدم ينرف بغزاره ، ويلطخ الحافه الاسمنية ، او يندفق في بركه صغيرة تحت راسه لقد وصلت لاهثا اليه بعد ان جريت خلال الردهه ، وقفزت الدرج ثلاثا ثلاثا ، وكذبت اسير ، كان على ان أسرع ، وكان على ان ادور حول المبنى لأصل إلى حديقه خلفيه حب حده ، وفب عند سه معرفه ، به لولد لدى في حديثا

تعلمت ما في سكنى لمطل على احديقه احلفيه سب و ى ى لـ لا ده ـ ان ا هم ، تعلمت سب مـ سبهم محـ د سماع غنائهم لدى تطلعه عندما يساله فـ ادى بلا فائه يدب في هذه حديقه لمسه ، وعرفت دسب مـ لبصامت باغانيهم الحاديه ، ذات المقاطع لسمه ، المكرره ، حادثه السره ، والمكسب باغانيهم لعاطفيه احافيه لي يدبحها السحر ، وذات يضحكني عالي المهووس الحمقه ، ذات الايقاع السريع ، الراقص التي يصاحبها ـ عاده ـ فرقعات اصابع ، او سعيها صفير ، او طقطقات بالفم لكني لم أنجح ابدا في رد غناء هذا الشاب إلى حالته ما ، فقد كان مبهم الكلمات إلى حد مرعج ، وسرعان ما يقطع غناءه وينطلق في الصراخ



انحنيت ، ومددت يدي لاحمي راسه من الارتطام بالحافه الاسمنتيه ، فاعتبي تحاولاته لعض يدي عده عضات سريعه عمياء ، لكني أفلت منها ، ولما حاولت سحبه من يديه إلى وسط الممر ليكون راسه على (النحيل) اللين ، اخذ يثبت اظافره في يدي ، وحاول عضي كحيوان مسعور ، وماكدت أنجح في سحبه حتى دفعته عني بعنط لم أستطع إخفاءه ، لكني لم ألبث ان داهمني شعور شديد بالشفقة ، وبالالم النفسي

لقد جاءت لي فرصه السمعي لحظه في فمه وهو ينفتح مطلقا ذلك الصراخ المفزع ، فرأيت لسانه المقدد ، الملتصق بقاع فمه ، الذي كان في حاجه إلى لمسه صغيرة ، صغيرة لا تخيف ، من طرف مقص جراحي صغير ، منذ الصغر ، لتتم إنقاذ كل شيء

زيارة

غرفة استقبال الواردين جديدا إلى المصحه بجوار البوابه ، هي مكان تواجدي اثناء المناوبه ، وفي هذا اليوم بدأت مناوبتي ظهرا وستستمر حتى منتصف الليل لقد اوشك ان يمر النهار ولم يات احد

لكني الان اسمع صخبه صغيره مقبله من الداخل ، وأرى رميلي ـ مناوب عنابر النساء ـ ومعه ممرصة ، وعاملة ، وواحده من المريضات تحمل لفافه في يدها ، وفي اليد الأخرى باقه من زهور « الوينيكا » البنفسجية المتواضعه ، أرجح أنها قطفتها من احواض زهور الحديقه التي في الطريق الكائن امام مبنى الادارة وبادرني رميلي بغمزه عين ، ويرفع صوته وهو يقول لي مشيرا إلى المريضه إنها ليلى سجلي صيفة على حتى يأتي موعد زيارتها ، فخطيبها سيأتي اليوم ، وهي تحب أن تلقاه هنا كما عهدت

لا أحد لدي مانعا رغم استغرابي في بادئ الامر من هذه الزيارة التي توشك ان تكون ليليه ! ثم أخبرني رميلي بالانجليزية ـ همسا ـ بأنه يفعل ذلك استجابه لالحاحها ، حتى يجهض داخلها نوبه انهيار ظهرت بوادرها ، فهي نزيلة المصحه منذ سنوات عشر ، منذ مات خطيبها

وتركوا « ليلى » على مقعد امام غرفة الاستقبال في مواجهه البوابة تنتظر واحتضن الأفق بالغروب وهي ممسكه بوداعه في مكانها ، لكن لم يات احد ، وسلل الظلام وهي تتابع ميلاد النجوم المرتعشه في السماء ، واستمر الليل ، فراحت تحدق في ظلمه المدخل ، ثم سمعتها تهمس في الظلمه ، وتضحك بفرح فتاه صغيره خجلى ، ثم اقبلت نحوي ، ووضعت اللفافة وباقه الزهور أمامي على المكتب ، وطلبت بلطف في الرجاء ، بعدما زفه ذاهبه ، ولطفت فتاه كانت رائعه الجمال منذ عشر سنوات خلت ، تلح على ان اخذ من الاشياء التي احضرها لها خطيبها ، برتقاله من البرتقالات الثلاث التي اراحت عنها اللفافه ، اوزهره من باقه الزهور التي أهداها لها خطيبها ، وتصر ان تهديني زهرتين ! وقدمت لي زهرتين ، فاخذتهما وجعلت ابحث لهما عن كأس اضعهما فيه حتى لا تذبلا سريعا

وفي هذه الاثناء جاء من أعاد « ليلى » إلى مكانها في داخل المصحه دون ان أسمع لها اعتراضا على ذلك

تحرّس

خيل إلى انها ستعيش مفعمة ابدا كفرد كسير عند الباب ، لا يأتي بحركه غير (تعطيم سلام) لكل من تراه يدخل أو يخرج ، ولا يقول اكثر من « كيف حال السيد ؟ » ، وهي نفسها التي اشاهدها في إحدى مناوباتي الليليه منتصبه رغم حلول الليل تحت سحره الكافور الواقعة داخل السور ، تأبى دخول (العنبر) للنوم ، وتصر على البقاء كما هي ، لتحرس الصغار النائمين على الشجره !

نعمي منظر العصافير النائمه على فروع سحره الكافور بالأسى والهشاشة ، إذ لم تجد ـ بعد المذابح التي تعرضت لها أشجار الخروارب والفيكس والبونسيانا الصلبه ـ غير سحره كافور لينه الاغصان لتتراحم عليها وينسب الليل فوقها لكن لا مفر من دخول صاحبتنا للنوم ، ولا بأس من بعض الاكراه مع حقنة مهدئه إذا انتابها اهتياج من جراء سحبها بعيدا عن الشجره

يا للشجرة ! تلك الشجرة التي امضي مناوبتي ساهرا بقربها ، اتأمل أغصانها المائله لنوم العصافير فوقها ، إن عمق فاجعة تقطيع الأشجار يذكرني بحمام الايواء المزدحمة بمن انهارت مدارهم من البشر ،

فأسرد عنها ، فأن أنغمس في مطرها الكاسر للقلب ، لكني ما ألبث أن استفيق على بقعة ضوء تتسعسع بين الأغصان . أصوات انطلاق رصاصات بندقية صيد لا أراها ، فأشاهد التساقط السكوني الأبكم للعصافير المأخوذة بغتة اثناء نومها . وما أن أهب فزعا من مكاني وفي نيتي أن أرعى في هؤلاء العصبة لابعادهم ـ بحجة عدم إزعاج المرضى النائمين ـ حتى

تجرسني مرأى لثلاثة رجال بشوارب فقامات مديدة ينتصبون فوق السور ، ويتأهبون للقفز الى الداخل ، لخمس مائة تتساقط بين اياديهم في الخارج من العصافير ، لكنهم حين يبصرونني يجمدون في اماكنهم فوق السور ، وأجمد في مكاني ، وتجمد في خاطري ـ للحظة ـ صورتها غارقة في النوم .

في الدغل

لماذا لم يلفت نظري ذلك من قبل ؟ منذ عدة أيام وأنا اشاهدهم يفعلون نفس الشيء ، يخرجون من د ت مياه عنابرهم حاملين أواني صغيرة قد ملئت بالماء ، مثل الأكواب والأطباق وعلب (الزبادي) أو الحليب وأكواز سمك السالمون ـ احيانا صدئة ـ ويسيرون مثل سرب من النمل ، ويتجهون صوب الركن القصي عند غرفة عزل المتهيجين التي لم تستخدم منذ شهور قصيرة ، لا بد أن هناك شيئا ما ، يجب أن أناديهم وأسألهم عنه ، وما أن أناديهم حتى يملأوا في صخب متهيج والماء يتناثر من أوانيهم الصغيرة التي تهتز بين اياديهم ، وهم يضطربون من حولي مثل اطفال فرحين . جاءوا يسنون كثيرا على كسر وحدة صدفة أثناء اللعب ، ثم يخبرونني أن لديهم أشياء جميلة . . جميلة جدا ، ويقولون لي تريد أن ترى كل يوم ، هيا معنا ، فأذهب وسط كوكبتهم السعداء المصطخبة إلى حيث كانوا يذهبون

ويقودونني إلى دغل النخيل المستوحش والدبس والعناب والنباتات الشيطانية المحيطة بغرفة العزل المهجورة ، ويتقدمون عليّ ، ويزيحون غطاء الأوراق الحصر والأعشاب بعنف ، فتظهر ثمار حقيقية ، بطيخ كبير تلمع قشرته من شدة النضج ، وشمام أصفر يوشك أن يتفسخ من فرط النضج ، وحبات طماطم وفيرة تتجلى حمرتها الزاهية في قلب الخضرة .

أصرخ فيهم وآمرهم أن يبتعدوا حالا عن الزرع ، ة ثعبان قد لمحته ملتفا حول فرع من فروع شجيرات البطيخ الرفيعة الزاحفة . لكن أحدهم وهو « سعد » ـ ذو رأس كبير ولسان طفل ـ نظر إليّ وهو يجلس القرفصاء في الدغل نظرة حانية شديدة الحنو . وقال يطمئنني كأنه يطمئن صغيرا مرعوبا : « خافس ، خافس » يقصد لا تخف ، لا تخف . وأذهلني أن أراه يلمس رأس الثعبان بأنامله لمسات خفيفة ، كأنه يربت عليه ، ثم يريح الجسد الرفيع الملتف فيتزاوج معه بوداعة ورضا . ثم يمضي الثعبان ناعما ، ويختفي في الدغل ، وأنا أتنفس الصعداء . □

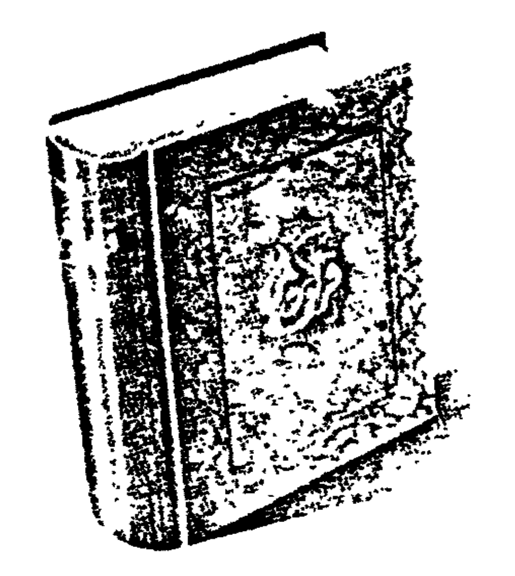
المتكبرون الثلاثة

● قال الحجاج بن يوسف يوما لجمع حضر مجلسه : ثلاثة لو أدركتهم لقتلتهم ، أولهم مقاتل بن سمع ، فانه أعطى مالا كثيرا بفارس فأجفل « ازدحم » الناس عليه فقال : لمثل هذا فليعمل العاملون ، فقد تأول الفاسق كتاب الله على غير تأويله .

أما الثاني فهو عبيد الله بن زيادة بن ظبيان التيمي ، فانه صعد المنبر فتكلم بكلام أعجب قومه ، فقالوا : أكثر الله فينا مثلك قال : لقد سألتم ربكم شططا .

أما الثالث فهو أبو سحال الأسدي ، فان ناقته شردت ، فقال : لئن لم يرددها ربكم لاأصلي صلاة ، فتعلق حطامها بعرفجة ، فجاء حتى أخذها ، فقال : علم ربكم أنها مني صبرى « عزيمة قوية »

البيان في نزول القرآن



بقلم أحمد أمين

قال تعالى : (**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعمّا يعظكم به ، إن الله كان سميعا بصيرا**) النساء ـ ٥٨ .

في الواحدي : نزلت في عثمان بن طلحة من بني عبد الدار ، كان سادن الكعبة . فلما دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح ، أغلق عثمان باب البيت (وكان لا يزال على شركه) ، وصعد السطح ، فطلب رسول ﷺ المفتاح ، فقيل له إنه مع عثمان ، فلما أرسل في طلبه أبى ، وقال : لو علمت أنه رسول ﷺ لما منعته المفتاح ، فلوى علي بن أبي طالب يده ، وأخذ منه المفتاح عنوة ، وفتح الباب ، فدخل رسول الله (ﷺ) البيت ، وصلى فيه ركعتين ، فلما خرج سأله العباس بن عبد المطلب أن يعطيه المفتاح ليجمع له بين السقاية والسدانة ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وامر رسول الله عليا أن يرد المفتاح إلى عثمان بن طلحة ، ويعتذر إليه عما بدر منه ، فلما فعل علي ذلك قال له عثمان : يا علي ، أكرهت ، وآذيت ، ثم جئت ترفّق ؟ فقال علي : لقد أنزل الله قرآنا فيك ، وقرأ عليه الآية ، فقال عثمان : أشهد أن محمدا رسول الله وأسلم .

في قصة الواحدي مثل واضح لأسلوب النبي عليه الصلاة والسلام في الدعوة ، ونشر الاسلام ، يذكرنا بخرافة « لافونتين » عن الريح والشمس اللتين تراهنتا أيهما أقدر على أن يجرد رجلا في أحد الحقول من عباءة يلبسها ، فأما الريح فهبت تحاصره ، وتشدد من هجومها ، فإذا بالرجل يزيد في تشبثه بالعباءة ، وإحكام قبضته عليها ، وأما الشمس فقد طلعت في هدوء ، وثقة ، إلى كبد السماء ، تبث حرارتها ، حتى رأى الرجل أن المناسب أن يخلع العباءة من تلقاء ذاته ، ويلقي بها جانبا .

ان عفت علي بن أبي طالب كملا بن يريد من عدو عثمان بن طلحه للاسلام ، بسبب منعه حق بني عبد الدار في استدانه ، لولا تدخل رسول الله وردّه الامانه إليه . وامره عليا ان يعتذر عن تصرفه العنيف معه . وكتب السيره مليئه بالمواقف التي حقق فيها الرسول بسماحته وحلمه ولينه وسعه صدره مالم تحققه السيف والعنف ، والغلظه والفظاظه (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)

ومع هذا فها نحن نشهد بسبا اليوم من الغلاة والمتطرفين ممن يظنون انهم تأدبوا بآداب النبي والسيره ، ويحسبون انهم قد اتخذوا من النبي عليه الصلاة والسلام اسوة حسنه ، ومثلا يقتدى ، من يشهد لسان حالهم ، وسلوكهم مع إخوانهم في الدين ، وسلوكهم مع أهل الكتاب ، انهم ... المسلم كلما ازداد فظاظه وكراهه لمخالفيه في الرأي ازداد

قربا إلى الله تعالى ، وإلى الايمان الحق واغلب ظني انهم حين يتلون من اي الذكر الحكيم (وجادلهم بالتي هي احسن) و (ادع إلى سبيل ربك بالحكمه والموعظه الحسنه) يودون في أنفسهم ان الفراغ لم يوردها . وكثيرا ما تذكرنا أفعالهم ، وتصرفاتهم الناضحه بالكراهه ، والحقد ، والعنف ، بشخصيه « جافير » في روايه « البؤساء » لفيكتور هيجو .

فجافير هذا ضابط شرطة ، وابن لمجرم اثيم ، قد بلغ منه مقته لأبيه ـ وهو بعد صبي ـ حدا قرر معه ان يخالفه في كل شيء ، فسعى إلى ذلك ، فأصبح ضابط شرطه ، يتعقب المجرمين من امثال ابيه ، في كفاءه ومثابره ، وغلظه قلب ، ثم إذ به يسير في

المهنه ـ في حقيقة صدق ، أنه في حقيقة أمره لا يعدو ان يكون مجرما كوالده ، لكن إجرامه قد تستر وراء زي ضابط شرطه ، وخلف ستار تطبيق العداله . فهو يعامل الخارجين على القانون معاملة لا تقل إجراما عن معاملة أبيه للأبرياء

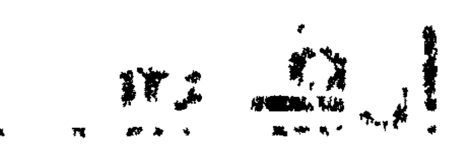
هو ان مجرد حصر لدى هؤلاء ، كان يمكن ان تتخذ به صوره من الصور ، ثم اتخذ ـ بالمصادفه المحضه ـ صورة التطرف في الدين كما أن الخوارج كانوا في الحقيقه قوم من البدو ، خرجوا على سلطه تمثله الحوطه ، ووصموها بالكفر ، ووجهوا اليد البغيضه إلى قلوبهم ، وسموها دار حرب ، واستأنفوا الغارات الجاهليه ، بغرض السلب والغنيمه ، وخالوا أنها جهاد ، فكذلك هؤلاء ، يعبرون الفظاظه والحقد والكراهه هي الأصل ويتخذون من الدين قناعا رقيقا ، لا يكاد يخفي الوجه الكئيب وراءه

كان الهندس واسيس د سيسي يخص تباعه دائما على ان يعكس مسلكهم وعلاقتهم بالناس اثر العقيده في نفوسهم واخلاقهم ، وكان رأيه ان هذا هو خير طريق إلى اجتذاب الناس إلى الدين ، إذ من المرجح انهم سيتساءلون عما هذب على هذا النحو خلقهم وطباعهم ومعاملاتهم ، حتى اذا ما عرفوه مالوا إلى اعتناقه بأنفسهم

وكما نعلم فان الاسلام قد انتشر ووطد دعائمه في انحاء عديده من افريقيا السوداء ، بدون السيف والقهر ، وبدون التبشير والدعوه ، وإنما بفضل حلول التجار المسلمين الوافدين إلى تلك المناطق للتجارة ، وأمانتهم ، ورفقهم ، ودماثه طبعهم ، ووقارهم ، مما دفع الأفارقه إلى الاقبال على سؤالهم عن تعاليم دينهم ، ثم اعتناق هذا الدين الذي كان له الفضل الأكبر في غرس هذه الفضائل

•

فان كان مسلمو هذا الزمان مؤمنين حقا ، فما بالهم لا ينتهجون طريق هؤلاء ؟ وما بالهم لا يلقون بالا إلى تلك المواقف التي كان النبي ﷺ يستشير فيها اصحابه بشأن مشرك أو منافق ؟ ، فيوصي بعضهم بقتله ، وبعضهم بإخراجه من المدينه ، فيهدّئ الرسول من غلوائهم ، وغضبهم ، ويبتسم قائلا « بل نترفق به ونحسن اليه » □



بقلم . محمود المراغي

مريض الشمال .. ومريض الجنوب

[illegible] المرض [illegible] الانسان ، وامام [illegible] الا قام [illegible]

[illegible] انه لا [illegible] من [illegible] ولا يكفي [illegible] الامان [illegible] وموقعك الاقتصادي ، [illegible] جغرافي [illegible] لك [illegible] من الصحة والعافية

لقد درجت المنظمات الدولية على ان [illegible] في دراساتها الاحصائية لمستويات الصحة ، [illegible] العمر ، ومستويات [illegible] لا [illegible] النواحي [illegible] ، [illegible] نصيب المواطن من الرعاية الصحية [illegible] وعلامات الاستفهام

وقد يكون على راس تلك الرعاية وجود طبيب يرعى من حوله ، رعاية حقيقية وليست رعاية شكلية والسؤال ما مدى توافر تلك الخدمة ؟ ما مدى وجود رجال [illegible] المرضى ، [illegible] العلاج ، ويهيئون كل شيء من اجل صحة [illegible] الارقام كما قلت (صادمة) ففي هذا [illegible] هناك

من [illegible] ٣٣٨ [illegible] ، [illegible] عدد [illegible] من [illegible] ، في لا [illegible] (٢٦٠) مواطنا [illegible] عام ١٩٨١

[illegible] في نفس العام [illegible] (٨٨) الف مواطن [illegible] الاتحاد السوفيتي [illegible] والشمال [illegible]

[illegible] الصحية [illegible] بذلك [illegible]

[illegible] عام ١٩٦٥ [illegible] لكل (٢١٥٦٠) مواطنا في [illegible]

[illegible] (٨٨) [illegible] (٣٣) [illegible]

افريقيا : وضع خاص :

وتُسرر الأرقام وصعا حاصا لأفريقيا حنوب الصحراء ، فهى الأقل حظا في كل شىء وبينما اتيح لها طبقا لأرقام البنك الدولى المنشورة عام ١٩٨٦ وضع أفضل فى هيئات التمريض فان الحصول على حدمة الطبيب بين عامى المقارنه (١٩٨١,٦٥) قد تدهورت بشكل واضح فأصبح لكل (٤٣) الف مواطن على وجه التقريب طبيب يرعاهم بينما كان ذلك الرقم عام ١٩٦٥ (٣٩) الف مواطن فقط

المنظمات الدولية لاتنكر الأساس الاقتصادي ، لذلك ، وعندما أوردت هذه المؤشرات فى دراساتها الاحصائية جعلتها طبقا للدخل ، فكانت هناك مجموعة منخفضي الدخل التى تضم (٣٦) دولة تنتمي كلها للعالم الثالث ، ويقل متوسط دخل الفرد السنوى فيها عن (٤٠٠) دولار ، وفي هذه المجموعة ينال كل (٥٣٧٥) مواطنا خدمة طبيب واحد ، وكل (٣٩٢٠) مواطنا خدمة ممرض لاغير

لكن الصوره تتحسن قليلا ، عندما ننتقل الى مجموعه الدول متوسطه الدخل التى تضم (٤٠) دولة ، يتمتع فيها كل (٤٧٦٤) مواطنا بخدمة طبيب ويستمر التحسن بشكل واضح اذا انتقلنا للدول المصدرة للنفط مرتفعة الدخل التى تعتبرها المنظمات الدوليه مجموعة متميزة ، فترتفع فيها الخدمة الطبية لتحظى كل (١٤٠٨) مواطنين بخدمة طبيب ثم تأتي المجموعتان الأكثر ثراء والأوفر صحة والاشد تقدما ، فيصبح لكل (٥٥٤) مواطنا فى الدول الصناعيه الراسمالية طبيب واحد ويصبح لكل (٣٢٩) مواطنا ـ وحسب احصاءات ١٩٨١ ـ مثل ذلك النصيب في الدول الاشتراكيه بشرق أوروبا

استقراء الأرقام اذن يجعل شرق أوروبا في المقدمة ، يلي ذلك الغرب في أوروبا وأمريكا واستراليا واليابان ثم تأتي الدول المصدرة للنفط فتحصل على ثلث المستوى السابق من الخدمة الصحية وتأتي الدول متوسطة الدخل لتأخذ ثلث الثلث وفي المؤخرة تأتي الدول الأشد فقرا ، وبخاصة افريقيا جنوب الصحراء

شذوذ مطلوب :

ولكن ، في هذه المجموعات يحدث شذوذ محمود ، فتقفز الصين الشعبية لتسجل متوسطا يفوق مجموع الدول الفقيرة ومتوسطة الدخل وتقفز مصر بين الدول العربية والدول متوسطة الدخل فتسجل أنه بينما كان نصيب كل (٢٢٦٠) مواطنا طبيبا واحدا عام ١٩٦٥ أصبح ذلك الرقم عام ١٩٨١ ثمانمائة مواطن فقط وبنفس الشىء بين مجموعه الدول المصدرة للنفط ذات الدخل المرتفع ، حيث تبرز دولة الكويت لتسجل أن لكل ستمائة مواطن طبيبا ، ولكل (١٨٠) مواطنا شخصا واحدا من هيئة التمريض

هذا الشذوذ أو ذلك التفوق لايلغيان الحقيقة الاولى ، وهى أن هناك بونا شاسعا بين مريض في فراش أفريقي ومريض في فراش أوروبى أو أمريكى

لذلك ، وعندما نقول أن هناك قضية حيوية اسمها الشمال والجنوب وعندما نتحدث عن قيمة سلعة مصنوعة وسلعة أوليه بما تعكسه تلك القيمة على دخل كل من المجموعتين الدوليتين عندما نفعل ذلك فان نهاية سلسله التداعيات المنطقية مريض يأخذ حقه من الرعايه ، ومريض يكون الى الموت أو الهلاك أسد اقترابا

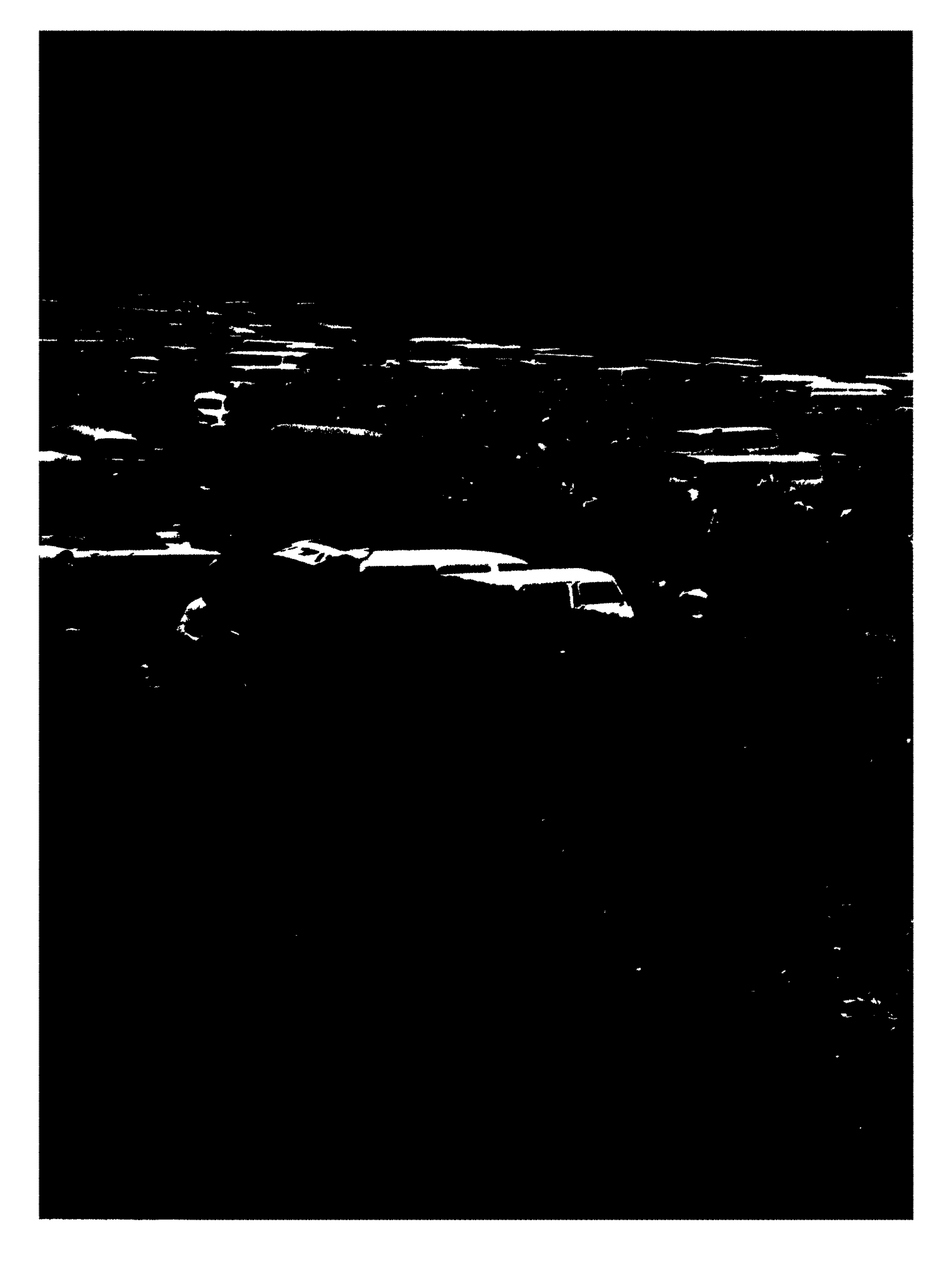
وهكذا لايصبح الانسان مساويا للانسان كما هو مفترض ومنطقى،الأمر تحدده الجغرافيا ويحدده الاقتصاد،ويحدد نضالنا من أجل عالم اخر □

■ ما الشقاء إلا منّا ، وما أكثر الأخطاء التي يرتكبها الناس عندما ينسبون أسباب شقائهم الى الاخرين

« أناتول فرانس »



أوغندا



ليست مسلمة، لكنها حريصة على عضويتها بالمؤتمر الاسلامي

والمسلمـون بها ليسوا أغلبية، لكن الحكومة بها أربعة وزراء مسلمـون.

كان البـريطانيـون يسمونها «لؤلؤة أفريقيا»، فمنها ينبع نهر النيل، من أكبر بحيرات العالم «فيكتوريا»، وعندما ذهبنا تعثرنـا في الجماجم، واستـوقفتنا نقـاط التفتيش، وطـاردنـا في الليـل صـوت الرصاص، ومخاوف الانقلابات!

كانت نصيحة اتفق عليها الجميع: حاول أن نكون قد وصلنا الى أوغندا في رابعة النهار، حين تتوقف شركة الطيران الكينية في شروق الشمس تصحبنا بابتسامة ودودة، وابتسامة الصفاء تلمع - قائلا: ما دامت هذه هي الزيارة الأولى، فاجعل رحلتك صباحية، ففي المساء لا تستطيع أن تقطع الخمسين كيلو مترا بين مطار «عنتيبي» والعاصمة «كمبالا» بسلام، فالطريق ضيق غير مرصوف، لا يسمح بمرور اكثر من سيارتين في الاتجاهين، ومليء بالحفر، وعلى جانبيه أشجار كثيفة وأحراش لا ترى ما وراءها، ولا تعرف ماذا تخفي.؟

على طول الطريق نقاط تفتيش، تقوم بتفتيش الحقائب والسيارات والركاب، ومع هزات السيارة وهي تقفز فوق الحفر تمني النفس بالوصول الى العاصمة، لكن الأماني تذهب مع الرياح، حتى شوارع العاصمة غير مرصوفة أيضا، وبقايا الاسفلت تبدو بين حين وآخر، وفوق الطرقات الضيقة تتزاحم البائعون والسائرون، وراكبو الدراجات أو السيارات، في زحام يسري لا يكف عن الحركة، ولا الصخب.

المباني في وسط العاصمة خليط متنافر، بنايات قديمة من طابق واحد أو طابقين، ونوافذ خشبية، وبصمات الفقر والاهمال واضحة عليها، وبنايات أخرى تتألف من أكثر من طابقين بواجهات من الألمنيوم وارتفاعات عالية، لكن الاهمال يفصح في كل ركن من أركان بناياتها. طلبنا من السائق - أنا وزميلي المصور - أن يتجه بنا الى فندق يكون قريبا من ادارات الدولة، ومن المصالح الحيوية بالعاصمة، وفي وسط شارع مزدحم تجلس على رصيفه الباعة يبيعون كل شيء، ويمارسون كل المهن، كالحلاقة والحياكة، واصلاح الأحذية. أشار لنا السائق الى فندق. مدخله معتم وضيق، والدرج يصعد عموديا، ترهق في الصعود وتخشى أن ينكفئ من يهبط به على وجهه. والغرف عبارة عن مساحة مربعة، وبناء اسمنتي يخرج من أحد الجدران، وفوقه حشية ووسادة، والغرفة أشبه ما تكون بالزنزانة. عدنا الى (التاكسي). قال لنا السائق: ان هذا الفندق هو أفضل فنادق وسط المدينة، وانه يمكننا البحث عن مكان آخر لكن ليس في قلب العاصمة.

كعادة كل المدن التي عانت من اقامة المستعمر فيها، هناك أحياء بناها المستعمر بعيدة عن قلب العاصمة، أقل ازدحاما واهمالا، وأكثر جمالا وسطها، وحجم العمران بها أقل، ومساحات الخضرة الوحشية الرائعة بها أكثر وبها ناد للجولف، ومبان على الطراز الانجليزي القديم، بسقوف من القرميد الأحمر، وحديقة تحيط بالمبنى. لكن الحفر أيضا تسوء الطرق، وان كانت مساحات القطع الاسفلتية أكثر وجودا فيها اذا ما قورنت بوسط العاصمة.

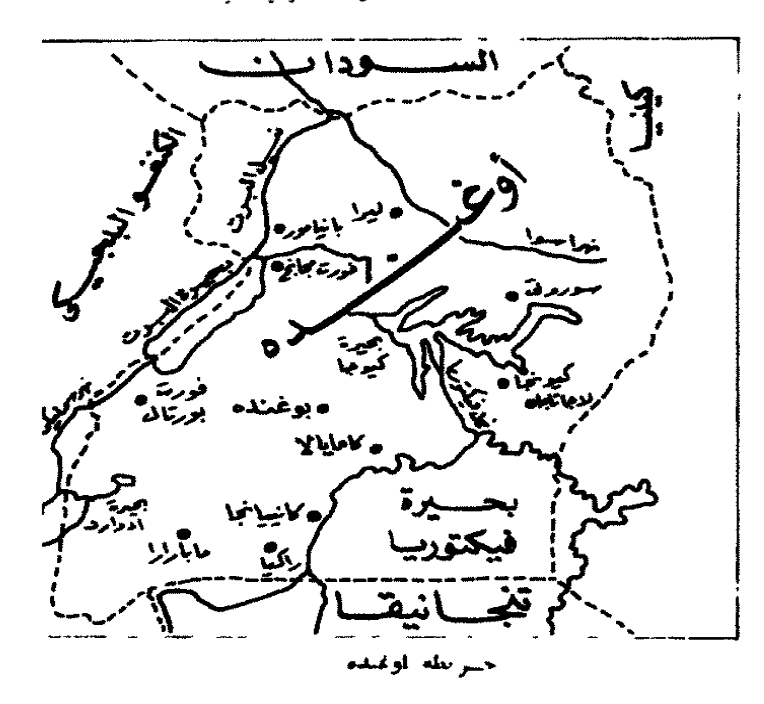
تقع أوغندا في شرق افريقيا الوسطى، وتحدها من الجنوب تنزانيا ورواندا، ومن الغرب زائير، ومن الشرق كينيا، ومن الشمال السودان. وقد ظلت تعد حلما اسطوريا لكل المكتشفين والرحالة الذين انطلقوا بحثا عن منابع النيل، وضللتهم بحيراتها الكثيرة وغاباتها الشاسعة، ففيها كل البحيرات التي ظن كثير من المكتشفين أنها آخر نقطة في نهر النيل، ففيها بحيرة (جورج)، وبحيرة (ادوارد)، وبحيرة (البرت)، وبحيرة (كيوجا)، وبحيرة (فكتوريا) وهي المنبع الحقيقي لنهر النيل، وواحدة من أضخم بحيرات العالم، ولعل وفرة البحيرات هذه، والمعدل

المتوسط لسقوط الأمطار كانا الضمان لكي لا تعاني أوغندا من أية آثار للجفاف كالجوع . فأوغندا تمنحها أرضها البكر الثرية كل ما تحتاجه من طعام ، ما عدا بعض المواد المحدودة من القمح والحبوب التي يقل استيرادها عاما بعد عام .

ورغم أن أوغندا بلد بلا موانىء ، الا أن موقعها في وسط الجزء الشرقي من أفريقيا ، واعتدال جوها ، وسحر طبيعتها الخضراء ، جعلها موضع نزاع بين القوى الاستعمارية في أواخر القرن الماضي ، الى أن استقر الأمر بوضعها تحت الحماية البريطانية ، منذ عام ١٨٩٦ ، وخلع عليها البريطانيون وصفها الأثير الشهير ، فسموها « لؤلؤة أفريقيا » . لكن اللؤلؤة لم يظل بريقها كما كان، بل أصبحت مادة حبر دائم ، وارتفع صوت الرصاص بها متجاوز حدود أفريقيا ، وأصبح الصراع على السلطه والاضطرابات مادة يومية لكل قراء الصحف ومتابعي الأخبار . ورغم أننا ذهبنا للبحث عن مسلمي أوغندا ، الا أنه كان مستحيلا أن نصل الى تجمعات المسلمين ونراهم ، دون أن نصطدم بتضاريس القبائل ، وأن نفهم الصراع الذي يدور .

أوراق الخريف

كتضاريس أفريقيا ساحة .. ملتهبة مليئة بالمفاجآت ـ هكذا هي الحياة في أوغندا ـ في حديقة الصدق تلتقط أذناك وعيناك تفاصيل أحاديث هامسة كثيرة من بعثات تشتر ، ووفود أجنبية جاءت تختبر السطام الحديد ، وتجار سلاح ، ومهربي ذهب ، وعملاء في وكالات دولية يتبادلون حقائب غامضة ، ويتكلمون عن صفقات ومواعيد تسليم أشياء غير معروفة ، وممثلي هيئات معنونة في دول شتى . إنه خليط من الغموض والمجهول والغريب . أحد أعضاء سفارة عربية عاملة في أوغندا قال لي ، وهو يسمي أفراد هذا الخليط ويحدد جنسياتهم ، ونوعية صفقاتهم : « هذه أمور تحدث دائما في أزمنة الاضطرابات والقلاقل . فعندما تضعف الدولة نسبيا ، وتنتقل السلطة من نظام الى نظام ، فإن المناخ العام يسمح لكل هذه العينات بأن تظهر .. وتحاول أن تخترق البلد ، أي بلد ، مستغلة حالة الفوضى والاضطراب .



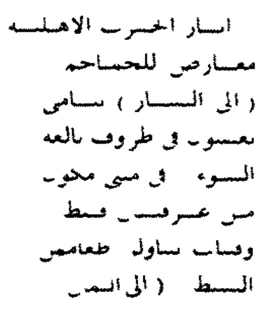
خريطة أوغندة

ولقد ساعدت فترة الاضطرابات التي مرت بها أوغندا على استمرار هذه الحالات ، فأوغندا منذ عام ١٩٧٩ وشكل السلطة فيها لم يستقر ، والنزاع حولها لم يهدأ ، ولعل استعراض رحلة الرئيس الحالي « يوري موسيفني » نحو السلطة ، الذي يراهن كثير من المراقبين على بقائه لفترة قد تطول تلقي ضوءا على شكل الصراع وقصته .

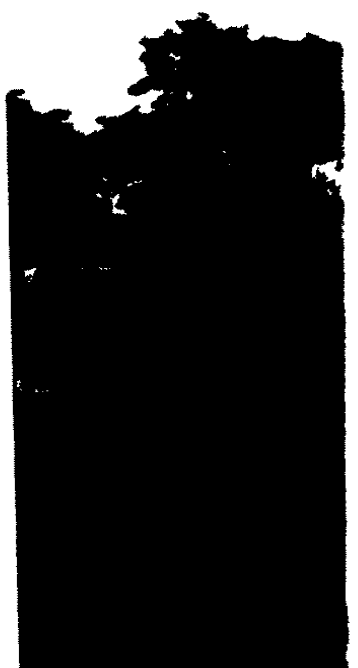
تخرج (موسيفني) في كلية العلوم السياسية عام ١٩٦٩ بدار السلام عاصمة تنزانيا ، وعمل في نفس العام كباحث سياسي في مكتب (أوبوتي) أول رئيس لأوغندا ، وفي عام ١٩٧١ عندما قام عيدي أمين بانقلاب استولى به على السلطة ، هرب (موسيفني) الى تنزانيا ، وبدأ العمل مع رئيسه السابق في تنظيم حرب عصابات ضد عيدي أمين ، لكنه سرعان ما اختلف مع (اوبوتي) حول شكل المقاومة التي يقومان بها ، وبدأ في تشكيل قوات خاصة به ، وفي عام ١٩٧٩ ـ مع سقوط عيدي أمين ـ دخل العاصمة الأوغندية مع قواته ، وفي الفترة من ابريل ١٩٧٩ وحتى أكتوبر ١٩٧٩ عمل موسيفني وزيرا للدفاع في حكومة (يوسف لولي) ، لكن انقلابا سلميا أطاح (بيوسف لولي) وجاء (جودفري بن عيسى) رئيسا للبلاد فعين (موسيفني) وزيرا للتعاون الاقليمي ،



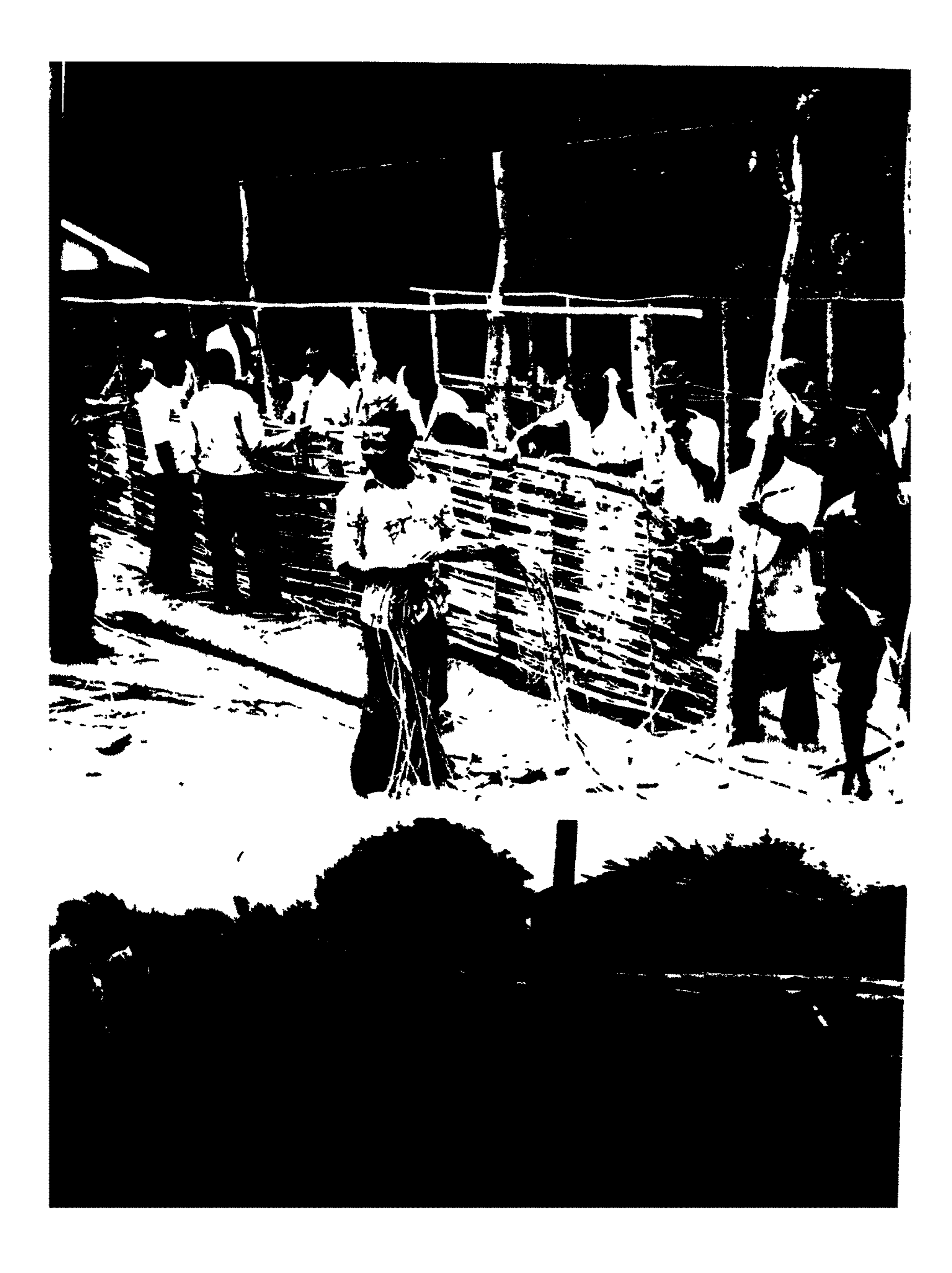




اسار الحسرب الاهلسه
معارص للحساحم
(الى السار) سامى
بعسوں ى طروف بالعه
السوء ى مبى محوں
مں عرفـ فط
وفساں ساول طعامص
السط (الى البمں







واعتبر (موسيفي) ان هذا التعيين بمثابة إبعاد له عن قلب الحركة السياسية ، فساهم في سبتمبر ١٩٨٠ بإبعاد (بن عيسى) وتولي (باولو موانجا) رئاسة مجلس استشاري حاكم ، وعين (موسيفي) نائبا له ، واعلن (موانجا) عن عودة الحياة الديمقراطية ، ودعا الى انتخابات عامة في ديسمبر ١٩٨٠ ، فعاد في الانتخابات حزب الشعب الاوغندي الذي يرأسه (اوبوتي) ، وفشل حزب (موسيفي) في الحصول على اكثر من مقعد واحد ، ورفض (موسيفي) الانتخابات ، وقال انها مزورة ، وأن (موانجا) زور الانتخابات لصالح (اوبوتي) ، وهرب (موسيفي) الى الأدغال والأحراش ومعه خمسة من اصدقائه ، وشكل حركة المقاومة الوطنية ، وبدا بشن حرب عصابات ضد (اوبوتي) فسقط فيها القتلى بالآلاف كأوراق الشجر في الخريف

القبيلة قبل الوطن

هرب (موسيفي) الى الاحراش في الغرب ، حيث موطن قبيلته ، وبدا يجند الأفراد والانصار ، ولكي نفهم الامر اكثر ، فانه يتعين علينا ان نتعرف من تضاريس خريطة القبائل ، ففي اوغندا ٦٣ قبيلة ، اشهرها واقواها واكثرها تأثيرا في الحياة السياسية ست قبائل منها اربع في الشمال والشرق والشمال الغربي وهي الاسولي واللانجو والكراموجا والكاكوا ، ويطلق عليهم اسم النايلتك ، بينما تتركز قبائل « البانتو » والمكونة من قبيلتي الباجندا والمياكولي في منطقتي الوسط والغرب هذا التقسيم الحاد الى نايلتك وبانتو تدور حولهما الصراع ، ويلحظ فيهما جزء كبير من اللعبة الدائرة في اوغندا ، وحولها ينضم عديد من القبائل الصغيرة واهامسية الى الفريقين الكبيرين النايلتك والبانتو ، وللقبيلة وتحالفاتها يكون الولاء والانتماء قبل اى معنى اخر او قيمة اخرى ، فالقبيلة أقوى من الوطن ومن الدين ، ومن كل شيء

وتشهد أوغندا الان حلفا مقدسا ، وعهدا من قبائل البانتو ، بألا تذهب السلطة مرة ثانية الى قبائل الشمال (النايلتك) ، فهذه هي أول مرة يتولى فيها رئاسة الجمهورية شخص من قبائل الوسط والغرب (بانتو) ، بعد أن كانت السلطة قبل ذلك ـ ومنذ عهد الاستقلال ـ مقتصرة على أبناء الشمال والشرق وقبل الاستقلال كانت اوغندا مقسمة الى ممالك ، تحكمها ملك « كاباكا » ، وكانت قبائل الباجندا هي التي تحكم كل الممالك وتسيطر عليها ، ومنها كان اخر ملك لأوغندا « موتسيا » الذى انتهى حكمه مع نظام الملكية في فبراير ١٩٦٦ ، وكانت قبائل الباجندا تمثل الصفوة ، فهم الذين يقومون بالنشاط الاقتصادي ، والتجارة ، والتعليم ، وكانوا ينظرون الى الحرب والجندية انها مهنة العبيد ، وكانوا يتركونها لابناء القبائل الأخرى الواقعة تحت سيطرتهم بنفوذ المال والاقتصاد ، وكان ابناء المناطق الشمالية يتولون هذه المهمة ، وخاصة ان الطبيعة التي جعلت من مناطقهم شبه صحراوية قد منحتهم اجساما قوية ذات جلد وصبر ، وعندما انطلق ابناء الشمال في مؤسسة منظمة هي المؤسسة العسكرية ، وجدوا انفسهم كلهم من قبائل الشمال ، وما اسهل ان تجد الانسان لنفسه اصدقاء ورفاقا واقارب من قبائل جعل مكانا واحدا ، واسماؤ ها للمكان وللطبقة الاجتماعية واحد فكانت انقلابات ضباط قبائل الشمال الواحد تلو الاخر ، عيدي امين كان من قبائل الكاكوا في الشمال،اوبوتي من قبائل اللانجو في الشمال ، وتيتو اوكيللو من قبائل الاسولي في الشمال

وبدا السادة القدامى ـ سلالة الملوك من قبائل الباجندا ـ يدركون ان اللعبة السياسية تدور بعيدا عنهم ، وان كان صحيحا انهم يمسكون بمفاتيح الاقتصاد ، فان النشاط الاقتصادي إذا لم تصاحبه نفوذ سياسي فهو نشاط محكوم عليه بالافلاس ، عندئذ جمعت قبائل الباجندا ٤٠٪ من السكان تحالفها مع الاصدقاء القدامى قبائل المياكولي ، وجددوا حلف البانتو القديم الذى سبق ان سيطرت به على كل اوغندا حينما كانت خمس ممالك تحت سيطرة مملكة الباجندا وحليفتها المياكولي وقد قام حلف مقدس لحماية المصالح التي تظل ايضا « مقدسة » بحثا عن قطعة أكبر من كعكة السلطة

سقوط كمبالا

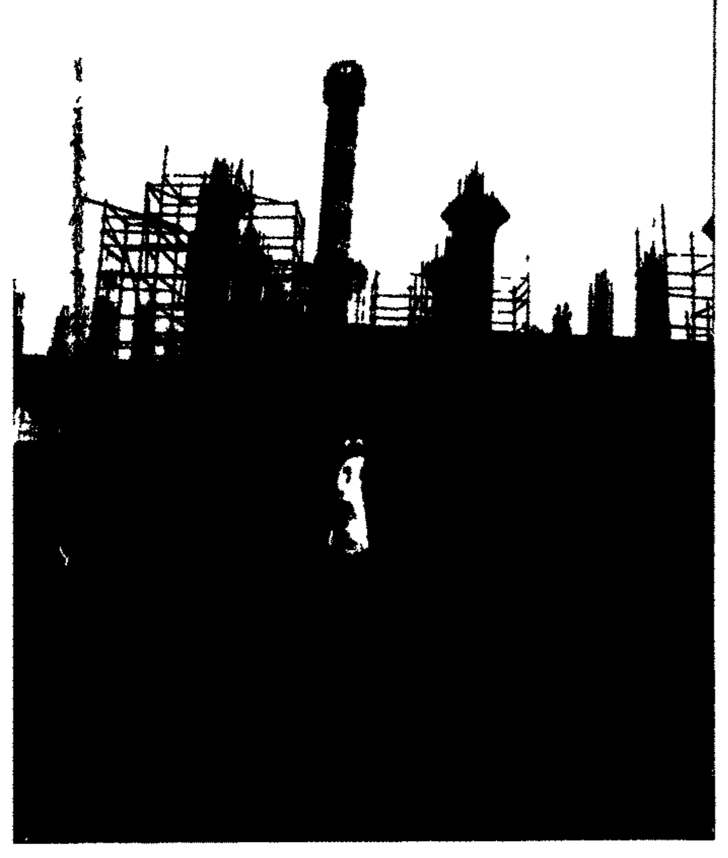
في اطار هذه الرؤ ية حركة القبائل وتحالفاتها ، نفهم لماذا هرب « موسيفي » الى أحراش الغرب ؟

ولماذا يقود حركته المسلحه ، ويعطم الأعوان ضد نظام « ملتون اوبوتى » من ذلك اتخذ ١٩٨٠ في الغرب قبيله مساكولى ـ قبلته ـ وبالغرب من قبيله الباحيدا صاحبه المصلحه في ان ينتصر موسيفى وقبلته ، فنصر معها قبائل الوسط والغرب ، فكسر احتكار قبائل الشمال للسلطه ، وقد استمر موسيفى اربع سنوات يقود حربا ـ من الأحراش ـ ضد موبوتى ، حتى يوم ٢٧ يوليو ١٩٨٥ واثناء طابور عرض عسكرى في الشارع الرئيسي بالعاصمه ، قرر قائد طابور العرض « تيتو اوكيلو » ان يقفز الى السلطه انتقاما من اوبوتى ـ ابن قبائل اللانجو ـ الذى ابعده عن العاصمه ، ولكي يحقق انتصارا لقبائل الاتشولى التى ينتمى إليها ، والتى تعد ـ كما يقولون ـ ساده الجند ، واقتحم « اوكيلو » مقر الرئاسه الذى لم يكن به سوى بضعه جنود حراسه لم يقاوموا طويلا ، وهرب اوبوتى في قافله مكونه من ٤٥ سياره عبر طريق كمبالا ـ ممباسا الى كينيا ، ومنها الى زامبيا ، حيث يقيم مصطحبا معه ثروه تقدر بأربعين مليون دولار

اعلن اوكيلو فور توليه السلطه ان الحكومه ستعقد اتفاقات مصالحه مع الجبهات المعارضه لاوبوتى ، وبالفعل بعد اوكيلو وعده الا مع « موسيفى » فلم يتصل به ، ولم يتفاوض معه ، واعلن عدم اعترافه بمقاومته ، ولكن استيلاء « موسيفى » على الغرب الغنى زراعيا وسيطرته عليه ، وتحكمه في الطريق البرى الدولى الذى يربط اوغندا بممباسا ورائه وزاوندا وبروندى ، جعل اوكيلو بعد النظر ، ويبدا مفاوضات مع « موسيفى » انتهت الى منح « موسيفى » سبعه مقاعد في الحكومه ، وبنصف مقاعد المجلس العسكرى ، لكن هذا الاتفاق كان مجرد خطوه تكتيكيه ، فبعد شهر واحد اقتحمت قوات « موسيفى » في ليله ٢٥ يناير عام ١٩٨٦ العاصمه كمبالا ، وسيطرت عليها ، وجعلت السلطه لأبناء قبائل « البانتو » لاول مره منذ عهد الاستقلال

مسلمون في الحكومة

وسط هذه الحياه بتضاريسها السياسية والاجتماعية ينتشر المسلمون في انحاء اوغندا ، ووفق اخر الارقام المتاحه فانهم يمثلون قرابه ٣٠٪ من



مشروع مسجد كمبالا

التعداد الكلى للسكان (١٤,٢ مليون) نسمه ، ولا يوجد تحديد دقيق لانتشار المسلمين داخل المجتمع الأوغندى ، فهم موزعون بين كل القبائل ، وكل المناطق ، وكل البيوت ، ومن الأمور المعتاده في اوغندا ان تجد في البيت الواحد اكثر من دين ، فهذا مسلم وذاك مسيحى واخر وثنى ، وهكذا رئيس الجمهوريه مسيحى ، ولكن شقيقه مسلم ، ويتولى منصب القائد الميداني العام للجيش الأوغندى وقد اسلم عندما كان يقيم في تنزانيا ، وسمى نفسه « سليم صالح » ، ويبين وزراء الحكومه يحتل المسلمون مناصب مهمه فيها ، فوزير الخارجية مسلم ، ووزير الاعلام مسلم ، ونائب الرئيس مسلم ، وقائد عام الجيش مسلم

وحول هذه الظاهرة سألنا وزير الاعلام الأوغندي أبو بكر « باحاما » هل لهذه الظاهرة مدلول سياسي ؟ فقال « اوغندا ليست دوله اسلامه ، فالغالبيه فيها ليست من المسلمين ، لكننا نحترم الديانات



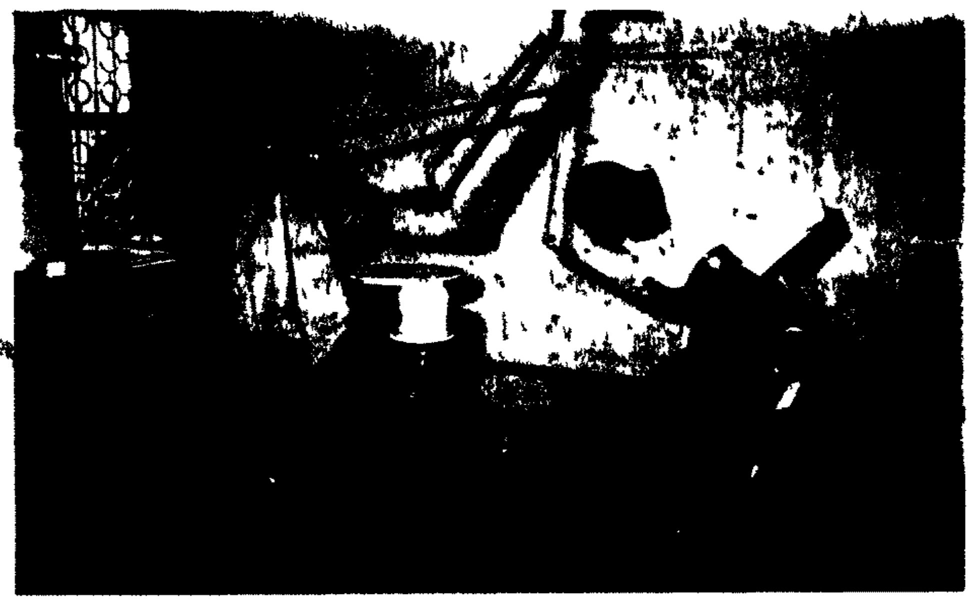


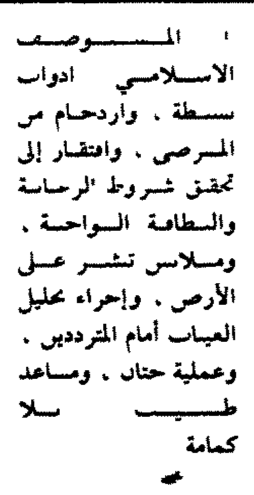
* مقر المركز الاسلامي في اوغندا يرعى المجلس شئون المسلمين ، ويعاني من مشاكل تمويل [illegible] [illegible]











المستوصف الاسلامي ادوات بسيطة ، وازدحام من المرضى ، وافتقار إلى تحقق شروط الرحاسة والنظافة الواجبة ، وملابس تنشر على الأرض ، وإجراء تحليل العيان أمام المترددين ، وعملية ختان ، ومساعد طبيب بلا كمامة



بلا أمــل

تعد أوغندا بصفة عامة من البلدان الفقيرة ، فمتوسط نصيب الفرد من الدخل القومي ٢٢٠ دولارا في العام ، أي أقل من عشرين دولارا شهريا وخريج الجامعة يتقاضى راتبا لا يتجاوز ٢٠ ألف شلن شهريا ، وتستطيع أن تدرك ضآلة هذا الراتب لو رصدنا تدهور قيمة الشلن خلال السنوات العشر الماضية التي وصلت الى أدنى حال لها الان ، ففي عام ١٩٧٧ كان الدولار الواحد يساوي ٧,٨ شلنات ، وبدأ التدهور فقفز الى ٤٠ شلنا ، ثم ٢٠٠ شلن حتى وصل في عام ١٩٨٤ الى ٥٨٧ شلنا ، وصرخ الناس من الغلاء ولكن في عام ١٩٨٦ اخترق الشلن كل حدود العقل وأصبح الدولار الواحد يساوي رسميا وفي البنك ٥ الاف وخمسمائة شلن ، وبالتالي فإن قياس نمو نصيب الفرد من الدخل القومي يتدهور سنويا بمعدل (٤٤/) ، ومعدل التضخم قفز من ٥,٦/ في وسط السبعينيات الى ٦٢,٧/ ، ومتوسط نمو الناتج السنوي للدولة يتدهور أيضا ويقدر بالسالب (٢,١/) إجمالا هناك تدهور عام ، وأوغندا بالتالي واحدة من البلدان التي تنعدم فيها مستويات الصحة العامه ، وينتشر بها كثير من الأمراض

وفي المستشفى الاسلامي الرئيسي ، وأثناء مرورنا بأقسامه الصغيرة التي اقتصرت على غرف صغيرة ، قال لنا مدير « المستشفى » الدكتور « جعفر خان » أكثر الأمراض انتشارا هي الملاريا ، والأمراض الجنسية ، ثم أمراض الجفاف لدى الأطفال ، قلت له أنا أسأل عن أحوال المسلمين الصحية ؟ قال الطبيب وأنا أتحدث عن أحوال المسلمين الصحية أعود فأتأكد من الطبيب ولكن الأمراض الجنسية لا تنشأ ـ كما أعرف ـ الا من علاقات غير شرعية ، والاسلام لا يبيح هذه العلاقات ؟ فيقول الطبيب في مجتمع فقير مستوى الطاقة فيه منعدم يحدث تداخل كثير ، وتصبح القضية أكثر احتياجا لرجل اجتماع منها الى طبيب ، وعندما يصبح الزواج عبثا نتيجة للغلاء والتضخم يصبحُ للعلاقات الجنسية قانون آخر ، وهناك عديد من الأسباب ، فقد يتزوج مسلم امرأة غير مسلمة ويتضح بعد ذلك أنها مريضة ، والخ

وفي دور الأيتام يجلس الأطفال فوق التراب ، ويضعون الأغطية على الأرض كي يناموا فوقها ، وطعامهم دقيق مطبوخ بالماء ، وثيابهم ممزقة ، ووجوههم غير نظيفة ، وأيامهم لا يرى فيها أحد بارقة أمل

أسأل الطبيب عن مصير هؤلاء الأيتام ومستقبلهم ؟ تحت ضوء الشمس ، وهو يشير الى المرضى الجالسين فوق المقاعد مثل هؤلاء لا أمل في شيء ، ولا في مستقبل أفضل ، فالغلاء والتضخم ابتلعا كل مقدرة لدى المسلمين هنا على المساعدة ، ولا تأتي المساعدات من العالم الخارجي بقدر كاف ، وبالتالي فلا ضمان لكي تستمر حتى هذه الخدمات التي تقدم للاطفال ، ولا للمرضى رغم تدنيها ولا امل لهم في غد أكثر رعاية وضمانا ، وفي المقابل فان جمعيات التبشير المسيحية تقدم لأبنائها أفضل رعاية ممكنة من تغذية وتعليم ورعاية صحية ، وأكثر الجمعيات المسيحية انتشارا هي مؤسسات عالمية كبرى تدفع أموالا كثيرة لتمويل نشاط فروعها وأكثر الجمعيات حركة هنا هي المقر الثانوي الكاثوليكي في روما ، ومنظمه الانجيل المتحدة العالمية ، وغيرها من الجمعيات والمنظمات المسيحية

احلام الرئيس

في وسط ما يدور في أوغندا ، فان الناس يشهدون للرئيس موسيفني بمقدرة غير عادية في ادارة لعبة التوازن بين القوى العديدة التي تزخر بها الساحة القبلية والسياسية ، وبجوار لعبة التوازن هذه فهو يتمتع برؤ ية شاملة لمشاكل وطنه في إطارها المحلي والاقليمي والدولي ، ويستفيد من كل الأوراق الممكنة والمتاحة ، وعندما يشتد ضغط قبائل الباجندا على حليفهم في « البانتو » مطالبين بامتيازات أكثر ، أو يضغطون على السوق بإحداث اختناقات سلعية ، فإنه على سبيل المثال يصدر قرارا باحتكار الدولة لاستيراد هذه السلعة أو الاتجار بها ، كالسكر مثلا ، ويبدأ في مفاوضات مع جبهة الانقاذ الوطني الأوغندي التي يتزعمها موسى بن علي وزير مالية عيدي أمين ، ويتوصل معهم الى اتفاق مصالحة ، ويسند الى موسى بن علي منصبا وزاريا ، وهكذا



* الأمير بدور ، الأب الروحي للمسلمين في أوغندا ، يرتدي (الجلباب) ، مع بعض أقاربه ومساعديه

عندما تشن قوات جيش التحرير الأوغندي التابعة للرئيس السابق تيتو أوكيلو غارات على شمال البلاد مستغلة أنها كلها من قبائل الاتشولي ، ويلوذون بالفرار الى جنوب السودان بعد أن هرّبوا ست طائرات هليكوبتر ، وعددا ضخما من الدخائر ، فانه يبدأ مفاوضات مع الحكومة السودانية من أجل اطلاق يده في الامساك بهؤلاء المتمردين ملوحا بورقتي ضغط ومفاوضة ، الأولى علاقته بحون قرنق وامكانية قيامه بالوساطة ، والورقة الثانية قوافل الغذاء التي تتابعها المنظمات الدولية من أوغندا لنجدة الأقاليم المكونة في السودان . وكل موازين القوى في صالح موسيفني الأمر الذي يدفع كثيرا من المراقبين الى الاطمئنان لبقائه في السلطة لفترة طويلة .

وموسيفني يدرك حقيقة الأزمة في أوغندا ، ويلخصها في نقاط محدودة .

الأولى : هي عدم استتباب الأمن ، ولذا فقد بدأ في تطبيق عقوبات رادعة لكل حالات الاخلال بالأمن مع الابقاء على نقاط التفتيش المنتشرة على طول الطرق والتقاطعات .

النقطة الثانية : عدم توافر التمويل لعمليات التنمية والاصلاح الضرورية شرط أن يكون تمويلا غير مشروط ، ويضع موسيفني أولوية تامة لمشروع اعادة اعمار مدينة « لويروا » التي دمرت أثناء الحرب الاهلية .

النقطة الثالثة : سوء مستوى الخدمات ومستوى التعليم ، الذي يعد محورا أساسيا لأي عملية تنمية مطلوبة .

وهو يرى أن أوغندا تتمتع بميزة هائلة لا تتمتع بها غالبية دول العالم الثالث ، وهي أنها تنتج ما تأكل ، وأنها تستورد ١٩ ألف طن فقط من الحبوب ، وأن هذا الرقم يتناقص تدريجيا ، وأنها في سبيلها الى الاكتفاء الذاتي والتصدير في قطاع الغذاء ، وهذه ميزة - كما يراها - هامة جدا على الأخص اذا وضع في الحسبان أنها - أي أوغندا - تصدر سنويا بـ ٧٠٠ مليون دولار بنّا للعالم ، هذا عدا صادراتها الأخرى من القصدير والمعادن والطاقة الكهربائية للدول الافريقية المجاورة .

لست سوداء

وبموضوعية تامة فان أحلام الرئيس ليست أوهاما ، فواقع الأرقام التي لا تكذب - في صالح أوغندا نسبيا - ونستطيع أن نلخص جزءا كبيرا من مشكلتها الأساسية في عدم توافر التمويل اللازم لمشروع انقاذ الاقتصاد الاوغندي الذي يتمتع بموارد طبيعية كثيرة تكفل ضمان عائد هذه المشروعات ، وكل ديون أوغندا لا تتجاوز ٧٠٠ مليون دولار ، أي ما يوازي قيمة صادراتها من البن في عام واحد ، ونسبة الدين الى الناتج القومي تبلغ ١٧,٩٪ ، وهي نسبة معقولة ، وقروضها بسعر فائدة بسيط ٣,٩٪ ،







* (إلى اليسار) طعام الفقراء دقيق وماء ، يوزع في أطباق من (البلاستيك) (وإلى أعلى) مزارع الشاي الممتدة . (وفي الوسط) اثار الدمار في مدينة لويروا . (وفي الأسفل) مصنع النسيج في المدينة الصناعية



ومتوسط فترة السداد ٣٤ سنة، منها فترات سماح في حدود سبع سنوات. ويصنف عدد السكان في سن العمل بين سن (١٥ - ٦٤)، ومعدل نمو القوى العاملة في ازدياد إذ بلغ ١.٧ سنويا، ولكن المشكلة كما أوضحنا، وكما صرح المسؤولون الأوغنديون - تكمن في الحاجة الشديدة إلى التمويل.

فهي مدينة جنجا - على ساحل النيل - وهي مدينة صناعية هامة تنتشر فيها صناعات الغزل والنسيج، والسكر، والورق، والسجاد، والبيرة، والأغذية المعلبة، وعدد من الصناعات المحلية، ومصنع النسيج يعمل بنصف طاقته الكلية، وينتج سنويا مليون متر من القماش، ويعمل به ٤٥٠٠ عامل، ويقوم المصنع بكل عمليات الغزل والنسيج كاملة، ولكنه يحتاج إلى تمويل استثماري لزيادة طاقته الإنتاجية، والوصول إلى أقصى طاقة إنتاجية. وجميع العاملين في مصنع الغزل والنسيج وكافة المصالح الأوغندية (كوادر) وطنية سواء في الإدارات العليا أو الدنيا، وتكمل جامعة وسط أوغندا (ماكريري سابقا) التي تقع في قلب العاصمة سد حاجة جهات العمل الأوغندي بالمؤهلين علميا، صحيح أن هيئة تدريس الجامعة بها بعض المناصب يشغلها غير أوغنديين، لكن تظل هذه الظاهرة في إطار الجامعة دون أن تمتد إلى بقية المؤسسات الأخرى. وثمة وجه آخر من الأزمة الأوغندية هي مشكلة إعادة تعمير المدن والقرى التي تضررت من الحروب المتكررة، التي ذهب فيها ما يقرب من ٧٥ ألف قتيل، وتهدمت فيها قرى بأكملها. وفي وزارة إعادة التعمير قالت وكيلة الوزارة لشؤون التعمير والمدن الجديدة «في تقديرنا أننا نحتاج إلى ٦٠ مليونا و ٧١٥ ألف دولار، فنحن نحتاج إلى مشروعات إنقاذ وإغاثة في مجالي الغذاء والإسكان، وفي مجالات الخدمة الصحية والأدوية للإنسان وللحيوان، كما نحتاج إلى إعادة بناء مقار دارات الدولة، وأدوات زراعة، وتجهيزات للمدارس، الخ، والمسألة باختصار إنشاء مدن كاملة من جديد لإنقاذ الذين نزحوا ويعيشون الآن في وسط الحقول والأحراش

وبرغم أن هناك كثيرا من الدول والهيئات تسرع إلى عرض استعدادها لتقديم معوناتها، مما جعل أوغندا في ظل الحكومة الجديدة مسرحا للصراع بين القوى الراغبة في تبعية أوغندا لها، أو خدمتها لمصالحها على الأقل، ولذا فإن الحكومة تؤكد أكثر من مرة، ولا تثبت نفعا في مثل هذه المساعدات أو عروض الفرص، في نفس الوقت الذي ترحب فيه وتبادر في منافسة إمكانية المساعدات من دول العالم الثالث والصديقين الوطنية، وحسابات الحكومة السياسية ترى أن مثل هذه الدول والصديقين لكي تعمل في العالم الثالث لا تهدف إلى مصالح خاصة على حساب أوغندا

لؤلؤة أفريقيا

تبقى بين أوغندا ساحرة ومثيرة وغامضة، هكذا هي الحياة في أوغندا، وإذا كانت الفترة من ١٩٦٣ وحتى ١٩٧٢ قد شهدت ٨٢ انقلابا في أفريقيا، ما بين ناجح وفاشل، فإن هذه الانقلابات كما يقول جاك وودز في كتابه الشهير (الجيوش والسياسة) انقلابات متنوعة إلى حد كبير فيما يتعلق بأسبابها وأهدافها وسماتها، فبعضها مهد الطريق لتطورات سياسية إيجابية، أما البعض الآخر فقد أعاد عقارب الساعة السياسية والاقتصادية إلى الوراء.

وتشهد أوغندا حاليا محاولات جدية ومخلصة في دفع عجلة التنمية إلى الأمام، صحيح أنه ما زال هناك بعض المتاعب، فما زال هناك في أقصى الشمال بعض المناوشات من عناصر مناوئة للنظام، لكنها - في كل التقديرات - لا تزيد عن مناوشات لا تثير إزعاجا، وما زال هناك داخل المدينة نوع من الحذر، ونوع من القلق والترقب الذي يدفع الحراس في الليل إلى إطلاق الرصاص خشية وخوفا عند أي حركة، ويطارد الرصاص أحلام النائمين، ويدفعهم خارج الفراش، وما زالت نقاط التفتيش عند كل التقاطعات والطرق، وما زالت الأحراش والأدغال الأوغندية غامضة لا يدري أحد ماذا تخفي؟ ورغم هذا القلق والترقب فإن هناك توقعا جازما بأن الحياة ستستمر وتستقر، وأن أوغندا - لؤلؤة أفريقيا - التي كانت ستعود لتومض وتبرق، وتشع جمالا سحريا، وتعود حلما أسطوريا لكل عاشق جمال الطبيعة الوحشي الرائع النادر، ستعود أوغندا حلما أفريقيا رائعا، لؤلؤة رائعة كما كانت، هكذا يحلمون في أوغندا، فهل يصبح الحلم واقعا؟ □



كتاب العربي مرآة العقل العربي



كنز في باطن الأرض !

بقلم : رؤوف وصفي

« يستخدم (الكوارتز) في العديد من المجالات في حياتنا اليومية ، كالمجوهرات والساعات والزجاج والعدسات وأجهزة التلفاز والمذياع والرادار ـ فما هي قصته ؟ ومن أين تبدأ رحلته ، وما هي مراحلها حتى يتم تصنيعه فيصبح جزءا من حياتنا العملية ؟ »

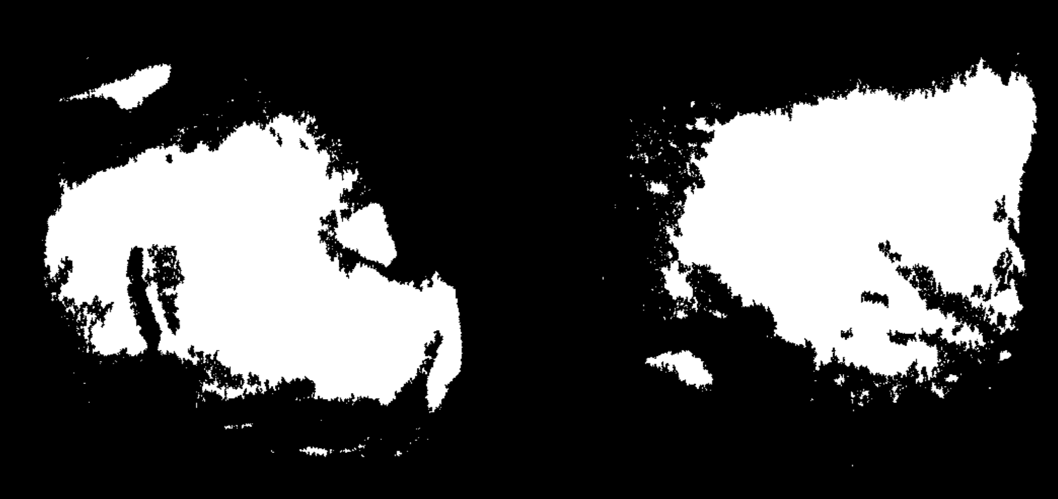
تحتفظ الأرض بكنوزها بين طبقات الصخور ، في شكل معادن نفيسة ، كالماس والذهب والبلاتين والكوارتز (المرو) . وهي تتألق بأحجامها المختلفة ، وألوانها المتعددة ، وبريقها الأخاذ ، كأنها بعض أشعة الشمس قد تجمدت في تشكيلات رائعة بين هذه الصخور لتتحدى الزمن . ويعتبر (الكوارتز) من أكثر المعادن انتشارا في قشرة كوكب الأرض . فمعظم الرمال التي تغطي شواطىء الأنهار والبحار والمحيطات من الكوارتز ، وبخاصة الرمال البيضاء التي تتكون من حبيبات (الكوارتز) النقية .

ومن المعروف أن كوكب الأرض يتكون من ثلاث طبقات . قشرة الأرض ، ويتراوح سمكها بين ستة كيلومترات تحت المحيطات ، وسبعين كيلومترا تحت سلاسل الجبال . وتليها طبقة الستار (عباءة النواة) التي يبلغ عمقها حوالي ثلاثة آلاف كيلومتر . ثم نواة الأرض التي يصل قطرها إلى حوالي سبعة آلاف كيلومتر . ويعتقد أن النواة الخارجية في حالة انصهار ، أما النواة الداخلية فهي صلبة



● بلورات من الكوارتز النقي

● تكوين رائع للعقيق والجمشت (الكوارتز البنفسجي)



● نوعان من الأوبال (حجر عين الشمس)

ويحيط ساطن كوكب الأرض علاف من الصحور التي تختلف في كثافتها وطبيعتها وتركيبها ، وعموما فان الصحور تتركب من مجموعة عناصر متحدة في صورة مركبات كيماوية ، تعرف بالمعادن ، ويقصد بالمعدن الجسم الطبيعي لا العضوي ، أي ما ليس له أصل ناتي أو حيواني

(الكوارتز) كنز بين الصخور

يبلغ عدد العناصر الأكثر شيوعا في الطبيعه ثمانية تكون معظم وزن قشرة الأرض ، وهذه العناصر هي الأوكسجين والسليكون والالمنيوم والحديد والكالسيوم والصوديوم والبوتاسيوم والماغنيسيوم يمثل الأوكسجين والسليكون حوالي ٧٥٪ من وزن العلاف الصخري ، ومن هذين العنصرين يتكون الكوارتز الذي يطلق عليه علميا اسم « ثاني اكسيد السليكون »

يختلف تركيز المعادن في طبقات الصخور ، فهي كثيفة في بعضها ، ونادرة في بعضها الاخر ، وهذا يعني أنه ليس للصخور تركيب كيميائي واحد ، بل يمكن تقسيمها الى ثلاثة أنواع هي

الصخور النارية هي التي صعدت من باطن الكرة الأرضية في هيئة كتل صخرية منصهرة ، يتصاعد منها البخار (وتسمى « الصهارة ») ، ثم تأثرت ببرودة سطح الأرض خلال ملايين السنين فتجمدت . وتتميز الصخور النارية بشدة صلابتها ، وبأنها عديمة المسام

الصخور الرسوبية هي التي نشأت على سطح الأرض نتيجة لتفتت الصخور الناريةعبر العصور الطويلة ، ولتأثير عوامل التعرية ، وأثر الكائنات العضوية وتتكون الصخور الرسوبية من عدة طبقات تحتوي على بقايا عضوية نباتية وحيوانية ، تدل على نوع الحياة التي كانت موجودة في الأزمان السحيقة المختلفة ، أي أن هذه الصخور تعتبر بمثابة سجل للكائنات الحية

الصخور المتحولة هي التي كانت في الأصل صخورا نارية أو رسوبية ، ثم تغير تركيبها المعدني بسبب عوامل الضغط الشديد ، والحرارة المرتفعة ، أو بكليهما معا

ويدخل الكوارتز في تركيب معظم الصخور النارية والمتحولة وكثير من الصخور الرسوبية ، لأنه يقاوم عوامل التحلل والتفتت التي تتعرض لها هذه الصخور عبر حقب الزمن وتوجد بعض أنواع الكوارتز في بلورات كبيرة الحجم ، أو قد توجد في بلورات دقيقة جدا ، تستحيل رؤيتها الا باستخدام المجهر ، وبأعداد كبيرة كما قد يوجد الكوارتز عبر النقي في شكل عروق ضخمة ، يبلغ سمكها عدة أمتار ، وطولها بضعة كيلومترات

المعادن والبلورات

توجد معظم المعادن في قشرة الأرض في شكل (بلورات) ، ويقصد بالبلورة الجسم الصلب المتجانس الذي له تركيب ذرى محدد ، وله مستويات ـ تسمى أوجه البلورة ـ تحد البلورة من الخارج ، وتميز شكلها الهندسي المنتظم الذي شكلته العوامل الطبيعية تحت ظروف الضغط الهائلة ، ودرجات الحرارة العاليه ، ولكل من هذه البلورات شكل معين يتوقف على التركيب الذري المكون لها ، كما تميز البلورات محاور هي عبارة عن خطوط وهمية ، تمر بمركز البلورة ، وتسمى كل مجموعة من الأوجه المتشابهة « التشكل البلوري »

يوجد الكوارتز ـ غالبا ـ في شكل بلورات جميله ذات جوانب ستة ، تنتهي باشكال على هيئه أهرامات سداسيه عند اطرافها ، كما يوجد أحيانا نوع من بلورات الكوارتز بجوانب ثلاثة ومنه بلورات كبيره الحجم ، تدل على أن الصخور التي تحتويها قد بردت ببطء ، أما اذا كانت البلورات صغيرة أو دقيقة جدا فيعني هذا أن الصخور قد بردت بسرعة وتتكون بلورة المعدن من شكل بلوري واحد ، تسمى بلورة بسيطة ، فاذا كانت تتكون من عدة أشكال بلورية مجتمعة أطلق عليها اسم (بلورة مركبة)

ويمكن التمييز بين المعادن بدراسة الاشكال التي تتخذها بلوراتها ، والخواص التي تنفرد بها يبلغ عدد المعادن التي اكتشفت حتى الوقت الحاضر حوالي ثلاثة آلاف معدن ، معظمها نادر الوجود ، أما المعادن واسعة الانتشار فلا تتعدى خمسين معدنا ، توجد خلال العلاف الصخري للارض

هناك قوى معينة تربط بين الذرات المختلفة في بلورات المعادن ولنوضح بشيء من التفصيل تركيب

الذرة نفسها ، وترتيب الالكترونات المدارية فيها ، لأن هذا الترتيب هو الذي يحدد نوع الرابطة بين الذرات فما هي مكونات الذرة ؟

الذرة هي أصغر أجزاء المادة ، تتكون من نواة ، تحيط بها مجموعة جسيمات ، يطلق عليها اسم (الكترونات) ، تحمل كل منها شحنة سالبة ، وتدور في مدارات خارجية حول النواة . وتتكون نواة الذرة من نوعين من الجسيمات ، أحدهما بروتونات موجبة الشحنة ، وثانيهما ، نيترونات لاتحمل أي شحنة . وفي الظروف العادية تكون الذرة متعادلة كهربيا ، أي أن عدد الشحنات السالبة التي تحملها الالكترونات يساوي عدد الشحنات الموجبة التي تحملها البروتونات ، ويمكن بطرق حرارية أو كهربية أو كيمائية التأثير في المدارات الخارجية للالكترونات لأنها بعيدة عن قوة جذب النواة ، وجعلها تشترك في التفاعلات الكيميائية وفي تكوين المعادن ، وذلك بانتقال الكترون واحد أو أكثر من ذرة الى أخرى .

فاذا فقدت الذرات الكترونا أو أكثر أو اكتسبت مثل ذلك اطلق عليها اسم (ايونات) وأصبحت ذات شحنات كهربية ، حيث تغير تركيبها الذري المتعادل . فاذا كانت الأيونات موجبة عرفت باسم (كاتيونات cations) وادا كانت سالبة سميت أيونات Anions) وتتكون معظم المعادن من مجموعات من الايونات تربط بينها روابط كهربية ، تنشأ عن الشحنات المتضادة (السالبة والموجبة) ، ومن العوامل الهامة في تركيب المعادن ، النسبة بين حجم الأيونات التي تدخل في تركيب بلوراتها وبين مقدار الشحنات الكهربية ، ويطلق على الترابط بين الأيون الموجب والسالب في البلورة اسم (الرابطة الأيونية) ، وهي التي تحدد مدى صلادة المعدن

الكوارتز معدن جميل

الكوارتز النقي شفاف ، يبدو أكثر صفاء من الزجاج ، وفي هذه الحالة يطلق عليه اسم (البلور الصخري) ، لكن الجزء الأكبر من الكوارتز الذي يوجد في الطبيعة لايوجد نقيا اذ تتخلله مجموعة شوائب مختلفة الألوان ، مما يضفي عليه جمالا أخاذا ـ كالكوارتز البنفسجي ـ فيستعمل في صناعة المجوهرات ومهما كانت الحال فكل أنواع الكوارتز تتميز بالجمال فحجر الصوان ـ على سبيل المثال ـ كوارتز غير نقي ، استخدم قديما في صناعة الأسلحة البدائية ، وقد أمكن تصنيف معادن الكوارتز الى مجموعتين رئيسيتين :

(١) المجموعة المتبلورة : وهي المجموعة الأكثر انتشارا ، بالرغم من ندرة وجود بلورات كاملة منها ، ومن هذه المجموعة الأنواع التالية :

الكوارتز الوردي : وهو الذي يوجد في كتل متبلورة خشنة ، ونادرا ما يتوافر ببلورات منفصلة ، ويحتمل أن يكون سبب تلونه باللون الوردي هو وجود شوائب فيها من معدن المنجنيز .

الكوارتز الأزرق : وهو نوع نادر من الكوارتز ، يوجد غالبا بين سلاسل الجبال .

الكوارتز المسمى (عين القط) : وهو يتميز بوجود خيوط رفيعة جدا متوازية ، تتخذ أشكالا جميلة عندما يسقط عليها الضوء . وقد أطلق على هذا النوع من الكوارتز هذا الاسم لأنه عندما يقطع دوائر يصبح بريقه كعين القط في الظلام .

* **الكوارتز الأصفر** وهو الذي تتخذ بلوراته الشفافة لونا أصفر رائعا ، ويستخدم في صناعة المجوهرات ، ويرجع سبب تلونه باللون الأصفر لوجود شوائب من أكسيد الحديد .

* **الجمشت (الكوارتز البنفسجي)** وهو من أجمل بلورات الكوارتز ، ويستخدم في صناعة الحلي ، ويرجع سبب تلونه باللون البنفسجي لوجود شوائب من معدن المنجنيز .

* **الكوارتز المدخن** وهو الذي يوجد غالبا في شكل بلورات ذات لون دخاني أصفر ، أو بني أو أسود ، و يستعمل في صناعة المجوهرات .

* **الكوارتز اللبني** وهو أكثر أنواع الكوارتز المتبلور انتشارا في الطبيعة ،

يوجد في شكل عروق معدنية ، ويرجع سبب تلونه باللون اللبني الى وجود شقوق مجهرية في البلورات تكسر أشعة الضوء ، ويستخدم الكوارتز اللبني في صناعة الحلي أيضا .

(٢) المجموعة الدقيقة التبلور : وتضم الكوارتز والبلورات المجهرية ، ومنها :

* **العقيق** وهو نوع من الكوارتز ، يتميز ببريقه الشمعي ، ونعومة ملمسه ، يوجد بشكل شفاف أو





شفاف وقد توجد بعض أنواعه باللون الأبيض ، والأحمر ، أو الأخضر أو المائل الى الخضرة ذي النقط الحمراء وهو حجر الدم ، أو الرمادي ، أو البني ، أو الأسود ، وهناك نوع منه يتميز بألوانه المتعددة التي تكون بشكل صفوف مستقيمة أو متموجة . ويستخدم بعض أنواع العقيق في صناعة المجوهرات .

* **اليصب** وهو غير شفاف ، يتلون باللون الأحمر ، أو الأصفر ، أو البني ، أو بمزيج من كل هذه الألوان .

* **حجر الصوان** وهو الذي يوجد بألوان مختلفة ، منها الرمادي والبني والأسود ، ويمكن أن يسن ليصبح حادا ، لهذا استخدم في العصور القديمة لصناعة الاسلحة كالرماح .

وهناك مجموعة ثالثة من الكوارتز مثل معدن الأوبال ، ويسمى حجر عين الشمس ، وهو نوع من الكوارتز غير متبلور ، يحتوي على نسبة من الماء (بين ٣الى٩بالمائة) ، ويكون الأوبال شفافا ، أو أبيض اللون ، وقد يوجد بعضه متلونا باللون الأخضر ، أو الاصفر ، أو الأحمر أو بمزيج من كل هذه الألوان .

يمتاز الكوارتز بصلادته الشديدة ، وهو في المرتبة السابعة حسب مقياس « موهز » الذي يرتب عشرة معادن شهيرة ترتيبا تصاعديا حسب صلادتها النسبية وهي : ١ ـ التلك ٢ ـ الجبس ٣ـ الكالسيت ٤ ـ الفلورايت ٥ ـ الاباتيت ٦ ـ الارثوكلاز ٧ـ الكوارتز ٨ـ التوباز ٩ ـ الكوراندوم ١٠ ـ الماس

ويقصد بالصلادة مدى مقاومة سطح المعدن للخدش ، فالتلك مثلا أقل تلك المعادن مقاومة للخدش ، أما الماس فهو أكثر المعادن مقاومة ، وتتوقف درجة صلادة المعدن على قوة الربط في بلورته ، وسبب صلادة الكوارتز يرجع الى الربطة الأيونية في بلورته ، حيث تتقارب الأيونات التي تتميز بصغر حجمها وكبر شحنتها الكهربية .

الكوارتز وكهرباء الضغط

لايستعمل الكوارتز في صناعة المجوهرات فحسب بل ان له استخدامات صناعية متعددة ، فقد اكتشف بييركوري* في عام ١٨٨٠ أن لبلورات الكوارتز خاصية ، تسمى « كهرباء الضغط » Piezo Electricity ويقصد بها تكون شحنات كهربية على المحور البلورية اذا تم الضغط على بلورات الكوارتز ، وقد اتضح فيما بعد أن تذبذب شريحة بلورة الكوارتز يحدث نفس أثر الضغط عليها ، أما سبب وجود كهرباء الضغط فيرجع للشحنات الكهربية لايونات بلورات الكوارتز ، فاذا قطعت بلورة الكوارتز الى شرائح كان لكل شريحة وجهان ، فاذا تم وضع احدى هذه الشرائح بين ألواح معدنية فان وجهي الشريحة ينضغطان معا ، فيتولد على أحد الوجهين شحنة كهربية موجبة ، وعلى الآخر شحنة كهربية سالبة ، وهكذا يتم توليد جهد كهربي عبر بلورة الكوارتز ، ويمكن أن يتم الأمر على عكس ذلك بتوصيل وجهي البلورة بجهد كهربي يجعلها تنكمش ثم تتمدد ، ويطلق على هذا اسم « الذبذبة vibration» ، وتحدث هذه الذبذبة بسرعة كبيرة وفق تغير قطبي الجهد الكهربي . ويطلق على السرعة التي تتذبذب بها شريحة البلورة في زمن معين اسم « التردد Frequency » ، وهو يتوقف على سمك الشريحة وحجمها ، فكلما كانت أقل سمكا ارتفع عدد ترددها ، وبالعكس ، وبعض بلورات الكوارتز يمكن قطعها بحيث يكون سمكها قليلا جدا ، فتتذبذب ملايين المرات في الثانية الواحدة ، لكن يجب أن يكون التردد الذي يذبذبها مساويا لترددها الطبيعي . وبسبب هذه الخاصية تستعمل بلورات الكوارتز في أجهزة الاستقبال ، لترشيح الترددات غير المطلوبة ، وفي أجهزة الارسال كالمذياع والتلفاز والرادار ، وأجهزة العرض السينمائية ، حيث تتشقق بلورات الكوارتز أو يتغير حجمها في حالة الحرارة أو البرودة .

ففي حالة أجهزة الارسال كالمذياع مثلا تقوم بلورات الكوارتز الطبيعية الثابتة-التي تتحول الى موجات راديو- بنفس الترددات، ثم ترسل عبر الهواء الى أجهزة الاستقبال حيث تظل ثابتة ، وهكذا يمكن تحويل مؤشر جهاز المذياع الى نفس المكان في كل مرة ، والاستماع الى محطة اذاعة محددة .

وتستخدم خاصية كهرباء الضغط في بلورات الكوارتز في أجهزة محولات الطاقة ، مثل الحاكي ،

* الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء

وسماعات الأذن ، ومكبرات الصوت ، حيث تتحول الطاقة الميكانيكية الى طاقة كهربية وبالعكس .

الكوارتز المصهور

يمكن صهر الكوارتز النقي في درجة حرارة عالية (٧١٠ درجةمئوية) داخل أفران كهربية ، ويطلق عليه في هذه الحالة اسم « الكوارتز المصهور » ، وهو يتميز بأنه أقل المواد تمددا أو انكماشا عندما تتغير درجة الحرارة ، لهذا يستخدم في صناعة المرايا والعدسات ، خاصة في المراقب (التلسكوبات) .

ولأن الكوارتز المصهور يسمح بمرور الاشعة البنفسجية خلاله استخدم في صناعة زجاج نوافذ بعض المستشفيات ، لأن الزجاج العادي لايسمح بمرور هذه الاشعة التي يحتاجها الاطباء لعلاج بعض المرضى ، كما استخدم الكوارتز المصهور مع الزئبق في صناعة (لمبات) خاصة ، تصدر الأشعة فوق البنفسجية ، (تسمى أشعة الشمس الصناعية) . ويقاوم الكوارتز المصهور تأثير الاحماض ، ولهذا استخدم في صناعة أنابيب الاختبار ، والقناني التي توضع فيها المواد الكيماوية القابلة للتفاعل . وتستخدم بعض أنواع الكوارتز أيضا في صناعة الزجاج ، والاسمنت ، وورق الصنفرة ، ومواد البناء ، ورصف الطرق ، ومساحيق التنظيف ، وغيرها .

ساعة الكوارتز

تعددت أنواع ساعات الكوارتز ، وأصبحت شائعة الاستخدام في كل أنحاء العالم ، كيف تعمل هذه الساعة ؟

تحتوي هذه الساعة على بلورة كوارتز صغيرة الحجم ، تتذبذب بترددات دقيقة جدا كل ثانية ، وفي كل مرة تتذبذب فيها تصدر نبضة كهربية (خاصية كهرباء الضغط) وتحصي الأجزاء الأخرى في ساعة اليد هذه النبضات ، وتقوم بتغيير الأرقام في لوحة العرض ـ التي تعمل بالبلور السائل ـ لتظهر الوقت الصحيح .

تصدر بلورة الكوارتز نبضة كهربية عندما تمتد أو تنكمش (أي تتذبذب) وذلك عندما يصلها تيار كهربي ضعيف من بطارية الساعة ، وتقوم تلك البلورة بعدد ثابت من الترددات ، ثم تعطي نبضات كهربية تتزامن مع هذه الترددات ، وتصل هذه النبضات الى شريحة سليكون داخل الساعة ، تقوم باحصاء تلك النبضات ، وكل ثانية ترسل اشارة الى لوحة العرض الرقمية لتغيير الوقت المسجل ، وتستمر شريحة السليكون في احصاء الثواني لتظهر الدقائق والساعات .

بلورة الكوارتز بين الحقيقة والخيال

منذ آلاف السنين اعتقدت بعض الشعوب بأن للاحجار الكريمة قوى سحرية وطبية خارقة ، وقد استخدموها لعلاج بعض الأمراض ، وفي ممارسة بعض الطقوس الدينية واتخذوا منها تعاويذ تحمي الافراد من كل شر أثناء حياتهم ، بل حتى داخل قبورهم . ويعتقد عدد كبير من الناس ـ في وقتنا الحاضر أن لبلورة الكوارتز النقية قوة خفية وطاقة هائلة ، وأن ارتداءها يعطي الشخص شعورا بالسعادة ، ويخفف من آلامه ، ويجعله أكثر نشاطا ، ويمتعه بصفاء الذهن ويبعده عن الأرق .

تتوفر بلورات الكوارتز لدى مؤسسات خاصة بالخارج في أشكال مختلفة مثل أهرامات صغيرة ، وقلادات ذات ثمانية جوانب ، وحلى دائرية ، وخواتم ، وأقراط بأشكال وأحجام متعددة .

ويعكف العلماء على دراسة بلورات الكوارتز النقية محاولين التعرف على مزيد من خصائصها ، لتحديد أسباب الاعتقاد الشائع بقدراتها الخارقة وذلك اطار علم حديث يسمى « الباراسيكولوجي » ، وهكذا تبقى القوة الخفية لبلورات الكوارتز ـ اذاكانت حقيقية ـ سرا مغلقا ـ □

● أيها العبيد ، انهضوا . انهم لايبدون أمامكم عظماء ، الا لأنكم راكعون .
توسان


صدر العدد الجديد
من مجلتك
العربي الصغير
مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي
رئيس التحرير: د. محمد الرميحي
يشترك في تحريره مع الفتيان والفتيات العرب
نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين
اقرأ في هذا العدد:
محكمة العدل الاسلامية.
ألف ليلة وليلة - حكاية الحمار والثور.
ماذا تعرف عن: القبة السماوية في الكويت؟
فلكيون .. لامنجمون.
ابن خلدون: الحلم والمستحيل.
من أساطير الشعوب - حكاية من السودان.
المرجان يستعين بالصواريخ.
دائرة معارف العربي الصغير
اسلاميات
إصنع بنفسك
صفحة الكمبيوتر
صفحات لأخيك الصغير وأختك الصغيرة
٦٤ صفحة بالألوان
نتيجة مسابقة العدد الحادي عشر
ومسابقة جديدة و ١٠٠ جائزة



عبدالحميد بن هدوقة و أبوالمعاطي أبو النجا

■ طه حسين يمثل الحل الصحيح لاشكالية الأصالة والمعاصرة . ■ البطل الايجابي ليس هو المتفائل السادج . بل هو الذي يثير القلق . ويختشى حين تحتم الظروف هذا المقتل ■ المثل الأعلى عندنا ليس نقطة تفصلنا عنها مسافة ، بل المسافة عندنا جزء من هذا المثل الأعلى ■ الرواية الحديثة في اوروبا ـ رغم تقدمها في الشكل ـ تفتقر الى قضية ، أما أنا فأكتب رواية حديثة تحمل قضية ■ (الأحمر) و (الدراويش) كلاهما منفصل عن واقعه ، والجيل التالي الذي يعي هذا الانفصال ويتخطاه هو الذي سيرث الجزائر ■ (الأنظمة) مهما كانت جيدة وتقدمية لا بد أن تأخذ في اعتبارها مقومات المجتمع الروحية

عبد الحميد بن هدوقة ، ولد بالمنصورة ، بولاية سطيف سنة ١٩٢٥ ، وهو واحد من أهم كتاب القصة والرواية في الوطن العربي، ومن أوائل من كتبوا القصة والرواية الجزائرية باللغة العربية .

أما محاوره فهو ابو المعاطي أبو النجا من أسرة تحرير مجلة (العربي) .

من أهم مؤلفاته

- ظلال جزائرية ـ مجموعة قصص ـ بيروت سنة ١٩٦٠
- الاشعة السبعة ـ مجموعة قصص ـ تونس سنة ١٩٦٢
- الأرواح الشاعرة من الشعر الحر . الجزائر سنة ١٩٦٧
- ريح الجنوب ـ رواية ـ الجزائر سنة ١٩٧١
- الكاتب وقصص أخرى ـ مجموعة قصص ـ الجزائر سنة ١٩٦٤
- نهاية الأمس ـ رواية ـ الجزائر سنة ١٩٧٥
- بان الصبح رواية ـ الجزائر سنة ١٩٨٠
- الجازية والدراويش ـ رواية ـ الجزائر سنة ١٩٨٣

من كتبه المترجمة الى لغات أجنبية :

- ريح الجنوب : الى الفرنسية والهولاندية والالمانية والاسبانية وغيرها .
- نهاية الأمس : الفرنسية والهولاندية والبولونية وغيرها .
- بان الصبح : الفرنسية والالمانية والهولاندية .
- الجازية والدراويش : الفرنسية والروسية .

● باعتباركم من أوائل كتاب الجزائر الذين كتبوا القصة والرواية الجزائرية باللغة العربية ، لعله من المهم في البداية أن نتعرف على أهم المصادر والمؤثرات التي ترون أنها أسهمت في تكوينكم الفكري والفني سواء في اطار التعليم الذي تلقيتموه في الجزائر ، أو في إطار الثقافة العربية أو الثقافات العالمية ؟

ـ بالنسبة لنوع التعليم الذي تلقيته في الجزائر فقد درست (كجزائري من الريف من قرية الحمراء بجوار المنصورة) الفنون الأدبية التقليدية والعلوم الشرعية ، في ذات الوقت ، كانت هناك مدرسة للتعليم باللغة الفرنسية تابعت دروسها حتى نهايتها ، ثم في فترة تالية سافرت الى مارسيليا في فرنسا والتحقت بمدرسة تقنية ، وحصلت على دبلوم في تحويل المواد البلاستيكية ، وصادف في هذا الوقت ان كانت هناك مسابقة في فرنسا لتكوين مخرجين إذاعيين للعمل في الاذاعة الجزائرية فدخلت المسابقة ، وحصلت على منحة لدراسة الاخراج الاذاعي ، وكانت تلك نقطة تحول في حياتي المهنية ، حيث اتيح لي بعد ذلك ان أدرس المسرح وأتفرغ للعمل كلية في مجال الاعداد والاخراج الاذاعى والتليفزيوني .

وبعد الاستقلال عملت بالاذاعة والتليفزيون في الجزائر كمدير برامج فنية ثم تطورت من خلال العديد من المسئوليات الى أن كانت آخر مسئولياتي في مجال العمل هي مستشار ثقافي في الادارة العامة للتليفزيون والاذاعة .

ـ بالنسبة لأهم المصادر والمؤثرات في إطار الثقافة العربية ، فلعله من المهم هنا أن أشير الى مكتبة أبي في البيت ، كان ابي احد علماء الدين ، وكانت لنا مكتبة

توارثناها ابا عن جد ، زاخرة بأهم كتب التراث في الدين واللغة والأدب .

من أنفس ما كانت تضمه هذه المكتبة خطابات محررة من ملوك الطوائف في الأندلس الى بعض حكام الجزائر يطلب فيها هؤلاء الملوك من هؤلاء الحكام أن يضموا اليهم في حروبهم التي لم تكن تنتهي ضد بعضهم البعض ، وكانت هذه الخطابات مكتوبة بخط مغربي من أجمل الخطوط ، ومن المؤسف ان هذه المكتبة القيمة أحرقها الفرنسيون أثناء حرب التحرير لأن منطقة المنصورة التي بها قريتنا كانت احدى المناطق المحرمة لعنف المقاومة بها .

من خلال هذه المكتبة تعرفت على أمهات الكتب في الأدب العربي القديم والحديث الى ان وصلت لعصر النهضة ، ومع أني نهلت من كتاب عصر النهضة جميعا سواء في المشرق أو في المهجر ، وكنت اقلد « مي زيادة » بخاصة إلا أني كنت مفتونا بطه حسين ، قرأت كل كتب العقاد والحكيم وعبرهما ، اعجبت بهم ولكن إعجابي الأكبر كان بطه حسين .

لماذا طه حسين ؟

ـ لأن طه حسين هضم وتمثل الثقافة العربية القديمة وهضم وتمثل الثقافة العربية الحديثة ، وفي داخله تفاعلت الثقافات من خلال عقل منفتح ، وطه حسين بهذه المثابة يعتبر نموذجا للتواصل الفعال بين القديم والجديد في ثقافتنا ، بين المحلية والعالمية ، ويمثل الحل الصحيح لاشكالية الأصالة والمعاصرة ، والذي قام بمثل دور طه حسين عندنا في الجزائر بالنسبة لتحقيق تواصل فعال بين الثقافة العربية القديمة والثقافة المعاصرة هو الشيخ « البشير الابراهيمي » .

الأدب الروسي كان هو الأهم :

● ماذا عن تأثرك بالآداب الأجنبية ؟

ـ قرأت تقريبا معظم ماكتبه الأدباء الفرنسيون البارزون في القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين ، وتأثرت بهم ولكن اعجابي الأشد وتأثري الأقوى كان بالادباء الروس في القرن التاسع عشر ، لقد قرأت هذا الأدب في مرحلة الشباب ولهذا فتأثيره كان عميقا وشاملا ، قرأت ايضا لكتاب كثيرين آخرين مثل توماس مان وفرنسوا مورياك واندريه جيد وهمنجواي والبرتو مورافيا وجان جينيه وسيمون ديبفوار ، ولكن قراءتي لهؤلاء كانت قراءة ناقدة محللة . . ولا اظن أن تأثيرها تجاوز الجانب العقلي في نفسي الى الجانب الوجداني والروحي الذي يؤثر عليك دون أن تشعر في مرحلة الشباب !

من هم قراؤك ؟

● عندما بدأت تقدم اول عمل روائي لك « ريح الجنوب » باللغة العربية لمن كنت تتوجه بخطابك الروائي ؟ للقاريء الجزائري ؟ وكم كانت نسبة من يقرؤون بالعربية في الجزائر آنذاك ؟ أم كان في ذهنك القاريء العربي بعامة لتقدم له صورا من الجزائر وهي تخرج من حرب التحرير وتواجه مشاكل مرحلة الاستقلال ؟ ام كنت تخاطب القاريء في أي زمان ومكان لأنه في داخلك كل الكتاب من كل الدنيا ؟ وهل كان هذا الموقف يمثل مشكلة لجيلكم الذي بدأ يكتب بالعربية بعد أو مع جيل كاتب يس ، وحداد وفرعون ، وبوجدره ، وغيرهم ممن كتبوا (وبعضهم لايزال) بالفرنسية . وان كانت اعمالهم تترجم بعد ذلك الى العربية .

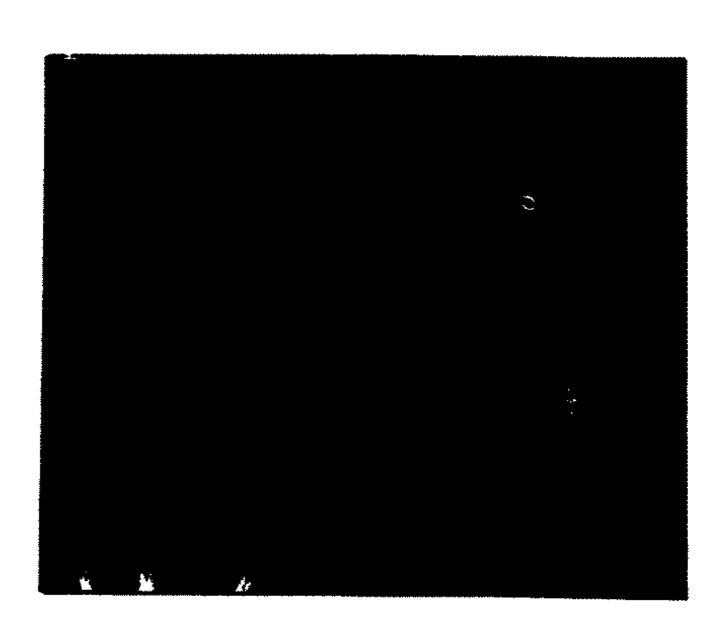
ـ حين بدأت اكتب بشكل عام كانت نسبة من يعرفون العربية حوالي ٦٪ من الشعب الجزائري ، وحتى تعرف ان المشكلة لم تكن مقصورة على من يعرفون العربية ، فان من يعرفون الفرنسية آنذاك من الشعب الجزائري كانت نسبتهم لا تزيد عن ١٠٪ ، وهؤلاء هم الذين كنا نسميهم المثقفين تجاوزا فلم تكن معرفة الكثيرين منهم تزيد عن الالمام بالقراءة والكتابة والمعارف العامة .

بدأت الكتابة في الخمسينيات بأقاصيص صغيرة في الجرائد ، الكتابة الحقيقية بدأت بعد الاستقلال ، لماذا لم تصدر الرواية العربية في الجزائر الا في السبعينيات ؟؟ لأن وجود مثقفين بالمعنى الحقيقي وكتاب للرواية بمعناها الفني الحقيقي لم يكن ممكنا قبل ذلك ، فهؤلاء المثقفون كانوا أساسا قلة قليلة ، وكانوا الى جوار ذلك مدعوين للقيام بمهام أخرى أكثر الحاحا أثناء الثورة ، ولأن كتابة رواية فنية بالمعنى الحقيقي كان يحتاج درجة من التفرغ والوقت لم يكونوا يملكونه ، ولأن قطاعات عريضة من قراء العربية في الجزائر لم تكن قد وجدت بعد ، الكاتب لا يكتب في المطلق أو المجرد ، ولكنه يكتب من واقع مجتمع محدد له مشاكله وظروفه ، ليسهم في تطويره ، ويعمل من خلال كتاباته على ازالة العوائق امام هذا التطور ، وهكذا فانني كنت انطلق من شعوري بمشاكل الانسان الجزائري أولا ، ثم الانسان العربي في الوطن العربي ، ثم الانسان في العالم ، وفي الواقع فإن هذه الدوائر ليست منفصلة ، بل هي متداخلة وفي الرؤية الأعمق هي متصلة ، فمشاكل الانسان الجزائرى هي مشاكل الانسان العربي قد تختلف في الدرجة أو المدى ، ولكن تناولها بصدق وبصيرة يجعلها تعني كل عربي بل كل انسان في العالم

ربما يبدأ الكاتب تحت تأثير تفجر الموهبة بتقليد غيره من الكتاب في عصره وفي موطنه، أولمجرد التعبير عن ذاته،ولكنه حتما ومع الوقت والنضج يصل الى نقطة الشعور العميق بالمسئولية ، الى اكتشاف ان الاخرين هم أيضا جزء من ذاته ، وأن أي تطور في وعيه بذاته لابد أن يرتبط بتطور وعيه بالاخرين ومشاكلهم ، وان عليه لكي يقدم رؤيته الفنية الخاصة لمشاكل وطنه وأمته بصدق أن يتسلح بأكبر درجة من الخبرة والمعرفة الموضوعية بهذه المشاكل

ريح الجنوب :

● « ريح الجنوب » هي روايتك الأولى ، وأظن طبعتها الأولى صدرت في أوائل السبعينيات ، وهي تصور احداثا تقع في سنة ١٩٦٤ أي بعد الاستقلال بعامين .



حول هذه الرواية التي تمثل كل شخصية فيها قطاعا أو فئة من المجتمع أود أن أبدأ بطرح سؤالين

أولا لقد صورت بدقّة وفي مساحات واسعة شخصية « عابد » الاقطاعي ، وشخصية العجوز رحمة و« رابح » الراعي ، لكن من ناحية اخرى كانت شخصية « مالك » الثائر أقل مساحة وربما أقل حضورا وفعالية ، بل كانت اقرب الى السلبية اذا قيست بشخصية « عابد » الاقطاعي في ايجابيته وهو يكافح ضد التيار ، ولعلنا نسجل الملاحظة ذاتها عن شخصية « نفيسة » ، التي عادت في نهاية أحداث الرواية المأساوية الى بيت ابيها شبه حائرة شبه عاجزة،بعد ان فشل مشروع هروبها منه

ماتفسيرك لهذه الملاحظة اذا وافقت عليها ؟

ثانيا ألا ترى أن فشل مشروع زواج مالك الذي يمثل الثورة من « نفيسة » التي تبدو وكأنها تمثل المستقبل ، يمكن أن يوحي بشيء من الخوف ، وعدم الثقة في المستقبل ؟

ـ أردت في هذه الرواية أن أتناول قضيتي « الأرض » و « المرأة » الأرض لا تتحرر بمجرد

الاستقلال وطرد المستعمر ، فبقاء الاقطاع يعني استمرار شكل من اشكال الاستغلال والسيطرة .

وتحرير المرأة لا يتم بمجرد صدور عدة قوانين تعلن ذلك أو بمجرد ذهابهاللمدرسة ، تحرير المرأة يتم من خلال تغيير الاوضاع الاجتماعية ذاتها ، وهذه عملية طويلة وشاقة،انا اردت ان اوضح العلاقة الجدلية بين تحرير الارض وتحرير المرأة ، وان ادعاء تحرير المرأة مع بقاء علاقة الاقطاع لايمكن ان يثمر حرية لا للمرأة ولا للرجل .

مشروع زواج « مالك » من « نفيسة » كان من الضروري ان بفشل ، لانه لم ينبع منهما ، وانما جاءت فكرته من الأب ، الذي لم ير في ابنته سوى مجرد وسيلة للاحتفاظ بالارض .

لو جعلت « نفيسة » تنجح في زواجها من شيخ البلدية الثائر لأوهمت القاريء ان قضية المرأة حلت وهذا غير صحيح ، ولو نجح مشروع هروبها لخالتها في الجزائر لاوهمت القاريء ان الهرب يمكن ان يصبح حلا ، وهذا بالقطع مالا اريده .

قضية المرأة قدمت على مستويين ، مستوى العجوز رحمة وهي تمثل المرأة في الماضي ، بل لعلها تمثل الجزائر القديمة التي تتعرض للتغيير ، وهي شخصية مركبة تجمع القيم الأصيلة المستمرة ، مثل تقديس العمل ، وحب الحياة ، وتحمُّل كل شيء من أجل استمرارها ، إنها تصنع الفخار وهو مادة الحياة الأولى ، ودائما تفكر بصنع آنية لم تصنع من قبل ، ولكنها تموت قبل أن تصنعها ، ومستوى التلميذة نفيسة التي تفقد بعض صفات العجوز رحمة ، قبل ان تتبلور صفاتها الجديدة التي تصطدم دائما بالمعوقات . . مثل زواج لاتختاره مع انه قد يكون صحيحا ، اردت ان اقول ان المستقبل لا تبنيه القرارات العلوية ، القرارات يجب ان تنبع من حاجات الناس الذين تعنيهم هذه القرارات وتمسهم . . !

اعود الى سؤالك الاساسي عن المساحة الكبيرة التي اخذتها شخصية الاقطاعي وشخصية العجوز « رحمة » .

« عابد » الاقطاعي شخصية متبلورة وقوية وواضحة،ولها جذور،وهي في ذلك مثل شخصية العجوز « رحمة » كلاهما يعرف ما يريد ، ويملك وسائله ، ويسعى بقوة لتحقيقه وقد ينجح او يفشل ، لكن شخصية « مالك » بعد الثورة كانت تواجه مرحلة غموض في الرؤية ، الثوار أثناء حرب التحرير كانوا جميعا رغم اختلافاتهم الفكرية يتفقون على هدف محدد هو تحرير الارض من المستعمر ، بعد الاستقلال مباشرة ، اختلف الوضع ، فكل مجموعة من الثوار ربما كان لديها تصور مختلف لمستقبل الجزائر .

« مالك » لم يكن يستطيع أن يفعل شيئا ، كان يعيش حالة انتظار وترقب بعد الانتقال المفاجيء من ضراوة الحرب الى هدوء سلام غير واضح المعالم،غير واضح الاهداف ، اما بالنسبة لنفيسة فهي ايضا تمر بمرحلة تغير كبير وعجز عن الرؤية ، انها تسافر الى الجزائر لتدرس فترى حياة جديدة ، وتتعلم افكارا جديدة ، وتتوهم انها قد أصبحت بالفعل حرة ، ولكنها حين تعود في الاجازة ، وتجد أباها يعد كل شيء لتزويجها من شخص لا تعرفه تكتشف انها كانت تعيش في وهم كبير . . وتتخبط في كل محاولات الخلاص . . لأنها لا تعرف كيف يكون الخلاص .

البطل الايجابي عندي ليس هو المتفائل الساذج،او الذي يربح،بل هو الذي يثير القلق ، ويفشل حين تكون الظروف الموضوعية تحتم الفشل .

خلل في الايقاع :

● لي ملاحظة أخيرة على الجزء الأخير من الرواية ، فالرواية تبدأ وتستمر خلال إيقاع هاديء ، ونسج دقيق محكم ، يتم بأناة وصبر ، ويربط النتائج بالاسباب ويحكم قبضته على أدق التفاصيل والخلجات ، ثم فجأة قبيل النهاية يسرع الايقاع منذ لحظة هروب نفيسة ، وتتوالى الاحداث التي تلعب فيها المصادفات دورا في شكل « ميلودرامي » مثل لدغة الثعبان والظهور المفاجيء للراعي ، ثم الاختفاء في بيته ، وتهجم الاب عليه ، الى حد محاولة القتل ، ويصحب هذا كله تبدل في سلوك الام الخرساء،ضد.نفيسة التي كانت

تعاملها بحنان مع انها ضحية مثل ابنها تماما . . .
ألا ترى ان هذا يحدث نوعا من الخلل في بناء الرواية ؟

ـ هدوء الايقاع في معظم الرواية كان ينسجم مع الحياة في الريف حيث تقع أحداث الرواية ، والهدوء في الريف في الواقع هدوء مظهري ، مجرد قناع ، وحين يسقط القناع تحت تأثير تطور الأحداث يظهر العنف الكامن ، لقد كان « عابد » يعرف طوال الوقت كيف يخفي حقيقة أهدافه ، ولكن حين أصبحت فضيحة « هروب ابنته » ووجودها في بيت الراعي « حديث الناس تحول الى وحش غير قادر على السيطرة على نفسه ، هذا يحدث حتى الان في ريف الجزائر .

ربما كان في حادث « لدغة الثعبان » لنفيسة اثناء محاولتها الهروب » شيء من المصادفة ، وفي ظهور الراعي كذلك ، لكن اليست المصادفة جزءا من الواقع ؟ الا تحدث في حياتنا فتكون حسنة او سيئة ، على انني قد مهدت لحادثة الثعبان ، بظهور ثعبان في البيت تحت الاريار للتنبيه الى ان المنطقة تكثر فيها الثعابين !

ومهدت لظهور الراعي المفاجيء بانه قد اضطر الرعي الى مهنة حطاب ليكون في ظهوره في تلك اللحظة شيء من الطبيعة ، « الراعي » و « امه » كانا يتميزان برقة القلب والانسانية بكل مدلولاتها ، وكان ذلك يحدث حين لا يتهدد الخطر شخصيتهما . ومع ذلك فلعلك لاحظت ان الراعي لم يقدر على مواجهة « عابد » مع أنه أقوى منه جسديا لكن الام هي التي تحولت الى ما يشبه الوحش للدفاع عن ابنها ، ثم بعد ذلك تحول حتى موقفها من نفيسة .

بالنسبة لنفيسة ، أين يمكن أن تذهب بعد هذا كله ؟ لم يكن امامها سوى ان تعود الى بيت ابيها ! كان يمكن ان اجعلها تذهب الى حيث يجلس اهل القرية ، وتعلن لهم كل شيء بشأن ابيها ، كان يمكن ان اجعل منها « انتيجونا » العصر الحديث ؟ لكن كل هذا يكون ضد الصدق ، وما يحتمله الواقع بالنسبة لنفيسة وريف الجزائر معا . . !

الجازية والدراويش :

● دعنا نقفز فوق عقد من الزمان لنصل الى أوائل الثمانينيات حيث صدرت روايتك الهامة « الجازية والدراويش » في هذه السنوات حدثت تطورات هائلة في مجتمع الجزائر ، وبطبيعة الحال انعكس هذا على أدبك الروائي،فالغموض الذي كان يحيط بموقف « مالك » الثائر بعد الاستقلال في رواية « ريح الجنوب » يتحول في رواية الجازية والدراويش الى صراع واضح المعالم بين تيارين في الجزائر ، التيار الذي تمثله شخصية « الاحمر » الطالب ومن معه ، ولْنقلْ انه اليسار ، والتيار الذي يمثله « الدراويش » ومن يلوذ بهم كالزراع والرعاة ومن يستخدمهم « كالشامبيط » ولنقل أنه اليمين ، ولقد حدث هذا الصراع في اطار محاولة الدولة بناء سد مكان قرية،وظهور الحاجة الى اقناع الاهالي بمغادرة قريتهم القديمة الى قرية جديدة بنتها الدولة . ليمكن بناء السد

ان الرواية كما هو معروف تستعرض مراحل وأساليب هذا الصراع بين الاحمر ومجموعة الطلاب من ناحية،وهم من يدعون الأهالي الى مغادرة القرية وبين الدراويش ومجموع الزراع والرعاة وهم من ينمسكون بالبقاء في القرية ، وتعبر الرواية أدبيا وفنيا عن طبيعة هذا الصراع ، من خلال موقف كل هذه الشخصيات والمجموعات من شخصية « الجازية » التي تمثل الجزائر . .

هذه لمحة سريعة عن الرواية ننطلق منها للحوار حولها :
يلاحظ القاريء أن بناء هذه الرواية يقوم على اساس ضفيرة مجدولة من زمنين: الزمن الحاضر ويعبر عنه صوت

« الـطيـب ابـن الاخـضـر » وهـو في السجن ، والـزمن المـاضي ويعبر عنه صوت « عايد بن السايح » وهو عائد من المهجر الى قريته ، كل صوت يروي فصلا من الرواية على التعاقب ، وقد حقق هذا البناء انجازا فنيا هائلا فقد كنت تدحل بالماضي في وقت معين ليفسر بطريق غير مباشر اشياء في الحاضر ، ويكسبها دلالات اكثر عمقا وثراء ، وايضا فان هـذا البناء كان يوحي بأن الماضي يسري في الحاصر وانه لافكاك بينهما ، وان علينا لكي نتقدم ألا ننفصل عن الماضي تماما بل يكون تقدمنا ارتقاء وعوا من افضل نقاط الانبعاث في هـدا المـاضي   هـل تـوافق عـلى هـدا التصير ؟؟

ـ أوافق تماما ، علماء الاحتماع يقولون ان الماصى يشكل ٧٠٪ من الحاصر ، فانا حتى قبل أن اولد ومادمت حرائريا من مواليد المصورة فسأكون عربيا ومسلما ، وسأكون مصرى مصير بلد عانى الاستعمار ، وانتمي الى العنة الثالث ، وانتمي حضاريا الى العروبه والاسلام والى حضاره حوص البحر الابيض، وجغرافيا الى الشمال الافريقي الخ الخ

اعود الى ملاحطاتك على بناء الروايه ، فىل روايه « الحارية والدراويش » كنت اكتب بطريقة تقليديه الى حد ما ، مراعيا ان ذلك ربما كان اكثر ملاءمه للقاريء الجزائرى في تلك المرحله، وقد كان بعض النقاد يظنون ان ذلك قصور مني ، كما ان هناك من يتهم اللغه العربيه بانها لا تمنح الفرصة للاساليب الحديثه في صياغة او بناء الروايه ، ولقد احببت ان ابرهن ان اللغه العربيه يمكن ان توفر قالبا حديثا ، لا نقل ـ ان لم نتفوق ـ على الرواية الحديثه في اوروبا ، لأن الرواية الحديثه في أوروبا رغم تقدمها في التشكل تفتقر الى موضوع أو الى قصه اما انا فأكتب رواية حديثة تحمل قصية ، تقرأ مثلا روايات « آلان روب جرييه » أو « ناتالي ساروت » ماذا يريدون ان يقولوا ؟ رواياتهم لا تخدم قضية ، رواياتهم تعبر عن رفض وملل وعدم انتماء ، نحن أبناء ظروف مختلفة ، ولدينا طريقة تفكير مختلفة ، نحن نعتقد ان الانسان مسئول في كل فترة من فترات حياته ، مثلنا الأعلى ليس نقطة تفصلنا عنها مسافة لابد ان نقطعها لكي نصل اليه ،

بل ان المسافة عندنا جزء من ذلك المثل الاعلى وطريق اليه ، فنحن مسئولون في كل المراحل وسعداء بكل جزء نقطعه من تلك المسافة ، مهما يكن قصيرا ، وفي الواقع انني ايضا احببت ان اشير بطريقة هذا البناء في الـرواية الى هـذا المعنى من بعيد الى جوار الهدف الاساسي الذي اشرت أنت اليه ، وهو تفسير الحاضر بالماضي وتداخلهما

شيء اخر أود ان اشير اليه يتعلق بطريقه بناء هذه الرواية ، فهذه الطريقه ايضا تجعل الروايه اشبه بلوحه مكونـة من خطوط متوازية ، ومتقاطعة وتتداخل الخطوط والالوان مع نمو الرواية حتى تكتمل اللوحة ، وكما أن مُشاهد اللوحة يراها كلها في خطة واحدة   بدايتها ونهايتها فان قاريء هذه الروايه يلتقي بنهايتها في البداية كما يجد نفسه في نهايتها ومن خلال هذه النهايه نزداد فهما ووعيا بالبداية

كل هذا تعبير عن التداخل بين الماضي والحاضر وقد كان هناك تداخل ايضا بين الواقـع والاسطورة فالجازية التي هي جزء واقعى في تاريخ الجزائر تحولت في الروايه الى اسطورة ، واذا كانت صوره « الحضرة » التي حدثت خلالها المواجهه بين الاحمر والدراويش من خلال الذِّكْر ، ولعب المدخل المحماه قد احدث تشكلا رمزيا وأسطوريا معا ، فان كل عناصر هذا الموقف جزائريه واقعيه ، مستمده من تقاليد القرى ، ولكن تجميعها وتوظيفها في لوحه شامله للتعبير عن طبيعه المواجهه بين « الأحمر » و« الدراويش » هو الذى ارتفع بها الى مستوى الاسطوره والرمز

الجيل الذي يرث الجزائر :

● أود ان اشير الى ما رأيته كقاريء لهذه الرواية من انعكاسات هذا البناء الفريد على المضمون ذاته،لقد رأيت

تعاملها بحنان مع انها ضحية مثل ابنها تماما . . .
ألا ترى ان هذا يحدث نوعا من الخلل في بناء الرواية ؟

ـ هدوء الايقاع في معظم الرواية كان ينسجم مع الحياة في الريف حيث تقع أحداث الرواية ، والهدوء في الريف في الواقع هدوء مظهري ، مجرد قناع ، وحين يسقط القناع تحت تأثير تطور الأحداث يظهر العنف الكامن ، لقد كان « عابد » يعرف طوال الوقت كيف يخفي حقيقة أهدافه ، ولكن حين أصبحت فضيحة « هروب ابنته » ووجودها في بيت الراعي « حديث الناس تحول الى وحش غير قادر على السيطرة على نفسه ، هذا يحدث حتى الان في ريف الجزائر .

ربما كان في حادث « لدغة الثعبان » لنفيسة اثناء محاولتها الهروب » شيء من المصادفة ، وفي ظهور الراعي كذلك ، لكن اليست المصادفة جزءا من الواقع ؟ الا تحدث في حياتنا فتكون حسنة او سيئة ، على انني قد مهدت لحادثة الثعبان ، بظهور ثعبان في البيت تحت الاريار للتنبيه الى ان المنطقة تكثر فيها الثعابين !

ومهدت لظهور الراعي المفاجيء بانه قد نزح من الرعي الى مهنة حطاب ليكون في ظهوره في تلك اللحظة شيء من الطبيعة ، « الراعي » و « امه » كانا يتميزان برقة القلب والانسانية بكل مدلولاتها ، وكان ذلك يحدث حين لا يتهدد الخطر شخصيتهما . ومع ذلك فلعلك لاحظت ان الراعي لم يصمد على مواجهة « عابد » مع أنه أقوى منه جسديا لكن الام هي التي تحولت الى ما يشبه الوحش للدفاع عن ابنها ، ثم بعد ذلك تحول حتى موقفها من نفيسة .

بالنسبة لنفيسة ، أين يمكن أن تذهب بعد هذا كله ؟ لم يكن امامها سوى ان تعود الى بيت ابيها ! كان يمكن ان اجعلها تذهب الى حيث يجلس اهل القرية ، وتعلن لهم كل شيء بشأن ابيها ، كان يمكن ان اجعل منها « انتيجونا » العصر الحديث ؟ لكن كل هذا يكون ضد الصدق ، وما يحتمله الواقع بالنسبة لنفيسة وريف الجزائر معا . . !

الجازية والدراويش :

● **دعنا نقفز فوق عقد من الزمان لنصل الى أوائل الثمانينيات حيث صدرت روايتك الهامة « الجازية والدراويش » في هذه السنوات حدثت تطورات هائلة في مجتمع الجزائر ، وبطبيعة الحال انعكس هذا على أدبك الروائي،فالغموض الذي كان يحيط بموقف « مالك » الثائر بعد الاستقلال في رواية « ريح الجنوب » يتحول في رواية الجازية والدراويش الى صراع واضح المعالم بين تيارين في الجزائر ، التيار الذي تمثله شخصية « الاحمر » الطالب ومن معه ، ولْنقلْ انه اليسار ، والتيار الذي يمثله « الدراويش » ومن يلوذ بهم كالزراع والرعاة ومن يستخدمهم « كالشامبيط » ولنقل أنه اليمين ، ولقد حدث هذا الصراع في اطار محاولة الدولة بناء سد مكان قرية،وظهور الحاجة الى اقناع الاهالي بمغادرة قريتهم القديمة الى قرية جديدة بنتها الدولة ليمكن بناء السد .**

ان الرواية كما هو معروف تستعرض مراحل وأساليب هذا الصراع بين الاحمر ومجموعة الطلاب من ناحية،وهم من يدعون الأهالي الى مغادرة القرية وبين الدراويش ومجموع الزراع والرعاة وهم من يتمسكون بالبقاء في القرية ، وتعبر الرواية أدبيا وفنيا عن طبيعة هذا الصراع . من خلال موقف كل هذه الشخصيات والمجموعات من شخصية « الجازية » التي تمثل الجزائر . .

هذه لمحة سريعة عن الرواية ننطلق منها للحوار حولها :
يلاحظ القارىء أن بناء هذه الرواية يقوم على اساس ضفيرة مجدولة من زمنين: الزمن الحاضر ويعبر عنه صوت

« الطيب ابن الاخضر » وهو في السجن ، والزمن الماضي ويعبر عنه صوت « عايد بن السايح » وهو عائد من المهجر الى قريته ، كل صوت يروي فصلا من الرواية على التعاقب ، وقد حقق هذا البناء انجازا فنيا هائلا فقد كنت تدخل بالماضي في وقت معين ليفسر بطريق غير مباشر اشياء في الحاضر ، ويكسبها دلالات اكثر عمقا وثراء ، وايضا فان هذا البناء كان يوحي بأن الماضي يسري في الحاضر وانه لافكاك بينهما ، وان علينا لكي نتقدم ألا ننفصل عن الماضي تماما بل يكون تقدمنا ارتقاء ونموا من افضل نقاط الانبعاث في هذا الماضي   هل توافق على هذا التفسير ؟؟

- اوافق تماما ، علماء الاجتماع يقولون ان الماضي يشكل ٧٠٪ من الحاضر ، فانا حتى قبل ان اولد ومادمت جزائريا من مواليد المنصورة فساكون عربيا ومسلما ، وسيكون مصيري مصير بلد عانى الاستعمار ، فسينتمي الى اللغة العربية ، وسينتمي حضاريا الى العروبة والاسلام والى حضارة حوض البحر الابيض وجغرافيا الى الشمال الافريقي الخ الخ

اعود الى ملاحظاتك على بناء الرواية ، فبل رواية « الجازية والدراويش » كنت اكتب بطريقة تقليدية الى حد ما ، مراعيا ان ذلك ربما كان اكثر ملاءمة للقارىء الجزائري في تلك المرحلة، وقد كان بعض النقاد يظنون ان ذلك قصور مني ، كما ان هناك من يتهم اللغة العربية بانها لا تمنح الفرصة للاساليب الحديثة في صناعة او بناء الرواية ، ولقد احببت ان ابرهن ان اللغة العربية يمكن أن توفر فنيا حديثا ، لا نقل - ان لم نتفوق - على الرواية الحديثة في اوروبا ، لأن الرواية الحديثة في اوروبا رغم تقدمها في التشكيل تفتقر الى موضوع أو الى قضية اما انا فأكتب رواية حديثة تحمل قضية ، تقرأ مثلا روايات « ألان روب جرييه » او « ناتالي ساروت » ماذا يريدون ان يقولوا ؟ رواياتهم لا تخدم قضية ، رواياتهم تعبر عن رفض وملل وعدم انتماء ، نحن أبناء ظروف مختلفة ، ولدينا طريقة تفكير مختلفة ، نحن نعتقد ان الانسان مسئول في كل فترة من فترات حياته ، مثلنا الأعلى ليس نقطة تفصلنا عنها مسافة لابد ان نقطعها لكي نصل اليه ، بل ان المسافة عندنا جزء من ذلك المثل الأعلى وطريق اليه ، فنحن مسئولون في كل المراحل وسعداء بكل جزء نقطعه من تلك المسافة ، مهما يكن قصيرا ، وفي الواقع انني ايضا احببت ان اشير بطريقة هذا البناء في الرواية الى هذا المعنى من بعيد الى جوار الهدف الاساسي الذي اشرت انت اليه ، وهو تفسير الحاضر بالماضي وتداخلهما

شيء اخر اود ان اشير اليه يتعلق بطريقة بناء هذه الرواية ، فهذه الطريقة ايضا تجعل الرواية اشبه بلوحة مكونة من خطوط متوازية ، ومتقاطعة وتتداخل الخطوط والالوان مع نمو الرواية حتى تكتمل اللوحة ، وكما أن مشاهد اللوحة يراها كلها في لحظة واحدة   بدايتها ونهايتها فان قارىء هذه الرواية يلتقي بنهايتها في البداية كما يجد نفسه في نهايتها من خلال هذه النهاية يزداد فهما ووعيا بالبداية

.

بل هذا تعبير عن التداخل بين الماضي والحاضر وقد كان هناك تداخل ايضا بين الواقع والاسطورة فالجازية التي هي جزء واقعي في تاريخ الجزائر تحولت في الرواية الى اسطورة ، واذا كانت صورة « الخضرة » التي حدثت خلالها المواجهة بين الاحمر والدراويش من خلال الذكر ، وتفي المدخل المحماه قد احدث تشكلا رمزيا وأسطوريا معا ، فان كل عناصر هذا الموقف جزائرية واقعية ، مستمدة من تقاليد القرى ، ولكن تجميعها وتوظيفها في لوحة شاملة للتعبير عن طبيعة المواجهة بين « الاحمر » و« الدراويش » هو الذي ارتفع بها الى مستوى الاسطورة والرمز

الجيل الذي يرث الجزائر :

● أود ان اشير الى ما رأيته كقارىء لهذه الرواية من انعكاسات لهذا البناء الفريد على المضمون ذاته، لقد رأيت

« الأحمر » من خلال « الدراويش » كما رأيت « الدراويش » من خلال « الأحمر » ، وقد اذن لي هذا التقابل أن اكتشف انه رغم المسافة الهائلة بينهما والتي حولت الحوار الممكن بينهما الى مواجهة مستحيلة،اكتشفت ان الاحمر يحمل الكثير من سمات الدراويش كما ان الدراويش يحملون الكثير من سمات الاحمر فهم مثله ثوار سمحوا لطاقاتهم الروحية ان تتمرد على اليومي والمألوف ولكنهم تركوا هذه الطاقات تنساب في مسارب خاطئة ، ولم يعرفوا ماذا يفعلون بها ؟ كما ان الاحمر يصدر عن ذات الطاقة الداخلية الهائلة ، ورغم اسلوبه العلمي والعملي الا انه كان مثلهم مندفعا امام هذه الطاقة الهائلة (الدرويش في داخله) حتى انفصل عن قومه وفقد اللغة المشتركة معهم بسبب يقينه القاطع بانها لم تعد لغة العصر ، وفي النهاية يلتقي هو والدراويش في سمة واحدة مشتركة هي الانفصال عن واقع القرية،والعجز عن الحوار مع اهلها،ولقد بدا من بناء الرواية ومن الطريقة التي تتعامل بها الشخصيات الثانوية فيها ان هذه الشخصيات وهي شخصية « الطيب ابن الاخضر » و « عايد بن السايح » و « حجيلة » و « صافية » هي التي سترث « الاحمر » و« الدراويش » معا . وسوف تصنع مستقبل الجزائر لان هذه الشخصيات كانت طوال الوقت تزداد ادراكا للهوة التي تفصل بين الاحمر والدراويش واهل القرية ، وتبحث عن اللغة المشتركة ، وتدرك ان المستقبل لابد ان يكون ثمرة لحوار حقيقي بين الماضي والحاضر،بل ان شخصية صافية التلميذة التي كانت رفيقة الأحمر تصبح هي البديل الواقعي لشخصية الحازية الاسطورة ، وتقف الى حوار الطيب في السجن لتكون رفيقة رحلة الى المستقبل وهو الذي كان مخطوبا للجارية في بداية الرواية هل توافق على هذا التفسير ؟؟

ـ كنت لا أحب أن أزيد كلمة على ما قلت ، فقد تحدثت بدقة عما كنت أرمي اليه ، وكل ما يمكن أن أضيفه هو تأكيد لما قلت ، فالشجرة لا تهرب من عروقها،والأنظمة مهما كانت جيدة وتقدمية يسعى ان تنسجم مع المجتمع الذي تعيش فيه ، ان قطع مجتمع عن روابطه وصلاته لا يمكن ابدا ان يؤدي الى الخير ، ودعنا نواجه الحقائق ، لماذا لم تنجح الاشتراكية بمعناها الماركسي في الأقطار العربية ؟ لانها لم تأخذ بعين الاعتبار مقومات المجتمع الروحية وتقاليده القومية ، المجتمع التقليدي العربي ليس كله رجعيا ، سنستفيد من تجربة العالم المعاصر دون استعلاء على تجاربنا فضمن هذه التجارب ما يمثل نقاط اشعاعات هامة يمكن ان ننطلق منها،وأن نضيف اليها من التجارب المعاصرة ! □

كلمات مضيئة

● يقول النبي صلى الله عليه وسلم

لن تزل قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به .



الديمقراطية والثورة العلمية والتقنية

بقلم : مصطفى طيبة *

« لم يعد العلم انجازا مجردا ينفصل عن الحياة والمصالح والأطماع ، فقد أصبحت تجربة المعمل جزءا من لعبة السياسة ، وصارت الاكتشافات أداة من أدوات تكريس تفوق البعض ، أو قهر البعض الآخر . »

من المعروف تاريخيا أن انتشار المثل الأعلى للحرية ارتبط ببداية الثورة الصناعية الأولى ، واستغلال الانسان للطبيعة على أساس الفهم الصحيح لقوانينها ، ذلك أن انطلاق الثورة الصناعية ارتبط أشد الارتباط باكتشافات العلم الحديث ، منذ القرن السابع عشر . ومن هنا تبرز العلاقة الوثيقة بين التطور العلمي وبين توسيع نطاق مفهوم الحرية ، ليشمل علاقة الانسان بالطبيعة من ناحية ، وعلاقته بالمجتمع والدولة من ناحية أخرى ، فالعلم قوة تحريرية كبرى ، تحرر الانسان من الجهل والخرافات ، ومن التسليم بسلطة سياسية تستمد شرعيتها من الحق الالهي ، بعيدا عن إرادة البشر.

لذلك فإن العلاقة بين العلم والحرية تطرح ـ عادة ـ داخل نطاق مستويين متلازمين ، هما أثر الحرية في إطلاق الطاقات الابداعية للعلماء ، وأثر نتائج هذا الابداع العلمي على توسيع نطاق حرية الانسان .

فمنذ بداية عصر النهضة ، وظهور البوادر الأولى للمنهج العلمي ، برزت العلاقة الطردية بين العلم والحرية ، واكتشف الفكر الانساني أن التقدم في أحدهما ، يؤدي إلى تقدم الآخر . فلم تكن الكشوف العلمية التي توصل إليها كوبرنيكوس ، وكيلر ، وجاليليو ، ونيوتن ، تعني مجرد بداية عصر جديد في تاريخ العلم ، إنما تحمل في طياتها تحرير الانسان أيضا من خرافة الاعتقاد بأن الأرض هي مركز الكون ، وأن هذا الكون يدور حولها ، ويخضع لسلطانها .

ولاشك أن تقدم العلم التطبيقي أو التقنية ارتبط بتصاعد النضال من أجل الحرية السياسية ، فحركة المطالبة بتعديل قوانين الانتخابات البريطانية حققت أعظم نجاح لها عام ١٨٣٢ ـ أي في نفس الفترة التي اتسمت بتطور العلم والتقنية ـ أثناء انطلاق الثورة

---

* كاتب وصحفي مصري صدرت له أربعة كتب بينها رواية وكتابان في الأدب السياسي

الصناعية ، أو لنقل المرحلة الأولى من الثورة العلميه والتقنية المعاصرة

ثورة لتحرير الانسان

لم تكن الكشوف الفلكية تحدث بمعزل عن الكشوف الطبية ، والاجتماعية ، والعديد من الميادين العلمية الأخرى ، ففي نفس الوقت الذى كان (جاليليو) فى ايطاليا يصوب تلسكوبه نحو السماء ، ويكتشف بعض أقمار كوكب المشتري . كان (فان لوفينهوك) في هولندا ينظر من خلال مجهره الصغير إلى هذه الكائنات الحية ، المتناهية في الصغر ، وهي تتحرك في الماء ، وكان هذا أول الطريق المؤدي إلى اكتشاف عالم الميكروبات ، وعلاقتها بالأمراض ، وتحرير الانسان من خرافة الأرواح الشريرة ، المسئوله عن الأمراض

وكان الفلاسفة والمفكرون يركزون أبحاثهم حول المجتمع ، والدولة ، ويحاولون إنزال القوانين التي تحكم العلاقة بين أفراد المجتمع والدولة من السماء إلى الأرض ، باعتبارها علاقه « تعاقدية » يجب أن تحكمها أسس عقلانية مفهومة وذلك يعني أن سعى العلم لمعرفة قوانين الطبيعة من حولنا ارتبط بالبحث عن الظواهر المسئوله عن الأمراض ، والبحث عن أسس جديدة تحدد علاقه الفرد بالمجتمع ، من منطلق تحقيق الحرية

ومع كل تقدم علمي جديد كان هناك تقدم في ميدان الحريه التي تزيل المزيد من القيود أمام حريه البحث العلمي ، بوجهيه النظري والتطبيقي ، وتطلق المزيد من الطاقات الخلاقة عند المبدعين في شتى الميادين وكان هذا الارتباط ، اثاره العميقه فى العلاقه بين المطالبة بالحريات الديموقراطية وبين تقدم العلم ، ذلك لأن الحرية والعلم - في أعلى صورهما - (ديموقراطيان)

لكن الثورة العلمية والتقنية المعاصرة - أو لنقل المرحلة الثانية أو الثالثة من الثورة الصناعية التي انفجرت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر - تعيد طرح هذه القضية من جديد ، وتدفع بالكثير من العلماء والمفكرين إلى طرح سؤال مهم هو هل مازالت ثمار العلم والتقنية تستخدم لتحقيق المزيد من الحرية للانسان ، أم أن جانبا من هذه الثمار يتجه نحو « تهميش » هذه الحرية ، لسيطرة أقلية ضئيلة من البشر على مصير التوجهات الرئيسية للعلم والتقنية ، بما في ذلك إمكانية تهديد الجنس البشري بالفناء الشامل ؟

تطور لمسخ البشر

لنترك الحقائق النابعة من الدراسات الحديثة تجيب عن هذا السؤال يقول الكاتب الأمريكى « فانس باكارد » في كتاب « المتشكلون لسلوك الشعب »

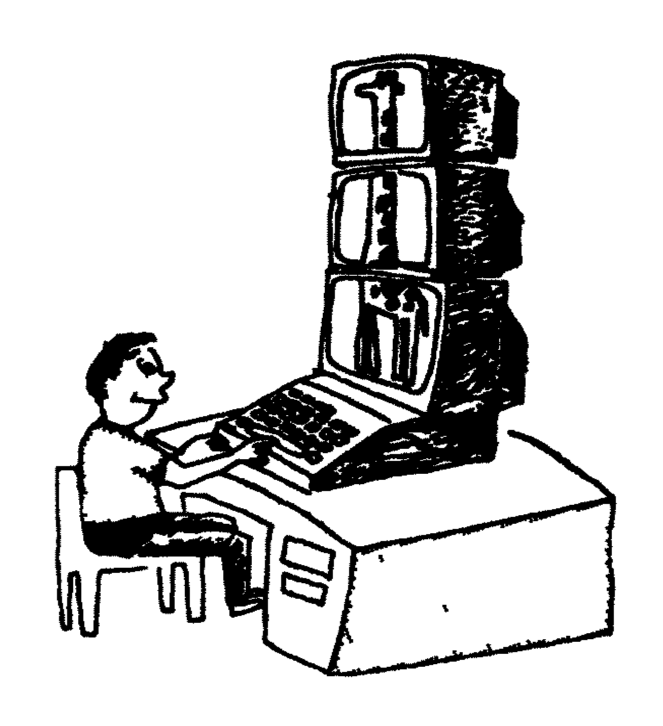
« من الممكن استخدام معارفنا المتطورة لاستعباد الناس ، بطريقة لم يحلم بها أحد من قبل ، بإلغاء شخصياتهم المتميزة ، والسيطرة عليهم بوسائل يتم اختيارها بعناية ، بحيث لايدركون أبدا أنهم فقدوا شخصياتهم »

وأول ميدان حقق نجاحا مذهلا في هذا المجال يتمثل في الاعلان ، فلم يعد الاعلان مجرد قوة خطرة ، لكنه يتحول إلى سلطه اجتماعية في العالم الغربي ، تؤثر في إرادة الناس ، وتدفعهم الى سلوك استهلاكي ، لايعبر عن احتياجاتهم الحقيقيه والحقائق التي يستند إليها (فانس باكارد) تدعو الى العجب والذهل ، فالمواطن الأمريكي في سن ١٨ عاما ، قد شاهد وسمع ١٨٠٠ ساعة إعلان تجارى في التلفزيون ، فضلا عن الاعلانات الاذاعية ، والملصقات ، والأضواء والمعلنون ينفقون سنويا أكثر من ٤٠ ألف مليون دولار ، أي ٦٠٠ دولار لكل عائلة ، مقابل تشكيل عادات المستهلكين واتجاهاتهم

في هذه الصناعة الرهيبة ، المسئولة عن « تنميط » الناس وتشكيلهم ، يعمل الان أعظم علماء الاجتماع وعلم النفس ، والاتصالات ، والكثير من التخصصات الأخرى

* * *

وخطورة الاعلان تمتد إلى تحويل الأجيال الجديدة من البشر إلى مستهلكين بلا وعي أو حرية ، يندفعون إلى شراء « المفروض » عليهم ، طبقا



للقالب الفولاذي الذي صاغ سلوكهم ، والذي صنعه مخططون ، يسيطرون على إمكانيات تقنية وعلمية ، بعيدة عن متناول الفرد العادي وفي تقرير حديث للجنة التجارية الفدرالية الأمريكية يبرز الكثير من الحقائق التي تتحدى الخيال ، فالطفل الذي يتراوح عمره بين ٥ سنوات و ١٢ سنة يحملق في التلفزيون فترة تصل الى خمس ساعات يوميا ، يشاهد خلالها ٥٠ إعلانا تجاريا ، أي بمعدل ١٢ ألف إعلان سنويا صور وكلمات هذه الاعلانات تملأ مخ الطفل بكمية من المعلومات ، تزيد عن كمية المعلومات التي تصله عن طريق التعليم ، بل إن المعلومات الاعلانية المقدمة في صور وأغان وأصوات وحركات جذابة تحتل مكان الصدارة في مخ الطفل ، وتسيطر على خياله ، وأحلامه وتقول نفس الدراسة إن وكالات الاعلانات الضخمة تخصص ميزانية كبيرة لتشكيل الأجيال الجديدة و « تنميطها »

نحن نصنع حياتك

السيطرة الاعلانية على المستهلكين لاتنفصل عن السيطرة السياسية على عقول الناخبين ، وتشكيل اتجاهاتهم السياسية وفقا « للقوالب » التي تختارها القوى المسيطرة على ثمار الثورة العلمية والتقنية ، وبخاصة ثورة الاعلام المعاصرة والنجاح الذي ...اء الاعلان امتد بسرعة إلى عالم السياسة ، ...، أصبحت معارك انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة تجرى بين فريقين من خبراء الدعاية والاعلان ، لايعرف الجمهور منهما أي شيء ، كل فريق يقف مع أحد المرشحين وتمارس السلطة داخل المجتمع ، الهيئات الاقتصادية والمالية المسيطرة على ثمار العلم والتقنية

ففي نظام تلعب فيه المؤسسات الصناعية والمالية الكبرى الدور الرئيسي،يصبح الحديث عن المساواة في الحقوق السياسة - على الأخص حق التقدم لخوض معركة الرئاسة في الولايات المتحدة - أسطورة تثير ...ريه ، فلا حظ لأي مرشح في أن ينتخب إذا كان ...نا عليه من جانب القوى المسيطرة على الاقتصاد ووسائل الاعلام ، فالدعم المالي أصبح العنصر الرئيسي في المعارك الانتخابية

فقد كلف انتخاب الرئيس الأمريكي نيكسون عام ١٩٦٨ ، مبلغ ٢٩ مليون دولار ، تبرع بها من يريدون نيكسون لخدمة مصالحهم الاقتصادية بالدرجة الاولى ، أما انتخاب الرئيس ريجان عام ١٩٨٤ ، فقد احتاج إلى أكثر من ٤٠ مليون دولار ، خصص منها ٢٥ مليون دولار للدعاية في التلفزيون وذلك يعني أن انتخاب المرشح بأغلبية الأصوات يحتاج أولا إلى انتخابه بأغلبية « الدولارات »

في عصر سيطرة الاعلام على عقول المواطنين تنكمش - إلى حد كبير - المعارك التقليدية بين المرشحين حول البرامج المطروحة أمام الناخبين ، ويصبح لمظهر المرشح وأسلوبه تأثير أكبر من أفكاره وتاريخه في العصر التليفزيوني ، وقد يخسر المرشح الذي يهتم بنقل وجهات نظره أكثر ممن يهتم باللون الذي سيبدو به قميصه على شاشات التلفزيون وكما قالت صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية أثناء معركة انتخابات الرئاسة ، ان ريجان عند تسجيله لبرنامج دعائي في التلفزيون كان يستقبل هناك بعبارات مثل « ها نحن على استعداد سيدي الرئيس ، فقد وصل أفراد الطاقم بالكامل ، فهناك المخرج الدرامي ،

وأستاذ فن الخطابة ، ومدرب المناظرات التليفزيونية ، وأخصائي التجميل » ، هذا هو الطاقم المطلوب قبل المناظرات السياسية التي تعتمد على براعة المتناظر وأناقته وخفة دمه أكثر من اعتمادها على أفكاره ، وفلسفته السياسية ، أو الاقتصادية .

قهر لاينتهي

استطاعت أدوات الثورة الاعلامية والاعلانية إحداث تغيير عميق في اتجاهات الرأي العام الأمريكي ، وبخاصة بين قطاعات الشباب التي كانت توصف باليسارية والراديكالية ، في مرحلة الستينيات ، وبداية السبعينيات ، لمواقفها النضالية ضد التدخل الأمريكي في فيتنام ، وسعيها لوضع نهاية لبقايا التمييز العنصري ، ولوقوفها ضد دور الولايات المتحدة « كشرطي » يستخدم عصاه الغليظة ضد أي بلد يتمرد على نمط الحياة الأمريكي .

هذه القطاعات الشبابية ساندت ريجان ، بعد أن تحولت إلى الفكر المحافظ الذي يحمله ، بفضل أجهزة الاعلام التي استطاعت ترويضها ، والسيطرة على عقولها .

وقد كان أحد المرشحين على حق عندما قال ، لقد خسر كل مرشح عرف بأنه (مرشح قضايا) وهكذا يؤكد التاريخ الأمريكي الحديث أنه لاتوجد قضية تسببت في نجاح أي رئيس ، لأن المبألة هي مجرد تنسيق بين السياسة والنفوذ السياسي والاقتصادي . فالمعركة الانتخابية الحقيقية إذن لاتجري وفقا لقضايا محددة ، إنما يحدد مصيرها براعة خبراء الدعاية والاعلان ، ومساندة القوى الاقتصادية والمالية .

ففي كتاب « بيع الصحف الأمريكية » للكاتب الأمريكي (لوران جليون) كشف عن حقائق خطيرة ، تؤكد وجود السيطرة الرأسمالية على الصحف في أوروبا والولايات المتحدة . يقول الكاتب : « كان في الولايات المتحدة ١٧٠٠ صحيفة اقليمية محلية ، تصدر وتوزع في الولايات المتحدة والمدن الصغيرة بها ، أما الصحف الفدرالية فمحدودة ، لاتتجاوز أربع صحف أو خمسا ، في مقدمتها « نيويورك تايمز » و « يو اس توداي » ، « لوس انجلوس تايمز » ، و « كريستيان ساينس مونيتور » وأخيرا « واشنطن بوست » .

لكن قانون التحول التدريجي من المنافسة إلى الاحتكار ـ بعد تعاظم نمو الثورة الصناعية ـ أحدث تغييرا جذريا في الصحافة الأمريكية . فمع تقدم التقنية ، دخل القادرون على شرائها وامتلاكها هذا الميدان ، وتحولت الصحافة التي نشأت في القرن الماضي كوسيلة لنشر الأخبار والآراء الحرة إلى مشروع صناعي ضخم ، أكثر انضباطا ، وتوجيها ، وأسرع ربحا وانتشارا ، وأصبحت مشروعا اقتصاديا يرتبط بآلية النظام ، ويستهدف الحد الأقصى من الربح ، ويحتاج إلى استثمارات هائلة ، وملاحقة مستمرة للتطورات التقنية . وكان من الطبيعي أن تشترك هذه العوامل في وضع أصحاب الصحف الصغيرة أمام اختيارات محددة ، مثل امتلاك القدرة المالية لمواكبة التطور التقني ، أو التسليم أمام من يملكون هذه القدرة . وهكذا شهدت الفترة (١٩٧٦ ـ ١٩٨٣) بيع وشراء ٣٥٤ صحيفة يومية ، ٨٨٪ منها اندمجت في دور النشر العملاقة .

ويؤكد مؤلف الكتاب أن ٦٠٪ من الصحف الآن مملوكة بكاملها لدور النشر العملاقة ، والباقي مازال يقاوم ، أو يتحول تدريجيا من الملكية الخاصة إلى اسوار المؤسسة ذات الادارة الحديثة .

من أقوى المؤسسات التي اقتحمت هذا الميدان مؤسسة « جانيتي » ، وتملك الآن ٨٩ صحيفة ، بما فيها « يو اس توداي » أكبر الصحف الأمريكية وأكثرها بريقا .

والمركز الثاني يحتله « طومسون » ويمتلك ٨٠ صحيفة ، ثم مؤسسة « دونري » في المركز الثالث ، وتمتلك ٤٣ صحيفة ، ثم مؤسسة « نايت تايلور » ، وتمتلك ٣١ صحيفة ، وآخر العمالقة مؤسسة « فريدم » وتمتلك ٢٧ صحيفة . والأمر لايقف عند هذا الحد .

ففي عصر سيطرة أقلية ضئيلة من الناس ، على مصادر الثروة ، والسلطة ، والتوجهات الأساسية للثورة العلمية والتقنية ، يصبح التحالف والاتحاد والاندماج بين مجموعات النشر العملاقة ، وبين وسائل الاعلام الأخرى ، أمرا مفهوما منطقيا ، إذ ان المؤسسات لاتمتلك الصحف والمجلات فقط ، بل تلتهم أيضا محطات الاذاعة والتليفزيون . إن مجموعة

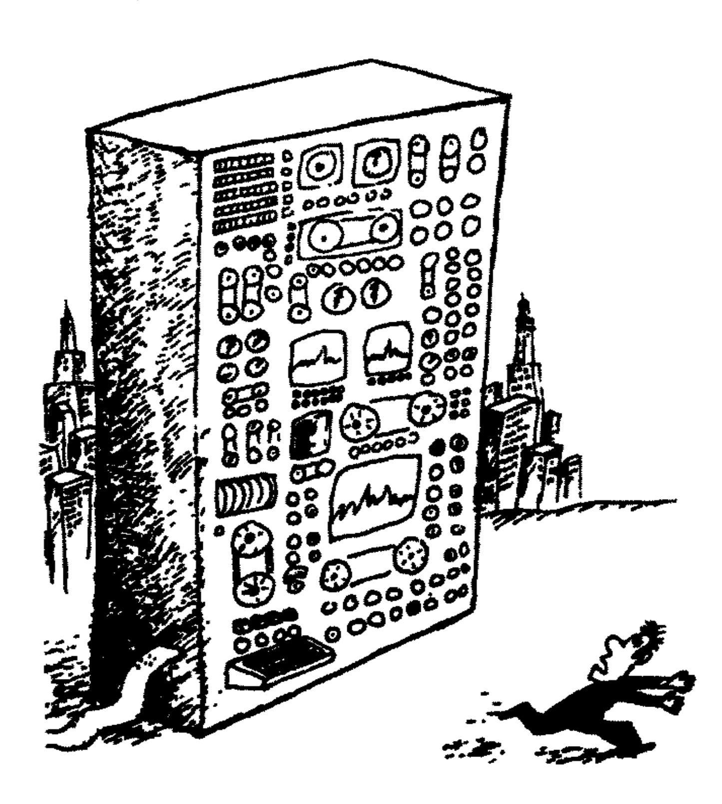
« دونري » - مثلا - تمتلك محطة تليفزيون ، و ثلاث وكالات محلية للأنباء ، وست محطات إذاعة ، و١١ وكالة إعلان .

ولكل مؤسسة مواقف سياسية واجتماعية ترتبط بمصالح مجموعات اقتصادية قوية في المجتمع ، ومن يعمل مع هذه المؤسسات لابد أن يلتزم بمواقفها ، مع هامش زائف محدود للحرية ، يسمح بالتنوع « المرسوم » سلفا ، حتى لاتضيع معالم « الديكور » أمام الجماهير .

لست حرا في تفكيرك

في ظل هذه التغيرات تتحول اتجاهات الصحف وتتغير ، بعد اندماجها في إحدى دور النشر الكبرى . فمن الظواهر العادية المألوفة تحول صحيفة عرفت تاريخيا باتجاهها الليبرالي ، ودفاعها عن الحرية ، إلى اتجاه رجعي محافظ ، يصفق لغزو « جريندادا » ، ويستكثر من المديح لنظم القهر والتعذيب في (شيلي) و (السلفادور) ، و (اسرائيل) .

ثم يأتي دور (الكومبيوتر) ، و (بنوك) المعلومات كتعبير عن نفس الظاهرة ، ظاهرة السيطرة على



الأجهزة العملاقة المسئولة عن تشكيل أفكار المواطنين « الأحرار » واختياراتهم في أكبر قلاع الحرية للعالم الحر . تقول الاحصاءات الرسمية أن هناك بلايين المعلومات المسجلة عن أفراد الشعب الأمريكي ، تتضمن ١٧ معلومة - على الأقل - عن كل رجل وامرأة وطفل ، (ومن أجهزة الكومبيوتر المستخدمة في البنوك وشركات التأمين والتليفونات والسيارات ، وأجهزة الأمن والجيوش وحجرات الفنادق وشركات الطيران ، يمكن الحصول على معلومات تفصيلية عن كل مواطن ، تتيح رصد جميع التحركات ، بل ومعرفة متى يغادر أي مواطن منزله ، وكم مرة يتكلم في التليفون ، ومتى أودع أو سحب آخر (شيك) من (البنك) ، بل وكم ساعة جلس أمام التليفزيون . . وكم عدد المرات التي قاد فيها سيارته ، وماهي الأماكن التي اعتاد أن يذهب اليها .

والسؤال الذي لابد أن يثار هو : ماهو الدور الذي يقوم به (الكومبيوتر) في المعارك الانتخابية الكبرى ؟

والاجابة تأتي من تجربة آخر انتخابات جرت في الولايات المتحدة ، فالفوز الساحق الذي حققه ريجان اعتمد بالدرجة الاولى على ما أحرزته ثورة المعلومات ، والأساليب المعقدة التي استخدمت في إدارة هذه المعلومات ، للاستفادة منها للوصول إلى عقل الناخب وإرادته من أقصر الطرق وأسرعها ، وبما ستمرار اعتقاده الراسخ بأنه مواطن حر في بلد

ففي عصر تتراجع فيه المنافسة بين المرشحين حول البرامج والأهداف والفلسفات ، بل وتتراجع فيه اهتمامات المواطن العادي بالمشاكل السياسية ، تبرز الى الوجود أجهزة عملاقة ، تتنافس فيما بينها ، تحت إشراف أعظم خبراء توجيه اتجاهات الناخبين « الاحرار » وتشكيلهم . وقد استخدم الجمهوريون والديموقراطيون هذه الأجهزة للحصول على المعلومات اللازمة والاستفادة منها .

في الجداول الانتخابية يوجد قدر هائل من المعلومات عن كل جانب ، ويسهل تحليلها ، وتشريحها ، وتصنيفها ، وهي تمد القائمين على إدارة

الحملات الانتخابية بما يحتاجونه من معلومات ، مثل أعمار الناخبين ، وأصولهم الاجتماعية ، والعرقية ، وانتماءاتهم الحزبية ، ومواطنهم السكنية ، ومئات المعلومات الأخرى المسجلة في « بنوك المعلومات » التي تتكون من أجهزة (كومبيوتر) ضخمة ،

وعندما تصنف هذه المعلومات بنمط معين تنقل الى اجهزة كومبيوتر أخرى متخصصة ، تضع أمام مديري الحملات الانتخابية صورة دقيقة عن أفضل أساليب التأثير على الجماعات الانتخابية المراد كسب تأييدها ، ليتمكنوا من اختيار استخدام وسائل الاغراء المناسبة وتقديم الوعود لكل فئة بما يتفق مع مصالحها .

ثم تأتي المرحلة الثانية التي تتجاوز نطاق البحث والتنقيب ، والتعبئة للمؤيدين ، وحسم موقف المترددين ، لتصل إلى تعقب المنافسين ، ومحاصرتهم ، وكشف أخطائهم ، وتناقضاتهم . وفي هذه المرحلة ، تقوم أجهزة الكومبيوتر بالدور الأول أيضا ، حيث انها تقدم أكثر الأسلحة فعالية ، عن طريق استرجاع الشريط الكامل لحياة كل مرشح الشخصية ، والعامة ، والتصريحات التي أعلنها في مختلف مراحل حياته ، وعدد المخالفات التي ارتكبها أثناء قيادته لسيارته مثلا ، الخ ، وجميع هذه المعلومات تستخدم بعناية لتحقيق الأهداف المطلوبة .

من يملك التقنية يصنع للناس عقولا

لكي تكتمل صورة هذه المشكلة ينبغي إلقاء نظرة فاحصة موضوعية ، تقودنا إلى معرفة من يملك أخطر أدوات وثمار الثورة العلمية والتقنية ويسيطر عليها في الولايات المتحدة . منذ سنوات صدر كتاب يحمل عنوان « من يحكم أمريكا ؟ » ، قام بدراساته وتحليلاته مجموعة من الباحثين وأساتذة الجامعات في الولايات المتحدة ، ومن بين الحقائق التي يبرزها هذا الكتاب أن هناك نحو ٥٠٠٠ شخص من بين أكثر من ٢٠٠ مليون أمريكي يحتلون قمم السلطة في القطاعات الثلاثة التي تتركز فيها غالبية موارد البلاد ، وهي قطاع الشركات والمؤسسات ، وقطاع الحكومة ، وقطاع الرأي العام ، الذين يسيطرون منهم على قطاع المؤسسات والشركات في الصناعة والمصارف وشركات التأمين ينحصر عددهم في ٣٥٧٢ شخصا ، هم الذين يقررون ماذا يجب إنتاجه ، وأي أنواع التقنية التي يجب تطبيقها وتطويرها .

ومنهم الذين يسيطرون على قطاع الرأي العام ـ من تليفزيون وإذاعة وصحافة ـ ويبلغ عددهم ١٥٥٨ شخصا ، من بينهم من يسيطرون على شبكات التليفزيون الثلاث ، (سي ، بي ، إس) و (إن . بي . سي) ، و (ايه . بي . سي) ، وهؤلاء يعدون من أقوى الشخصيات نفوذا ، فالتليفزيون هو المصدر الرئيسي للمعلومات ، بالنسبة للأغلبية العظمى من الشعب ، وفي مقدور من يسيطرون عليه التلاعب ببحر واسع من المعلومات ، وتركيز الانتباه على جانب معين من مشكلة بعينها ، أو إقناع الجماهير بأن اختطاف الولايات المتحدة أو « اسرائيل » لطائرات مدنية يعتبر من الأعمال المشروعة ، بينما تصبح نفس هذه العمليات إرهابية دموية تهدد أمن العالم إذا قام بتنفيذها مجموعة يائسة من الشباب ، أو حركة وطنية تريد إسماع صوتها للعالم .

آخر قلاع الحرية

لقد تنبأ الكاتب البريطاني جورج أورويل في روايته المشهورة (عام ١٩٨٤) بظهور مجتمع تسيطر فيه أجهزة الاعلام والتنصت على المواطنين ، وتنبأ قبله المفكر البريطاني الشهير هكسلي في كتابه (العالم الجديد) بسيطرة فئة من البشر على مصير البشرية كلها بواسطة العلم ، حيث تستطيع التحكم في أفكار الناس ومشاعرهم ، بل وتسيطر على عملية إنتاج العباقرة في المعامل الطبية . **ومع أن هذه التنبؤات متشائمة إلى حد بعيد ، فإن ماينشر الآن عن وسائل التحكم في اتجاهات الرأي العام ، وكسب تأييده ، لأشد من برامج التسلح تهديدا لمصير كوكبنا ، مما يجعلنا نرى أن قدماء المستبدين في القرون الوسطى ليسوا سوى مجرد أطفال رحماء بشعوبهم .**

إن التطور المثير في ميدان الثورة العلمية المعاصرة لم يقف عند حدود الأجهزة المعروفة ، مثل وسائل الاعلام ، وبنوك المعلومات ، بل وصل إلى حد

مرعب في ميدان تطوير أجهزة التلصص ، بحيث أصبحت قادرة على اقتحام حجرة النوم ، وتصوير وتسجيل ما يجرى بداخلها من صور وأصوات ، دون أن يشعر أصحابها بذلك . وقد أمكن تصغير (الميكروفونات) المتلصصة على أسرار الناس الى حجم أصغر من رأس عود الكبريت . والبحث يجري على قدم وساق لابتكار (كومبيوتر) يقوم بترجمة موجات المخ البشري ، وتحويلها إلى معان وكلمات ، لمعرفة ما يدور في رأس الشخص المطلوب معرفة أسراره . أي أن الحصن الأخير للحرية ، والخصوصية ، المتمثل فيما يفكر فيه الانسان داخل نفسه ، يمكن أن يصبح عرضة للاقتحام .

ويجب أن نقف طويلا عند طلب غريب تقدم به عالم الوراثة لوريث جوشو إلى الكونجرس لاعتماد مبلغ ١٠ ملايين دولار لتكوين فريق عمل وطني يتولى السيطرة على الخصائص الوراثية ، وقد عبر عن ذلك العالم الامريكي سكنير بقوله : « نحن نحتاج إلى تقنية جديدة لتغيير السلوك البشري ، ولانتاج أجيال متعاقبة من « السوبرمان » ، تملك الوسائل القادرة على زرع السلوك الذي نريده .

هكذا نكتشف اختلال العلاقة القديمة بين العلم والحرية ، نتيجة لسيطرة أقلية من الناس على أهداف البحث العلمي وتوجهاته ، وعلى الانجاز التقني ، والسيطرة على أجهزة الاعلام ، والاعلان ، والمعلومات ، ومراكز الابحاث في الجامعات ، وغيرها ، فقد أصبحت المؤسسات الديموقراطية مجرد هياكل خالية من المضمون الحقيقي ، تنحصر مناقشاتها ، وقراراتها ، واتجاهاتها ، في نطاق المصالح الأساسية للمسيطرين ، ويجري الحوار والخلاف فيها حول أفضل السبل المؤدية إلى المحافظة على مصالح المسيطرين ، وتحويل الغالبية العظمى من المواطنين « الأحرار » إلى كائنات تخضع لمنطق هذه السيطرة ، وتؤمن بحماس غريب بأنها أعظم مخلوقات الأرض تمتعا بالحرية .

وذلك كله لايدعو إلى صب اللعنات على العلم والتقنية ، أو استغلال هذه القضية لصالح الفكر المعادي للعلم والديموقراطية ، إنما يدعونا إلى رؤية مخاطر السيطرة على منجزات الثورة العلمية ، وتسخير منجزاتها ضد الحرية الحقيقية ، وضد سلام العالم وأمنه . ومن حسن الحظ أن مجتمع (الكومبيوتر) الذكي ، وأجهزة الاعلام العملاقة ، وخبراء تشكيل اتجاهات الجماهير سياسيا وفكريا واستهلاكيا ، لايخلو من الأصوات الواعية المحذرة المنذرة ، وتلك ثغرة في إطار السيطرة الخطرة ، يمكن أن تتسع ، وتلتقي مع غيرها من الاتجاهات المتحررة من « القوالب » الصارمة التي تؤثر على عقول المواطنين في العالم بأسره ، لتكون بداية حوار جديد ، قد يسفر عن تكوين هيئة دولية قوية ، تحذر من أخطار استخدام الثورة العلمية ضد الانسان ، وتدعو شعوب العالم إلى اليقظة ، والتمرد على « قوالب » المشكلين لعقول البشر وأفكارهم . □



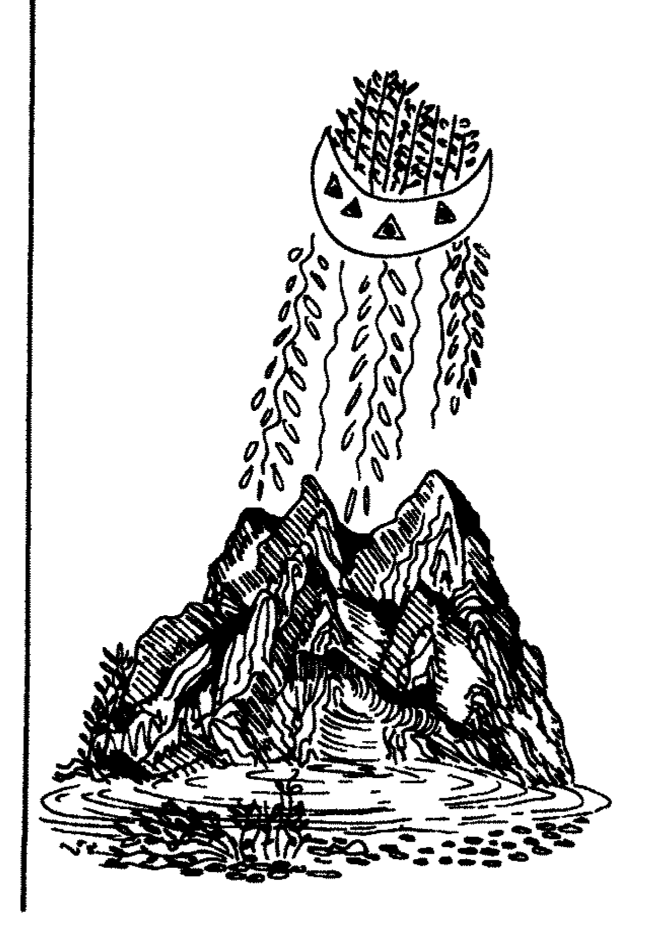
العالم فسيح



● كانت حياة جمال الدين الأفغاني رحلة دائمة ، لا تعرف الاستقرار ، كانت حياته رحلة إلى العلم والعلماء ، وطموحا لتحقيق الأهداف العظيمة ، وقد عبر عن ذلك حين عرض عليه أبوه أن يقيم معهم في مدينته الصغيرة (أسعد آباد) في أفغانستان قائلا : إنني كصقر محلق ، يرى فضاء هذا العالم الفسيح ضيقا لطيرانه ، وإنني لأتعجب منكم إذ تريدون أن تحبسوني في هذا القفص الضيق الصغير ! . ثم ودعهم وانصرف .



شعر :
ابراهيم نصر الله



[illegible]
[illegible]
وأنَّ زمنًا [illegible] في حروفنا [illegible] ،
وأنَّ غيمَ الحلم في كفاحنا
لا يشبهُ الرمالَ ،
لا يشبه الجبالَ حين تمتلي شواهدَ الوديانْ .
لربما يقالُ
كانَ موتُنا الفراغَ ،
والصدى ،
وكلُّنا النسيانْ .
لربما يقالُ
لا مدى ،
وأغنيات الحبِّ في موّالنا
لا لم تكنْ يدا .
لربما يقال
كان يومُنا ارتحالَنا ،
وثورةُ الأطفال فسحة ،
ولم تكن غدا .
لربما يقال .
لربما يقال .

* * *

سأستعيرُ من غصونِ اللوزِ خضرةَ البلادْ ،
وأستعيرُ من جذوعِ النخلِ ساريةً ،
وأستعيرُ من غناءِ الطيرِ في الغاباتِ
وردةً ،
ومن سفوح الشمسِ مهرةً ،
وساحلاً ،
وبرتقالاً
وأستعير قمحا ،
وأوديةً .
وأسألُ الفضاءَ
هل كانت النجومُ قبلَ هذا الدّم عالية ؟ !
وأسألُ الأولادَ ،
والغزلانَ ،
والقطوفَ الدانيةْ .

في [illegible]
[illegible]
هل كانت [illegible] صافية ؟ !
لربما يقالُ ما يقالُ ،
وتحترق [illegible]
في الوحلِ والبكاءِ ،
أو تُستنطقُ المرافةُ ،
ما لونُ هذا الدّمِ يا معبودةَ الخرافةْ ؟ !
لربما يقالُ ما يقالْ ،
ويقطرُ الخجلْ ،
من صخرةِ الموتِ الكبير ،
من نوافذِ الطيورِ في اندفاعةِ المسافةْ ،
ويسقطُ الصفصافُ كالقاماتِ ،
والبنادقِ المزيفةْ ،
لربما يقالُ
أنتِ الآنَ خائفةْ

* * *

لربما يقال
كانتْ جمرةً ،
لكنها كغيرها تموتْ ،
كطلقةِ الميلاد في تابوتْ .
لربما يقالُ ما يقالْ .
سيهرمُ الورديُّ في البناتِ ،
والبحريُّ في الرجالْ ،
واللوزُ في أصابعِ الصغارِ ،
والبروقُ في التلالْ
يا أيها الجناحُ ،
والصباحُ ،
والوردةُ النبيّةْ ،
أيتها الحريّةْ ،
لربما يقال ما يقال ،
فالآنَ يكثرُ النعاةُ ،
والغربان ،
وتكثرُ الأوطانُ ،

[illegible]
الآنَ [illegible]
والغربانْ ،
وتسقطُ الظلالُ .

ويفتحُ البكاءُ شارعاً ،
وتفتحُ السكينُ جنةً ،
وتزدهي العروشْ ،
وحينما يرفعُ طفلٌ رايةً
في ساحةِ الاعدامِ
تبدأُ السجونُ زحفَها ،
وتعلن استنفارَها الجيوشْ .

* * *

الآن نستطيعُ أن نقولَ
[illegible] رصاصهم
تُفتحُ الأزهارُ [illegible] .

غناء كل طائرٍ على [illegible] عاشقٍ [illegible] ،
والنهرُ عندما يميل بالجباهِ [illegible]
منسيةِ ذبولُهم

الآن نستطيع أن نقولَ للصغار
لا تتركوا الساحاتِ للدمارْ ،
قوموا العبوا ،
فجرأةُ النوّارِ في احتفالكم
هذا الصباح
رعبهم ،

وكلُّ شيء يشبه الحياةَ في ارتفاعك
سقوطُهم



بقلم : الدكتور جابر أبي جابر

نهل تولتسوي الكثير من معين الشرق بحضاراته وادابه وفلسفاته ، ودرسها باهتمام وحماس كبيرين .

كان الشرق منبعاً لفلسفة الكاتب الروسي العظيم وآرائه ، لذلك وجدناه يبحث في الشرق عن أصالة الروح والفكر والحكمة .. ولقد تأثر بالشرق وأثّر فيه ، على نحو ما سنرى في هذا المقال .

كان الاهتمام بالشرق وحضاراته القديمة وآدابه العريقة ، والتعاطف الحار مع شعوب آسيا وأفريقيا تقليداً نبيلاً ومتأصلاً من تقاليد الأدب الروسي الكلاسيكي ، بيد أن دراسة الحضارات الشرقية،والاتصال بكتّاب الشرق ومفكريه شغلا في حياة تولستوي مكاناً أكبر بالمقارنة مع الأدباء الروس الكبار الآخرين .

كان تولستوي أول أديب روسي يعقد صلات وروابط شخصية مع كتاب ومفكري البلدان الآسيوية والأفريقية ، وكأنه بذلك قد مدّ جسراً حياً بين الثقافة الروسية وثقافة الشعوب الشرقية ، لقد وقف تولستوي الى جانب شعوب آسيا وأفريقيا في نضالها ضد الاستعمار ، وكان لنداءاته ومقالاته ـ « ماذا نعمل ؟ » ، « حربان » ،« الى الطليان »، « عبودية

عصرنا » ، « ثوبوا الى رشدكم ! » ، « رسالة الى الصينيين » ، « رسالة الى هندي » وغيرها من المؤلفات ، التي يعبر فيها عن تضامنه مع الشعوب الشرقية المضطهدة ـ صدى كبير في بلدان الشرق والغرب .

دواعي التعاطف

إن تفكير تولستوي بمصير الانسانية ، واهتمامه بالعالم المعاصر له ، حيث تناضل الشعوب المظلومة في سبيل مستقبل أفضل ، قد دفعاه ، مرارا وتكراراً ، الى الالتفات نحو الوطن العربي ، فهذه المنطقة اجتذبته بماضيها المجيد ، وبحضارتها الغنية العريقة ، من جهة ، وحاضرها المرير الحافل بالصراع من أجل الحرية والاستقلال من جهة أخرى . ففي تلك الايام كان الوطن العربي يرزح كله تحت النير الأجنبي ، وقد أعار تولستوي اهتماما كبيراً لانتفاضات الفلاحين والحرفيين التي اندلعت في بعض أقطار الوطن العربي وتركيا وإيران ، والتي قامت تحت لواء الدين ، وعرفت بالحركة البابية ، ولم يتعاطف مع الجانب الغيبي الصوفي لتعاليم هذه الحركة ، لا بل نقدها بحدة ، ولكنه أيّد الفلاحين وغيرهم من الفقراء المشتركين فيها ، بطموحاتهم الى الحرية والعدالة والسلام ، ولهذا ناصر تولستوي أعضاء الحركة المطاردين . وبالمقابل قام قادة الحركة في بلاد الشام بزعامة عباس الأفندي بالدعاية لآراء تولستوي في أوساط العرب المؤيدين لحركتهم .

كانت اتصالات تولستوي المباشرة بالغرب أقل منها برجالات الفكر والاداب في الهند والصين واليابان ، ومع ذلك ، كان في البلدان العربية أناس التجأوا الى تولستوي طلباً للنصح والمساعدة ، وكانوا يلقون منه التفهم والترحيب الكاملين .

ومن المفكرين العرب الذين أقام تولستوي علاقات شخصية معهم مفتي مصر الامام محمد عبده ، وكان الامام قد بعث رسالة الى تولستوي عن طريق الناقد الفني الانجليزي سيدني كوكريل ، ولاتزال هذه الرسالة مفقودة حتى الآن ، ولكن يتبين من رسالة تولستوي الجوابية أن مفتي الديار المصرية تحدث في رسالته عن الأسس الدينية والأخلاقية لحركة النهضة الاسلامية التي كان يتزعمها ، وأنه التمس من الأديب العالمي الدعم والتشجيع ، أما تولستوي فقد عرض ، في رسالته الجوابية ، جوهر آرائه الفلسفية والاجتماعية ، وأعرب عن سروره بالتعارف مع المفكر العربي البارز ، الذي بدا له أن يشاطره مُثُلَه الأخلاقية ، وأكد تولستوي في رسالته هذه أنه « بمقدار ما تتشبع الأديان بالعقائد الجامدة والمعجزات والخرافات ، يزداد تفريقها للناس ، بل وإثارتها للخصام والعداء بينهم ، في حين أنه كلما ازدادت الأديان بساطة ونقاوة اقتربت باتجاه هدف الانسانية الأمثل ـ « الوحدة الشاملة » اقتراباً أشد .

وفي معرض جوابه على بعض آراء محمد عبده ، التي لم يوافق عليها الكاتب الروسي ، يشجب تولستوي شجباً حاداً المحاولات التي كانت تقوم بها الكنيسة المسيحية في الشرق والغرب ، لاحياء الأوهام والاعتقادات القديمة في صياغات وقوالب جديدة ، وقد طلب تولستوي من محمد عبده أن يزوده بمعلومات عن انتشار الحركة البابية في أوساط العرب ، لكن تولستوي لم يتلق جواباً على رسالته ، بالمقابل ، وصلته أخبار من صديقه سيدني كوكريل تفيد بأن المنية قد عاجلت محمد عبده . . . وعلى هذا النحو انقطعت تلك المراسلة المهمة

رسائل وردود

ومن الشخصيات العربية الأخرى ، التي كانت على اتصال مع الأديب الروسي العالمي ـ الصحفي المصري جبرائيل صاصي ، بعث جبرائيل صاصي الى تولستوي ثلاث رسائل طويلة ، يشرح فيها مفصلاً جوهر تعاليم الحركة البابية ، ويصف له ما تعانيه من أوضاع صعبة ، وما يتعرض له انصارها من ملاحقات ، وقد أكد تولستوي في رسالته الجوابية على اهتمامه الكبير بالحركة ، وأعرب عن تعاطفه معها ، وأمله في « أن البابية بمذهبها الأخلاقي الانساني ذات مستقبل كبير في العالم الشرقي ، وأن السمات المشتركة بينها وبين الفوضوية المسيحية لا بد أن تؤدي ، عاجلاً أم آجلاً ، الى الانصهار معها » .

لقد اتصفت صلات تولستوي بالشخصيات العربية بطابع ودي . ويمكن ، على سبيل المثال ، أن نورد مقتطفات من الرسالة التي بعثت بها المعلمة العربية الشابة رمزة قبابيني من بلدة زحلة اللبنانية الى

تولستوي في خريف عام ١٩٠٤ ، وقد حررت هذه الرسالة باللغة الروسية » . زحلة في ١٠ تشرين الأول (أكتوبر) .

السيد المحترم ليف نيكولايفتش !

أنا فتاة عربية من مدينة دمشق ، أسمي رمزة قبابيني ، تلقيت تحصيلي العلمي في دار المعلمات الأسقفية بموسكو ، وبعد التخرج في المعهد عدت الى الوطن حيث سكنت مع والدتي في بلدة زحلة القريبة من دمشق ، وتعرف هذه البلدة بأن معظم سكانها على درجة كافية من التعليم ، وهم معجبون جداً بكم ، ويتعطشون لرؤية شخصكم الكريم ، وقد طلبوا مني مراراً أن أكتب لكم ، ولكنني لم أتجاسر على ذلك ، وأخيراً توسلوا الى أن التمس منكم رجاء واحداً : أن ترسلوا لهم صورتكم الغالية ، وسيكونون في غاية الشكر والامتنان لكم . . .

. . . ولذا اعذرني يا سيدي الفاضل على هذه الجرأة في مخاطبتكم ، وأرجو ألا ترفض طلبنا بارسال صورتكم العزيزة لوضعها في بيوت أناس يكنون لكم كل تقدير واحترام ، وكذلك لنشرها في الصحف والمجلات . . . » .

في تلك الفترة كان تولستوي منهمكاً للغاية في أعماله وأشغاله . ومع ذلك وجد الوقت ، ليجيب على الرسالة المذكورة ، وقد جاء في رسالته الجوابية ، المؤرخة في ١١ شباط / فبراير / ١٩٠٥ » انني لأسف جداً يا سيدتي المحترمة على هذا التأخير الذي حصل بخصوص تلبية رغبتك ورغبة تلميذاتك ، أبعث اليك باحدى صوري ، وأرجو أن تعذريني لعدم قيامي بذلك من قبل » .

اطلاع على الأدب العربي

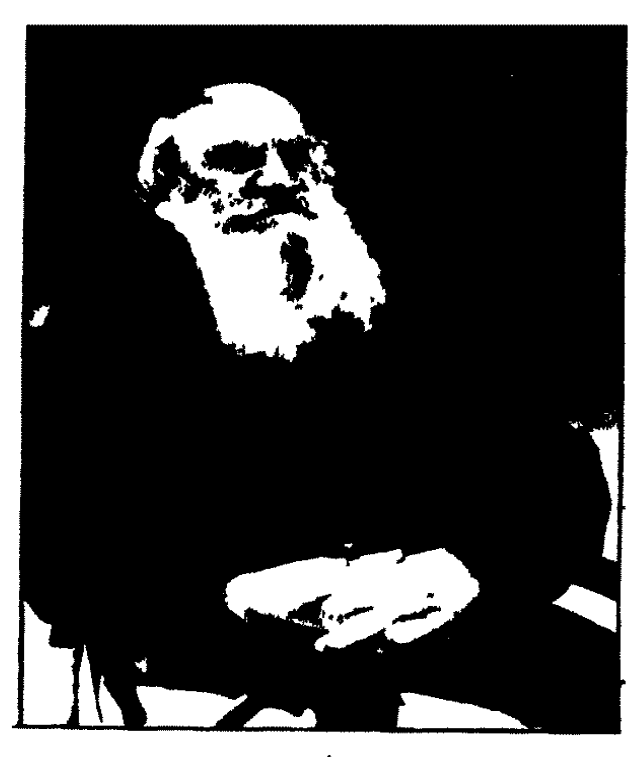
كان اهتمام تولستوي بالحضارة العربية والأدب العربي اهتماماً دائباً لا يفتر ولا ينضب ، فقد اطلع على الحياة العربية ، وتعرف على الفولكلور العربي والأمثال العربية ، وقرأ ما كان قد ترجم الى الروسية من مؤلفات الأدب العربي ، بما في ذلك « رسالة الغفران » للمعري . شغف تولستوي ، منذ طفولته ، بالحكايات والقصص العربية ، مثل « علاء الدين والمصباح السحري » و « علي بابا والأربعين حرامي » و « الأمير قمر الزمان » . وكان قد قرأ في شبابه ، حكايات أخرى من « ألف ليلة وليلة » التي ترجمت للروسية عن الفرنسية في القرن التاسع عشر ، وتأثر بها أيما تأثر ، ونشر للأطفال بعضاً منها بأسلوب مبسط ولغة جذابة ، هنا تجدر الاشارة الى أن هذا الاهتمام بالأمثال والحكم والقصص العربية لم يكن جديداً ، فقد لعبت دوراً كبيراً في الحياة الأوروبية الروسية منذ القرن الثامن عشر ، وفي السبعينات من القرن التاسع عشر نشر تولستوي قصصاً للأطفال مقتبسة من الأدب العربي ، كان تولستوي يحافظ على تسلسل الأحداث والحبكة القصصية والخاتمة والعبرة ، ويكتفي بصياغة القصة بأسلوب روسي ، مستبدلاً الأسماء العربية بأسماء روسية ، وبفضل اللغة الجذابة والسهلة اكتسبت الحكايات العربية شهرة كبيرة ، وصادفت انتشاراً واسعاً لدى القراء الروس .

لقد انعكس تأثر تولستوي بالقصص والحكايات العربية على أعماله الأدبية ، حيث يرد ذكر الكثير منها في مؤلفاته وعلى لسان أبطاله ، وأدخل تولستوي عدداً كبيراً من الأمثال والحكم والأقوال العربية المأثورة في مجموعاته الأخيرة : « من الحكم والأمثال الشعبية » . كما كان يأخذ الكثير من الأمثال العربية ويصيغها على شكل حكايات وقصص ، محافظاً على مغزى هذه الأمثال والعبرة منها ، وبفضله لقيت الأمثال والحكم العربية انتشاراً واسعاً بين جماهير القراء في روسيا .

ومما هو جدير بالذكر أن تولستوي قد اختار الحكاية العربية المعروفة « الملك والقميص » وصاغها (بالروسية) قصة طريفة موجهة للصغار ، ومن المصادر العربية والتاريخ العربي القديم استقى تولستوي حكايته المعروفة « الملك الآشوري أسر حدون » التي كتبها في عام ١٩٠٣ .

ودرس تولستوي تاريخ العرب القديم دراسة متعمقة ، فقد وجدت في مكتبته كتب ومصادر تاريخية كثيرة عن العرب ، عليها إشارات وملاحظات بخط يده ، تدل على دراسة لهذه المصادر واهتمامه الكبير فيها .

والى جانب المراجع التاريخية احتوت مكتبته على مؤلفات نادرة حول الأدب والفولكلور العربي ، كانت قد صدرت الى ذلك الحين في روسيا « حكايات سورية » وكتاب ابن علي « حكايات عربية »



● تولستوي

وغيرها ، وفي رسائله لأصدقائه أشار تولستوي مراراً الى القصيدة العربية الرائعة التي قرأها في كتاب « قصص وأساطير المعلم جلال الدين » .

بدايات الترجمة الى العربية

إن الفضل في تعريف القراء العرب بمؤلفات الأدب الروسي وبخاصة أعمال تولستوي ، يعود الى نخبة بارزة من خريجي المدارس الروسية في سورية ولبنان وفلسطين ، وبخاصة دار المعلمين الروسية في الناصرة ، التي أسستها الجمعية الفلسطينية ـ الروسية في العقد الثامن من القرن الماضي ، والتي تخرج فيها أدباء معروفون مثل : ميخائيل نعيمة ، ونسيب عريضة ، وعبد المسيح حداد ، وخليل بيدس .

في مصر كان سليم قبعين ، وهو فلسطيني المولد من خريجي دار المعلمين الروسية بالناصرة ، من أوائل مترجمي مؤلفات تولستوي للعربية ، ان أفكار تولستوي حول الكمال الأخلاقي قد استهوت قبعين الشاب الى حد جعلته يفكر بانشاء كومونات عربية على طريقة تولستوي ، إن سليم قبعين ، الذي كان يتقن اللغة الروسية ويعرف الأدب الروسي جيداً ، قد أصدر في القاهرة (عام ١٩٠١) كتاباً بعنوان « تعاليم الكونت ليف تولستوي » . وفي هذا الكتاب تحدث المترجم أيضاً عن ترجمة مؤلفات الكاتب الروسي الأدبية ، كما أدرج في الكتاب فصلاً كاملاً من قصة تولستوي « الشباب » ، ترجمها بنفسه .

في الأعوام اللاحقة أصدر قبعين ترجمته لقصة تولستوي « سوناتا كروتزر » (عام ١٩٠٤) ، ولكتابه « شرح موجز للعهد الجديد » وذلك تحت عنوان « ما هي معتقداتي » ، وأسطورة « مملكة جهنم » (عام ١٩٠٩) ومسرحية « سلطان الظلام » (عام ١٩٠٩) و « حكم النبي محمد » (عام ١٩١٢) ، كما نشر بعض المقالات عن الأدب الروسي ، بما في ذلك أدب تولستوي .

ومن المترجمين العرب البارزين في تلك الفترة يمكن أن نذكر خليل بيدس الذي كان ـ هو الآخر ـ من خريجي دار المعلمين الروسية بالناصرة ، وقد أنجز بيدس عدة ترجمات من الأدب الروسي ، منها مجموعة قصص لتولستوي قام بنشرها على صفحات مجلة « النفيس » التي كان يصدرها في حيفا والقدس ، وقد كان بيدس يتوق الى نقل رائعة تولستوي « الحرب والسلام » للغة العربية ، وفي إبان الحرب العالمية الثانية شرع بتنفيذ هذا المشروع الضخم ، ولكن الموت حال بينه وبين تحقيق هذا الحلم ، ومن الشخصيات العربية التي لعبت دوراً مهماً في تعريف القارىء العربي بمؤلفات تولستوي ، الاشارة الى انطون بلان الذي تلقى علومه في روسيا ، وعمل مدرساً في مدينة حمص ، وخلال فترة قصيرة نشر بلان ترجمته لسبع قصص قصيرة من أدب تولستوي ، ضمنها فيما بعد في كتاب خاص مع ترجمات لأعمال أدبية روسية أخرى مثل أعمال تشيخوف وليسكوف ، ومن وقت لآخر كان بلان ينشر في الصحف السورية مقتطفات مترجمة من مقالات تولستوي ، ونبذات عن نشاطه الاجتماعي .

ونشرت مجلة المراقب ترجمة عربية لرواية تولستوي الشهيرة « البعث » التي أنجزها رشيد حداد من اللغة الانجليزية . وفي عام ١٩٠٢ نشرت مجلة « شهرزاد » ترجمة لقصة تولستوي القصيرة « حاجة الانسان الى الأرض » . وقد لاقت هذه القصة في حينها نجاحاً كبيراً ، وفي تونس صدرت في العام التالي مسرحية تولستوي « سلطان الظلام » التي ترجمها عن الفرنسية محمود المشيرقي .

اهتمام بالأدب الروسي

وفي الأعوام اللاحقة ، وبخاصة بعد ثورة أكتوبر الاشتراكية ازداد عدد طبعات المؤلفات الأدبية الروسية ، ومن بينها مؤلفات تولستوي ، ويعود الفضل في ذلك ، بدرجة كبيرة ، للمجلة البيروتية « الدهور » وللمجلة الدمشقية الأدبية « الطليعة » ، التي كانت تسعى على الدوام الى تعريف القراء العرب بروائع الأدب الروسي . وفي عام ١٩١٩ صدرت مجموعة لقصص شعبية من تأليف تولستوي تحت عنوان « عجائب الخيال » ، وقد قام بنقلها الى العربية الأديب سهيل الخانجي ـ ومن هذه القصص : « دسائس الشيطان » و « ثمن غال » و « ابن بالعماد » . وقد أعيد طبع هذه المجموعة في عامي ١٩٢٦ و ١٩٦٢ .

في عام ١٩٢٦ صدرت في القاهرة طبعة جديدة لمسرحية « سلطان الظلام » قام بها سليم قبعين ، وفي وقت لاحق ظهرت باللغة العربية مجموعة مقالات لتولستوي حول آفة الادمان على الكحول ـ « سمّ أم كحول » ، وقصص « كورني فاسيليف » و « اذا اغفلت النار فلن تطفئها » (عام ١٩٣٧) و « الملك الأشوري اسرحدون » (عام ١٩٣٨) و « السعادة العائلية » و « الاعتراف » وبعض قصص الأطفال .

في الخمسينيات نشرت دار اليقظة بدمشق مجموعة من الترجمات الجديدة لأعمال تولستوي الأدبية التي قام بها الدكتور المرحوم سامي الدوربي ـ « الحرب والسلام » ، « آنا كارنينا » ، « البعث » والثلاثية « الطفولة » و « المراهقة » و « الشباب » . وقبل ذلك بقليل كانت قد صدرت في بيروت ترجمة لرواية « الحرب والسلام » (عام ١٩٥٣) انجزها أميل بيدس نجل خليل بيدس . وفي وقت لاحق صدرت الرواية المذكورة في القاهرة ، وفي مصر أيضاً نشرت ترجمات « البعث » و « آنا كارنينا » و « القوزاق » . و « الاعتراف » و « سوناتا كروتزر » وبعض أعمال تولستوي المسرحية .

تأثيره على الأدباء العرب

إن المقالات المختلفة عن تولستوي ، التي كانت تظهر ، بين حين وآخر ، في الصحف والمجلات العربية قد ساهمت بقسط وافر في تعريف القارىء العربي على مؤلفات الكاتب الروسي العظيم وآرائه السياسية والدينية والتربوية الفلسفية ، كما تجدر الاشارة الى أن معظم الترجمات العربية لمؤلفات تولستوي كانت ترفق بمقدمات حول الكاتب ، منها ـ على سبيل المثال ـ مقدمة الخانجي لمجموعة « عجائب الخيال » ، والمقدمة التي كتبها عصام الدين حفني ناصيف لمسرحية « والنور يسطع في الظلام » ومقالة سلامة موسى « ثلاثة كتّاب روس : دوستويفسكي وتولستوي وغوركي » التي نشرتها مجلة الهلال عام (١٩٢٨) ومقالة سعد خدري « تولستوي » التي نشرتها مجلة « المقتطف » (عام ١٩٤٥) ومقدمة الدكتور جورج حنا للطبعة البيروتية لرواية « الحرب والسلام » (عام ١٩٥٤) ، كما ظهرت عدة مقالات حول تولستوي في مجلات « الحديث » و « المقتطف » و « لغة العرب » وغيرها من المجلات العربية .

وينبغي التنويه بأهمية مجموعة المقالات التي ظهرت عن تولستوي في عام ١٩٢٨ ، بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده ، فقد قام باصدار هذه المجموعة عدد من الشخصيات الأدبية والفكرية في سورية ولبنان ، وعلى رأسها المفكر الكبير ساطع الحصري ، وهي تحتوي على ترجمات لمقالات يعرض فيها تولستوي آراءه في المسائل الأخلاقية والدينية ، وترجمة لمقتطفات من أقواله المأثورة ، أخذت عن كتاب « طريق الحياة » ، كما ضمت المجموعة بعض القصائد والمقالات لأدباء عرب عن تولستوي .

في مطلع عام ١٩٦١ أصدرت مجلة « الطريق » البيروتية عدداً خاصاً عن تولستوي بمناسبة الذكرى الخمسين لوفاة الكاتب الروسي العظيم ، وقد اشتمل هذا العدد على مقالات لميخائيل نعيمة وسعيد عقل وفؤاد افرام البستاني وجورج حنا ، وغيرهم من الشخصيات الثقافية البارزة ، عبّر مؤلفوها عن تقديرهم العميق لتولستوي ، كما تضمن العدد

المذكور مقتطفات من كتب ومقالات أدباء عالميين عن تولستوي ، من أمثال رومان رولان ، وأناتول فرانس ، وأندريه موروا ، وهربرت ويلز ، ومكسيم غوركي . وكان للاحتفال بالذكرى الخمسين لوفاة تولستوي صدى واسع في الوطن العربي ، إذ ألقيت المحاضرات وأقيمت المهرجانات ، وعقدت الاجتماعات المكرسة لهذه المناسبة ، ففي المنتدى الأدبي بالقاهرة تحدث الناقد المصري شوقي السكري فأشار الى أن واقعية تولستوي قد تركت أثراً كبيراً في الأدب العربي ، وفسر المحاضر أسباب هذا التأثير بالتشابه في العديد من المشاكل الحياتية التي واجهت الشعبين الروسي والعربي ، فكلاهما خضع فترة طويلة للعبودية ، وهما شعبان زراعيان بالدرجة الأولى .

وكان معظم الفلاحين في روسيا والوطن العربي محرومين من الأرض لقرون طويلة ، وكان كل منهما يعاني من الاضطهاد على أيدي أقلية ضئيلة من أبناء جلدته ، من جهة ، والدول الغربية الاستعمارية من جهة أخرى ، لذلك نلاحظ أن موضوع الأرض يشغل مكاناً بارزاً في آداب الشعبين معاً .

بعض من تأثروا

من الشخصيات الأدبية العربية التي تأثرت بفلسفة تولستوي وآرائه الاجتماعية والسياسية المفكر والكاتب الروائي فرح أنطون . إذ كان يلجأ أحياناً في نقاشه مع معارضيه الى مقالات وأعمال تولستوي لدعم أفكاره وحججه .

لقد شغل تولستوي في الأدب العربي مكاناً لم يشغله أحد غيره من الكتاب والمفكرين الأجانب ، وكتب عنه كبار أدبائنا العرب في مصر وسورية ولبنان والعراق مقالات قيمة ، ونظم بعضهم قصائد رائعة تكريماً له ، ويمكن أن نذكر على سبيل المثال ، ما كتبه عنه المنفلوطي والريحاني أثناء حياته ، كما رثاه أحمد شوقي وحافظ ابراهيم وجميل الزهاوي بأشعار رائعة .

فقد كتب المنفلوطي مقالة مؤثرة في رثاء تولستوي صاغها بأسلوب المراثي العربية التقليدية ، في هذه المقالة يصور المنفلوطي تولستوي ثائراً ساخطاً يفضح أولى الأمر الأربعة ـ القيصر والاقطاعي والكاهن والعسكري ، ونظم أحمد شوقي « حواراً شعرياً بين أبي العلاء المعري وليف تولستوي حول الظلم والشر وطباع الناس ، ونظم قصيدة أخرى بمناسبة وفاة الكاتب الروسي العظيم صاغها على نمط القصائد العربية الكلاسيكية .

أدباء آخرون

وعبّر عمر فاخوري عن احترامه وتقديره العميقين للمفكر الروسي العظيم ، وفي نقاشه مع أنصار الأدب الانحطاطي كان يستشهد بأعمال تولستوي ومؤلفاته .

وكان لتعرف ميخائيل نعيمة على الأدب الروسي ، وبخاصة أعمال تولستوي ، دور كبير في تطوره الأدبي . ففي كتابه « أبعد من موسكو وواشنطن » يقول نعيمة : « . . . في كتابات تولستوي عرفت كيف يهدر الدم الروسي انهاراً في سبيل الدفاع عن أرضه ، وأي الآلام الجهنمية هي الآلام التي تجرها الحروب ، وعرفت كذلك نزعة الروح الروسية الى السلم والصفح والمحبة ، وعدم مقابلة الشر بالشر . . . حتى أن « ياسنايا بوليانا » ـ بلدة تولستوي ـ باتت عندي منارة أستأنسّ بنورها أيام كنت أتلمس طريقي في مهامه الخير والشر والحياة والموت . . . ولشد ما هزّني خبر اختفاء تولستوي الفجائي في بيته في آخر أيامه . اذ أنني وجدت فيه دعامة لايماني المتداعي بقدرة الانسان الفاهم والمخلص لنفسه على التملص من أحابيل الدنيا وفخاخها ، والترفع عن زخارفها ومفاتنها ، وعلى الوعظ والتعليم بالقدرة والمثال أكثر من القلم واللسان » .

وفي مذكراته كتب نعيمة مخاطباً تولستوي « ليف نيكولايفتش » أنني مدين لك بأفكار كثيرة ، أنارت حلكات مظلمات في عالمي الروحي . لقد وجدت في الكثير من منشوراتك الأخيرة التي طالعتها في العام الماضي نوراً اهتدي به في كل خطوة من خطواتي ، أجل ، فأنت ، من هذا القبيل ، أصبحت معلمي ومرشدي من حيث لا تدري » .

تلك هي بعض جوانب موقف تولستوي من الثقافة العربية وصفحات من تاريخ تعرف الوطن العربي على إبداعه أديباً ومفكراً . . . □

قصّة مترجمة

بين والد وولده

للكاتب الأمريكي : وليام سارويان

ترجمة : نعوم ابراهيم عبود

رع يحدث نفسه وهو في طريقه إلى أبيه ، كان حدث بصوت مرتفع عندما وصل إلى « موراغا ستريت » ، فلمح فجأة فتاتين واقفتين تحت رواق المنزل ، فاضطرب تماما ، إذ أدرك من طابع الدهشة الذي بدا عليهما أنهما سمعتاه ، لكنه كان مضطرا لمتابعة السير والمرور بالقرب منهما ، ولاحظ أن اضطرابه يكاد يمنعه حتى من السير العادي ، ولم يعد يدري ما يصنع بذراعه اليمني التي أظهرت ـ عفويا ـ حركة معبرة ، فأخطأ في خطوه ، ورفع ذراعه نحو وجهه مرتبكا ، وشرع يصفر بحماقة ، وبنغم حاد كريه ، وعندما أدار ظهره سمع الفتاتين تنفجران بالضحك ، فكف عن التصفير ، وبارحه اضطرابه .

إنه في أعماق ضميره يعلم مايريد أن يقوله ، غير أنه في كل مرة يتحدث فيها إلى أبيه أو إلى أمه يفقد كل ما يملكه من وسائل التعبير ، ويظل جالسا فقط ، يصغي إليهما وهما يتحدثان فيما بينهما ، يصغي إلى أمه كل يوم ، أما أبوه فيصغي إليه قرابة ساعة مرة واحدة مساء كل أسبوع .

منذ حوالي عام وأبوه يعيش منفصلا عن أمه التي تبذل كل جهودها كي تسبغ على هذه الحالة طابعا





طبيعيا ، ومع ذلك تحدثه في بعض الفترات عن حزنها ، مفرغة ما في فؤادها ، وكان يرى من خلال ما تقوله وما تضمره مقدار تعاستها ، غير أنه من جهة أحرى كان يدرك أن أباه قد ذهب ليعيش مستقلا بنفسه .

كانت أمه رقيقة إلى أقصى ما يمكن ، غير أن تصرفها كان يوحي بأنها ليست طيبة إلا لأملها بأن تستمد شيئا من وراء هذه الطيبة ، فطيبتها تبدو كأنها أسلوب أو وسيلة ، لكنها ليست خبيثة عن وعي ، كلا ، إنها دائما رزينة ، جدية ، غير أن هذا لاتتجلى فيه أبدا سيماء الصدق والصراحة . كانت ترغم ابنها بالحاح على أن يوافقها على أنه لايحتاج إلى أشياء هو في الواقع يحتاجها ، أو على أنه يجب القيام بأشياء هو في الواقع يمقتها ، فاذا تخيلت أنه يحب تعلم « البيانو » ألحت عليه ليتعلمه ، أليس هذا بغيضا إلى نفسه ؟ وعلى هذا النحو كانت دائما تحاول أن تقنعه بأنه يحب ما تحكم هي نفسها بأنه يلائمه ، دون أن تدعه أبدا يكتشف ميوله الخاصة به ، وتفسد عليه حتى ما يحبه هو حقيقة .

انه ربما يحب « البيانو » كثيرا ، لكن ليس على النحو الذي يحلو لأمه أن تتخيله ، لكنه أيضا في خوف دائم من أن يسبب لها الموت إذا ما وقف ضدها ، وقال لها رأيه فيها ، أو جعلها تظن بأن هذه النقائص هي التي أبعدت أباه عنها ، وهي التي ستبعده عنها بدوره .

قال : أما أبي فهو أيضا أشد حمقا مني .

ـ آه . . نعم ؟ حسنا ، لم لاتقول له ذلك مرة ؟

ـ ربما أتوصل إلى ذلك .

وقال يحدث نفسه : « لن تقول له شيئا أبدا ، ستراه هذا المساء ، وستتناول عشاءك معه ، وتصغي إلى نصائحه ، ثم ستعود إلى المنزل . »

ثم قال لنفسه : « كلا سأتحدث إليه يوما ، أوسأرحل أنا . »

وعندما رأى أباه تلاشى كل ما كان يريد أن يقوله ، وظل كالأبكم ، وعاودته تمتمته المضحكة ، إنه إذا استطاع الكلام لايكاد ينطق بحرف .

قال له أبوه :

ـ تبدو عليك سيماء حسن الهندام .

ولم يستطع الاجابة ، فالكلمات ظلت في حلقه ، وتناولا عشاءهما بصمت ، واحتفلت المرأة المشرفة على الغرفة بخدمتهما ، كأن هذا هو آخر طعام يتناولانه .

كان يظهر على أبيه ـ بين الحين والآخر ـ كأنه على وشك أن يقول شيئا ، غير أنه لم يتكلم ، وكان الأمر كذلك أيضاً بالنسبة له .

أخذ يتخيل أفكار المرأة المشرفة على الغرفة وتوهم أنها تقول : ما نوع هذا الأب وهذا الابن ؟ ، الأب لا يزال شاباً ، والابن في السادسة عشرة من عمره ، وكل منهما عاجز عن العثور على كلمتين يقولهما أحدهما للآخر .

وعند تناول القهوة سأل الأب ابنه : كيف الحال في المدرسة ؟

ـ ليس حسنا جدا

قال الأب :

لم أكن انا أبدا مبرزا جداً في الفصل . وأنت ما الذي يهمك في هذه الفترة ؟

قال الشاب :

لا أدري ، لكن في هذه الفترة الأخيرة رغبت في السفر ، لست أدري من أين أتتني هذه الفكرة

قال الأب :

ـ لم تنضج بعد حتى تسافر ، أقصد لم يحن الوقت .

ـ أعلم هذا جيدا ، لكن . . . وقام الشاب بحركة عبرت عن الحماقة والفراغ الكامنين في كل شيء . فنظر اليه أبوه لحظة ثم قال :

ـ أصغ إلي يا صغيري . إن السادسة عشرة سن شاقة بالنسبة لجميع الرجال ، وكل ما أستطيع أن أقوله لك لا تعذب نفسك ، انطلق إلى الامام .

قال الشاب :

ـ لم لا تستطيع أن . . . . « وكاد الشاب أن يسأل لم لا تستطيع أن تكون أبا حقيقياً ؟

غير أنه كان يعلم السبب جيداً ، فلكي يكون الرجل أباً يجب أن يكف عن أن يعيش لنفسه ، وهو يعلم أن أباه غير قادر على هذا » .

ـ إن السادسة عشرة سن شاقة ، وكذلك السابعة عشرة ، الحياة قاسية في كل الأعمار ، غير أن هذه السنين حتى الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين هي أشدها قسوة ، وكل من يخرج منها سليماً فهو حسن الحظ .

قال الشاب :

ـ إني أحاول باستمرار أن أتخيل ما يجب أن أعمله ، غير أني لا أستطيع أن أعقد العزم على شيء .

قال الأب :

ـ إن الأشياء التي تعادل بقيمتها جهد القيام بها قليلة جداً ، وليس يفضل بعضها بعضاً ، وفي أي شيء شرعت سيظل الهدف دائماً هو كسب المال ، وهذا هو ما يسلب كل عمل قيمته ، غير أنك تستطيع أن تتصرف دائماً بأكبر قسم مما أملك .

ـ المال لا يهمني .

قال الأب :

ـ لن أكون أبدا عقبة ، ومن المحتمل أن أخسر كل ما عندي ، غير أنه إن بقيت لي أقل ثروة فإنك تستطيع أن تنال منها القسم الأكبر فيما إذا أردت يوما أن تسافر ، أو أن تفعل شيئا من هذا القبيل

ـ إليك ما أريده بالضبط ، كل ما سأصنعه سأقوم به بمفردي ، وبوسائلي الخاصة ، ولهذا السبب لا أستطيع عقد العزم على شيء .

قال الأب مغتبطاً .

ـ لا خير في هذا ، سنتحدث عنه فيما بعد . منذ الآن ستساورك أفكار كثيرة ، وليس هناك سوى شاغل لذيذ واحد منها هو التنقل ، غير أنه لا يبدو له أي سحر قبل أن يكون الانسان قد فعل شيئا آخر قبله ، وليس له أي فائدة إلى أن يكتشفه المرء بنفسه . وكرر الأب قوله « سنتحدث عن هذا فيما بعد » .

وأدرك الشاب أن أباه قد اكتفى من رؤيته ، فنهض .

قال :

ـ حسنا ساعود .

واكتفى الأب بأن يضع يده على كتف ابنه بينما كان يقوده حتى الباب .

وفي الطريق عاد الشاب إلى حواره مع نفسه . قال وهو يمثل دور أبيه .

ـ عد إلى المنزل ، وتقبل الحياة كما تأتيك خلال ست سنوات وسبع ، وابتسم كالأحمق للعالم وللحياة .

وأجاب :

ـ سأفعل كل ما تريده يا أبت . ° □

الأدب طرفة

● في احدى مقالات الدكتور طه حسين تناول قضية الأدب الجديد الذي يدعو اليه الأدباء الشباب بقوله إن هؤلاء الشباب قد حملوا لأنفسهم ، وحيلوا الى الناس أن الأدب الجديد الذي يطلبونه يجب أن يكون شعبيا ، وأن شعبية هذا الأدب تقتضي اهمال صورته ، وتركها تبرز للناس كما تستطيع ، رثة غثة ، لا حظ لها من اناقة أو رشاقة ، ولا نصيب لها من رونق أو جمال

ويستطرد طه حسين قائلا . والشيء الذي لايفطن له الشباب هو أن الأدب لاينبغي أن يكون طعاما ولا شرابا كالطعام الذي يأكله الناس والماء الذي يشربونه ، وانما ينبغي أن يكون طرفة يطرف بها القارىء . ذلك أنك لاتحسن الى الشعب حين تقدم اليه طعاما خشنا غليظا ليضيفه الى طعامه الخشن الغليظ ، ولا تحسن الى الشعب حين تقدم اليه ماء كدرا ليضيفه الى ما يشرب من ماء كدر ، وانما تحسن إليه حين تقدم إليه غذاء شهيا رقيقا ، يتخفف به ويستريح اليه من غذائه اليومي الخشن ، أو حين تقدم اليه شرابا عذبا مصفى يغسل به عن نفسه كدر الماء الذي يشربه في كل يوم

فالأدب إذن طرفة ، يفزع الناس اليها من حياتهم اليومية الثقيلة



بقلم : الدكتور محمد عبدالله المشاري

مرض النخالة الوردية من الأمراض الجلدية التي تصيب فئات معينة من الناس ، في سن معينة . ولاتشكل الاصابة به خطورة على المصابين ، لكنه مثير للقلق ، فاقتضى ذلك التعرف عليه ، لعل في معرفته مايقي من الاصابة به .

مرض النخاله الوردية مجهول السبب ، ولكن هناك نظريات كثيرة تتحدث عن هذا الموضوع أهمها نظرية تركز على ان سبب هذا المرض هو فيروس ، إما طبيعة هذا الفيروس لم تتضح حتى الآن . وقد قام عدد من الباحثين بمحاولات استكشاف هذا الفيروس ، ولكن المحاولات باءت بالفشل ، ومع هذا مازال معظم الباحثين مقتنعين بان سبب مرض النخالة الوردية هو « فيروس » وتبرير عدم مقدرتهم على فصل هذا الفيروس هو أن فصله يحتاج الى تقنية معينة ، لم يتوصلوا اليها حتى الآن .

وهناك نظرية أخرى ، تركز على أن سبب هذا المرض يكمن في نوع من انواع الفطريات التي تمكن بعض الباحثين من اكتشافها في القشور المصاحبة للمرض ، والسؤال المطروح هنا هل هذه الفطريات سبب لظهور هذا المرض ، اوهي مجرد إصابة ثانوية ؟

وهناك نظرية ثالثة ترى ان سبب مرض النخالة الوردية هو البكتريا العقدية ، حيث لاحظ بعض الباحثين أن بعض حالات هذا المرض تحدث بعد الاصابة بمرض [illegible] يصيب الاطفال عادة وسببه البكتريا العقدية أو السبحية أو هما معا بينما هناك من يرى أن وجود بؤرة فساد في الجسم ـ كالتهاب مزمن باللوزتين ـ قد يكون سببا لظهور هذا المرض وثمة نظرية أخرى ترى أن هذا المرض هو نوع من الحساسية لبعض أنواع من الادوية مثل الكلوركوين ، والبزمث ، والزرنيخ . حيث توجد في أحيان كثيرة صعوبة في التفريق بينها وبين أعراض مرض النخالة الوردية .

ومن الطريف أن هناك نظرية قديمة ، ترى أن المرض قد يحدث بعد لبس ملابس جديدة ، لم تغسل من قبل ، أو بعد لبس ملابس مخزونة لفترة طويلة في جو رطب ، مما يؤدي إلى تلوثها ببعض الحشرات التي قد تساعد على نقل الميكروب المسبب للمرض .

ومرض النخالة الوردية يصيب الرجال والنساء ، لكن بعض الدراسات توصلت إلى أن نسبة الاصابة

عنـد النسـاء أكبـر من الرجـال ، حيث تصل نسـبة الزيادة في بعض الأحيان ٢ : ١ .

والاصـابة عنـد الاطفال قليلة خـاصـة لمن تقـل أعمـارهم عن سنتـين ، ففي هـذا السن نـادرا مـا يصابون بهذا المرض ، وقد تبين من بعض البحـوث والدراسات أنه لاتوجـد إلا ٢٠ حـالـة مسجلة عند الاطفال الذين تقل اعمارهم عن سنتين . هذا وقد تبين أن نسبة الاصابة بالمرض تكثر في بعض المواسم دون غيرها ، وعلى الخصوص في أوائل فصل الربيع والخريف ، ومع هذا قد يـظهر هـذا المرض في أي فصل من فصول السنة .

وبهذه المناسبة أذكر أنني قمت والـدكتورة طيبـة المنيس بمساعدة الدكتور محمد الشايب المدرس بقسم الرياضيات بجامعة الكويت بدراسة حول هذا المرض تبين منها أن نسبة الاصابة بمرض النخالة تبلغ ١٪ من إجمالي المترددين عـلى عيادات الأمـراض الجلدية في الكـويت ، وأن نسبة الاصـابـة بهـذا المـرض بـين الكويتيين تبلغ ٣٣٪ في حين أن نسبة الاصابة عند غير الكويتيين تبلغ ٦٧٪ ، وأن ٧٩٪ من الحالات تظهر



الاصابة مع الطفح الجلدي الشامل

فيما بين سن ١٠ ـ ٢٠ سنة ، بينما نسبة الاصابة للذين هم دون العاشرة تبلغ ١٥٪ ، أما الذين جاوزوا سن الأربعين فتبلغ نسبة الإصابة بينهم ٦٪ فقط .

الأعراض

تبدأ أعراض هـذا المرض بـظهور الاصـابة الأم (HERALD PATCH) ، وهي الاصـابـة الأولى ، وغالباً ما تكون تلك الإصابة في الجذع ، أو في الفخذ ، أو الذراع ، أو الرقبة ، وتظهر الإصابة بشكل بيضاوي ، محدد الأطراف ، ويزداد حجمها ببطء ، ويلاحظ أن أطراف منطقة الإصابة ذات لون أحمر وردي ، محاطة بحزام مميز من القشور الصغيرة الحجم ، لكن مركز الإصابة مـائل إلى اللون البني المصفر . وحجم الاصابة الأم مابين ٢ ـ ٥ سم ، وفي بعض الأحيان قد يكون أكبر من ذلك . وغالبـا ما تكون الاصابة الأم مفردة ولكنها قد تكون أكثر من واحدة ، وهذه الاصابة تسبق ظهور الطفح الجلدي الشامل بفترة تتراوح بين ٥ ـ ١٥ يوماً وقد تسبقه بعدة ساعات فقط ، أو تتأخر عنه ثمانية أسابيع ، ويظهر الطفح الجلدي الشامل على دفعات ، بـين الدفعـة والأخرى يومان أو ثلاثة ويبقى مدة عشرة أيام ، وقد يستمر عدة أسابيع ، وغالبا ما يكون شكل الطفـح مشابها للاصابة الأم . وتختفي أعراض المرض بدون علاج بعد مرور فترة متوسطها (٦ ـ ٨) أسابيع .

بقى أن نـذكر أن مـرض النخالـة الـوردية قـد يصاحب بحكة ، وفي بعض الحالات قد يكون هناك حمى ، أو صداع ، أو خمول ، أو فقد للشهية ، أو توعكات معوية ، أو احتقان في الزور مع تضخم في الغـدد اللمفاويـة وهذه كحـالات شاملة قـد تكون محدودة فتصاب الغدد اللمفاوية العنقية فقط .

وأكـثر الأماكن عـرضة للاصابـة بالـطفح الجلدي الشامل هي الجذع والفخذ، والذراع، والساعد، والرجل وهي نفس الأماكن التي تظهر فيها الاصـابة الأم ، ولكن في أحيان نادرة تظهر الاصابة في منـطقة اليـد والرجل ، وقد تصل الاصابة إلى الوجه وإلى فـروة الـرأس خـاصـة عنـد الأطفـال ولكن ذلـك نـادر الحدوث ، وقد تحدث الاصابة في تجويف الفم حيث الغشاء المخاطي المبطن للفم ، وتظهر الاصابـة غير

محددة الأطراف ، حمراء اللون ، مع وجود بقع نزيف تحت الجلد ، وأحيانا فقاعات ، مع عدم وجود القشور المميزة للمرض . وإصابة الفم تكثر عند الأطفال دون الكبار وتكون مصحوبة باصابة الجلد ، وهذا النوع نادر الحدوث أيضا .

وهناك أنواع عديدة من مرض النخالة الوردية ، سوف أذكر أهمها وهي كالتالي :ـ

١) النخالة الوردية الحطاطية البقعية :ـ
ونجد في هذا النوع أن حجم الاصابة صغير ، حيث قد تصل إلى $\frac{1}{4}$ أو $\frac{1}{2}$ سم ، بينما باقي الأعراض هي نفسها .

٢) النخالة الوردية الحطاطية ويكثر هذا النوع عند المرضى من ذوي البشرة السوداء .

٣) نخالة وردية مع وجود بثور صغيرة مليئة بسائل شفاف ، وهذا بطبيعة الحال نوع نادر من أنواع هذا المرض .

٤) النخالة الوردية الارتكارية .

٥) النخالة الوردية العملاقة ، وهذا نوع نادر من المرض يتميز بكبر حجم الاصابة .

٦) النخالة الوردية الفرفرية :ـ يتميز هذا النوع ببقع نزيف تحت الجلد وهو نادر .

٧) النخالة الوردية المعكوسة : ـ ويلاحظ في هذا النوع أن منطقة الاصابة هي الساعد والرحل بيما باقي الأعراض هي نفسها لم تتغير .

المضاعفات

ليس هناك مضاعفات خطيرة لهذا المرض ، لكن قد تصاحب بعض حالاته حكة شديدة ، مما يؤدي إلى بعض الخدوش في الجلد ، حيث تكون عرضة للاصابة بالتهاب بكتيرى ثانوي ، وقد يتلون الجلد بلون داكن في مكان الاصابة بعد الشفاء ، وقد يحتاج إلى عدة شهور حتى يختفي اللون .

نستطيع أن نقول إن من يصاب به مرة ـ غالبا ـ لا يصاب به ثانية ، وذلك لاكتساب المناعة لكن من



مرض النخالة الوردية

دراسة لبعض الباحثين تبين أن ٢٪ من مرضى النخالة الوردية معرضون للاصابة بهذا المرض مرة أخرى ، وذلك بعد مرور فترة عدة شهور أو بضع سنين .

هل المرض معدِ ؟

يعد مرض النخالة الوردية من الامراض المعدية ، لكن العدوى تحدث بعد المخالطة اللصيقة الطويلة ، حيث تبين من بعض البحوث أن انتشار هذا المرض ممكن بين أفراد العائلة .

أما بالنسبة للعلاج فهو علاج عرضي ، حيث يعطى المريض مضادات الهستامين ، وبعض الأدوية الموضعية ، خاصة إذا كانت الحالة مصاحبة بحكة ، وغالبا ينصح المريض بعدم استعمال الليفة والصابون بكثرة ، كذلك يلاحظ أن استعمال الملابس الصوفية قد يؤدي إلى ظهور الحكة . □



العلق ذو فوائد

العلق الذي يمتص الدم ، والذي طالما استعمله الإنسان منذ أقدم الأزمان ، يبدو أنه قد استرد اعتباره لدى العلماء ، وأنه في طريق عودته الى عيادات الأطباء ، فقد أثبتت البحوث أن العلق قد يكون ذا أثر فعال في معالجة الأورام الخبيثة ، وغيرها من الآفات ، فقد نشرت مجلة (ناتشر) مؤخرا تفاصيل عن استعمالات العلق الجديدة ، الطبية منها والعلمية ، وذلك استنادا للأبحاث التي طرحت في اجتماع عقده الاتحاد البريطاني لعلماء العلق ، فمن استعمالات العلق اعتماد جراحي التجميل عليه لإزالة الدم الذي يترتب على عملياتهم ، ومن ذلك أيضا فاعلية لعاب العلق في الحد من انتشار سرطان الرئة

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

ثورة في جراحة التجميل

جراحة التجميل المنتشرة في شتى بلدان الغرب .. أمريكا بخاصة . كانت ومازالت تعتمد أساليب مختلفة لتحقيق أغراضها . ولعل شد جلد الوجوه هو أشهر تلك الأساليب .. التي شملت فيما شملت تناول العقاقير ، وكشط الجلد أو حكه أو تقشيره . والظاهر أن أيام هذه الأساليب وأمثالها باتت معدودة ، وأنها ستصبح أساليب مهجورة بالية في مستقبل غير بعيد،ذلك أن العلماء اكتشفوا أسلوبا آخر جديدا ، أشد فاعلية ، وأقل كلفة وأقرب تناولا .. وأقل ضررا من تلك الأساليب القديمة ..

هذا الاسلوب الجديد حقنة يحقنها الطبيب في المكان المناسب .. فلاتلبث ان تقضي على تجاعيد الوجه ، وماإليها من آثار الشيخوخة.. وهي تقضي ايضا على حب الشباب وعلى آثار العمليات الجراحية .. ولاتكلف الحقنة بالمتوسط اكثر من ٣٠٠ ـ ١٥٠٠ دولار .. أي مايعادل ½ تكاليف شد جلد الوجه .. ولاتستغرق سوى دقائق معدودة ، ١٥ ـ ٣٠ دقيقة . حقا يحمر الوجه عقب الحقنة ، ولكن احمراره لايطول أكثر من يوم واحد فحسب ، يعود الوجه بعدها الى طبيعته دون أي آثار جانبية ، وقد خلع رداء الشيخوخة واستبدله به رداء الشباب . . .

أما المادة التي يحقنونها في الوجه ، أو حيث تغلب آثار الشيخوخة المراد معالجتها ... ثنايا ... تجاعيد .. وما الى ذلك .. فهي مادة الكولاجن وهي المادة الغضروفية) التي توجد في الغضاريف وسائر أنسجة المفاصل والجلد والعظام ، فهي اذن موجودة في جسم كل انسان ، وتقبلها مضمون في جسم كل انسان ..

تحقن تحت الجلد مباشرة ، وعلى



دفعات .. ١٠ ـ ١٥ دفعة .. في المرة الواحدة فلا يلبث الفراغ الذي في داخل التجاعيد أن يمتلىء بمادة الكولاجن ، كما يمتلىء البالون بالهواء .. ولكن المادة الغضروفية لاتقف عند ملء الفراغ .. فمن شأنها أن تغذي الجلد وتكسبه نضارة ..

على أن هذا الأسلوب الجديد ليس جديدا بالمعنى الدقيق ، فهو معمول به في أمريكا منذ سنوات .. منذ أن أقرته وكالة الغذاء والدواء سنة ١٩٨١ .. وقد جاوز مجموع الذين عولجوا به منذ ذلك الحين ، ٣٠٠,٠٠٠ نسمة ، ويعتبر مستشفى شيكاجو التذكارى الشمالي الغربي والدكتور هنري رونجك في طليعة رواده .. وتصنع مادة الكولاجن المطلوبة شركة خاصة بها هي Collagen Corp ومقرها في بالو التو في كاليفورنيا .. وتصنعها من جلود البقر ..

بيد أن أثر حقنة الكولاجن ليس ابديا .. فقد يحتاج المرء الى حقنة ثانية في غضون سنتين .. وليس مايمنع من تكرارها مرات ومرات ، علما بأن الأطباء لاينصحون بالافراط في تناولها ، خوفا من أن يكون لها أثر غير مباشر على أجهزة المناعة .

□□

جهاز الكتروني لمنع الحمل وتحديد النسل

● الجهاز جديد ، وقد سجله مخترعه الدكتور ستيفن كالي مدير القسم النسائي الطبي في دويس فرى

ومن شأن هذا الجهاز أن يقتل الحيوانات المنوية قبل وصولها الى البويضة .. فهو يوضع على نحو عارض في عنق الرحم .. ويعمل عن طريق الحقل الألكتروني الضعيف الذي تحدثه بطارية خاصة صغيرة ٧ ملم ×٢ ملم

ويفاخر الدكتور كالي بأن التجارب التي أجراها أثبتت فاعلية جهازه بنسبة ١٠٠٪ ، ويعقب على ذلك بقوله : آن الأوان لاعتماد الوسائل الألكترونية في عصر الألكترونيات .

لاطالة العمر

● نجح علماء البيولوجيا في جامعة لويزفيل في اكتشاف مادة فعالة تطيل العمر بنسبة ٥٠٪ . . . عمر البعوض لا الانسان . . وقد أكد ذلك الدكتور جون ريشي وزملاؤه في التقرير الذي رفعوه لجمعية الطب والبيولوجيا التجريبية في نيويورك . . أما المادة فهي حامض (نوردي هايدرو جوارتك) او اختصار (NDGA) . . وأما طريقة تناولها فباضافتها الى طعام البعوض . . على أن فاعلية هذه المادة لاتظهر الا اذا أعطيت الى البعوض وهو في مرحلة النمو . . أي في صباه لا في شيخوخته ، وقد مدت عمر الحشرات التي تناولتها من ٢٤ يوما بالمتوسط الى ٣٥ يوما .

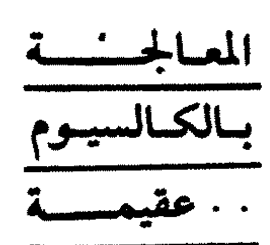
ويذكر البعض أن ليس هناك مايمنع أن تكون المادة المذكورة ذات فاعلية في اطالة عمر الانسان . . وليس هناك مايمنع أن تكون بلا فاعلية على الاطلاق . .

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

جهاز جديد للتأكد من الحمل مبكرا

● قد يكون لهذا الجهاز أثر خطير في شؤون تحديد النسل ، والحد من الزيادة السكانية . . فهو يستطيع التنبؤ بالحمل أو عدمه قبل خمسة أيام من وقوعه . . هذا ماتؤكده مخترعته على كل حال ، الدكتورة لويس تايرر ، نائبة رئيس الشؤون الطبية لاتحاد تخطيط الأبوة في أمريكا . . ويعمل الجهاز عن طريق اللعاب وينبىء عن اباضة المرأة مسبقا قبل خروج البويضة من المبيض بخمسة أيام . . ولو ثبتت هذه الأقوال لكان الجهاز المذكور انجازا خطيرا ولاريب .

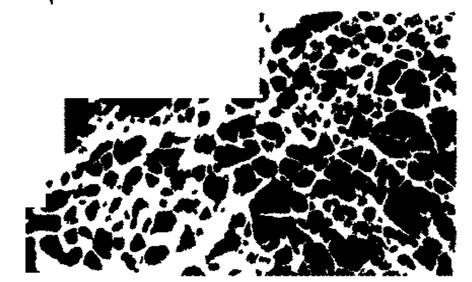
□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

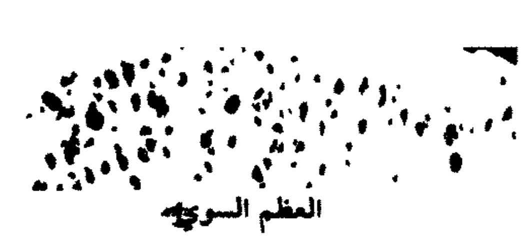


● في البدء ظهر الداء . . مرض وهن العظام ، وهو من أمراض الشيخوخة التي تصيب النساء أكثر من الرجال . . ثم ظهر الدواء . . حبوب الكالسيوم ، وأخيرا ظهر الشك في فاعلية هذا الدواء . .

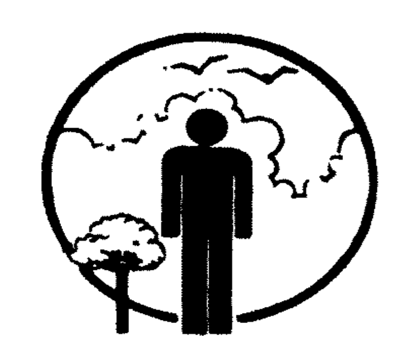
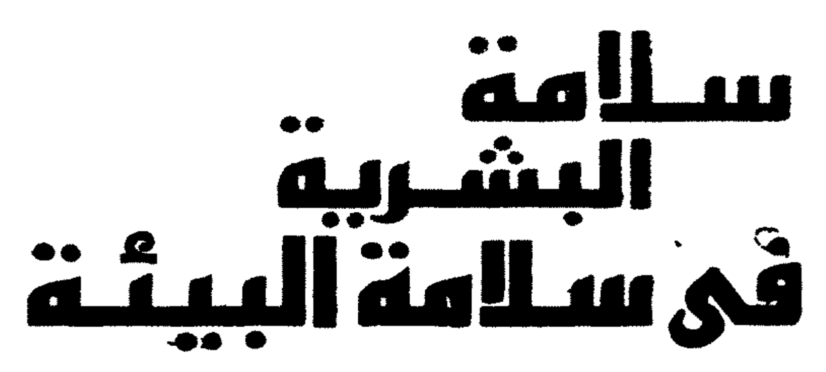
يقول الدكتور ستيفن جوردون ، البحاثة في معاهد الصحة الوطنية في أمريكا، تطعن الدراسات الحديثة ـ وهي عديدة ـ في أن يكون في حبوب الكالسيوم اي تعويض يذكر عما تفقده العظام من بنيتها حين يحل بها وهن الشيخوخة

العظم الواهن





العظم السوي

خنفسة تفتك بأخرى فتنقذ الغابات

هذه قصة أخرى عن ابادة الحشرات الضارة بحشرات أخرى غيرها أكثر فاعلية من المواد الكيماوية وأقل خطراً .. (سبق أن تناولنا موضع الحشرات المبيدة في باب البيئة في عدد مايو سنة ١٩٨٤ من العربي) .

أما حشرة اليوم الضارة فهي خنفسة تفتك بلحاء شجر الصنوبر ، انواع محددة منه ، تزرع على نطاق واسع لتستعمل لأغراض صناعية على نطاق واسع أيضا .

واسم الحشرة العلمي هو : (Dendroctonus micans) ، وهي منتشرة في بلدان شمال أوروبا وآسيا .. من فرنسا حتى اليابان .. ولكنها لم تظهر في الغابات البريطانية الا سنة ١٩٨٢ ، ومنذ دلك الحين وخنفسة (الميكان) تنتشر في مزارع الريف البريطاني ، من أقصى الغرب الى أقصى الشرق ، وتفتك بشجر السبروس النرويجي والشيكا على وجه التحديد .

وتتميز خنفسة الميكان هذه بقوة تدميرية هائلة .. تمكن الحشرة الواحدة من قتل شجرة صنوبر كاملة .. بمفردها ودون الحاجة لانشاء مستعمرة يتعاون عدد كبير من أفرادها للقضاء على شجرة صنوبر واحدة ....

وأما الخنفسة المبيدة التي لجأ اليها العلماء الانكليز لانقاذ مايمكن انقاذه من غابات الصنوبر فتسمى (Rhizophagus grandis) ـ وهي منتشرة في شتى بلدان أوروبا ماعدا بريطانيا .. من هنا كان



اقدام وزارة الاحراج البريطانية على استيراد الخنفسة المذكورة من بلجيكا منذ أكثر من ثلاث سنوات .. وذلك لقاء جنيهين استرليين للحشرة الواحدة .. ولعلك لا تستغرب عزيزي القارئ المبالغ الكبيرة التي دفعها الانكليز لاستيراد تلك الحشرة ـ خنفسة الجرانديس ـ لو عرفت الخصائص التي تتميز بها هذه الخنفسة ..

من تلك الخصائص قدرتها على الفتك بخنفسة الميكان ، على الرغم من أنها أصغر منها حجما ... وهي تشرع بمهمة الفتك هذه في اللحظة التي يطلقونها فيها ، ولا تتوقف عن أداء المهمة حتى تكملها ....

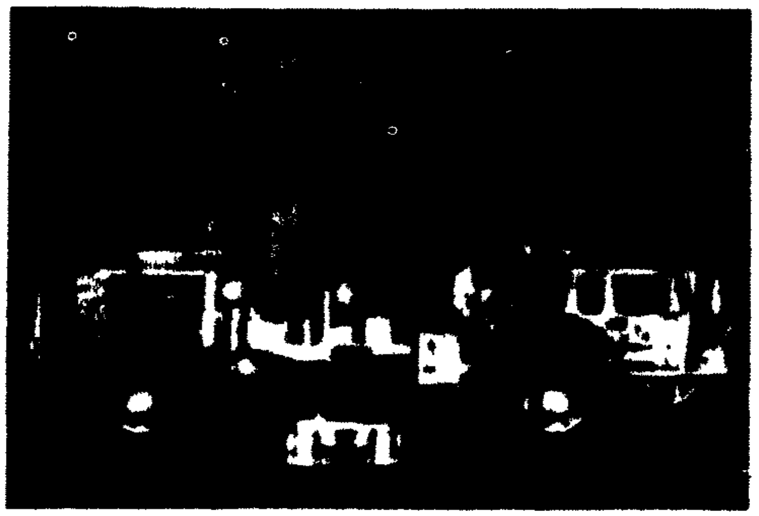
والغريب أن خنفسة الجرانديس لاتهاجم خنافس أو حشرات غير خنفسة الميكان . . والأغرب أنها تتزايد بنسبة تفوق نسبة تزايد الخنفسة الضارة . . فهي تتضاعف (١٠) أضعاف في الجيل الواحد . . أي بزيادة ضعفين مما عليه خنفسة الميكان . . .

ولا يخفي أن الانجليز لم يستوردوا كل ما احتاجوه من حشرة الجراندديس ، فقد عمدوا الي أساليبهم الخاصة الكفيلة بتهجين وتكاثر الكمية المحدودة التي استوردوها من تلك الخنفسة . . .

والجدير بالذكر أن العلماء الانكليز اقتفوا أثر العلماء السوفيات في ذلك كله . . في أعمالهم وتجاربهم الرائدة في هذا الصدد . . فقد تفشت خنفسة الميكان في حوالي ٣١٢٠٠٠ فدان من الغابات الروسية قبل نحو ٢٠ سنة . . . وانطلق العلماء السوفيات يبيدون تلك الخنفسة بخنفسة الجراندیس التي بلغ مجموع ماأطلقوه منها ٤٠٠٠ جنفسة . . . ولم يكد يمضى (١٠) سنوات حتى استكملت الخنفسة الأخيرة مهمتها على أكمل وجه ممكن . . . . .

بقى أن نشير الى الأضرار البالغة التي تلحق بالبيئة وبالانسان نتيجة استعمال المبيدات الكيماوية . . فالمبيدات الحشرية أو الحيوانية لا تسيء الى البيئة من قريب ولا من بعيد . . . أضف الى ذلك أنه أقل كلفة وأشد فاعلية . . لا عجب إذن ان انصرف العلماء في الدول المتقدمة جميعا الى البحث عن مزيد من تلك المبيدات الحشرية .

معالم باريس الحضارية في خطر



خبر اكتشاف البترول في باطن الأرض في باريس خبر مثير لاريب ، قد نقلته في حينه مختلف وكالات الأنباء والاذاعات . والصورة المرفقة تبين أجهزة البحث عن البترول ، وسبر كمياته ، وهي تعمل بالقرب من قوس النصر ، معلم باريس الشهير .

تعمل الأجهزة المذكورة بالسونار ، إذ تتوقف السيارات التي تحملها بضع ثوان بعد كل ٣٠ قدما تقطعها ، ترسل الأجهزة ذبذبات تتغلغل في الأرض إلى عمق ٦٥٦٠ قدما ، ثم تلتقط أصداء تلك الذبذبات أجهزة أخرى ، ذات حساسية بالغة ، موزعة حول باريس . . تحوّل هذه الأصداء إلى أجهزة كمبيوتر خاصة تعمل على تحليلها وتفسيرها طوال شهور ، ليتبين لهم ماإذا كان البترول موجودا تحت العاصمة الفرنسية بكميات تجارية أم لا .

يرجح العلماء أن تكون مساحة حقل باريس البترولي ٥١٠٠٠ ميل مربع ، سبب هذا الترجيح أن منطقة باريس ليست حديثة عهد بالبترول ، فقد اكتشف منذ أكثر من ٢٥ سنة في عدد من ضواحيها ، وحفرت آباره ، وكان إنتاجه لايقل عن مليون برميل ونصف سنويا (من البترول الخام) ، وهي كمية ضيئلة لاتكاد تفي بحاجة فرنسا للنفط لأكثر من عشرة أيام فقط ، إلا أنها كافية لحمل العلماء على الترجيح بوجود كميات لابأس بها تحت قلب العاصمة ، يقدرونها بنحو (١٥٠) مليون برميل .

وتنوي السلطات الفرنسية حفر آبار لاستغلال هذه الكميات ـ إن ثبت وجودها ـ في أماكن بعيدة عن قلب العاصمة ، وذلك حفاظا على معالمها وآثارها الحضارية . □

العرب في أمريكا

الحلم الأمريكي والوهم!



استطلاع : صلاح حزين
تصوير : أوسكار متري



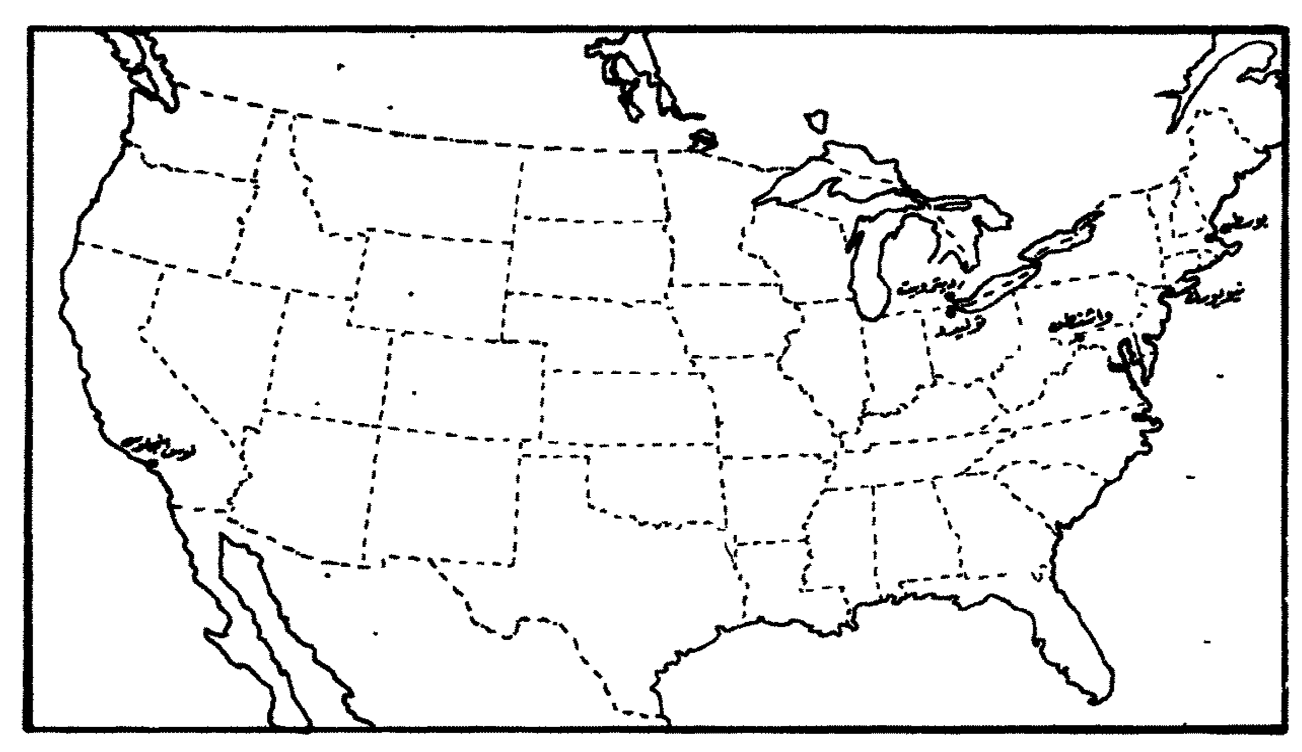
« نحن الأمريكيين فكرة وليس شعبا ، إننا أمريكيون لأننا نعتقد أننا كذلك » ، هذا ما قاله كاتب أمريكي وهو يستعرض تاريخ هذه البلاد الذي لم تكتمل فصوله بعد ، بشعبها الذي لم ينطلق من جذر واحد ، ولا ينتمي إلى عرق واحد ، ولا إلى خلفية ثقافية واحدة . وفي عام ١٧٨٤م أثار كاتب أمريكي آخر سؤالا حول « من هو الأمريكي ؟ » ، وبعد أكثر من قرنين من إثارة ذلك السؤال ، ما زال نفس السؤال مطروحا كما كان في ذلك الزمان الأمريكي الغابر .

حين نزل المهاجرون الانكليز الأوائل على الشاطىء الشرقي من القارة الجديدة بدأ فصل جديد من فصول تلك الأرض يكتب ، ذلك الفصل الذي لم يكتمل بعد ، فالسفن لم تتوقف عن إنزال حمولاتها من المهاجرين ، والمهاجرون لا يزالون يتوافدون ، والأرض الجديدة لم تعجز عن الاستيعاب . ومن الطريف أن المؤرخ الأمريكي (أوسكار هاندلين) حين حاول أن يكتب تاريخ هؤلاء المهاجرين اكتشف أن المهاجرين هم التاريخ الأمريكي ، فاختلف في ذلك قليلا مع مؤرخ أمريكي آخر هو (والتربريسكوت ويب) الذي رأى أن التاريخ الأمريكي هو « تاريخ الحدود » التي استمرت تندفع غربا على أشلاء الهنود الحمر الذين لم يكن لهم قبل بهؤلاء القادمين ، فلم يعد لهم من خيار غير أن يموتوا ليدفنوا في أرض أجدادهم ، أو أن يعيشوا أقلية معزولة بين « شعب من الجاليات المهاجرة » ، على حد تعبير الرئيس الأمريكي الراحل جون كنيدي ، وكتب المتنصرون كثيرا عن كيف ربحوا الغرب ، ولم يكتب الهنود الحمر كيف خسروا ، فقد طواهم النسيان قبل أن يتعلموا الكتابة على أيدي الغزاة المتحضرين !

أمة تعج بالأمم

قبل أن نذهب الى أمريكا لنبحث عن « جزئنا العربي هناك ، وقفت عند تعبير بدا غريبا بقدر ماهو حقيقي لشاعر أمريكا الكبير والت ويتمان ، الذي رأى أن أمريكا « أمة تعج بالأمم » وعليه فليس العرب هناك سوى بعض من تلك الأمم التي تعج بها أمريكا ، لكن مالم يدر بدهن ويتمان ولا بذهني ان الجالية العربية هناك كانت حتى عهد قريب « جالبة تعج بالجاليات » ، فهناك اللبنانيون والفلسطينيون والسوريون ، وهناك العراقيون والمصريون واليمنيون ، وأخيرا أصبح هناك سودانيون ومغاربة وتونسيون وجزائريون . كل هؤلاء يشكلون الجالية العربية التي كان أفرادها يدرجون أحيانا مع الأتراك باعتبارهم من رعايا الدولة العثمانية ، وأحياناً سوريين أو شرق أوسطيين ، وأحيانا أخرى مغاربة أو مراكشيين . ولا أدري ان كان للأسباب نفسها أم لغيرها أن خلا جدول للجاليات التي تشكل الأمة الأمريكية-نشر في مجلة « يو . اس نيوز اند ريبورت » ، في العدد المخصص لاحتفالات تمثال الحرية صدر في يوليو الماضي-من أي ذكر للجالية العربية ، مع أن هناك من يقدر عدد هذه الجالية بما يقارب ثلاثة ملايين ، في الوقت الذي ضم فيه الجدول جاليات لا يزيد عدد أفرادها عن المليون .

إنه مثير للانتباه ذلك الدور الذي تلعبه الجاليات المختلفة على صعيد المجتمع والسياسة في امريكا . فهذا المجتمع الصناعي المتقدم يعتمد في بعض نواحيه على أشكال متعددة ومتنوعة من العمل العام ، الذي يؤثر في النهاية ـ وعبر تعقيدات كثيرة ـ في السياسة الأمريكية ، وفي القرار السياسي لهذه الدولة العظمى ، فالجالية الأيرلندية لها رأي في القرار الأمريكي تجاه ايرلندا ، والبولندية تجاه بولندا . . واليهودية تجاه « اسرائيل » . . . الخ . لكن هذا التأثير ـ وهو تأثير له سقف يقف عنده لتبدأ مصلحة الدولة العظمى ـ لا يسير في اتجاه واحد . فبينما يتراوح



أماكن التواجد العربي في أمريكا

تأثير الجالية الايرلندية في القرار الأمريكي تجاه ايرلندا بين التأييد والاعتراض والتحفظ ، فان تأثير الجالية الكوبية مثلا ينصب في تيار العداء التام للنظام الكوبي ، والأمر نفسه ينطبق على الجالية البولندية بشكل أو بآخر ، فيما يصب تأثير الجالية اليهودية في مجرى التأييد التام لاسرائيل . بل ان كلمة community الانكليزية ، التي تعني جالية ، تطلق أيضا على جماعات الشاذين جنسيا ذوي النفوذ السياسي الكبير في مدينة سان فرانسيسكو خصوصا .

وعلى أي حال فربما لاحظ القارىء معنا أن الجاليات التي ضربنا بها الأمثلة قد حققت نفوذها السياسي نتيجة لنفوذها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في المجتمع الأمريكي الشاسع ، فلكل من هذه الجاليات نفوذها ومصالحها ورموزها ودورها الذي تلعبه في المجال الأمريكي ، فالهنود الحمر وحدهم ـ أصحاب البلاد الأصليون ـ لا يشكلون جالية بهذا المعنى ، وان كانوا كذلك ، فلا نفوذ لهم ولن يكون ، فماذا عن العرب الأمريكيين ؟ وأين هم من كل هذه التشابكات الأمريكية ؟

أجيال ونجوم

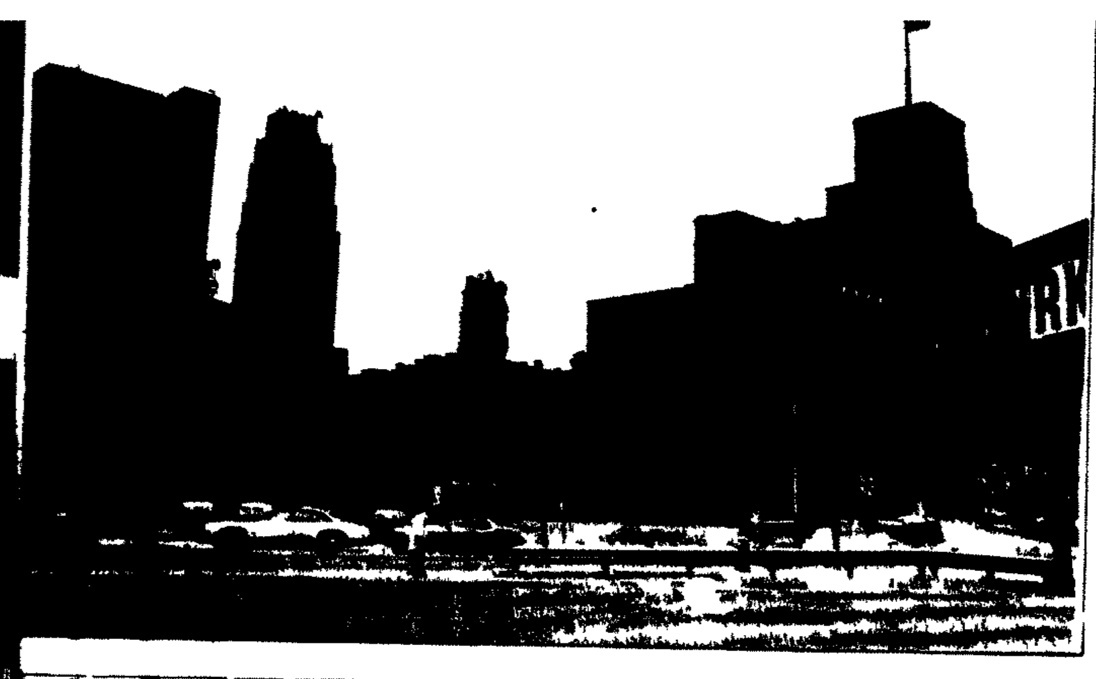
رغم ان الهجرات العربية الى أمريكا تعود الى خمسينيات القرن الماضي ، إلا أن الجالية العربية عموما تعتبر من الجاليات الحديثة في المجتمع الأمريكي . ويمكن تقسيم الهجرات العربية المتتالية الى أربع موجات خلفت أربعة أجيال من المهاجرين العرب ، تبدأ الاولى من ١٨٩٠ ـ ١٩١٢ ، والثانية من ١٩٣٠ ـ ١٩٣٨ ، والثالثة من ١٩٤٨ ـ ١٩٦٠ ، والرابعة من ١٩٦٧ وحتى الآن . ومن بين هذه الهجرات تتميز الهجرتان الثالثة والرابعة بأنها جاءتا في أعقاب هزات سياسية كبيرة في الوطن العربي ، كما تميزتا بوجود عدد كبير من ذوي التحصيل العلمي ، وأولئك الذين لهم تجربة في العمل السياسي بين أفرادهما . ومن المهم أن نذكر أنه مع هاتين الموجتين بدأت الهوية العربية تحل محل الهوية الوطنية ، التي كانت كل من « الجاليات العربية » الاولى تعمل على أساسها ، ومع قدوم هاتين الموجتين كان المهاجرون العرب الاوائل قد رسخوا أقدامهم في المجتمع الأمريكي ، وحصلوا على نفوذ اقتصادي وسياسي لا



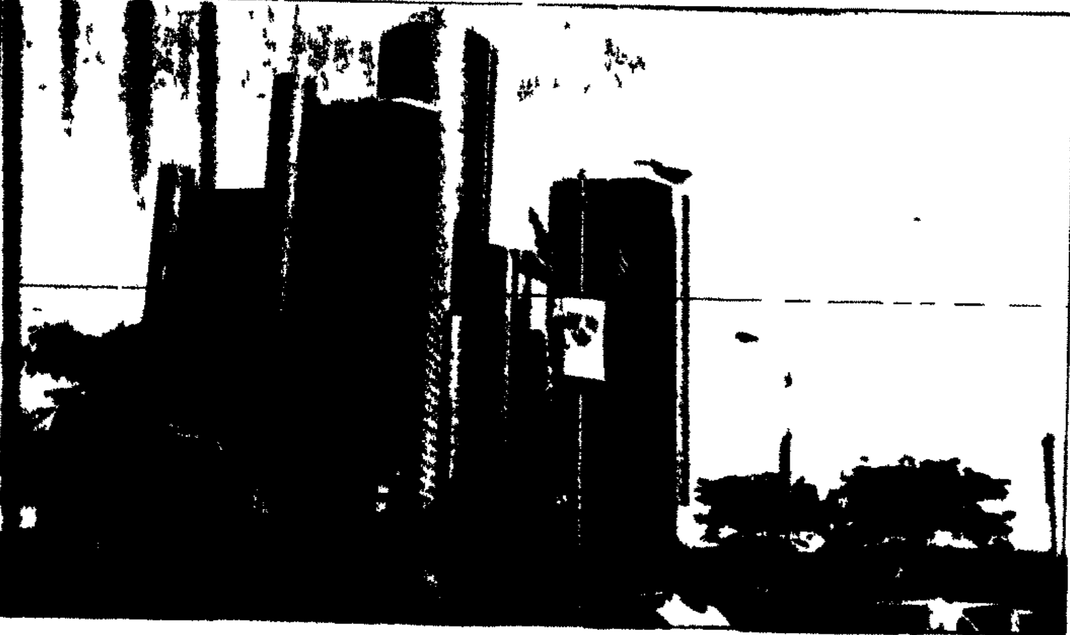




● ـ دبكة لبنانية ، وألعاب عربية ، وجمهور عربي وأمريكي في مهرجان الوطن العربي في مدينة ديترويت



● ـ شوارع ديترويت الكئيبة ـ تشكو من هجرة العمال ، وكساد صناعة السيارات



● ـ مجمع الرينسانس (النهضة) بطرازه الحديث ، ومحاولة لاعادة المجد الذي ترك ديترويت ورحل غربا



● ـ مركز توليدو الإسلامي في وسط مساحات من الخضرة ، يحتضن أنشطة الجالية العربية

بأس به ، وبرزت منهم شخصيات معروفة وصل بعضها الى مرتبة « النجومية »المهمة جدا في المجتمع الأمريكي ، ولعب البعض الآخر دورا مهما في الحياة السياسية الأمريكية ومازال يلعب . فنائب رئيس الحملة الانتخابية الأخيرة للرئيس ريغان ونائبه بوش عربي الأصل يدعى جورج سالم ، ونائب رئيس الحملة الانتخابية للمرشح الديمقراطي جيسي جاكسون هو جيمس زغبي ، وهناك اثنان من العرب اعضاء في مجلس الشيوخ ، وهناك نك رحال وروزماري عوكر اللذان يحتفظان بمقعديهما في الكونغرس منذ ١٠ سنوات ، ومن العرب حكام ولايات ورؤساء بنوك وعمداء جامعات ونجوم غناء وفن ، ومنهم سينمائيون فاز بعضهم بجائزة الاوسكار الشهيرة ، ومنهم روائيون وأكاديميون وموظفون كبار ، مثل عميدة الصحفيين في البيت الأبيض هيلين توماس ، ورئيسة البروتوكول سلوى روزفلت ، ومنهم أيضا فيليب حبيب .

الوجود والنفوذ

واحد من الأشياء التي يعنيها وجود هذا الحشد من الشخصيات العربية البارزة في الحياة الأمريكية ان الجالية العربية استطاعت تحقيق بعض النفوذ في عدد كبير من مجالات الحياة الأمريكية ، لكن ذلك لم يأت نتيجة عملها كجالية عربية محددة الأهداف والمرامي ، بل كأفراد عرب في مجتمع يتيح للأفراد أن ينجحوا ويحققوا الكثير . غير أن هذا « الوجود العربي » في مجتمع تتنافس فيه الجاليات ما كان له أن يقبل بسهولة من جانب بعض الجاليات الأخرى وبالتحديد الجالية اليهودية ذات النفوذ القوي ، حين يبدأ بالتحول الى نفوذ ، خصوصا وان الجاليتين مشتبكتان على ساحة صراع خارج الولايات المتحدة هي ساحة الصراع العربي « الاسرائيلي » ، تلك الساحة التي دخلت فيها الولايات المتحدة طرفا بعد ثورة أسعار النفط وبدء الحديث عن أزمة الطاقة التي أفلح الغرب عموما في القاء مسؤ وليتها على عاتق العرب فظهرت صورة « العربي البشع » المتحكم بمستقبل البشرية لفترة من الزمن ، يريد خلالها أن يقايض هذا المستقبل بنزواته الخاصة ، وطموحاته الصغيرة ، واهتماماته التافهة . كان ذلك في بداية السبعينيات ، وهي الفترة التي شهدت الموجة الأخيرة من موجات الهجرة العربية الى أمريكا ، والتي تميزت ـ كما قلنا ـ بزيادة اعداد المهاجرين وبأن كثيرا من هؤلاء من ذوي التحصيل العلمي الجيد نسبيا ، وبكون العديدين منهم ذوي معرفة باللعبة السياسية ، ان لم يكونوا ذوي تجربة سياسية عملية في أوطانهم الأصلية . وعند التقاء مجموع هذه الظروف بدأت الجالية العربية تخوض حربا على ثلاث جبهات ـ ان جاز التعبير ـ جبهة تحويل « الوجود العربي » في مجالات رئيسية في الولايات المتحدة الى « نفوذ » سياسي لهم ، وجبهة التصدي لتشويه صورة العربي النمطية في وسائل الاعلام

أما الجبهة الثالثة فهي جبهة العمل من أجل تغيير السياسة الامريكية المتحيزة « لاسرائيل » ضد العرب في الصراع العربي الاسرائيلي ، والوصول الى نوع من « التوازن » بين العرب وبينها ينعكس على شكل « توازن » آخر بين الجاليتين العربية واليهودية بأمريكا ، وذلك كما يرون يمكن تحقيقه من خلال الاستعانة بأموال العرب في البلدان العربية ، وبالفعاليات الأمريكية من أصل عربي في الولايات المتحدة ، وبالنفوذ الذي يمتلكونه داخل الدوائر الامريكية المختلفة . يساعدهم في ذلك أن مصلحة أمريكا بالنسبة للجالية العربية تأتي في المقام الأول ، وان الدول العربية المعتدلة ـ بالتعبير الامريكي ـ هي التي تقود الوطن العربي سياسيا في هذه المرحلة . لذا فالتوازن ـ كما يرون ـ ممكن التحقيق ، وبالتالي فلا يمكن لعين الزائر للولايات المتحدة بهدف الاطلاع على أوضاع العرب هناك ، أن تخطىء حركتهم التي لا تهدأ للبحث عن أسلحة جديدة ، وتجميع عناصر جديدة ، والبحث عن أساليب عمل مناسبة وفعالة ، والقيام بأنشطة عديدة لكسب المعارك التي تخوضها الجالية العربية والتي تكاد أن تكون الأكثر نموا بين الجاليات هناك . وربما كان من المفارقات ان نذكر ان هذه « المعارك » جمعت العرب الامريكيين ، أو الامريكيين العرب كما يحبون أن يقدموا أنفسهم ، لتحقيق الأهداف التي ذكرناها ، فأصبح بالامكان الحديث عن « جالية عربية » بدل الحديث عن « جاليات عربية » ، كما كان الأمر في الماضي . لكن الجالية العربية خلال بحثها عن أساليب العمل الفعالة لم تتفق على أسلوب واحد بل اختلف العاملون

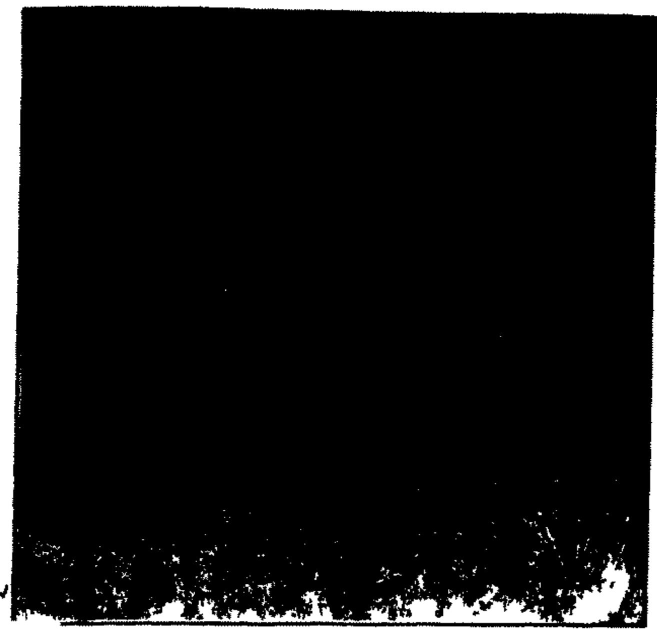
منهم حول أفضل الوسائل وأنجح الطرق لكسب هذه المعارك ، فتكونت أكثر من جمعية ومؤسسة ومنظمة لهم ، في محاولة للبحث عن اطار مناسب لتجميع الطاقات وتحقيق طموحهم الخاص الذي انصرفوا له ، بعد ادراكهم صعوبة تحقيق الحلم الأمريكي قبل أن يكسبوا معركتهم الامريكية على الأرض الجديدة

وهكذا وجدنا أنفسنا نتجه نحو واشنطن ، عاصمة السياسة الامريكية ، ومركز النشاط السياسي المنظم لجميع من يود أن يخوض معركة هناك ، تاركين نيويورك وحي العرب الشهير في بروكلن كما تركنا ديترويت حاضرة العرب الامريكيين التي تضم أكبر تجمع لهم ، لنعود اليها بعد أن نرى ما يصنعه الامريكيون العرب في عاصمة الغرب السياسية ، من خلال جمعياتهم « الخيرية » ، التي لا تهدف الى الربح كما أكد لي جميع من التقينا بهم هناك .

أكبر تجمع للمثقفين العرب

نشأت رابطة الخريجين الجامعيين في أمريكا وكندا بعد حرب عام ١٩٦٧ ، ونتيجة مباشرة لها . ففي ذلك الجو المليء بالأسى ، والذي تكشف عن هوة واسعة تفصل بين المواطن العربي وبين أنظمته ، وبين المثقفين ودورهم الذي يمكن أن يلعبوه لخدمة قضايا أمتهم ، شعر المثقفون العرب من خريجي الجامعات الامريكية بضرورة أن تكون لهم جمعية خاصة بهم ، لتلعب دوراً على صعيد التوعية بالواقع العربي ، ومعرفته بشكل أعمق ، وفي الوقت نفسه لوضع حد للصورة العربية التي اهتزت لا في امريكا فحسب ، بل في العالم كله ، ومن أجل اقامة تفاهم أعمق بين الشعوب العربية وشعوب أمريكا الشمالية ، ومحاولة تشكيل قوة ضاغطة لتغيير السياسة الامريكية التي ظهر تحيزها واضحا تجاه اسرائيل في تلك الأيام القاسية .

ويؤكد الدكتور حليم بركات ، الروائي وعالم الاجتماع المعروف ، الذي يشغل منصب الرئيس الحالي للرابطة ان غاية الرابطة علمية ، لكنه علم ملتزم بتمثيل وجهة النظر العربية في أمريكا . وعلى الرغم من أن اعضاءها من المثقفين والأكاديميين الا أنها ليست جمعية مهنية ، وتتعدد نشاطاتها لتشمل



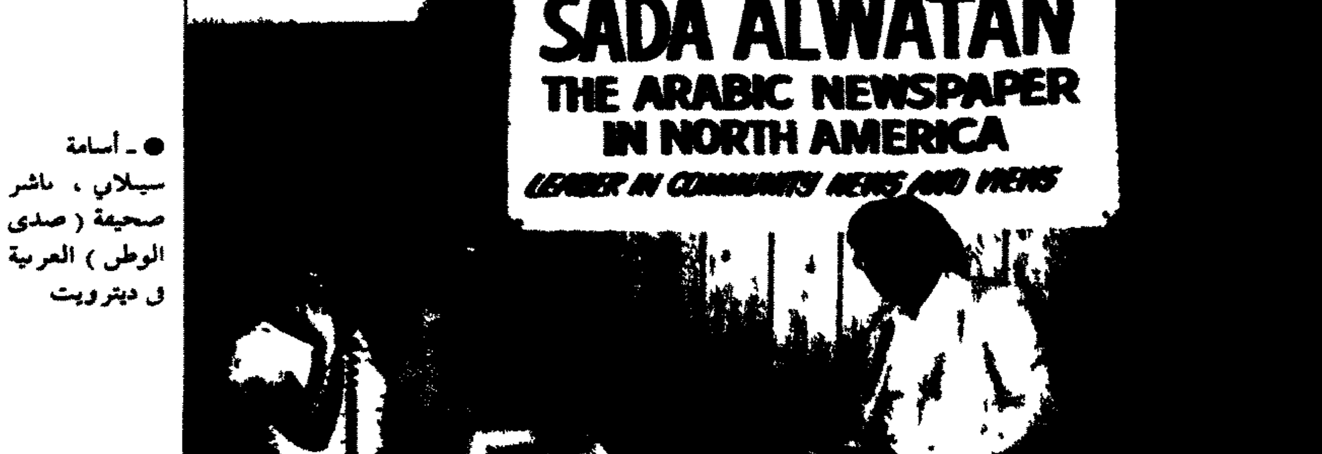
● سوزان زيادة بالمكتب الرئيسي في مدينة بوسطن

حقول نشر الكتب ، واصدار مجلة فصلية اسمها (مونيتور) تدور حول موضوع أساسي ، بالاضافة الى نشرة تتناول أوضاع الجالية العربية . وفي كل عام تعقد الرابطة مؤتمرا سنويا في مدينة امريكية مهمة ، تدعو اليه مجموعة من أبرز المثقفين العرب ، ليضعوا تحليلاتهم وتصوراتهم الخاصة بموضوع معين محل نقاش طوال أيام المؤتمر ، اضافة الى المؤتمرات الاقليمية المختلفة . وعلى الدوام تصدر الرابطة بيانات تتعلق بالاحداث التي تمس العرب ، سواء في أمريكا أو في الوطن العربي ، مثل حادث ضرب ليبيا في ابريل من العام الماضي ، أو ما يحدث في لبنان أو مصر أو الضفة الغربية المحتلة . ويحاول حليم بركات أن يكتم ابتسامة أبت ألا تختفي فخرجت ساخرة حين قال : اننا أكبر تجمع للمثقفين العرب داخل وخارج الوطن العربي ، حيث يحضر مؤتمراتنا نحو ٢٥٠٠ باحث ومثقف عربي سنويا . ولأننا قابلنا الدكتور - حليم بركات باعتباره مسؤولا عن مركز الدراسات العربية المعاصرة في جامعة جورج تاون بواشنطن ، لا باعتباره رئيسا للرابطة ، فقد كان علينا أن نستكمل الحديث عن رابطة الخريجين الامريكيين العرب مع سوزان زيادة التي تدير المكتب الرئيسي للرابطة في مدينة بوسطن الجميلة بمبانيها التي لا تزال تحمل الطراز البريطاني العريق .

● ـ الجالية الفلسطينية في نيويورك ، في مطعم عربي وأجواء شرقية

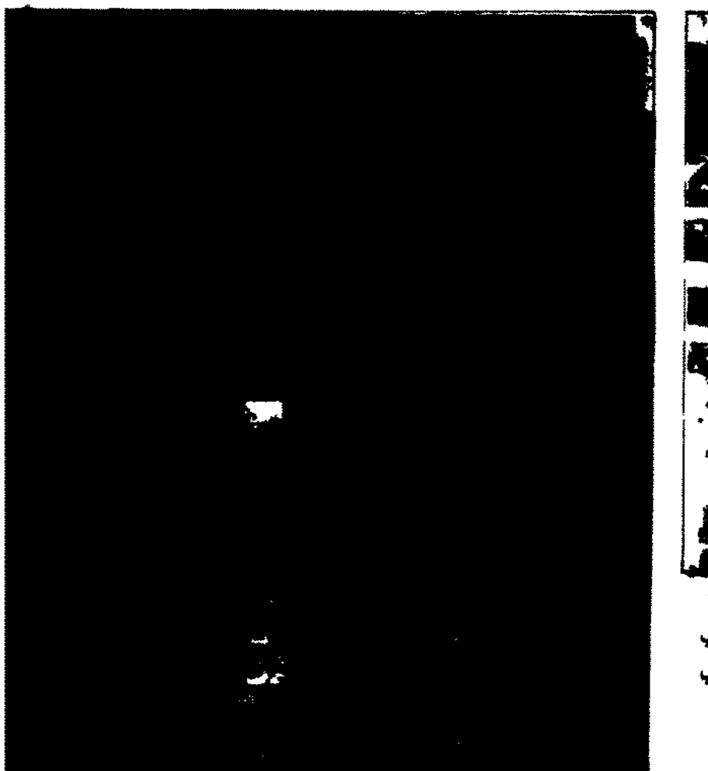


● ـ عرب وامريكيون اثناء العمل في (الساعة العربية) التي يبثها التلفزيون الأمريكي اسبوعيا في مدينة بوسطن



● ـ أسامة سيبلاني ، ناشر صحيفة (صدى الوطن) العربية في ديترويت

● ـ حي العرب في بروكلين وكتابه بالعربيه ، والانكليزيه





● ـ جو حايك ، صاحب مجلة ودار نشر « حلقة الأخبار » (فوق) ، وإلى اليسار الشيخ فتحي ماصي يؤدن للصلاة في المركز الإسلامي بواشنطن

وهناك في المقر المتواضع لأقدم وأكبر تجمع للمثقفين العرب ، أضافت الآنسة زيادة أن من ضمن أنشطة الرابطة ارسال وفود من رؤساء البلديات الامريكيين الى البلدان العربيه ، وفي المؤتمر الأخير لمنظمة المدن العربية في السعودية زار وفد من رؤساء البلديات الامريكيين الاردن ، ودخل الى المناطق المحتلة في فلسطين والضفه العربية وغزة ، وزاروا عدة مؤسسات هناك،والتقوا بتوفيق زياد وصالح براسي وبسام الشكعة وآخرين،وأضافت زيادة « لقد أرسلنا صحفيين للقيام بحملة توعية حول أوضاع الفلسطينيين تحت الاحتلال . ويشمل النشاط أيضا التعاون مع سياسيين امريكيين من أصل غير عربي ، مثل لي هاملتون ، وآخرين من اصل عربي مثل نك رحال وروزماري عوكر ، ومع اكاديميين من ضمنهم يهود مثل نعوم تشومسكي عالم اللغويات الشهير »

اللجنة والمعهد

تقوم لجنة مكافحة التمييز ضد العرب الامريكيين بدور مختلف عن الدور الذي تقوم به رابطة الخريجين العرب الامريكيين . وهذه اللجنه كما تؤكد برساره شاهين المديرة التنفيذية للجنة ، جمعية « حيريه معفاة من الضرائب » ملتزمة أساسا بالدفاع عن حقوق العرب الامريكيين ونشر تراثهم الثقافي ، وقد اسس هذه اللجنة السناتور الامريكي السابق جيمس ابو رزق عام ١٩٨٠ ردا على حملات التشويه والتمييز والتحط التي تتعرض لها صورة العرب في امريكا . وفي سبيل تحقيق أهدافها فان اللجنة تسلك السبل الشرعية ، كما أنها تساعد المهاجرين العرب الجدد ، وتقدم البعثات الدراسية للطلبة العرب ، وتنشر الكتب والدراسات التي تتحدث عن التراث العربي الثقافي والفني والفكري والأدبي . كما انها تقوم بمسيرات احتجاج على محاولات تشويه الصورة العربية ، وتعقد الندوات والمعارض ، وتركز جانبا من نشاطها ضد مكتب التحقيقات الفدرالي الذي يحمل لواء التمييز ضد العرب . وفي أغسطس الماضي تسلم رئاسة اللجنة المحامي عابدين جبارة خلفا لجيمس ابو رزق . وعلى أي حال فان هذه الأهداف التي قد تبدو سهلة وبسيطة التحقيق ليست بمثل السهولة والبساطة التي تبدو عليها ، فأعضاء الجمعية

خلال مسيراتهم وأنشطتهم ، يصطدمون مباشرة بالمتطرفين اليهود والصهاينة الامريكيين ، وخاصة أعضاء رابطة الدفاع اليهودي ، التي أسسها الحاخام مائير كاهانا ، قبل ذهابه الى اسرائيل وحصوله على عضويه الكنيست الاسرائيلي . وخلال واحد من هذه الصدامات قتل اليكس عودة ، رئيس فرع لوس انجلوس في حادث نسف مقر اللجنة هناك ، وجرت محاولة لحرق المقر الرئيسي للجنه بواشنطن ، « وهذا هو السبب في الخراب الذي ربما لاحظته وانت صاعد الينا » . قالت برباره وهي تودعنا . وفي طريقي خارج المقر عرفت سر أعمال الترميم الجارية عند المدخل في الطابق الأول ، كما عرفت لماذا يفضل نشطاء العرب الامريكيين ان يجاروا الطوابق العليا مقرات لانشطتهم فهي تصعب على محاولات التخريب التي تقوم بها عصابات المتطرفين الامريكيين يهودا وصهاينه .

لكن جيمس زغبي له راي يختلف عن راى زملائه السابقين في اللجنه التي اشترك في تأسيسها مع جيمس ابو رزق ، لذلك انفصل عنهم وترأس المعهد العربي الامريكي ، ليمارس نشاطه الذي يكاد يكون سياسة مباشرة بمقاييس النشاط الامريكي . وينطلق زغبي الذي كان اول عربي قدم شخصية انتخابيه للرئاسه ، بصفته نائب رئيس الحملة الانتخابية للقس جيسي جاكسون ، من اقتناعه بأن الانتخابات هي الطريق الى تحقيق نفوذ عربي في السياسة الامريكية . وهو يعتقد بأن الامريكيين العرب يستحقون الاعتبار في السياسة الامريكية ، لكنه يقول ، ان « علينا قبل ذلك أن نعطي الاعتبار لأنفسنا . ويقترح زغبي خطة طويلة الأمد تعتمد على حصر القوة الانتخابية العربية في امريكا في قوائم محددة من خلال عمل منظم يشمل كل مدينة وكل حي يوجد فيه العرب ، والعمل من خلال الأحزاب السياسية الأمريكية ليكون للعرب الأمريكيين بعد ذلك صوت انتخابي مؤثر في السياسة الامريكية . ولكن ماذا عن اللوبي العربي الذي تحدث عنه العرب الامريكيون وغير الامريكيين ، مرة باعتباره وسيلة ضغط لموازنة السياسة الامريكية ؟ يجيب زغبي لا تستطيع تكوين لوبي عربي مؤثر ، علما بأن مثل هذا اللوبي الشكلي موجود وله مكاتب وبه موظفون ، لكنه غير فاعل . ويضيف زغبي ، لسنا

بحاجة إلى لوبي لأننا نعتقد أن المهمة الاولى هي عمل شيء لأجل الجالية العربية والاعلاء من شأنها وجعلها مؤثرة . أما مرحلة اللوبي فتأتي بعد ذلك .

هكذا تكلم جيمس زغبي وبربارة شاهين وسوزان زيادة وحليم بركات ، وهم يتلمسون السبل نحو الاطار الأمثل للعمل العربي في امريكا . لكنني لاحظت ان كلا من هذه المنظمات ومنظمات اخرى أقل أهمية ، تخوض هذه المعارك باعتبارها تمثلهم كأمريكيين بالدرجة الاولى ، لكن لهم ارتباطاتهم ومصالحهم ووشائجهم التي تربطهم بالوطن العربي الذي أتوا منه . وهو أمر طبيعي في المجتمع الامريكي ، ولا تنفرد به الجالية العربية بل تشاركهم به جاليات أخرى هناك . وفي نهاية جولتي بين الجمعيات العربية طرحت سؤالا عن التنسيق بين هذه الجمعيات المختلفة الأساليب والحقول والتوجيهات ، فجاء الجواب من حليم بركات الذي قال ان هناك مجلسا خاصا من رؤساء الجمعيات العربية الامريكية يجتمع دوريا وكلما دعت الضرورة لتنسيق عمل هذه المنظمات .

مؤسسات ومراكز اسلامية

لكن هذا ليس كل ما هناك مما يخص العرب والاسلام والمنطقة بشجونها وشؤونها . فهناك مؤسسات امريكية تهتم هي الاخرى بالعلاقة العربية الامريكية ، مثل المجلس القومي للعلاقات العربية الامريكية ، الذي يهتم بتطوير العلاقات بين الامريكيين العرب ، والمعهد الامريكي للشؤون الاسلامية والمنظمتان مؤسستان خيريتان لا تهدفان الى الربح ومعفاتان من الضرائب أيضا .

وهناك مركز الدراسات العربية المعاصرة بجامعة جورج تاون ، الذي يشرف عليه حليم بركات ، وهو الوحيد الذي يحمل اسم الدراسات العربية وليس دراسات الشرق الاوسط أو غير ذلك ، مما استدعى تركيز ضغوط كثيرة وعديدة حوله لتغيير الاسم . وهو الى جانب دوره الاكاديمي ، يقوم بتقديم الثقافة العربية من خلال المحاضرات والندوات والمنشورات والكتب ، ومن خلال الزيارات التي يقوم بها اكاديميون عرب لتقديم الجوانب المختلفة للثقافة العربية .

وقبل ان نغادر واشنطن الى ديترويت ، قمنا بزيارة المركز الاسلامي بواشنطن ، الذي لفت أنظارنا قبل زيارته بحجارته البيضاء الجميلة وطراز هندسته الاسلامي وسط ابنية واشنطن ذات المعمار المتنافر الذي يفتقد الشخصية المميزة ، وتصادفت زيارتنا للمركز مع وقت صلاة الظهر .

توافد عدد قليل من المصلين عربا وأجانب ، عندما سمعوا الشيخ فتحي ماضي يؤذن للصلاة بصوت قوي عذب . رفض بعض المصلين ان تلتقط لهم الصور ، رفضا قاطعا لا يقبل النقاش . فقام زميلي المصور بالتقاط صور لمكونات المركز ، الذي يضم الى جانب المسجد بمنبره الخشبي المزخرف ومحرابه وثرياته وهندسته الاسلامية الداخلية المميزة ، مكتبة ومحلا لبيع الصور والتذكارات والهدايا ذات الطابع الاسلامي ، فالمركز ليس مسجدا للصلاة فحسب ، بل يقوم بدور أكبر في تلك البلاد كما يقول الدكتور عبدالله خوج ، مسؤول ادارة المركز. فمن أهداف المركز الذي تقصده للصلاة كل المذاهب الاسلامية ، تقديم الاسلام للمجتمع الامريكي من خلال اقامة المعارض الفنية ذات الطابع الاسلامي وخاصة معارض الخط والزخرفة واقامة الاسواق الاسلامية ، حيث تباع الملابس والمأكولات والتحف والهدايا التذكارية ، وتنظيم المحاضرات عن التراث الاسلامي ، وتقديم فصول في اللغة العربية والدراسات الاسلامية ، ويصدر المركز مجلة اسلامية تحرص على تقديم الموضوعات ذات الطابع الديني والثقافي والعلمي من منظور اسلامي . والمركز الاسلامي في واشنطن واحد من عدد كبير من المراكز الاسلامية في مدن الولايات المتحدة الرئيسية ومن أبرزها المركز الاسلامي بمدينة توليدو في ولاية اوهايو التي كان لنا زيارة اليها .

طليطلة الامريكية

ترتاح مدينة توليدو في غابة فسيحة من الأشجار التي شقت فيها الشوارع ، وارتفعت على أرضها البنايات ، وامتدت على طول الشوارع المنازل الخشبية المتسقة ذات السقوف المائلة والألوان الرمادية والبنية والبيضاء ، التي تذكرك بالمدن الاوروبية الصغيرة القائمة وسط الغابات . تشعر وأنت تدخل المدينة



● ـ المركز الإسلامى بواشنطن ، طراز شرقى فى عاصمة الغرب

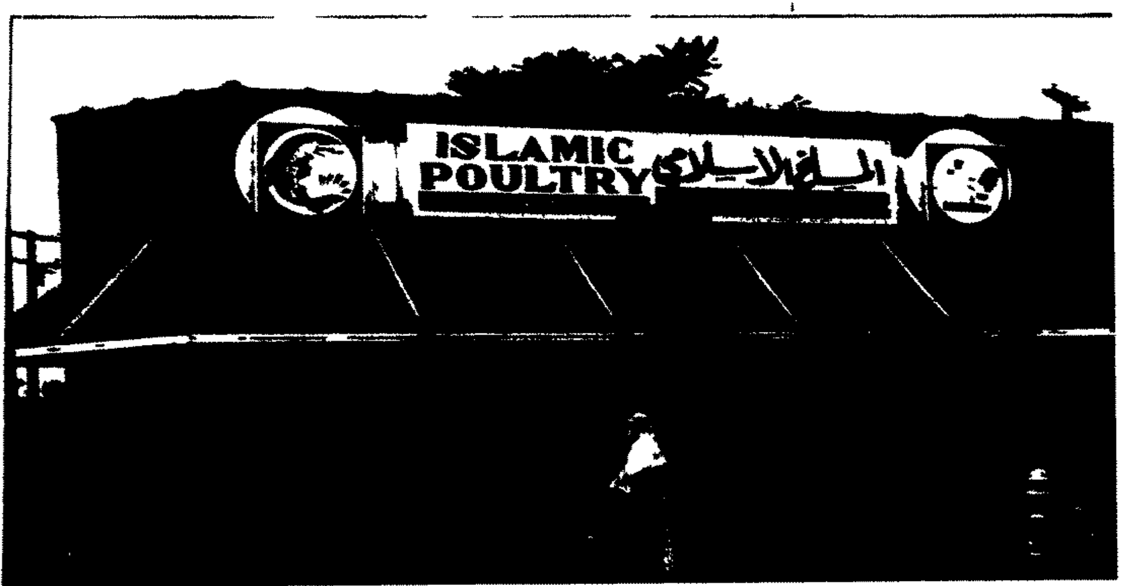




● ـ المصليات يخرجن من مسجد ديترويت



● ـ حجاب ومسابح وثياب فلسطينية مطرزة في ديترويت



● ـ المسلخ الإسلامي في القرية العربية في ديترويت

الوادعة بأنك تدخل أجواء قروية حميمة

حالية توليدو العربية لا مشاكل لديها مع الحالية اليهودية ، فكثير من أفرادها قدموا الى امريكا منذ سنوات طويلة ، يعود بعضها الى أيام الحرب العالمية الأولى وقد اندمج كثيرون منهم في المجتمع الامريكي اندماجا تاما وحصل آخرون منهم على مراكز مهمة ، ونسجوا علاقات متينة مع ممثلي المدينة والولاية السياسيين ، لكنهم مازالوا دون مرحلة تحقيق النفوذ السياسي المنشود ومن خلال المركز الاسلامي الذي ساهمت الكويت بشراء الارض التي قام عليها في بقعة قصية خارج المدينة ، تمارس الحالية نشاطا يتمثل في افتتاح فصول دراسية للاطفال وكبار السن ، وفي المحاضرة الاسبوعية التي تلقى في قاعة المحاضرات الواسعة في الطابق الثاني للمركز ، وبمشروع انشاء مدرسة لتعليم اللغة العربية

الملاحظة المهمة هنا ان تمويل المركز يتم من خلال الأعمال المنزلية ، والاشراف على المقصف الذي يقع في الطابق الأرضي للمركز ، وهذه كلها تقوم بها النساء اللواتي يخصصن جزءا من وقتهن لهذا النشاط ، ومن خلال ريع المقصف والاسواق الخيرية والاحتفالات التي تقام جميعها هناك ، يتم تمويل المركز الذي يتكامل دوره مع دور الكنيستين الخاصتين بالطائفة المسيحيه للحالية العربية في التصدي لمحاولات تشويه صوره العرب هناك ، فرغم الهدوء الذي يسود المدينة الا أن أحدا لا يضمن وجود أفكار مسبقة لدى الامريكيين عن العرب فبعضهم كما قال « جوزيف شرشر » ، أحد نشطاء الحالية هناك ، لا يفرقون بيننا وبين الأيرانيين مثلا ويصنف« حتى المسيحيين منا »

حي العرب في بروكلين

نزلنا في نيويورك ، تلك المدينة الشاهقة ، مدينة ناطحات السحاب وتمثال الحرية ومقر الأمم المتحدة ، وتوجهنا إلى مقر اتحاد غرف التجارة العربية في بناية ورلد تريد سنتر ، وهي أعلى بناية في نيويورك

صعدنا الى الطابق السادس والخمسين من البنايه الشاهقة لنقابل السيد ثابت المهايني ، المدير التنفيذي لاتحاد غرف التجارة العربية الامريكية ، التي تعمل بالتنسيق مع الادارة الاقتصادية للجامعة العربية ، وتمارس عملها مع مجلس السفراء العرب ، وتعمل على تنمية العلاقات الاقتصادية والتجارية والمالية والتنموية والسياحية بين العرب والبلد المضيف ، حيث ان هناك مثل هذه الغرفة في معظم بلدان العالم الاخرى وقد حرص السيد المهايني أن يذكر لنا ان الغرف ليست رسمية ، بل هي واحدة من منظمات لرجال الأعمال العرب تعمل في هذا الاطار كما حرص بعد شرح واف لنشاط اتحاد الغرف في الحقول المختلفة على القول « لسنا لوبي عربي بأي حال من الأحوال »

وإن كان العمل الرسمي أو شبه الرسمي ينطلق من بنايات نيويورك الضخمة ، فلابد ان العمل غير الرسمي ينطلق من الأحياء التي تقطنها الحالية العربية وأماكن التجمعات العربية الأخرى وسألنا عن حي العرب في نيويورك ، فقيل انه في بروكلين ، التي ربما كانت شهرة جسرها تفوق شهرتها كمدينة ظلت مستقلة حتى عام ١٨٨٣ وكانت فرصة لنا لأن نركب الجسر الشهير ، ونعبر الى حي العرب في بروكلين

في حي العرب الذي أخذنا اليه انيس البرغوثي ، وهو مساعد السيد المهايني ، بدأت لقاءاتنا بالأوساط الشعبية العربية ، مررنا بالمحلات التجارية التي كتبت اسماؤها بالعربيه ، أحيانا الى جانب الانكليزيه ، وأحيانا اخرى بدونها ، وشاهدنا الشاحنات تفرغ حمولتها من الطبيخ ، ودخلنا محلات البقالة التي امتلأت بكميات من الجبن والزيتون واللبنة والميرمية والزعتر وقمر الدين والفلفل والبهارات والتوابل الشرقيه ، حيث لغة الحديث الاولى هي العربيه ولا بأس من استخدام الانكليزية ، فهي لغة « معترف بها » في حي العرب في بروكلين رأينا النساء الفلسطينيات بأثوابهن المطرزة الجميلة في شوارع مدينة ناطحات السحاب ، وتناولنا الأكلات الشعبية التي ربما لا يتاح لأحدنا تناولها في كثير من البلدان العربية الأقرب إلينا من حيث التاريخ ومن حيث الجغرافيا أيضا

ولأن الحالية الفلسطينية صاحبة النشاط العربي الأكبر في بروكلين ، فقد ذهبنا اليها لنستمع لا لنطرح الأسئلة ، فالأسئلة كثيرة لا تكاد تحصر ، والأجوبة عنها تفضي الى اسئلة اخرى بدأنا في « حي

العرب » نستمع الى ما يقال حول « قضية العرب » ، التي تأخذ في مدينة تتمتع فيها الصهيونية بنفوذ هائل ، شكلا مركزا لمجمل القضايا التي تطرحها الجالية العربية بأصولها المختلفة في العالم الجديد .

ما قالته الجالية

قالت الجالية : بدأنا العمل بتأسيس جمعيات صغيرة تؤدي خدمة اجتماعية وثقافية وروحية ، غايتها ربط الجيل الثاني بأرضنا الفلسطينية التي يتهددها خطر الغزو الشامل . وبدأنا هذا اللون من النشاط بهدف تعريف ابنائنا الذين انقطعوا عن أرضهم ، بتاريخهم وثقافتهم وفنونهم . ومن خلال محاولتنا لتقديم الدعم لاقاربنا وابنائنا الذين بقوا في البلاد ، وجدنا ان هناك صلة قوية بين هذا العمل الاجتماعي والعمل السياسي . لكننا أمريكيون نحمل الجنسية الامريكية ، ونتأثر بالتطورات التي تحدث في السياسة والمجتمع الامريكيين . من هنا بدأنا ننشط في العمل السياسي الامريكي من خلال الاشتراك في الانتخابات على أكثر من مستوى ، وبدأنا نناصر من نرى أنهم أقرب الى التعاطف معنا كجالية عربية . وهنا أيضا برزت لنا العلاقة بين عملنا السياسي على صعيد بلادنا ، والارض التي جئنا منها ولا نزال نمتلك فيها المصالح ، ولنا فيها الأقارب والأهل واليها نحن ، وأحيانا نعود لقضاء شيخوختنا ، وبين العمل على صعيد المجتمع الامريكي لتحسين أحوالنا المعيشية وتحقيق الوجود السياسي الفاعل . نحن نعرف قوة الجالية اليهودية في هذه المدينة ، لكن امريكا ليست نيويورك ولابد لنا من العمل .

كان هذا مختصر ما قالته الجالية الفلسطينية التي تعد نموذجا يمكن ان يؤخذ لتعميمه على الجاليات العربية الاخرى في امريكا . كان في حديثهم تصميم على دخول المعترك السياسي . تحدثوا عن دعمهم لجيسي جاكسون مرشح الحزب الديمقراطي الامريكي في الجولة الاولى للانتخابات الامريكية ، وتحدثوا عن التبرعات التي استطاعوا جمعها أيام الغزو الاسرائيلي للبنان والمتطوعين الذين انطلقوا من هناك لمقاومة الغزو ، والشهداء الذين قدموهم . وتحدثوا عن مشروع لتبني ٤٠ ألف طفل فلسطيني داخل الأرض المحتلة وخارجها . وتحدثوا بكثير من المرارة عن علاقات الدول العربية ببعضها ، وبكثير من النقد حول بعض الممارسات الرسمية العربية والفلسطينية . ووجدت نفسي في بداية موضوعي الذي ذهبت اليه بحثا عن العرب في امريكا ، الذين صرفهم هم الاغتراب عن تحقيق الحلم الامريكي .

في القرية العربية

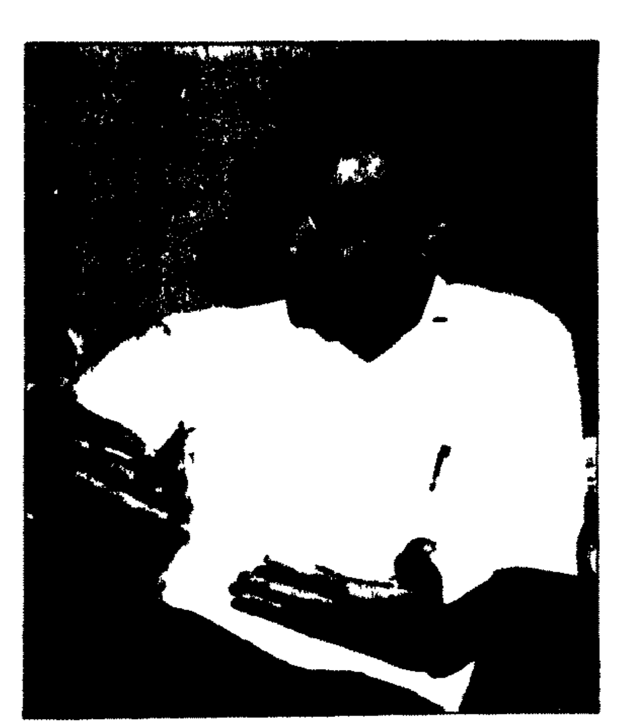
في ديترويت يشعر الزائر لامريكا انه في مكان مختلف ، لكنه لا يعرف هل هو مختلف عن الأمكنة العربية أم الامريكية . يشعر الزائر انه رأى الأمكنة التي يراها من قبل ، وشاهد المحلات بأسمائها المألوفة ، وقابل الناس الذين يلتقيهم لأول مرة ، ولا يكاد يصدق أن هؤلاء الذين يراهم في الشوارع والأماكن العامة بتكوينهم الشرقي وسحنهم العربية وسلوكهم المميز لا يتحدثون العربية رغم الاسم الثلاثي الذي يحملونه والذي قد يكون عربيا تماما ، وقد يكون امريكيا صرفا . فلقد كانت ديترويت مهبط المهاجرين العرب الاوائل ومكان اقامتهم الأول ، حيث سكنوا في منطقة اطلق عليها سكان ديترويت اسم « قرية فورد » ، نسبة الى هنري فورد ، رجل الصناعة الامريكي الذي عرف في الوطن العربي بكتابه عن « اليهودي العالمي » . في هذه المنطقة التي يطلق عليها أيضا اسم « القرية العربية » يعيش العرب . ومع توافد المهاجرين العرب عليها أخذت القرية شكل المناطق التي نزح منها أهلها ليشكلوا ما يعرف بالجيل الأول والثاني من العرب الأمريكيين ، حيث أقاموا فيها كل ما يستلزمه وجودهم هناك من مسجد وكنيسة ومطعم ومقهى ومسلخ اسلامي للذبح الحلال . وفتحوا المدارس وزرعوا أمام منازلهم زهور بلادهم وأقاموا الأعراس وبنوا مقابر لموتاهم ، وأطلقوا على أحياء المدينة اسماء عربية يستخدمونها كالشيفرة فيما بينهم . وانشأوا الجمعيات لأبناء القرى المختلفة التي أتوا منها فكانت جمعية لمطلي رام الله ونادى أبناء بيت حنينا وغيرها من الهيئات والجمعيات التي تأخذ أسماء قرى ومناطق المهاجرين الاصلية .

في ديربورن وهو اسم المنطقة الأصلي « يلعب الأطفال ذوو السحن العربية في الأزقة ، وتسير النساء الفلسطينيات بأثوابهن المطرزة الزاهية ، ويرتدي

● ـ المصلون يخرجون من مسجد ديربورن في (القرية العربية) بعد صلاة الجمعة



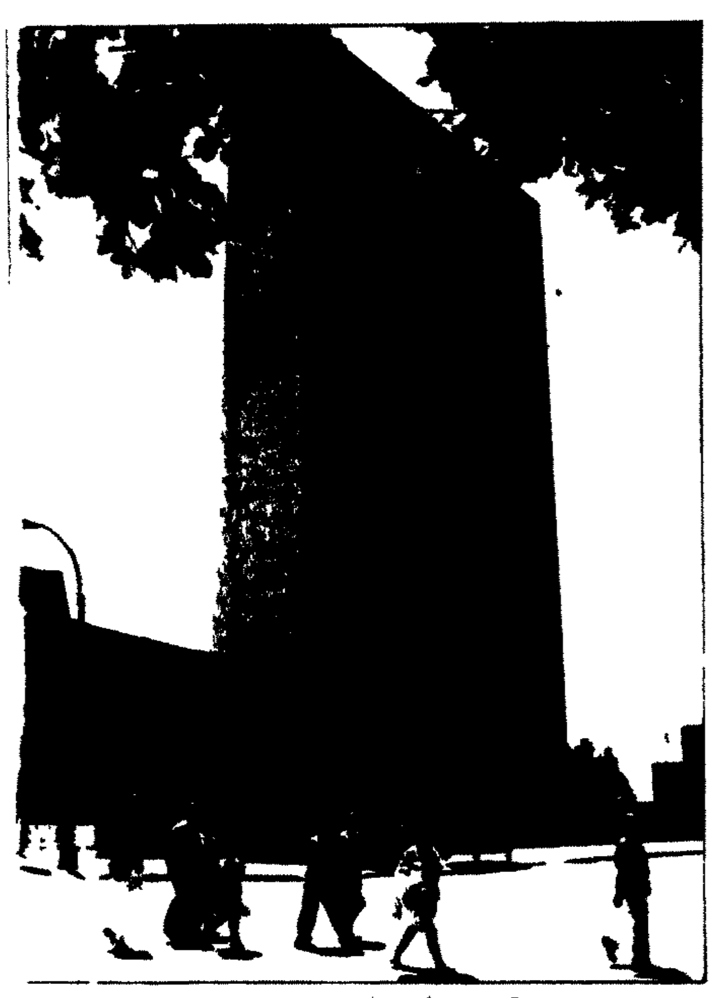
● ـ نك رحال ، عضو الكونغرس عن ولاية غرب فرجينيا



● ـ الروائي حليم بركات ، رئيس رابطة الخريجين العرب ، في حديث بعيد عن الأدب



● ـ بربارة شاهين ، لجنة مكافحة التمييز ضد العرب



● ـ مبنى الامم المتحدة في يوم إجازة



● ـ ثابت المهابي ، رئيس اتحاد غرف التجارة العربية الامريكية ، ومساعده أنيس البرعوني



● ـ جيمس زغبي ، رئيس المعهد العربي الأمريكي

اليميون في أيام عطلهم الوررة المميرة ، ويصعون على وسطهم الحسية ، ويعتمدون العمامة اليمية الشهيرة ، ويرطن الجميع بلغة انكليزية تشوبها لكنه عربية ، أو يتحدثون بعربية لا تخلو من لكنة امريكية

مهرجان المدينة الكئيبة

يعود السبب في تركز الهجرة العربيه في تلك المدينه الواقعة في أقصى شمال الولايات المتحدة قرب الحدود الكندية لكونها مدينة صناعة السيارات ، لذا فإن الغالبية العظمى من أفراد الجالية من الطبقة العاملة ، التي اتجهت الى حاضرة الصناعة في حين هاجر العرب المثقفون الى المدن الكبيرة مثل نيويورك ولوس انجلوس وبوسطن وغيرها لكن الأمور لم تبق على ما كانت عليه حين بدأت الجالية في التوافد على المنطقة لقد نشأت أجيال جديدة من المهاجرين العرب ممن أحرزوا تحصيلا علميا عاليا ، وأصبح وجودهم مستقلا عن وجود مصانع السيارات التي بدأت تعاني من كساد واضح في السبعينات ، فهجر كثيرون المصانع التي توقفت والشركات العديدة التي اغلقت وأصبحت شوارع المدينة التي تقهقر مركزها الى المرتبة السادسة بين المدن الامريكية خالية ومقفرة وكئيبة ، وخلت من الحياة الصاخبة التي تميز المدن الكبرى لقد خسرت صناعة السيارات الامريكية الكثير أمام منافسة السيارات اليابانية التي حققت قفزة كبرى في السبعينيات بحجمها الصغير الذي يناسب أزمة الوقود التي نشبت في السبعينيات ، بعكس السيارات الامريكية كبيرة الحجم التي تستهلك كميات كبيرة من الوقود المرتفع الثمن غير أن محاولة لاعادة الروح الى المدينة الكئيبة بدأت في الثمانينيات ببناء مجموعة من البنايات الجديدة ـ التي اقيمت على ضفة نهر وبدسور مقابل الحدود الكندية

لكن العرب لم يعودوا بدواً يرحلون وراء مصانع السيارات كما كانوا يرحلون وراء الكلأ والماء في غابر الأزمان ، وحين انتكست صناعة السيارات ، رحل قسم منهم الى الغرب الذي اردهر على حساب الشرق بصناعته الجديدة المرتبطة بعصر الفضاء ، لكن الأغلبية واصلوا حياتهم فيما تبقى لغيرهم من مصانع ، وما تبقى لهم من مصالح تنتجهم في أرض الشمال الامريكي الباردة فاستمرت الجمعيات وبقيت المساجد والمطاعم والمراقص الشرقية ، وواصلت الجمعيات التي تقوم بمساعدة المهاجرين الجدد عملها ، واستمرت مراكز الخدمة الاجتماعية كما كانت أيام ازدهار صناعة السيارات ، لكن نشاط الجالية العربية هنا لا يتم بالطريقة نفسها التي شاهدناها في واشنطن ، بل تتحقق على مستويات أكثر عملية وشعبية ولعل نجاح صحيفة « صدى الوطن » الاسبوعية التي يصدرها أسامة سيبلاني في ديترويت ، دليل على حجم الجالية ونوعية أفرادها والامكانيات التي يمكن استغلالها للارتقاء بأجيال العرب الامريكيين الاربعة الذين يقيمون في المدينة جنبا الى جنب . فالحديث عن أجيال العرب الامريكيين متصل لا ينقطع

حبيبي

في ديترويت ، تزامن وجودنا مع افتتاح مهرجان العالم العربي الذي نظمته الجالية العربية هناك وعلى مدى ثلاثة أيام متتالية اتصلت الأغاني العراقية الحزينة برقصات صبايا وشباب العراق المغترب ، وامتزج ايقاع الدبكة اللبنانية بالاغنيات الفلسطينية الوطنية ذات الأصول الفلاحية وبإيقاع اغنيات الخليج المميزة

في مهرجان العالم العربي عرضت الزخارف والحرفيات والازياء الشعبية ، والأدوات النحاسية ، والمأكولات العربية ، ولوحات كتبت بالخط العربي الجميل وألقيت الكلمات التي امتلأت بالعتاب على الاشقاء العرب الذين كان بامكانهم ان يجعلوا المهرجان أكثر نجاحا وكانت الكويت واحدة من الاستثناءات القليلة من هذا العتاب لأنها أسهمت بقسطها الذي لم يكن مغفرا لانجاح المهرجان كانت أجهزة تكبير الصوت تحيل المنطقة التي بدأ منها اعادة اعمار ديترويت الى حاله من الحبور والرقص والصخب والبهجة وعندما جاء دور الدبكة التي بدأت لبنانية ، نزل الجمهور عربا وامريكيين بيضاً وزنوجاً ، نساء ورجالا وشباباً وشابات ليشاركوا في هذا المهرجان الفريد كان الامريكيون يستمعون بصبر للأغاني الشرقية ذات النفس التطريبي العصي على أذواقهم لكنهم كانوا يفقدون صبرهم عند أول

ايقاع راقص ، ويبدأون في الرقص أينما وجدوا ، على المسرح أو بين المتفرجين أو في الشوارع أو على شاطىء النهر القريب الذي يفصل الولايات المتحدة عن كندا . ووقفنا دهشين ونحن نتابع ضمن فقرات الاحتفال ، رقصا كويتيا تؤديه فتيات امريكيات على ايقاع اغنيات سعودية .

كانت الفقرات التي قدمتها الفتيات الامريكيات أنفسهن تتضمن فقرة من الرقص الشرقي الذي يهتز فيه الوسط وترتخي فيه الأيدي ويتلوى الجسد على ايقاع الموسيقا البطيئة الراقصة . وفي نهاية الفقرة قابلنا الراقصات وعرفنا منهن معلومات غريبة لا تخلو من طرافة . لقد تعلمت هؤلاء الفتيات الرقص الشرقي هناك في امريكا دون أن تزور أي منهن بلدا عربيا .

تعلمن الرقص بواسطة أشرطة الفيديو ، أو في واحدة من مدارس تعليم الرقص المنتشرة في أمريكا بكثرة ، وزودتني راقصات الشرق الامريكيات بعناوين ونشرات وكتيبات بأشكال متعددة وأحجام مختلفة ،

عن بعض هذه المدارس وعن بعض المجلات الخاصة بشؤون هز الوسط وتثني الجسد ، وعلمت ان أشهر هذه المجلات تصدر في لوس أنجلوس بكاليفورنيا واسمها مجلة « حبيبي » ، التي لا توزع بل تعتمد على اشتراكات الأعضاء ، أقصد العضوات ، فاشتراكهن كفاية .

في مدينة الملائكة

لم نذهب الى كاليفورنيا لتقصي أخبار مجلة حبيبي ، بل لمتابعة موضوعنا حول الجالية العربية التي توجهت أخيرا نحو الغرب وأسست مراكز ومصالح لها في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو ، ودخل بعض العرب أحياء النجوم في بيفرلي هيلز وبيل اير .

في لوس انجلوس أي مدينة الملائكة . التقينا بجو حايك ،رئيس نقابة الصحفيين العرب الامريكيين ، وصاحب مجلة « حلقة الاخبار » الاسبوعية التي تنشر كتبا باللغتين العربية والانجليزية . قال حايك ان

عرب امريكا يتأهبون للعب دور أكبر في الحياة الامريكية ، وتحدث عن اهتمام المسؤولين الامريكيين المتزايد بالجالية العربية ، وضرب مثلا عن ذلك من خلال الحضور المتزايد لرجال السياسة الامريكيين للاجتماعات والاحتفالات التي تقيمها الجالية ، وبطلبهم التحدث والقاء الكلمات حتى دون ان توجه لهم الدعوة لذلك . « ان أحداث العالم العربي تضعنا في واجهة الأحداث في وسائل الاعلام المعادية لنا وهذا يحتم علينا نوعا من التنسيق مع اشقائنا في العالم العربي لالقاء ضوء على الحدث وخلفياته » قال حايك مختتما حديثا لا تنتهي شجونه حول العلاقة غير المفهومة بين العرب الامريكيين والعرب في أوطانهم .

وقبل أن أحمل أوراقي مودعا جو حايك ، وهو التحريف الامريكي لاسم يوسف الحايك العربي ، أبدى جو رغبة خاصة ، في أن أنشر عبر مجلة العربي دعوة لأن يمد العرب مكتبة لوس انجلوس العامة التي احترقت أخيرا بأكبر عدد ممكن من الكتب عن العرب

والاسلام والمسلمين ، بغض النظر عن الموضوعات نفسها ، على أن تكون هذه الكتب باللغة الانجليزية ، وحين أبديت استسهالا لتلبية الطلب

قال جو « ليست الامور بهذه السهولة بالتأكيد فقد توجهنا بهذا الطلب لكل السفارات العربية ولم يصلنا منها مجتمعة سوى ١٥ كتابا لا أكثر » فاختفت ابتسامتي ووعدت . . . بالنشر .

في يومنا الأخير بلوس انجلوس أقلنا إلى فندقنا باص سياحي خلا من الركاب إلا منا ـ زميلي المصور وأنا ـ ومن السائق ذي الملامح الساكسونية الأكيدة . وفيما نحن نهم بالنزول سألنا السائق عن اللغة التي نتحدث بها فقلنا انها العربية . قال السائق انه ينحدر من عائلة سورية . سألناه عن اسم المدينة التي جاؤوا منها في سوريا . فلم يعرف وسألناه عن اسم عائلته الاصلي ، فقال لنا شيئا بلغة امريكية لا تشوبها شائبة ، لكننا لم نتعرف على ملمح عربي فيما قاله .

صمتنا ولم نستطع أن نواصل الحديث . وبعد فترة صمت اشترك فيها ثلاثتنا ودعنا الرجل بحرارة تليق ببعض أبناء يعرب الذين التقوا صدفة في بلاد غريبة ، ومضينا ونحن نتساءل عن أي جيل من المهاجرين العرب ينتمي اليه مواطننا المغترب . . ؟ □

حضارات سادت ثم بادت

اعداد : يوسف زعبلاوى

هرابا

من حضارات حوض الإندوس

كان حوض نهر الاندوس ، ولا عجب ، مهوى حضارات قديمة عريقة ذاع صيتها على مر الاجيال . . ولكن التنقيب عن اثار تلك الحضارات لم يبدأ إلا مؤخرا سنة ١٩٢١ ، وما كان ليبدأ لولا خطوط سكك الحديد التى قاموا بمدها في المنطقة سنة



حريطة هـرابـا

١٨٥٦ ، فقد عثر العمال بالصدفة على كميات من طوب قديم . . فوجد المهندسون في ذلك الطوب ضالتهم . . ذلك أن المنطقة الممتده مسافه ١٦٠كم بين لاهور وكراتشي ، في حوض الخانجس ، وهي المنطقه التي اختيرت لانشاء خطوط لسكة الحديد ، كانت منطقة صمى ترابية وخالية من الحجاره . . الحجارة التي لا غنى لسكك الحديد عنها . . من هنا كان شعور المهندسين بالنشوة لما اكتشفه عمالهم من كميات الطوب القديم . . فقد وجدوا فيها الحل السهل السريع لانقاذ مشروعهم من فشل محقق . . ولم يترددوا لحظة واحدة في استعمال تلك الكميات لـرصف الأرض التى ستحمل سكك الحديد والقطارات من فوقها . . سواء لاحظوا أو لم يلاحظوا أن ذلك الطوب لم يكن من صنع الطبيعة ، ولا من انتاج اليوم أو البارحة . . وأنها لابد وأن تكون من آثار احدى الحضارات القديمة . . تلك التي سادت في تلك المنطقة ، فيما بين القرنين العشرين والسادس عشر قبل الميلاد . . ثم ما لبثت أن بادت . . . والتي استحقت الحفريات الواسعة النطاق التي قاموا بها في

. وجه الآلهة الأم . . التي انتشرت عبادتها في الشرق في الألف الثاني قبل الميلاد . . لقد عثروا على هذا التمثال في (موهنجو ـ دارو) الواقعة الى الجنوب من هرابا-انظر العينين الجاحظتين . . وقد كانتا في الأصل ملونتين . . وانظر غطاء الرأس ، وقد كان أكبر بكثير مما هو عليه الآن .

المنطقة ، بعد مضي حوالي ٦٥ عاما على مشروع لسكة الحديد . .

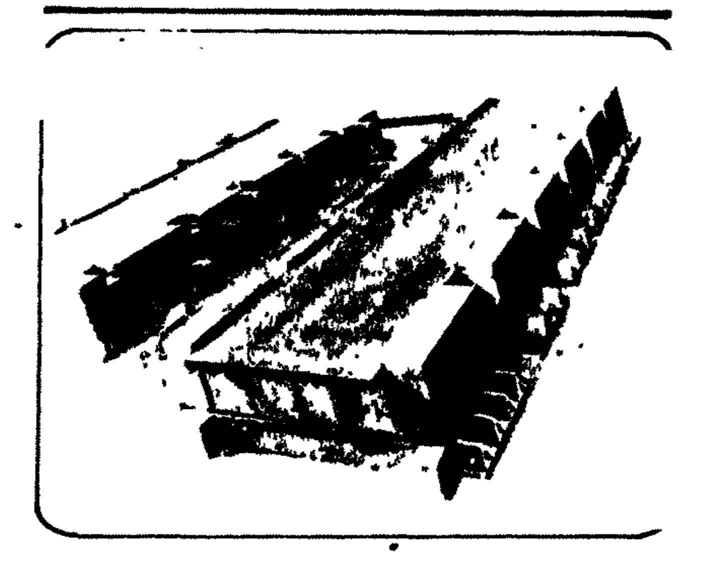
حقا لقد كشفت تلك الحفريات عن مدن كبيرة اختفت أطلالها تحت تراب أربع قرى معاصرة . . وكشفت عن أهم المدن . . مدينة هرابا الواقعة على مجرى قديم لنهر رافي . . ومدينة موهجو دارو على مجرى آخر قديم لنهر الهندوس ، ولكنها لم تكشف عما يدل على كيفية نشوء تلك المدن ونموها حتى أصبحت بذلك الحجم الكبير . . ويتساءل المرء لدى مشاهدة آثار هرابا وشقيقتها . . عما اذا كانت المدينتان قد بنيتا مسبقا ـ كالمباني المسبقة الصنع ـ وأحضرتا الى حوض الهندوس من عالم آخر غير عالم البشر . .

التخطيط والعمـــران :

لا غرابة إذن أن بنيت المدينتان لا ارتجالا ، وإنما وفق مخططات دقيقة محكمة . . فالأسوار التي أحاطت بهما جعلت على نمط معين وأبعاد محددة ، تضمن تحقيق الهدف الأول الذي بنيت الأسوار من أجله ، وهو الوقاية من فيضانات الأنهار . .

أما البيوت فقد أقاموها مجمعات وأحياء سكنية ، وفصلوا بين هذه وتلك بطرق ضيقة أو شوارع رحبة حقا ، لم تكن تلك البيوت بحجم واحد ، ولكنها كانت كلها مدرجة ذات مصاطب ، وقد توسطتها ساحة داخلية ، وأحاطت بهذه الساحة شتى الغرف . . وكان بعض تلك البيوت مؤلفا من طابقين . . واشتملت على درج ثابت للصعود الى الطابق العلوي .

ولعل أكثر ما يلفت النظر في تلك البيوت . . بل في سائر مباني هرابا اطلاقا . . إفتقارها الى مظاهر الفن والزينة الداخلية . . فقد خلت من المنتجات الفنية ، حتى تلك التي غلب عليها الطابع الديني . فلم يكن فيها تماثيل كبيرة ولا رسوم . ولا ألوان . . يستثنى من ذلك التماثيل الصغيرة التي صنعوها من طين ، والتي غالباً ماكانت لرجال عراة ذوي لحى ، ونساء بدينات كاد شكلهن أن يكون دائريا . . فالظاهر أن أهل هرابا كانوا عمليين ، وقد آثروا أن تكون بيوتهم نافعة لا جميلة



ـ الدلائل كلها تشير الى الطابع الزراعي الذي غلب على حضارة هرابا . . ولعل في هذه المخازن الضخمة دليلا قاطعاً على ذلك . . انها مستودعات حبوب . . هائلة الحجم (انظر الرجال الذين بدوا في الصورة كالأقزام) . . ذات ١٢ قسماً أو مخزناً . . . ولعل أهم معالم تلك المستودعات وأغربها الفتحات والنوافذ التي أنشأوها لها بقصد التهوية . . والمخازن التي ترى في الصورة أقيمت على ضفاف النهر . . وذلك لتسهيل شحن الحبوب الى العراق وغيرها بقصد التجارة .

النظـــافـة :

من هنا كان حرصهم البالغ على النظافة ، وقد بلغوا فيها مستوى مرموقاً يذكرنا بحضارة كنوسوس في كريت . . فبيوت هرابا كلها مجهزة بحمامات ومراحيض ومجار متصلة بمجاري البلدية العامة . . التي سارت مع الشوارع ، وشملت المناهيل والآبار . . آبار التصريف وسواها . . وقد بلغ من مهارتهم في تركيب التمديدات الصحية أنهم بنوا المراحيض في الطوابق العلوية من المنازل التي تألفت من طابقين ، ووصلوا بين تلك المراحيض وبين مجاري البلدية العامة .

وتجلى اهتمام أهل هَرابا وموهنجو بالنظافة أكثر ماتجلى في الحمام الكبير الذي بنوه في كل من المدينتين . . كان حوضاً كبير الحجم ، وتذكرنا أبعاده بالمقاييس الأولمبية التي يتقيدون بها في هذه الأيام . . فقد بلغ طوله وعرضه وعمقه ١١,٩×٧×٢,٤ من

الأمتار . . واستوجب العمق ادراجا تؤدي الى القاع الذي رصفوه بالطوب ، وطلوه بالزفت ليضمنوا عدم تسرب الماء منه . . .

والطريف أنهم رصفوا الساحة الرحبة التي أحاطت بالحوض . . والتي أحاطت بها مهاجع أو (شاليهات) احتوى بعضها على حمامات خاصة . . وما كنا لنعجب لهذا لو كانت حضارة الرومان هي موضع الحديث ، ولكننا نتحدث عن حضارة هرابا وموهنجو التي سادت وبادت قبل نحو ٤٠٠٠ سنة . .

والجدير بالذكر أن الاستحمام في عرف أهل تلك الحضارات لم يستهدف النظافة فحسب . . بل انه كان ذا مدلول ديني كبير ، واتصل أوثق الصلة بالمشاعر والشعائر . . التي لم تتبلور في تعاليم هندوكية مفصلة ومنمقة إلا بعد مضي ١٠٠٠ عام على أقل تقدير .

المعتقدات الدينية :

عبد أهل هَرابا عدداً كبيراً من الألهات (الاناث) وعدداً أقل من الآلهة (الذكور) ، ولعلهم تأثروا بطريقة أو بأخرى بمعتقدات الالهة الأم التي سادت بقاعا عديدة من الشرق الأوسط . . ذلك أن التماثيل الصغيرة التي صنعوها لآلهاتهم (الاناث) كانت كلها لنساء ذات صدور عالية وأرداف عريضة . . وكانت رقابهن مزينة بالعقود . .

أما تماثيل آلهتهم (الذكور) فكانت أقل عدداً ، وقد تميزت في الغالب بغطاء كبير للرأس اتسع لايواء مصباح مضيء في داخله . .

وليس أدل على اعتقادهم الراسخ بالحياة بعد الموت من القبور الواسعة (طولها ٣,٣ ـ ٤,٥ « متر » ، وعرضها ١,٢ ـ ٣ أمتار ، التي وضعوا الميت فيها على التراب . . مستلقيا على ظهره ، أو على جنبه ، ورأسه متجه نحو الشمال في كل الحالات . . وقد ملأوا القبر بكثير من السلع التي تخص الميت . . كالخواتم والعقود والمرايا التي صنعوها من نحاس مصقول . . .

معالم مميزة :

احتلت الكتابة مكاناً مرموقاً في حياة أهل هَرابا وموهنجو ، الا انها مازالت رموزاً مجهولة لم ينجح العلماء في حلها حتى الآن . . وقد كثرت الأختام التي شاع استعمالها في المعاملات التجارية . . والتي حملت رموزاً وعلامات خاصة لصاحب ذلك الختم . . كانت بمثابة توقيعه الملزم له . .

وقد نشطت التجارة في هَرابا ، وكانت تجارة خارجية ، فضلا عن كونها داخلية . . تحدثت عنها الأثار البابلية ، فذكرت الكثير عن دلمون (البحرين) باعتبارها المحطة التجارية (الترانزيت) التي قامت بين الهند والعراق . .

ولعل أغرب ما يذكر من تلك المعالم اهتمامهم الكبير بالمقاييس والموازين . . فقد حددوها ووحدوها فجعلوا وحدة الوزن الثابتة ١٤ جراما (أو أقل بقليل) ووحدة القياس (وسموها الكيوبت) ٥٣ سنتمترا ، أي مايعادل ذراع الرجل بالتقريب .

أما حياتهم اليومية فلعلها لم تختلف كثيرا عن الحياة في حوض الهندوس في الوقت الحاضر . . فالطقس هو هو . . والاعتماد على المحاصيل الزراعية بقي على حاله . . فقد اعتمدوا على القمح والشعير والباسيلا والقطن والسمسم الذي اعتصروه واستعملوا زيته ، ولعل الأرز هو المستثنى الوحيد . . فقد عرفته المنطقة بعد اندثار هَرابا وموهنجو بزمن بعيد . .

ولكن كيف اندثرت تلك الحضارة سنة ١٦٠٠ ق . م بعد أن ازدهرت وسادت طوال القرون الاربعة السابقة . . لا يعرف العلماء لاندثارها سبباً على وجه اليقين ، فلعله فيضان النهر . . أولعله القبائل الجبلية التي زحفت الى حوض الهندوس . . فذبحت سكان المدن . . وطوت صفحتهم في التاريخ . . . □



■ عظمة النفس البشرية في قدرتها على الاعتدال لافي قدرتها على التجاوز .

« باسكال »



وداع الشباب

شعر : أحمد محمد آل خليفة

خلقتَ شبابي فوق عوسجةِ الدهرِ
وأبْثثتَ همّ ضاق منَ حمله صدري

أيمضي الصِّبا عني وتأتي كهولتي
بوحشتها من بَدّلَ التِّبْرَ بالصِّفْرِ ؟

إذا أنا قد أصبحتُ بَعد كهولتي
غنيًّا فما أحلى الشبابَ على الفقر

أبادلُ من يعطيني المقر بالغنى
إذا ما شبابي عادَ والكوخَ بالقصرِ

إذا قيل يوماً في الكهولةِ راحةٌ
فقلْ إنها أخْتُ إلى راحةِ القبر

إذا ما الصِّبا وَلّى ، تَعَثّرَت المنى
وأصبح حُلمُ العمر كالآلِ في القَفْر

وَتَزْوَرُّ عنك الغيدُ إمّا دعوتَها
ولا ترعوي إذ تُبدِلُ الوَصْلَ بالهجر

وها أنا عن رَدِّ الكهولةِ عاجزٌ
فما صَدّها عني تحيي ولا صبري

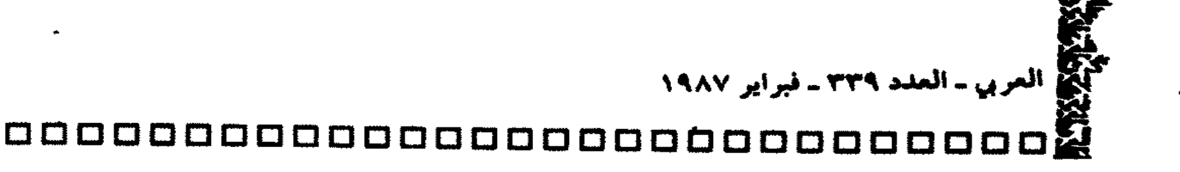


البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ المرأة الكويتية .. في الزمان والمكان

■ الالبس نضال
لعبة ضارة تساهم
فيها الأسرة بأكملها





هكذا كانت الحياة

المرأة الكويتية في الزمان والمكان

اعداد : ريم الكيلاني / وفاء طه ناجي

« كانت الحياة رغم قسوتها حينا ، وشظفها حينا آخر . .

تسير بيسر وبساطة ، وكان جيل الأجداد والآباء يحيا أيامه بعزيمة تواجه البحر ، وتقهر

الصحراء وارادة تصنع الخير والحب » .

مازال عبق تاريخهم يملأ المكان والزمان ومازالت أغنياتهم وعاداتهم وقصص حياتهم يتداولها الأبناء . . ورغم أن الحياة الان أصبحت أكثر يسرا . . ورفاهية . . وتحقق لانسان هذه الأرض معدلات رعاية صحية وتعليمية واجتماعية تفوق الكثير من البلدان . . الا أن داخل كل انسان رصيد لا ينتهي من حكايا ، وقصص عن الحياة التي كانت .

رحلة كفاح

على شاطىء الخليج استقرت قوافل العرب . . وتجمع السكان في منطقة « الكوت » كان ذلك بداية التاريخ المكتوب ، لرصد حركة المجتمع الانساني ، على الشاطىء كانت الحياة ، الخليج هو المنفذ ، ومنه وبه تستمر أسباب الحياة ، وكما يقول علماء الاجتماع من أن النشاط الاقتصادي هو الذي يحدد شكل الحياة وعلاقاتها ، ويحدد الأدوار الاجتماعية لأفراد المجتمع . . فان وجود التجمع البشري في منطقة الكوت المطلة على الخليج العربي هو الذي حدد من البداية نشاطين رئيسيين هما الصيد والتجارة ، ومن خلال هذين النشاطين الرئيسيين يحدد للمجتمع شكل الحياة الاجتماعية . كان الغوص بحثا عن

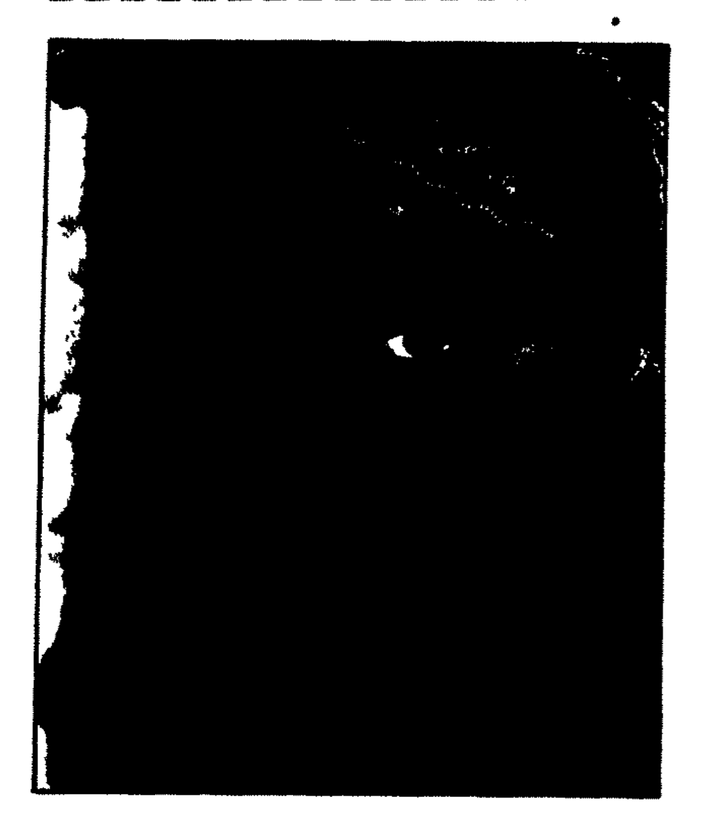
اللؤلؤ . . هو النوع الأكثر شيوعا من الصيد كنشاط ، اذا اردنا ان نعمّم التعبير العلمي بشكل دقيق ، فقد كان هناك صيادو سمك ومراكب صيد ، ولكن هذا النوع من الصيد كان هامشيا ، وكان النشاط الأغلب هو الغوص الذي كان يشارك في كل المجتمع ، اما بالتمويل و العمل أو التجارة .

والعوص عمل شاق ، لا يهدأ خصوصا في فصل الصيف الطويل ، وتستمر رحلات الرجال للغوص فترات زمنية طويلة تستغرق شهورا طويلة ، ويوم الغواص على السفينة ، يبدأ بصلاة الفجر ، وبعدها تبدأ رحلة الغوص الشاقة ، حيث ينزل الغواص الى البحر ممسكا بحبل قصير مربوط في أحد مجاديف السفنة ثم يضع « المطام » على انفه ، و « الفطام » قطعة تشبه المشبك يضعها الغواص على أنفه لمنع ماء البحر من التسرب الى جوفه أما « الديين » فهي عبارة عن سلة تعلق في الرقبة ويضع بها الغواص ما يقتلعه من محار ، ويبدأ الغواص الغوص بعد أن يأخذ نفسا عميقا ، ويربط في احدى رجليه حجرا ثقيلا يساعده في الوصول الى القاع ، وبعد الغوص يسحب « السيب »-وهو الشخص المكلف بسحب الغواص – هذا الحجر لتبدأ بعدها عملية جمع المحار دون الاستعانة بسكين أو بأي أداة حادة ، أي انه حتى لا يملك اداة يدفع بها عن نفسه ضد سمك القرش .

وقبل أن ينتهي نفَسْ الغواص يشد الحبل كاشارة ، ويكون « السيب »وقتئذ مستعدا لرفعه فورا وبأقصى سرعة،ليستريح بعدها الغواص خمس دقائق يعود بعدها ثانية للغوص ، وهكذا حتى تنتهي نوبته بأن يغوص عشر مرات ، ثم يصعد الى ظهر السفينة ليرتاح ، ويأكل حبات معدودة من التمر ، ثم بعد ذلك يعود الى الغوص . ويظل الغواص طيلة اليوم على هذا الحال حتى تغرب الشمس ، عندئذ ينتهي عمل يوم شاق

والغوص قديما كان يعتمد على الأدوات البدائية ، فلم يكن الغواصون يستخدمون آلات الغوص المتطورة والمعروفة التي يستطيع الغواص بواسطتها أن يمكث مدة طويلة في قاع البحر .

ان حياة الغواص قديما كانت مرهونة دائما بيقظة



« السيب » وسرعة انتباهه ، ولعل غفلة بسيطة عن الحبل الذي يربط الغواص بالحياة تودي به .

ويظلون هكذا يجمعون المحار طوال يومهم متنقلين من مكان الى آخر حتى غروب الشمس ، حتى يصعد الغواصون الى ظهر السفينة لأداء الصلاة وتناول العشاء ، وينامون بعد صلاة العشاء .

هل يعود الغواصون

انها لمدة طويلة حقا تلك التي يغيبها الرجل عن بيته وأسرته وأولاده ، وكان لابد للمرأة أن تتحرك لتساهم مع الرجل في رحلة الحياة الشاقة ، وتقف بجانبه تؤازره وتشجعه ، وقد استطاعت المرأة أن تثبت جدارتها ووجودها ، فقامت بواجبها تجاه أسرتها ، وتحملت كل ما وقع على كاهلها من أعباء .

كانت تعلم أن رحلة الغوص ليست بالرحلة السهلة ، وتعرف مدى الخطورة التي يواجهها



العواصون في رحلتهم ، ومدى امكانية وقوع الكثيرين في الحوادث المؤسفه ، ورغم ذلك فلم تودعهم يوما بالدموع ، بل كانت ترفهم دائما بالأهازيج والأغاني الى ذلك اليم المجهول ، وفي رحلة الغوص التي كانت تستمر من خمسه الى تسعة شهور ، كانت المراة هي التي تدبر الحياة ، وكانت هي عماد المجتمع ، وتحرص على الحفاظ على كيان اسرتها ، حتى يعود رب الأسره سالما غانما من رحلة الرزق

وقد تضطر بعضهن للعمل في الخياطة ، أو طحن الدقيق والتواسل ، فيما اذا واجهت أصعب ما قد يواجهه انسان في الحياة ، وهو فقدان رب الأسرة في واحدة من حوادث البحر المتوقعه

انها صوره للصبر والجلد والقدره على مواجهه صعوبات الحياة بكل شجاعه و ارادة

توب توب يا بحر

وكما كانت تخرج لتودع رجالها كانت تخرج لاستقبالهم ، وقد كانت تسمى رحله العوده « بالقفال » وهي تحريف من « قفل عائدا » وكانت النسوة يجتمعن قبيل القفال ليلا ، ويذهبن الى البحر ، وهن يصفقن ويغنين أغنية خاصة بهذه المناسبه السعيدة

وكان « القفال » بمثابه العيد في الكويت ، بل أهم من العيد كثيرا ، فترى الناس على اختلاف طبقاتهم يستبشرون بموعد حلول « القفال » كما تدب الحياة في الأسواق بعد عودة الغواصين ، الكل ينتظر موعد حلول « القفال » بصبر فارغ ، فهذه أم تنتظر عودة ابنها ، وهذا أب ينتظر عودة ابنه ، وهذه تنتظر عودة أخيها أو زوجها ، وبعد عودة الغواصين تعود الحركة والنشاط في أوصال الكويت ، بعد أن كادت تتوقف ابان موسم الغوص

« وللقفال » مظهر شعبي خاص به تؤديه النسوة بالأغاني والأهازيج ، وفي الأغنية الخاصة بهذه المناسبه ، فانهن يطلبن من البحر أن يتوب عن أهلهن وذويهن ، وأن يرجعوا سالمين ، كما انهن يعاتبن البحر لتعجل بعودة الغواصين ، وهذه الاغنية تسمى « توب توب يا بحر » وتؤديها امرأة و ترد عليها مجموعة نساء

تقول بعض مقاطع الأغنية

المرأه / توب توب يابحر

فترد عليها المجموعة / أربعة والخامس دخل (تعني عدد الشهور)

سبتوه / حبيبهم

المجموعه / حاطين احبيبهم

ستوه / ما تخاف من الله يابحر

المجموعه / أربعة والخامس دخل

ستوه / توب توب

المجموعه / بيب سباح العتوب

ستوه / ما تخاف من الله يابحر

المجموعة / أربعة والخامس دخل

ستوه / يا الجوهرة

المجموعه / هاتي حسين من انحره

وهكذا تبدأ في تولف كلمه كي تنادي على اسماء الرجال المسافرين

وبعد الغناء تتقدم المرأة الى البحر حيث تخوض مسافة قريبة وهناك ، تمسك سعفة بيدها ، فتوقد بها النار ، ثم تغمسها في البحر ، وتسمى هذه العملية عدهن (كي) البحر أي أنها تكويه بالنار ، وتخاطب البحر قائلة له ونكويك اذا ما جاء العواويص - العواصون ، وبعد ذلك تخرج من البحر ثم تعود اليه ثانية وبيدها (قطة) صغيرة فتخوض في البحر والقطة بيدها ، عندئذ تعمد إلى القطة وتغمسها في ماء البحر ، فتصيح القطة خائفة بقولها « بيو بيو » عندئذ تخاطبها المرأة بقولها « بيون بيون » أي العواويص ، وبيون معاها يأتون ، وهكذا ينتهي الاحتفال الشعبي بمناسبة عودة الغواصين « القفال »



داخل البيت

كان البيت مثالاً رائعا لترابط الأسره ، اذ كان يعد الأساس لقيمة الترابط والوفاء اللتين كانتا سمة المجتمع

وفي البيت الكبير بيت العائلة كانت الأسرة كلها تعيش فيه ، وتحت كنف الجد كان الأب والنساء والأولاد والبنات ، أي جميع أفراد العائلة يعيشون في كنفه ورعايته

تروى لنا مريم الراشد ـ جامعة ومحققة التراث ـ عن ملامح الحياة داخل جدران البيت في تلك المرحلة فتقول « كان البيت ساحة كبيرة تضم غرفا للأبناء ومطبخا واحدا وديوانية لاستقبال الضيوف وأصدقاء رب الأسرة ، يبدأ اليوم في الصباح بأن يذهب الصغار ـ حتى ولو كانوا رجالا ـ لتحية كبير الدار جدا أم أبا أم أخا أكبر ويلقون اليه تحية الصبح « صبحك الله بالخير ، طيب الله فالك »

وبعد صلاة الفجر يجتمعون حول الافطار ، الذي يتكون من شاي وحليب وخبز وتمر ، ثم ينطلقون الى أعمالهم في المهمة الاجتماعية الأخرى الموجودة داخل المجتمع في ذلك الحين مثل البناء أو صيد السمك ، أو بيع السمك ، أو دمج الحبال ، وبخروج الرجال الى أعمالهم تتوزع نساء البيت وفق تقسيم العمل فيما بينهن فكل واحدة تتولى مهمة،واحده في المطبخ ، وأخرى لأعمال التنظيف والترتيب ، وثالثة لخبز الخبز ، ورابعة لحلب المواشي ، ويتبادلن المهام بينهن بالتناوب

عقب صلاة الظهر يعود الرجال لتناول الغداء ، وأكثر الوجبات شيوعا كانت (السمك المكبوس أو الحريش ، أو العيش المشخول) بعد الغداء يركن الرجال للراحة وقت القيلولة ويلتزم البيت كله بالصمت والهدوء حتى الأطفال يكفون عن لعبهم وصراخهم فقد عاد رب البيت وعاد الرجال بعد يوم عمل ومع العصر يخرج الرجال ليلتقوا

بالأصحاب للحديث أو المشاورة أو المسايرة ، وكانت أماكن الملتقى في مقاهٍ شهيرة ، في هذا العهد كانت هناك قهوة الصباغ ، وقهوة بوناشي و . . الخ ، ويعود الرجال ثانية الى البيت ليتناولوا طعام العشاء ، ويخلدون للنوم مبكرين .

بنمط الحياة هذا . . كانت المرأة هي محور البيت وعموده . . . كيف ؟ كانت الأسر كما أوضحنا تنقسم الى قسمين ، القسم الاول أسر يعمل رجالها في البحر ـ سفر طويل . ورحلات طويلة ، وأسر يقيم رجالها ويعملون في البر . . في الحالة الأولى كانت المرأة تصبح هي الأب والام ، ترعى بعض أغنامها أو ماشيتها . . وتدير عجلة البيت اقتصاديا بما تركه لها زوجها ، أو بعملها في الحياكة أو الطحين ، وتتولى مسئولية تربية الأطفال ورعايتهم . . ومهما طال غياب الزوج فانه يعود ويجد بيته وأولاده في حال جيد ، ومن كنف هذه البيوت خرج أطفال صاروا رجالا ملء السمع والبصر .

وفي الموروث الشعبي قصة طريفة عن صلابة المرأة وحسن تدبيرها ، ويتناقل جيل الأبناء القصة عن جيل الآباء . . حتى وصلتنا الى اليوم . . . تقول الحكاية أن زوجا خرج للغوص وبعد رحلة طويلة عاد وقد فتح الله عليه برزق ، وبعد أن اطمأن على أهل بيته ذهب الى البقال يسأله عن دين اسرته تجاهه، وفاء لاحتياجاتها التي كانت تأخذها منه دون أن تسدد ثمنها ، ففوجىء الزوج الغواص بأن زوجته كانت الوحيدة في حيها ـ باستثناء الأسر الميسورة ـ التي كانت تسدد ثمن حاجياتها نقدا ، فعاد الزوج غاضبا الى بيته ، وقد لعب الشيطان بعقله ، وعندما رأى امرأته ثار وأرغى وأزبد . . وطالبها بتفسير ، قالت له زوجته لقد تركت لي بعض المال قبل سفرك . . فاشتريت بقرة في آخر شهور حملها . . وبعض الدجاج ، وعندما وضعت البقرة بعت وليدها . . وبثمنه سددت بقية ثمن البقرة الأم . . ومن عائد بيع اللبن وبيض الدجاج نفسه أنفقت أنا وأولادي ، وادخرت قليلا من الروبيات وهي العملة التي كانت في ذلك الزمان .

وأيًا كان مدى صحة القصة ، الا أنها تعبر عن وجود دور فاعل للمرأة ، وقدرتها على التصرف ، وتحمل المسئولية داخل وجدان الثقافة الاجتماعية الشعبية ، وهذا هو المدلول العلمي الحقيقي لقصص الموروث الشعبي ، نعود مع مريم الرائد باحثة التراث الى داخل البيت تقول : « وكانت السيدات يقمن بشراء الكيل ـ يخزون مواد الطعام ـ شهريا ، فكانت تشتري الخبز والسكر والدهن والحب والطحين والعدس والتمر ، وتخزن كل هذه المواد في صندوق خشبي كبير ، لكي تستخدمها ، وكانت المناسبات فرصا حقيقية لبهجة واشتغال أهل البيت ، فالاستعداد مثلا لشهر رمضان كان يبدأ منذ أول شهر شعبان ، وتبدأ النساء في دق الهريس (حنطة مع لحم) ، وتبدأ الفرق الشعبية بالغناء والطواف على البيوت ابتهاجا بمقدم الشهر .

ورمضان دوما له طعم خاص . . واستعدادات خاصة ، حتى الطعام في هذا الشهر الفضيل يتميز بأنه مختلف ، ويشتهر بوجبات معينة ، أو أنواع محددة من الطعام

وكان طعام هذه الأيام ـ كما ينقل لنا الرواة ـ يتكون من الارز اللبن للسحور ، أما الافطار فكانت الموائد تحمل بالهريس (حنطة مع لحم) أو التشريب (مرق مع رقاق) أو أرز مع مرق ، أما اصناف الحلوى التي يكثر صنعها في شهر رمضان فهي متنوعة وكثيرة ، فقد كانت السيدات يتفنن في صنع المحلبية



(حليب ، أرز ناعم ، سكر ، حبهان ، زعفران ، ماء ورد) وحلوى عيش (أرز ناعم وسكر ، وسمن) واللقيمات (ماء ، طحين ، ثم تحمر في السمن وتتشرب بعد ذلك بالسكر) بالاضافة الى الزلابية وبلح الشام .

وما أن تقارب أيام شهر رمضان على الانتهاء ، حتى تبدأ احياء الكويت في التزين استعدادا لاستقبال العيد ، فتقام الأقواس في الطرقات ، وتظلل بسعف النخيل ، وتبدأ فرق الكشافة في عزف الموسيقا ، وتعد المرأة ملابس العيد الجديدة لكل أفراد الأسرة ، وتستخدم النساء السمار (نوع من أنواع الحناء) وتصبغ أيديهن بنقوش جميلة .

وعقب صلاة العيد يتوافد الأهالي على سمو أمير البلاد لتهنئته بالعيد ، ثم يطوف سموه بأحياء الكويت المختلفة ، ليهنىء كبار السن بالعيد ، انها صورة من صور احترام الكبير وتوقيره .

الزواج أفراح لاتنتهي

يسهم الزواج ـ كواحد من العادات الاجتماعية ـ في فهم تركيب المجتمع وبنائه الاجتماعي ، وقد عرفت المجتمعات الانسانية في تطورها نوعين من طرق الزواج هما ـ الزواج الداخلي الذي يتم بين ذوي القربى (ابناء عمومة ـ أبناء أخوال . .) أو زواج خارجي الذي يتم بين فردين لا تقوم بينهما صلة قرابة .

وكان الزواج الداخلي هو النوع الأكثر شيوعا في المجتمع الكويتي . . وأسباب ذلك تتفق مع أسباب كل المجتمعات المماثلة في تشجيع زواج القربى ، فمثل هذا الزواج يحفظ للأسر ثرواتها ، وتظل ملكية وسائل الانتاج بين أيدي عائلة واحدة ، وهو دعم لعلاقات القربى وتقوية الروابط الأسرية باضافة عامل المصاهرة اليها. وبينما يخضع الزواج الداخلي الى اعتبارات المصالح والقرابة ، فان الزواج الخارجي يخضع أيضا للقيم السائدة وللثقافة الاجتماعية الشائعة ، ومن هنا فقد كان المجتمع الكويتي حريصا ـ في ثقافته الاجتماعية ـ على قبول الزواج المتكافيء .

وكانت طقوس الزواج تبدأ بترشيح كريمة احدى الأسر لشاب من الشباب ، وذلك اما عن طريق أهله (شقيقاته . . زوجات أشقائه) أو عن طريق الخاطبة فيذهب وفد نسائي من أهل العروس. . . فاذا اتفقت النساء نقلت سيدات كل أسرة نتائج الزيارة الى رجالها ، فيذهب أهل الشاب الى أهل العروس لخطبتها ، وبعد أن يتفق الرجال يحددون يوما لعقد القران والزفاف ، وتبدأ بعد ذلك الاستعدادات لانتقال العروس الى بيت زوجها ، فيقوم العريس بارسال (الدزة) وهي تتكون من ملابس للعروس وفرش للفراش . . وعباءات . . ويرسل العريس من كل شيء ست قطع على الأقل ، وفي نفس الوقت يبدأ في تجهيز غرفة في بيت عائلته لتكون سكنا له ولزوجته .

وفي يوم عقد القران يتوجه العريس وأهله ووالد العروس وأهلها الى المسجد ، ويقوم امام المسجد بعقد القران على سنة الله ورسوله ، وبعد صلاة العشاء تبدأ زفة العرس التي يحضرها الرجال ، وينشدون فيها الأهازيج ، ويتبارون فيها برقصة «العرضة» حتى يصلوا الى بيت العروس .

وبعد أن يصل العريس الى الغرفة المخصصة له ، يدخل الأهل والاصدقاء للتهنئة ، ثم يخرجون بعد أن يعطروها بماء الورد والبخور ، بعدها يدخل أقارب العريس من النساء للتهنئة ثم يخرجن ، لتبدأ زفة العروس ، وسط الزغاريد والأهازيج والأغنيات ، ويزف الأهل العروس الى العريس ، وتغلق عليهما الغرفة ويظل الأهل في اغنياتهم وتصفيقهم ، ويعتمدون احداث ضجة كبيرة حتى لايسمع صوت العروسين .

وفي اليوم التالي للزفاف ، يعد الأهل للعريس الحمام ، ويؤدي صلاة الفجر عقب استحمامه ، ثم يجلس لتناول الافطار ، وبعض الأزواج يدّعون نفرا من أهل العروس كوالدها أو أخواتها لتناول الافطار معه ، وبعد الافطار يخرج العريس ويذهب الى والد

العروس لتحيته ، فتطلب أن تحييه حفصة تحمل معنى محددا .

يقول العريس « بيض الله وجهك يا عمه » ويعني هذه العبارة المختصرة كل المعاني التي يحرص عليها المجتمع من حرص على شرف البنت وعذريتها . بعد ذلك يذهب العريس الى بيت أهله ، ويقبل رأس أبيه وامه ، ويستقبله أهله بالأدعيه والتهانيد .

وبعد ذلك يذهب العريس الى المكان الذي اقيم فيه حفل الزفاف في الليله الماضية ، ليتلقى تهنئه أصدقائه وأصحابه ومباركتهم ، وبعد ذلك يخرجون به في زفه الصباحيه ، ولا ينتهي احتفالات الزواج وافراحه ، بل تستمر بعد ذلك ، ففي اليوم الثالث من الزفاف تقوم ام العريس بزيارة العروس ، حيث تتناول مع أقاربها الطعام والشراب ، ثم يغادرون منزل أهل العروس في احتفال فرح وفي اليوم السابع للزفاف يقام احتفال «التحوال» وفيه يتحول العريس وعروسه من الاقامه في بيت أهل العروس الى بيت الأب حيث يسكن العريس الدائم ، وفي هذا اليوم تدعو أم العروس جميع قريباتها للتوجه وحدهن بصحبه العروس الى بيت اهل العريس ، وتسير الزفه سيرا على الأقدام ، وما ان يقترب من منزل العريس حتى يخرج اهل العريس لاستقبالها بالأغنيات والزغاريد والدعاء .

بعد احتفال « التحوال » هذا بثلاثة أيام تذهب ام العروس لزيارة ابنتها في بيتها ، فيحتفى بها مثلما حدث مع أم العريس من قبل ، وبعد هذه الزياره باربعة أيام اي بعد مرور اسبوع على الانتقال تقوم العروس بزيارة أهلها ومعها بعض أهل زوجها ، ويحتفل بها أهلها احتفالا بسيطا ، تعود بعدها العروس الى بيت الأسرة الكبيرة التي انضمت اليها . . وتنتهي احتفالات الزواج ، وتبدأ دوامه الحياة بمسؤوليتها التي لاتنتهي .

بين أجيال

داخل هذا الزمان . . والمكان الاجتماعيين كان منبوذ المراه الكويتية ، ولكن الزمان لم يستمر كما هو . والمكان اصبحت أمامه يد التغيير . . وكانت الكويت اسبق بلدان الخليج العربي في تكريمها لها . . هذا الكائن العظيم الذي وهبت - بقدرة الله - خيره ، ومن كنفه خرج كل الرجال والنساء الذين صنعوا شكل حياه جديدة اكثر اشراقا وتقدما .

ورغم ان الزمان الذي حاولنا أن نسافر اليه ، والمكان الذي اجتهدنا في ان ننتقل اليه ، لم يعد في حياة اليوم من ملامحه شيء غير التراث والنتائج التي ترتبت في ثقافة اجتماعية قائمة على الاحترام والتعاطف والحب . . الا ان هذا التراث واثار هذا الزمان والمكان مازالت موجودة كمعنى وقيمه داخل عقول الأبناء ، يتوارثونها جيلا بعد جيل وشهادة على هذا تقول . بدرية العوضي استاذة القانون الدولي :

ظلت المراه الكويتيه في الزمن القديم تدور في فلك دائرة معروفه . . فهي التي تقوم على تربية الصغار والاشراف عليهم ، وكثيرا ما كانت تخرج لقضاء الحاجات الاساسيه للاسرة ، وبخاصة اذا كانت غيبه زوجها او ابيها في رحلة الغوص للبحث عن اللؤلؤ ، الذي كان بيعه هو مصدر رزقهم في ذلك الوقت ، وظل اكتشاف النفط الذي غير وجه تلك الحياة الخشنه

لعل النساء في ذلك الزمن صرفن اهتمامهن في اعمال كلها تتعلق بشئون البيت ، وطلبات الابناء وفي ظل تلك الظروف عشن حياة اجتماعية محدودة باطار العلاقات مع الاقارب والجيران ، وكانت أوقات الترفيه هي حلقات السمر التي يجتمع فيها الأهل مع اصدقائهم وجيرانهم في سهرات حميمة ، أما البنت فكانت تتعلم من أمها أعمال الطبخ وتنظيف المنزل ورعاية أخوتها الصغار ، وغير ذلك من ضرورات الحياة الأسرية ، بينما كان الصغار من الذكور يذهبون لتلقي العلم ، وفي بداية الخمسينيات تقريبا بدأ بعض الأهالي يلحقون بناتهم بمدارس للتعليم . . . بهدف تعليمهن القراءة والكتابة ، وكنت أنا واحدة من اللاتي التحقن بصفوف العلم ،



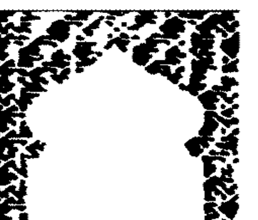
ورغم أن الكثيرات من بنات جيلي شدتهن حياه الأمهات وآثرن الزواج والبقاء في رعاية الأسرة ، فانه بالمقابل وصلت أخريات الى نهاية المراحل الجامعية ، وتقدمت البعض منهن للدراسات العليا .

وعندما نتكلم عن هؤلاء اللاتي أقبلن على التعليم وأكملن المشوار ، لابد أن نذكر أن الأمر لم يكن سهلا ، فلم تكن الأسر تسمح بخروج البنات للتعليم حتى المراحل الجامعية ، لأن ذلك يعني أن تسافر البنات وحدهن الى مصر أو سوريا او العراق حيث توجد الجامعات . فجامعة الكويت لم تكن قد فتحت بعد (افتتحت في سنة ١٩٦٧) وكان عسير أن تقبل الاسرة وضعا كهذا . . خصوصا اذا علمنا أن حوالى ٨٠٪ من الأسر كانت تعاني من الأمية .

ويمكننا القول أن تعليم المرأة في ذلك الوقت كان انسه نعمل غير عادي .

ومخطىء من ينصور انني انهيت مراحل الدراسه ، ولكنني تعرضت لكل ما تعرضت له من جيلي من صعوبة السفر الى خارج الكويت للدراسة ، بالاضافة الى ان نوع الدراسه التي اخترتها كان جديدا ، ولم يدرس الحقوق قبلي فتاه كويتية ، فقد كنت في الدفعة الأولى التي درست القانون ، ورغم ان المسئول الثقافي عن البعثه الطلابية الكويتية لم يشجعني على دراسة الحقوق باعتبار أنها صعبه ، وغير مألوفة كالاداب مثلا التي التحقت بهامعظم الكويتيات لاعدادهن للعمل في سلك التدريس ، وكان الأهل يعتبرون التدريس هو المهنه الوحيدة الشرعية لبناتهم ، ولكني اصررت على الالتحاق بالحقوق ، لأن المعنى لدى كان اكبر من مجرد الدراسه ، فقد كنت اعشق العدل ، وقد صور لي خيالي وأنا صغيرة أن معرفته ستكون في كلية الحقوق ، وفعلا تم لي ذلك ، وظل المسئول الثقافي يؤخر نقل اوراقي من الاداب حتى حان موعد الامتحانات النهائيه ، وكان لابد من تقديم اوراقي في كلية الحقوق ونجحت طوال سنوات الدراسة حتى حصلت على الليسانس ، ولم أرسب مرة واحدة في ايه مادة من مواد الدراسة ، كما كان يحدث مع كثيرين غيري من الذكور . واعتبرت أن هذا انتصار حقيقي لان يتغلب الجميع على فكرة سادت في مجتمعنا ، وهي أن « التساوي في الظلم عدل » فمن للاسف نقيس خطأ امرأة بخطأ امرأة أخرى ، وتلك مصيبة ، اعتقد أنه آن الأوان للتخلص منها .

تستمر بدريه العوضي في حديثها قائلة : « كما قلت ان فترة الخمسينيات بالنسبة للمرأة الكويتية كانت مرحلة غير مستقرة . . فكثيرات كن يتأرجحن



بين الخروج للتعلم أو البقاء في البيت ، ومع مرور الزمن أخذت أحوال النساء تتبلور ، ليؤمن كثير من الأسر بعد ذلك بضرورة أن تعلم بناتها ، وأن توفير الحماية لهن في الداخل ، وفي الخارج سوف يحقق الاطمئنان لهن ، ويصبح لاداعي لحرمان البنات من التعليم ، أما أغلب اللاتى كن ينهين دراستهن الجامعيه ، فكن يعملن بالتدريس فقط ، وكما قلت فان الحقوق والطب والتجارة كانت مجالات ينظر لها على أنها ليست مجالات دراسه للبنات ، بسبب صعوبتها ، وطبيعة المهنة التى لابد وأن يمارسها بعد ذلك ، والتي كان الاعتقاد السائد بأنها غير مناسبة لهن

ورغم كل ذلك واصلت دراستي العليا حتى حصلت على الدكتوراة في القانون ، وعملت بالتدريس في الجامعة ، ثم شغلت منصب عميد لكلية الحقوق ، وهو منصب لم تشغله امرأة من قبل ، ولم تكن الأمور سهلة كما قد يبدو الان ، ولكن تعرضت لنظرات مختلفة المعاني من طلابي ومن زملائي أيضا ، وواجهت بعض مشاعر الغيرة خصوصا من الرجال ، ولكني مسرورة أن صورة المرأة في موقع القيادة أصبحت مقبولة الى حد كبير عما كان من قبل ، وتذللت كثير من الصعوبات التي سادت في الزمن القديم ، المرأة الان محامية واستاذة جامعية وعميدة وطبيبة ، وتحتل المراكز العلمية الحساسة في مراكز الابحاث ومعامل التحاليل وقد كانت هذه الأعمال مقصورة على الرجال من قبل » .

وتنهي د العوضي حديثها قائلة « والى الذين ما زالوا يتحدثون عن سلبيات تعليم النساء أقول ان التنوير وازالة الغشاوة عن العقل لم تكن أبدا من السلبية في شيء ، وان للعلم ايجابيات لا تعد ولا تحصى ، حتى لو ظلت المرأة المتعلمة داخل جدران منزلها تحت الصغار ، فهي لاشك ستقوم على تربيتهم وتوجيههم على أفضل وجه ، وان كان هناك سلبية لتعليم المرأة العربية وتقلدها المناصب القيادية فهي تلك النظرة العربية لها كامرأة من قبل الرجال ، إنها تتحول من امرأة تصلح للزواج الى بد لكل ما تحمله تلك الكلمة من معنى ، ولكني أعتقد أن على المرأة أن تستمر ، وأن لايثنيها ذلك عن موقفها وان تعلم أن طموحها هو الذي سيحقق لها المكان اللائق في المجتمع ، ولا أقصد هنا بالطموح الجموح ، ولكني أعني أن تسعى المرأة لأن تتطور كامرأة وليس كرجل ، حتى نكون منصفين ، فان كثيرا من المثقفين الرجال آمنوا بأهمية تطور المرأة الكويتية والخليجية العربية بشكل عام ، وساعدوا على ذلك .

أول مدرسة للبنات

أما الدكتورة رشا الصباح مساعدة مدير جامعة الكويت لخدمة المجتمع والاعلام فتضيف بعدا جديدا في شهادتها فتقول

« لقد استطاعت المرأة الكويتية أن تثبت جدارتها وكفاءتها في احتلال العديد من المناصب الادارية الرفيعة في مختلف مؤسسات الدوله، اضافة الى خوضها مجال الأعمال الخاصة ، حيث أنها أصبحت عضوة لمجالس ادارة في شركات وبنوك ، وهذه الظاهرة انما تدل على فضل الدولة فيما وفرته من سبل التعليم العام والعالي ، وقد دفع تطور الحياة في عصرنا هذا بالمرأة الى مهن لم تألفها من قبل ، فأصبحت طبيبة ومهندسة ومحامية وموظفة وعاملة ، وهي تؤدى دورها الايجابي الفعال في نشاطات الجمعيات والهيئات المختلفة الخيرية والاجتماعية والثقافية والانسانية

انه مع بداية النهضة التعليمية عام ١٩٣٧ ، حينما افتتحت أول مدرسة للبنات ، بدأت المرأة في استغلال ما سمح لها من فرص التعليم استغلالا ناجحا ، واثبتت للمجتمع قدرتها على تخطي المرحلة الدراسية الى مجالات أخرى كثيرة في الحياة ، فالمرأة في مجتمعنا مؤمنة بضرورة التسلح بالعلم ، فهو يساعد على اعطاء المرأة الثقة بالنفس ، ومن هنا كان الاتجاه للتعليم الجامعي في الخارج ، والقيام ببعثات جامعية نسائية في مختلف جامعات ومعاهد العالم ، ذلك كله نابع من احساسها بالمسئولية تجاه تطور وطنها ، وتجاه نساء مجتمعها ، وهي اليوم تهتم بتنشئة ابنائها

وتعليمهم ، وتحرص على أن ينالوا من التعليم أعلى مراتبه ، ورغم كل ذلك ، فهي تستمد عاداتها وتقاليدها من الماضي ، وما زالت تحافظ على هذه التقاليد والعادات في اطار صلاحيتها ليومنا هذا

وأخيرا تقول الدكتورة رشا « نحن جيل جاء ليكمل مسيرة الاباء،حتى نبني الكويت الحديثة ، ولنحقق نجاحات أقوى وأعظم ، فالمرأة اليوم تشارك في كثير من المؤتمرات الداخلية والخارجية ، وتقيم علاقات مع أخواتها في البلاد العربية وفي العالم ، بالاشتراك في الاتحادات النسائية العربية والعالمية ، وبالزيارات المتبادلة ، كما أن هناك أديبات كويتيات برزن من بين الصفوف ، يكتبن الشعر والقصة والبحث ومؤلفات أخرى ، وقد كان لهذه الحركة الأدبية النسائية الصدى الذي استحقته.

جيل مهد لجيل

أما الدكتورة مواهب السمدان فتقول

« جاء جيلنا ليجد الأرض ممهدة ليسير في طريق سهل ، فالنساء اللواتي سبقنا تحملن المشقة وبذلن الجهد ، ليفسحن للمرأة طريقا واسعا نحو التعليم والعمل فأنا من الجيل الذي وجد فرصا لاختيار نوع التعليم وتشجيعا من الأهل لمزيد من الدراسة ، واستكمال الدراسات التخصصية ، وهذا شيء لم يكن متاحا من قبل ، ورغم أن بعض الأمهات أميات ، فانهن لايعدمن كل وسائل التشجيع على النهل من العلم

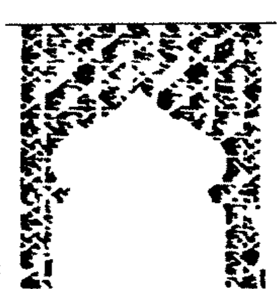
وفي اعتقادي أن من ايجابيات تلك المرحلة التي نعيشها الان هي الحياة الاجتماعية التي نعيشها الان ، فالبنت يمكنها أن تخرج الى صديقاتها ، وأن يكون لها « ربع » مثل أخيها الصبي تماما ولم تعد المرأة محرومة من الخروج الى السوق بصحبة صديقاتها ، أو السمر معهن في سهرة عائلية أو حفل زواج ، وكل تلك المرونة في العلاقات حرمت منها اللواتي سبقنا بصراحة نحن الأن نشعر بالتدليل ونعترف بيننا وبين انفسنا بأننا مدللات كثيرا ، ولكن طموحنا ما زال كبيرا ، وأملنا أن تحقق المرأة أكثر وأكثر في مجال تطوير طاقاتها التي هي جزء أساسي من طاقة المجتمع

وواحد من تلك الطموحات ، هو تغيير نظرة الرجل القديمة الى المرأة ، فهي الان ذات رأي ، والعلم فتح أمامها مجالات كثيرة لتنمية نفسها ، وتستطيع أن تبني معه الحياة على أساس سليم ، مطلوب من الرجل أن يعتبر «العلم والعمل» من مصادر القوة التي تسخرها المرأة لخدمة حياة كاملة ، حياتها الأسرية، وحياتها ضمن مجتمعها ، يجب أن يتوقف الرجل لحظة أمام المرأة المتعلمة ليدرك أنه أمام امرأة متطورة ، لأنه وللأسف الشديد ، ما زال هناك رجال ينظرون الى المرأة المتعلمة نظرة خوف وشك ، ولا يخفون احساسهم ذلك في الحديث مع أصحابهم وأقارنهم

وفي كلية الطب على سبيل المثال ، التحق أغلب الزملاء بالدراسة بعد الزواج من نساء غير متعلمات ، أو حاصلات على قدر يسير من التعليم ، وحسب رأيهم - ذلك أيسر للحياة، فالتعامل مع نصف المتعلمة أفضل من التعامل مع المثقفة ذات الطموح ، وهذا منطق يدل على أن النظرة الى دور المرأة الجديد في المجتمع لم تستقر بعد ، وهو أمر نسعى نحن الى تغييره »

تذكرة وليس تكرارا

و لم تكن هذه الصفحات تكرارا لسيرة حياة يعرفها الكثيرون ويذكرها الكثيرون ولكنها تذكرة بحياة كانت لم تغب أبدا تفاصيلها عن ذهن الأجيال،وسفر الى تاريخ هو رحم الحاضر مهما كانت صعوبة أيامه أو قسوتها ، الا أنها - الأيام - كانت حافلة بالاستقرار ، والتفاصيل الانسانية الثرية التي تعد دليلا على أن هذه المنطقة من العالم القابعة على ضفة الخليج كان تاريخها حافلا وثريا وممتدا في الأرض الطيبة ◻





الابن الضال

لعبة ضارة تساهم فيها الأسرة بأكملها

بقلم . راجي عنايت

بعض الألعاب ضارة يتعلمها الطفل من أبيه ، ويتعلم بعضها الآخر من أمه ، وهناك مجموعة من هذه الألعاب يتقاسم أفراد العائلة مسؤوليتها

تحدث علماء النفس والمجتمع ، في الماضي عن أسلوب الطفل يتعلق بتوجه أحيانا خاصة من المسائل المعقدة ... بين أبناء الأسرة ، وحدد بعض هؤلاء المسائل التي رأوا أنها أميل الى ... الطفل الأول ، او الأوسط ، او الوحيد ، و الأصغر . إلا أن معظم علماء النفس المتخصصين في شئون الطفل ، يؤمنون حاليا بأن ذلك الاستخلاص لا يستند الى رصيد واقعي ، فموقف الآباء والأمهات يختلف اختلافا كبيرا ، مما لا يسمح بإطلاق أحكام عامة ، عن المسائل التي يواجهها الطفل بحكم أسبقية ... من الاخوة والأخوات .

والمسائل التي ... الطفل ... يمكن أن تكون الشخصية ... قد جرى ... الوالدين . ... فقد يكون ... لأنه يشكل عبئا اقتصاديا على الأم العاملة التي ما زال زوجها يواصل دراسته الجامعية ، وأيضا ، قد يكون الطفل الأخير مرغوبا فيه أو مرفوضا . يضاف الى هذا أن جنس المولود ، ذكرا أم أنثى ، يؤثر أحيانا على موقف الوالدين . مثل ذلك اذا كان الطفل الثالث ثالث و

أعصاب ولدين ، فالأرجح أن يخطى هذه السن الوالدين

وتتشابه الأسرة إلى حد ما البيئة العامة للمجتمع ، حيث للوالدين موقع القيادة والسلطة في سنوات التكوين الأولى للأطفال ، بينما يأخذ هؤلاء موقع الرعية المستهدفة الحقوق والواجبات ، وموقف الشخص من السلطة الاجتماعية يتأثر بدرجة كبيرة بنوع العلاقة التي كانت بينه وبين والديه وإخوته ، الطفل الذي يتربى دون حقوق ، يضعان حدود معقولة لسلوكه ، يتحول مثل إلى التكيف مع السلطة الاجتماعية ، يخشى الطفل الذي تسبب ضغط صراعات حادة بين والديه ، أو مهملين ، والطفل الذي يتعلم أن يوقع في سنواته الأولى من أجل حوبه لكي يحصل على ما يريد ، غالبا ما يستمر معه هذا النمط من التعامل في علاقاته بعد البلوغ ، ويطبقه على الرؤساء وزملاء العمل ويستمر ممارسة الألعاب المثيرة التي تعلمها في البيت ، هي نفسها التي يتبعها في الحياة

الطيب والمتشكل

في معظم العائلات يوجد قدر محدود من التنافس بين الإخوة والأخوات ، وعندما يحرص الوالدان على معاملة الأبناء بدرجة متساوية من الحب والعطف ، يبقى هذا التنافس في أضيق نطاق ، أما عندما يظهر الوالدان ميلا إلى أحد الأبناء ، فإن هذا يعود إلى أن يصبح التنافس حادا وسيئا ، والطفل صاحب الامتيازات سرعان ما يشعر هذا في التلاعب بوالديه كأداة ضد إخوته الأقل حظا ، ومن هنا تنطلق الدائرة المفرغة التي يعطى فيها الطفل المميز يوما بعد يوم ، مزيدا من التقدير ، في الوقت الذي يتناقص فيه قدر الطفل الأقل حظا ويتحولان على لسان الجميع إلى « الطفل الطيب » و « الطفل المشكل »

دعنا نستعرض الظروف المعطية للعبة « الابن الصالح »

حمل خارج الخطة

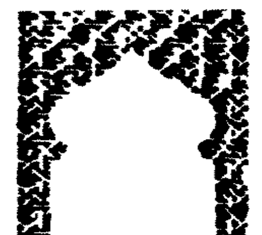
كانت سامية طفلة مرغوبة ، ونشأت في جو من الحب والحنان ، وكانت خطة والديها أن ينتظرا عدة سنوات قبل أن ينجبا الطفل الثاني ، لكنهما شعرا بالاستياء عندما اكتشفا أن سامية بها حامل بعد خمسة شهور ، لقد أرغمهما المولود الثاني على الانتقال من شقتهما الصغيرة إلى بيت أكبر في الضواحي ، قبل أن يكون لديهما المال الكافي لشراء وتأسيس البيت الذي كانا يطمعان فيه . وقد سبب ذلك حمل في توتر حياتهما الزوجية ، ونشبت بينهما المشاحنات ، لكنهما نجحا في أن يعوضهما عن هذه الحالة التي وصلا إليها إلى حين المولود الجديد ، بحيث تنشر كثير المشاكل الأسرية

وعندما جاء المولود ساميا كان يصحا رقيق الوالدين ، حتى أنهما لم يختارا له اسما إلا بعد أن ذكرتهما الممرضة بذلك قبل مغادرة الأم للمستشفى وهكذا بدأت أوليه حياتها

ونتيجة لهذا ... وصار ... ورعايته بينهما . تزايدت حدة طبع الوالدين ، وكانت راويه تبكي كثيرا ، وتستيقظ صارخة عدة مرات خلال الليل ، وتعبث في تناول طعامها ، قلقة لا تستقر على حال ، واتفق الوالدان على أنها طفلة صعبة ، وراحا يقارنان أحوالها بأحوال سامية التي أصبح ينظر إليها دائما باعتبارها الطفلة المطيعة الطيبة

في الوقت الذي بلغت فيه سامية الرابعة وراويه الثالثة . بدأت ممارسة لعبة « الابن الصالح » بحماس

لقد شعرت سامية بوضعها المتفوق ، وبضعف موقف راويه ، فتعلمت كيف تتلاعب بموقف الوالدين لتحقق مكاسبها الخاصة ، ومن كثرة ممارسة هذه اللعبة ضاعفت من حدة طبع الوالدين تجاه راويه ، ومن كثافة مشاعرها الطيبة نحوها



الحلقة المفرغة :

عندما بلغت الطفلتان السابعة والسادسة من عمريهما ، كانت الحلقة المفرغة قد أحكمت لتسيطر على كل مظهر من مظاهر العلاقات بين الطفلتين والوالدين ، وأصبح طبيعيا أن يتكرر مثل الحوار التالي -

الأم لقد تحولت هذه الحجرة الى فوضى هيا يا بنات نظفا الحجرة واستعدا للغداء

سامية لقد نبهت على راوية ألا تبعثر اللعب فى أنحاء الحجرة ، وألا تلقى بقصاصات الورق على الأرض ، لكنها لم تستجب لى

راوية لقد كنت تفعلين نفس الذى أفعله

سامية هذا غير صحيح أنا لم أفعل ذلك

الأم راوية توقفى عن القاء اللوم على أختك فى كل شىء لقد كانت دائما منظمة مرتبة ، بينما تعبثين أنت الفوضى فى كل مكان ، هيا رتبى الحجرة حتى تنتهى هذه الفوضى

راوية سامية هى التي وضعت هذه اللعب على

الأم (مقاطعة) أنت تكذبين تعلمين جيدا أنك تكذبين وبالاضافة الى أخطائك الأخرى أنت أيضا تكذبين و تكذبين و تكذبين

راوية أنالم أكذب الآن

الأم لماذالا تكونين مثل أختك ؟ كيف يمكن لأختين أن تكونا مختلفتين هكذا ؟ واسمعى يا راوية ، لا أريد هذا التجهم وتعقيد الجبين

راوية أنا لم أتجهم

الأم بل تجهمت ها أنت تكذبين ثانية

سامية كفى يا راوية لا تضايقى أمنا أكثر من هذا

راوية أنالم أضايقها

الأم هيا نظفا هذه الحجرة ورتباها فورا

سامية أنا دائما أقوم بنصيبى من العمل (تقول هذا بينما هى ترفع لعبتين أو ثلاثا من الأرض وتضعهما فى الدولاب)

راوية (تراقبها) هذا ليس كل نصيبك من العمل أنت لم ترفعى سوى

الأم كفى كلاما سامية تفعل دائما ما يطلب منها المشكلة دائما معك أنت

سامية لقد قمت بنصيبى من العمل ، وسأذهب لكى أستعد للغداء

الأم (تاركة الحجرة) سأعود بعد خمس دقائق يا راوية أريد ان أرى كل شىء فى مكانه

حق الأقارب والمدرسة :

لقد انعكس موقف الوالدين ومهارة سامية فى ممارسة لعبتها على رأى المحيطين بالأسرة فى راوية . الجدين والاعمام والأخوال ، كانت سامية بالنسبة لهم البنت اللطيفة ، وراوية المشاكسة العنيدة ، وساعد على ذلك ماتبديه سامية من سعادة وسرور ، وما يبدو على راوية من تجهم وانقباض .

وانتقل توزيع الأدوار هذا الى المدرسة أيضا ، فأصبحت قرة عين المدرسة ، وراوية هى التلميذة التى لا تستجيب أو تطيع ، وتعودت راوية أن تسمع المدرسات يقلن لها . . لماذا لا تبدين الانشراح والطاعة كما تفعل أختك الكبيرة ؟ .

وعندما تصل الأختان الى سن المراهقة تصبح سامية فتاة أنيقة مستقلة بذاتها ، تتقن اشكالاً كثيرة من أساليب ومهارات التلاعب بالناس وتوجيههم لمنفعتها ، أما راوية ، فتصبح فتاة متمردة يسودها شعور بالنقص ، وتشعر بغربة نحو أسرتها وطريقة الأسرة فى الحياة ، مما يشيع التعاسة بين أفراد الأسرة .

البصيرة الأعمق :

دعنا الآن نتصور كيف كان من الممكن لوالدة سامية وراوية أن تعالج الموقف الأسبق ، لو أنها كانت تتمتع ببصيرة أعمق بالنسبة لمشاعرها ، وللعبة الضارة التى تقوم بها سامية .

الأم : لقد تحولت هذه الحجرة الى فوضى . . هيا يا بنات . . نظفا الحجرة واستعدا للغداء .

سامية : لقد نبهت على راوية ألا تبعثر اللعب فى أنحاء الحجرة ، وألا تلقى . .

الأم : (مقاطعة) سامية ، أنا لا أحب هذا الذى تقومين به دائما . . انه يضر بك وبراوية وبالعائلة كلها ، لا بد أن تفهمى جيدا انك لست المسئولة عن تحديد ما تفعله ومالا تفعله راوية . . هذه مسئوليتى أنا . .

سامية : أفهم ذلك يا أمى ، ولكنها هى التى نثرت قصاصات الورق فى أنحاء المكان ، وكذلك قامت بـ . .

راوية : هذا غير صحيح . . . .

الأم : جميل . . ستقومان معا بترتيب وتنظيف الحجرة .

سامية : لكن راوية هى التى تبعث الفوضى دائما . .

الأم : اذا كانت كذلك فعلا ، فمرجعه الى أنك تداومين ترديده على مسامعها .

راوية : فعلا . . وبالمناسبة ، سامية ليست هى ذلك الملاك الذى يتصوره الجميع .

سامية : ها هى ثانية تهاجمنى .

الأم : هذا يكفى لقد جرى بينى وبين والديكما حديثا مطولا عنكما . . . من الآن فصاعدا ، سنحرص على أن ينال كل منكما حقه العادل .

سامية : أنا لا آخذ حقى . .

راوية : (مستنكرة) ماذا ؟

الأم : أعنى أننا تعجلنا فى الحكم عليكما ، باعتبار أن سامية هى الطيبة وراوية هى السيئة ، كلما لاحت مشكلة . . ليست أى منكما ملاكا ،ولا أيكما ابنا ضالا . . هيا تحركا معا لتنظيف وترتيب الحجرة ولا تغادر أى منكما الحجرة قبل أن يتم هذا .

سامية : (مستميتة) لكن راوية هى دائما التى . .

الأم : (مقاطعة) سأعود بعد خمس دقائق ، واذا لم أجد الحجرة مرتبة ونظيفة ، سأحرمكما من مشاهدة التلفاز اليوم . . انتما تعلمان أن اليوم هو الموعد الأسبوعى لبرنامج افلام الصور المتحركة .

سامية : هيا بنا ننظف الحجرة . .

راوية : هيا . . . . □

أعظم الرجال حظاً في الحياة أقلهم حظاً مع النساء !
« اونوري دي بلزاك »



هو..

مهـــارة

لا أدري الآن ما الذي فجر غضبه ، وأثاره إلى هذا الحد ، كأنني ارتكبت جرما أو خطيئة ، ولا أدري لماذا فهمه هو منفصل لا شأن له بي ، ولماذا يفتش خلفي ، ويبحث عن أسراري .

مثل كل زوجة في العالم يعطيني زوجي « مصروف البيت الشهري » . ومثل كل زوجة في البيت أساومه دائما ، وأشكو إليه من قلة المصروف ، وأطالبه بالمزيد ، وأشهد له أنه كان يفهم ويقبل ، وكثيرا ما كان يعطيني كل ما معه ، ولا يبقى معه إلا ثمن سجائره ، وتكاليف مواصلاته ، دون أدنى زيادة ، وعلى أساس أنه يقبض راتبه قبل نهاية الشهر بأربعة أو خمسة أيام ، ولو تأخر راتبه عن ذلك لعجز عن دفع أجرة وصوله إلى عمله .

في أحد الأيام كنت في زيارة أمي ، وكان هو وحده في البيت ، ويبدو أنه أراد أن يعد مجموعة أوراق كانت مطلوبة منه في صباح اليوم التالي ، من أجل تقديم طلب لتركيب هاتف لمنزلنا ، وأثناء بحثه عن عقد إيجار البيت عثر على دفتر توفير باسمي ، به مبلغ من المال .

وعندما عدت اشتعلت الدنيا ولم تنطفيء ، فقد انطلق غضبه حادا ، وحزنه فياضا ، سألني في البداية من أين لي هذا المال ونحن لا ندخر (مليما) واحدا ؟ وعندما قلت له إنه من مصروف البيت هز رأسه بصمت ، وسألني لماذا لم أخبره عن هذا المبلغ ؟ ولماذا أدخره ؟ ويبدو أن إجابتي هزته أو صدمته ، فقد قلت له إنني أدخر هذا المال من أجل مستقبلي ، فأنا ربة بيت لا أعمل ، ولا ضمان لي في المستقبل ، وأنا أحاول أن أقتطع من مصروف البيت مبلغا من المال لكي ينفعني يوما ما ، وينفعنا والأولاد ، ويوثق العلاقة بيننا .

حاولت أن أشرح له ، وأفهمه وجهة نظري ، لكن غضبه وحزنه جعلاني أقول له ما دمت أنت قد أعطيتني مصروف البيت فلا دخل لك في أي وجه نفقة ، سواء ادخرته للزمن ، أو اشتريت منه ثيابي ، مثل فستان ، أو حذاء ، أو أي شيء ، فكل هذا من المفروض أنه يتساوى عندك . فهناك كثير من الزوجات والأزواج بينهم هذا الاتفاق غير المعلن الذي كاد أن يصبح عرفا . يعطي الزوج زوجته مصروف البيت مقدرا فيه أن هناك جزءا منه مصروف يدها ، تشتري لنفسها منه ما تريد ، ويتوقف الأمر على (شطارة) الزوجة ومهارتها في [illegible] مبلغ من المال ، لكي تشتري لنفسها ما تريد من الباقي ، وكثير من الزوجات يشتركن في نظام الادخار النسائي الشهير « جمعيات » ، وهو أن تدفع كل مشتركة مبلغا كل شهر ، وتقبض إحداهن ما يتجمع كل شهر من مال ، مرة واحدة لكل مشتركة ، وهكذا حتى يأتي الدور على كل المشتركات ، وتستفيد ربة البيت من المبلغ الكبير نسبيا الذي يتجمع في يدها لتشتري ما تريد ، وكلما حدثته عن أمثلة وحالات لزيادة التوضيح له يصرخ في وجهي . ولأن الحال مختلف عن ذي قبل ، فهو لا يتفهم أبدا .

هي



هي.. خدعة

● منذ زواجنا والحياة تكاد تبتسم لنا . فظروفنا المادية منذ الزواج لم تعرف اليسر أبدا ، فيضيع الراتب بين إيجار بيت وأقساط ومصروف بيت . وكلما تخففنا من قسط من الأقساط ابتلع تزايد الغلاء ومطالب زوجتي بزيادة مصروف البيت أي مبلغ يتوفر ، وكنت - كشأن كثير من الأزواج - لا أناقش زوجتي فيما تذهب إليه الأموال ، مع أن طعامنا لا تحس بنوعيته ، وعدد المرات التي نأكل فيها اللحم نادرة ، أما المعلبات والأطعمة المتعبة فنادرة . وكان ظني أن هذا يعود إلى الغلاء وارتفاع الأسعار المستمر

وفي احدى الأمسيات كنت في البيت وحيدا ، أبحث عن عقد الايجار ، وبوسط كومة أوراق في ركن خاص بها في خزانة ملابسها عثرت على دفتر توفير . فذهلت . وما ان اطلعت على رقم المبلغ حتى ازداد ذهولي . فقد كان مبلغا ذا بال ، إنه يساوي مجموع رواتبي لمدة طويلة . وعندما واجهتها بما علمت قالت لي إنها ادخرت هذا المبلغ من مصروف البيت ، وأنها تدخره تأمينا لنفسها ضد الزمن ، وضد غدر الرجال ، ثم قالت كلاما لم أتقبله ، فلو كانت تقتطع من مصروف البيت لكي نشتري فستانا أو شيئا من هذا القبيل لساهمت وتفهمت ، لكنها تقتطع من مصروف البيت ما يقارب نصفه ، وتتركني بلا (مليم) واحد ، لا أستطيع أن أشرب فنجانا من القهوة أو كوبا من الشاي في العمل ، ولا أستطيع أن أبتاع تذكرة « أتوبيس » لزميل لي ركب معي صدفة ، وهي فضلا عن ذلك تتفنن في تدبير أمور البيت، تبخل علينا في طعامنا وشرابنا ، وقد رأت بعينيها كثيرة تمر بها ولم تحاول أن تنقذنا منها بهذا المبلغ المدخر

أقول لها إن ما فعلته لا يمكن أن يوصف بأنه نوع من الادخار ، لكنك تخدعينني وتسرقينني ، ثم انك تعلمين انه كان من الممكن ألا أبالي فيما فعلت لو كانت أيامنا أكثر يسرا ، والتزاماتنا أقل حملا ، أو لو كنت قد أعلمتني - بشكل عام - أنك تحاولين الادخار من مصروف البيت ، لكنك في أول كل شهر كنت تطالبين بالمزيد ، وعندما أبعثر امامك الراتب ونجلس معا نوزعه وتتبقى قروش قليلة تكاد تكفيني سطربن إلى بلوم وعتاب ، وتبدئين محاولاتك معي من أجل أن أقلع عن التدخين لأن ثمن السجائر سيوفر مبلغا من المال ، ثم تحاولين إغرائي بأننا سوف نجعل ثمن السجائر نصفين ، نصف لمصروف البيت ونصف لي ، وأنني بذلك سأصبح في بحبوحة . تصرح في وجهي قائلة بأنها لا تعمل ، ولا ضمان لها في المستقبل ، ثم ماذا ستفعل لو اختلفنا يوما ، أو انفصلنا ، أو . . . قلت لها كل هذه الفرضيات لا تبرئك ، لكنها تدينك ، فعندما يحيا اثنان حياة واحدة مشتركة ، وأحدهما مملوء بأحاسيس عدم الثقة والخوف وتحسب الغدر فانها لا يمتلكان علاقة أمان وألفة ، بل تكون علاقتهما أقرب إلى علاقات اللصوص .

هو







قضايا منزلية

عصير الفاكهة وقاية وعلاج

لايخلو منزل من الفاكهة ، وكلنا يتناولها من قبيل انها ذات طعم حلو مستحب ، ومع حلاوة الطعم تحمل الفواكه فوائد متعددة للانسان وتمنحه قدرا من الوقاية من بعض الامراض كما تعالج أمراضا أخرى

وفي الشتاء تتضح أهمية البرتقال الذي يمنح الصغار والكبار مناعة ضد البرد وتعويضا لفيتامين (سي) كما يكفل عصير الليمون وقاية شاملة من حالات امراض الكوليرا والحمى التيفودية ، وبكثير من التفصيل نقدم لك - عزيزتي الأم - فوائد عصير بعض أنواع الفواكه في الوقاية والعلاج

عصير البرتقال :

البرتقال ماكهة شعبية حمعت في تركيبها مركبات عدائية وميتاميات واقيه تعيد الصعير والكبير ، والمريص والسليم ، كما تعيد المرأة الحامل والمرصع

ومما يريد من أهمية البرتقال وعرة اتاحه ورحص ثمه ، الأمر الدي يجعله في متناول العقير والعي على السواء

ويعد عصير البرتقال من أعى مواكه الشتاء بعيتامين ح الواقي من مرص الاسقربوط الدي يسبب صعف اللثة وادماء الحلد وتقعه وتحلل المادة الحيرية التي بالعظام كما يسبب ارتباك الهصم وفقد الشهية للطعام وعدم مقاومة الحسم لبعض الالتهابات

وليست قيمة البرتقال في فيتامياته واملاحه المعدنية محسب ، بل قيمته أيصا فيما يعطيه للجسم من طاقة هي مصدر بعض النشاط والقوى الحيوية في الانسان ، بمعدل ٨٠ سعرا حراريا للبرتقالة

الواحدة والسعر هو مقدار الحرارة اللازمة لرفع درجة حرارة جرام من الماء درجة حرارة مئوية واحدة

وفي مقدور برتقالة واحدة كبيرة في كل يوم أن تمد الواحد بما يكفي ما يلزمه من هذا الفيتامين

وبسبب نقص فيتامين ح وعنصر الحديد في لبن الرضاعة والألبان الصناعية كان من واجب كل أم أن تعوض هذا النقص عند تغذية طفلها الرضيع باعطائه عصير فاكهة يحتوى على مقادير مناسبة من هذا الفيتامين ومن هذا العنصر المعدني وعصير البرتقال هو أنسب عصير يحقق هذا الغرض خصوصا في أشهر الشتاء

وعصير البرتقال واللبن الحليب يكمل كل منهما الاخر من الناحية الغذائية فالفيتامينات والأملاح المعدنية التي توجد في أحدهما بقلة توجد في الاخر بكثرة، وبذلك نجد في هذا الخليط مقادير وافرة من الفيتامينات والأملاح المعدنية

وهناك حالة مرضية ينبغي فيها الاقلال من تناول عصير البرتقال هي حالة المرض بالقرح المعوية، فقد قام دكتور «جون بيجلي» ودكتور «دايد كابر» بابحاث لمعرفة أثر البرتقال على المرضى بالقرحة المعدية والمعوية فاتضح لهم أنه يزيد من حدة المرض ويضاعف الألم والحرقان

عصير الليمون

يهتم الانسان عادة بعصير الليمون لا لقيمته الحرارية بل للحصول على شرابه المنعش ذى الفوائد الطبية العديدة، ولمزجه بالاطعمة ليعطيها طعما خاصا مقبولا

وعصير الليمون غني كعصير البرتقال بفيتامين ح الواقي من الامراض والالتهابات

وعصير الليمون مقاوم لكثير من السموم وهذا هو سبب تسمية الليمون البلدي بالليمون البنزهير فكلمة بنزهير ذات مقطعين الأول «بن» معناها ضد، والثاني «زهير» ومعناها بالفارسية «سم» أي الليمون المقاوم للسموم

وقد وجد الدكتور كريستماس أن ميكروب الكوليرا والحمى التيفودية يهلكان اذا وضعا في محلول يحتوى على ٦ جرام حمض ليمون في كل لتر ماء أي ما يعادل ١٠ جرامات عصير في نفس كمية الماء المذكورة وبذلك يمكن تعقيم ماء الشرب عند انتشار الأوبئة باستعمال هذا العصير، خصوصا في المناطق التي يصعب فيها الحصول على مياه رائقة معقمة

ولفت الدكتور «كلر» نظر الاطباء الى معالجة الحنجرة والقصبة الهوائية بعصير الليمون، وذلك بعمل غرغرة بالعصير المخفف أو العصير المخفف المضاف اليه كلورات البوتاسيوم بنسبة ١,٥ ـ ٢٪

ويؤكد الدكتور «كريتمار» نفسه في علاج الحالات الروماتيزمية على استعماله مع ماء الشرب، كما يمكن استعماله مع الشاي في شفاء الحمى المتقطعة

وجميع هذه الفوائد الطبية عرفها العرب من قبل، فجاء في كتاب ابن البيطار «عصير الليمون مقو للمعدة منبه لشهوة الطعام، معين على جودة الاستمراء مطيب للنكهة، محرك للطبيعة، مقو للقلب، مقاوم لمضار السموم المشروبة، فهو بذلك لطيف الجوهر شديد الجلاء، قوى التقطيع للاخلاط الغليظة اللزوجة ملطف لها، وقوة التقطيع هذه تظهر جلاء من فعله في البلاعم اللزجة الملاصقة للفم والحلق، اذ يعمل عصير الليمون على تقطيعها وتسهيل خروجها والعصير مبرد لالتهاب المعدة، مطفىء لحدة الدم وتوهجه، مسكن لغليانه، ملطف

عصير العنب :

يحتوي عصير العنب على مقادير عالية من السكريات السهلة الهضم والامتصاص وهو ما

دفع الدم وتسد مد سبيل لأي الاحتقان في المعدة إن حدث.

يعد عصير العنب من خير المنشطات والمقويات للمصابين المجهدين والناقهين، وذلك لقيمته الغذائية، وتناوله بانتظام يعد علاجا ناجحا لعدد من حالات النحافة.

وقد استخدم عصير العنب في فرنسا علاجا ناجحا لبعض الأمراض، فقد عالجوا به حالات الضعف العام وتصلب الشرايين وأمراض الكبد والبول الحامض، ويعتبرونه ملينا طبيعيا.

ويعتبر العنب وعصيره أغنى الفواكه وعصائرها في مركبات الحديد الضرورية لتكوين الدم.

د . عز الدين فراج

بريد طبيب الأسرة

استئصال اللوزتين

● يعاني ابني البالغ من العمر ستتين من التهاب اللوزتين، يصيبه بين حين وآخر، ولما علمت أن هذا يهدده بالاصابة بروماتيزم القلب، فقد استشرت طبيبا مختصا رأى ضرورة استئصال اللوزتين في عمر لاحق عندما يبلغ الطفل خمس سنوات.

اني قلق ومتردد، فما هي قضية استئصال اللوزتين وأضرارها.

أحمد خالد — الاسكندرية

- اللوزتان نسيج لمفاوي يقع في مدخل البلعوم، لتقوما بوظيفة دفاعية هي تصيّد الميكروبات الضارية التي تدخل الجوف عبر الفم، لهذا تعتبر اللوزتان حارسين يقفان على جانب الحلق.

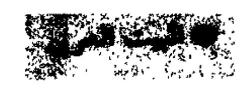
وقد تكون اللوزتان من الضعف ممّا يحول بينها وبين أداء مهمتها الحيوية، أو ربما تكون هجمة الميكروبات أكبر من امكانيتها على صدّها، فتصبح اللوزتان ضحية الالتهاب.

ان مثل هذا الالتهاب عادة لا يتكرر على فترات متقاربة، فتكراره قد يصبح عبئا على الجسم بدلا من وظيفته المناعية، وفي مثل هذه الحال يستحسن ازالتها، لأن عواقب تكرار التهاب اللوزتين متعددة وخطيرة، منها التهاب القلب وتلف صماماته، ومنها التهاب المفاصل الروماتزمي، أو ربما كان التهاب الكلى وهكذا. وفي أحيان أخرى قد يصبح الالتهاب مزمنا والخطر يكون ملحا.

ولأسباب عدة قد يتضخم حجم اللوزتين ويزيد الى درجة قد تسد مجرى الحلق، ويصعب معها البلع وربما التنفس أيضا.

في أحوال كهذه يرى الطبيب وجوب ازالة اللوزتين واستئصالهما، لأن ازالتهما أفضل من بقائهما.

ويرى الأطباء المختصون في أمور الأنف والأذن والحنجرة أن استئصال اللوزتين يجب أن لا يتم قبل سن الرابعة أو الخامسة من العمر، الا إذا دعت الضرورة الملحة لذلك، ويمكن ازالتهما في أي عمر يلي ذلك السن، وفي كثير من الأحيان يفلح استئصال اللوزتين في وقف الالتهاب عند حده، ومنع الضرر المحتمل والمضاعفات الشديدة، ولكنه في أحيان أخرى قد ينتقل الالتهاب الى الحلق حيث يتحمل عبء الدفاع جزء من الخلايا اللمفاوية، المتواطنة في جدار الحلق الخلفي. □





أبنـــاء للبيـــع !!

رغم سطور الخبر القليلة فهو خبر مؤلم ، موجع ! أب يعرض أبناءه الثمانية للبيع ، ولا يطلب شيئا من المشتري سوى أن يتكفل بإعاشة أولاده ، وإخراجهم من مستنقع الموت في لبنان . وفي تفاصيل الخبر مكامن ألم كثيرة ، فيه كيف توسل الرجل إلى قسم الاعلانات بالجريدة أن ينشروا له الخبر بدون مقابل ، لأن كل ما معه من مال لا يكفي ثمنا للاعلان . ورغم أن جرائد الأيام التالية حملت أخبارا عن متطوعين وفاعلي خير يعرضون تبني أولئك الأبناء ، والانفاق عليهم حتى يكملوا تعليمهم الجامعي . رغم كل هذا فإن الألم الداخلي لم يهدأ ، لأن هذا حل للمشكلة على نطاق فردي ، ولأن صدى المشكلة ودويها كانا كبيرين ومؤلمين

وتمتزج في ذهني أخبار متوالية عن حالات أخرى لا تقل إيلاما ، فهناك أربع شقيقات أصغرهن في التاسعة من عمرها ، وأكبرهن في الخامسة والعشرين ، انتحرن لأنهم كنّ يمثلن عبئا ثقيلا على شقيقهن الوحيد الذي كان ينفق عليهن ، وهناك طالب جامعي يقتل عجوزا من أجل عشرة جنيهات ، وأب مريض يعيش في غرفة واحدة مع خمسة أبناء صغار ، ويتعذب لعجزه عن العمل لاطعام أبنائه الجياع .

على امتداد خريطة وطننا العربي تنتشر قصص الفقر الأليم ، والجوع المصاحب لشبح الموت ، وتتفاقم المشاكل الاجتماعية ، وتتكاثر أمراض احتماعية شتى ، فمن تسول إلى رشوة ، ومن سرقة إلى نهب ، إلخ . ونحن في هذا لا ننفصل عن عالمنا الثالث الذي ننتمي إليه ، فحالات الفقر والجوع في اسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية أكثر إيلاما وقسوة ، والتغير الاجتماعي يسير إلى الخلف ، ومع كل هذه الأمراض الاجتماعية تضعف القيم ، والمباديء ، وكثير من قوى الضغط الاجتماعي ، وتتعرقل كل عمليات التنمية التي لا يمكن أن تتحقق إلا بالانسان ، فهو أداة التنمية وهدفها وغايتها .

ولا يمكن لأحد أن يضع قائمة أسباب للحالة التي وصلت إليها فئات اجتماعية كثيرة في بعض أقطارنا العربية ، وفي العالم الثالث ، لكن الأسباب لا تنفصل عن دائرة الديون التي تثقل كاهل أقطارنا العربية ، وكاهل أشقائنا في العالم الثالث ، المسمى بالجنوب المتخلف ، ولا تنفصل عن الضغوط التي يمارسها العالم الصناعي ، واحتكاراته الصناعية الضخمة ، وسرقته للمواد الخام ، والعقول ، وغزوه الأسواق ـ نحن بعنا أبناءنا يوم أن أغلقنا الورش الصغيرة ، وهجر الفلاحون أراضيهم ، واستسهلنا السلعة المستوردة ، وعرفنا مذاق الجبن الفرنسي ، والقماش الانجليزي ، والتبغ الأمريكي ، ولن نحمي أبناءنا إلا إذا عمل الوطن كله لكي لا يأكل إلا ما ينتج فقط ، حتى لو أكلنا وجبة واحدة .





«طبلخانة» العرب

بقلم : فرج العنتري

تعددت أغراض الموسيقا ، وتطورت آلاتها ودخل الشعر طرفا فيها عزفت الموسيقا للحماسة وطلب الصمود حتى النصر، وصار الانشاد الجماعي مكملا لها فما هو الدور الذي لعبته الطبول والأبواق والكوسات والمزامير وغيرها من الآلات في الحرب والسلم ؟

يبدو أن كل حفلة موسيقية كانت تسمى يومئذ « نوبة » تبعا لما استنه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ، من تخصيص يوم أو « نوبة » ـ بمعنى المرة ـ لكل لون كان يسمعه من ألوان الفن ، فهذا كان يوم أو « نوبة » الشعر ، وذاك يوم أو نوبة الغناء ، وفي هذا يؤكد لنا المستشرق الموسيقار هنري فارمر بكتابه عن الموسيقا في ألف ليلة وليلة على ما كان فعلا من تخصيص خلفاء العباسيين لأيام أو ساعات محددة لحفلاتهم ، وأن « نوبة » احدى المطربات كانت دائما يوم الثلاثاء ، ثم يتأدى الى أن هذه « النوبة » قد صارت الى تسمية أخرى ـ تحاسب الطلبخانة ـ لفرقة الموسيقا العسكرية العربية والاسلامية بالعصر الوسيط

ونحن لو رجعنا نتعرف على ما كان يوجد من لون الموسيقا العسكرية العربية في أيام الجاهلية وصدر الاسلام ، لوقفنا وجها لوجه أمام ذخيرة مذهلة من شعر الحماسة بالذات ، فالشاعر يومئذ ـ كما نعرف ـ كان في قبيلته بمثابة محطة الاذاعة المعاصرة ، وكان يتغنى بشعره عن مآثرها وأمجادها مترنما ولا يكتفي بأسلوب التلفظ ، كما نعرف أن الأعشى ـ مثلا ـ كان صناجة العرب (٥٣٠م ـ ٦٢٩م) ، وأن « الصنج » آلة موسيقية عربية ، ومن سلالة آلة الهارب الفرعونية ، وأنها كانت ـ كآلة السمسمية الشعبية المعاصرة ـ تصطحب الأهازيج والانشاد

الشعر وموسيقا الجاهلية

لنا اذن ، وبغير أي تعمل ولا تعسف ، ان نعتبر شعر الحماسة في حقبة الجاهلية وصدر الاسلام بمثابة نوع من افتتاحيات الموسيقا العسكرية ، وفي نماذج كاد أن يقتصر استخدام الناس لها على « آلات » الحناجر

مصحوبة بالطرق على قضيب معدني ، أو بالدق على الدفوف ، أو حتى بتصفيق اليدين ، ولكن في لون له تأثير مذاق الرنين النحاسي الفخم ، ومن تعبيرات كانت تستهدف الفخر والتباهي بالحسب والنسب ، وتستفز الجموع للاستنفار ، ولمجابهة الأهوال ومعامع النزال ، وفي تاريخ النقد الأدبي ما يسعفنا في هذا المقام ، بما أثر عن قبيلة بني تغلب من شدة الافتتان بقصيدتهم الخاصة التي صاغها لهم عمرو بن كلثوم ، والتي قال فيهم بسببها من قال وهو يغمز عليهم :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

غير أن هذه القصيدة كانت لهم بمثابة النشيد القومي ، ومنها أبيات مازالت تتفجر معانيها بالأنفة والعزة والتحبر ، وفي رنين من جرس يناظر سخونة مارش قوي لفرقة موسيقية عسكرية

شعر الحماسة . . والموسيقا

والنموذج الثاني الذي ستناوله الآن من هذا اللون ، يأتينا من شعر الحماسة والاستنفار وطلب الصمود حتى النصر ، وهو الذي كانت قد قامت بتأليفه وتلحينه وانشاده فرقة كورال النساء ، بقيادة هند بنت عتبة ، على مسرح القتال في غزوة أحد ، ومن فاصلين ، أولهما كان من هذه الأبيات :

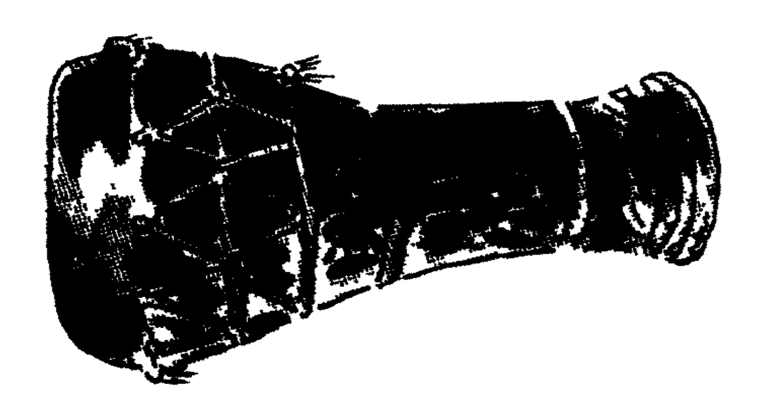
نحن بنات طارق نمشي على النمارق
مشي الخطى البوارق والمسك في المفارق

***

ان تُقبلوا نعانق ونفرش النمارق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

***

روج المولّي طالق والعار منه لاحق



ولما انتهى هذا الفاصل ، ثم ثبت يومها أن الدائرة أوشكت أن تقع على كفار قريش ، عاودت فرقة ـ « المايسترو » ـ هند ، آكلة الأكباد ، الى أداء الفاصل الثاني من « مقام » أكثر سخونة ، ومما روته الرواة عنهن من أبيات قالت :

ويها بني عبد الدار .
ويها حماة الأديار .
ضربا بكل بتار .

ومن ثم ، دارت الدائرة بالفعل على المسلمين ساعتها مما هو معروف ومشهور .

وأما النموذج الثالث فيتعلق بغزوة حنين ، يوم ضاقت الأرض على المسلمين بما رحبت ، ومن بعد أن كانت قد أعجبتهم كثرتهم ، فلم تغن عنهم من الله شيئا ، وولوا مدبرين أمام المقاتلين من هوازن ، لم يلبث الحال أن انقلب بفضل من الله ، وبيت كريم من شعر الحماسة دوّى به صوت النبي الكريم وقال :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فتجمع المجاهدون والأنصار من حوله عليه السلام ، واستجابوا لندائه بالصمود ، وظلوا يعملون سيوفهم في رقاب مشركي هوازن حتى قطعوا دابرهم .

واذا كان لنا أن نضع نمط الانشاد في شعر الحماسة الجاهلي وصدر الاسلام بكل جرسه وتعابيره وأغراضه في مستوى قائمة انتاج الفرقة العسكرية المعاصرة من المعزوفات ، فان علينا ان نضيف الى ذلك ما ذكره « هنري فارمر » في كتابه عن الموسيقا العربية ـ رواية اليا شلبي بالجزء الثالث من رحلاته ـ أن المدعو بابا سوانديك ، بهذا الاسم ، كان موسيقارا هنديا ، تولى مهمة ضرب الكوسات ـ أي الطبول الكبيرة ـ في غزوات النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وأن قبره مازال معروفا في قرية جرجيس بالموصل في أرض العراق حتى الآن .

أنواع الآلات

على أن العرب لم يهملوا مسألة فرض الرقابة على ما كان ينتج من آلات الموسيقا بمثل ما تقوم به الآن رقابة الدولة ، فلقد كانوا يمنعون ضرب آلة « الشّاهين » الموسيقية في المعسكرات ، نظرا لما كان لطبيعة أنغامها من تأثير محزن ، قالت عنه المراجع التاريخية بأنه كان

« يحلل عقدة الشجاعة ، ويضعف من صرامة النفس ، ويبعث في النفوس دواعي التشوق الى الأهل والوطن ، ويورث الفتور في القتال »

ويستطيع المرء أن يصدق رواة العرب ومؤرخيهم في أن الضجة التي كانت تصدر عن موسيقا نوبتهم - أو طبلخاناتهم - هزت الأرض هزا ، أو أنها كانت تصم الآذان ، فقد ثبت أنهم عرفوا فعلا وظيفة الصلصلة والصخب ، واستخدموها في ارباك أعدائهم خلال المعارك ، وقيل في هذا ان ريتشارد قلب الأسد ، غريم صلاح الدين الأيوبي في الحروب الصليبية ، لاحظ كيف كان حصان صلاح الدين مزدانا بطائفة من الأجراس المصلصلة على كفله أثناء القتال

وأما عن حكاية التكوين النوعي والعددي لفرقة الطبلخانة ، فان المراجع التاريخية عامتها ومتخصصيها تحصرها في نطاق الطبول والكوسات ، والطبول والأبواق ، والكوسات والمزامير ، والكوسات والأبواق ، وان منها ما كان يتضمن الكوسات والأبواق والمزامير ، ومنها ما تشكلت من الطبول ومزامير « السرناد » على نحو ما تشكلت به فرقة الأمين الخليفة العباسي (٨٠٩م - ٨١٣م)

وجدير بالذكر هنا ما ذكره ابن خلدون ، ورواه عنه هنري فارمر ، من أن العرب ظلوا لا يعتبرون البوق من آلات ميدان الحرب حتى مجيء القرن الثامن وانهم كانوا يعتبرونه في أيام الأصمعي (٧٤٠م - ٨٣١م) من مستلزمات جيوش النصارى ، كما يجدر أن نضع أمام القارىء الكريم قائمة من مختلف أسماء أشهر آلات الموسيقا العسكرية في طبلخانة العرب ، حسبما أوردها وحققها الدكتور حسين علي محفوظ في قاموس الموسيقا العربيه من مطبوعات وزارة الاعلام ببغداد سنة ١٩٧٧

فلقد جاء في ذكر أنواع الطبول ما هو منها « الطبل المعتاد - الطبل باز (نموذج التمباني الحديث مصغرا) - الدبدبك - الطبك - العير (ومنه مثلنا العربي هذا شخص لا في العير ولا في النفير) - الدهل - الكرجة - الطبل المغولي - الكوس (وهو طبل خراسان الذي كانت تسمع دقاته بصحبة أنغام الأبواق على بعد فرسخ) ثم القصعة الكبيرة ، فالدف ، والطار والدنداب ، بجانب معدنيات الايقاع من كوسات « الصاجات »

وأما عن آلات النفخ النحاسية عندهم فقد استخدموا من أنواع النفير « البوري - والتسمية تركية - والنفير البرغشي (نفير السلطان) ، والبرغو ، ومع اعتبار العرف مجموعة من أبواق النفير ميزة أرستقراطية لمقام الملوك والسلاطين وحدهم وانهم عمدوا لغويا الى جمع لفظ « النفير » على « أنفار » وتحول هذا الجمع مع التاريخ وبالتحوير الى لفظ « فانفار » الذي تستخدمه الآن اللغة الفرنسية في تسمية فرقة موسيقاها العسكرية ، وفي الأسبانية باسم الأنفال أو الأنفيل

وفي مجال آلات النفخ الخشبي نجدهم استخدموا المزمار بتسمية السرناي أو الصرناي « والدوناي » بمعنى النوع المزدوج منه ، وانهم بعد هذا كانوا يشيرون الى النقر السريع على الطبلة العسكرية بأنه « ترعيد » ، والى عزف الطبل بأنه « دندنة » و « دردبة » ، كما كانوا يشيرون الى شخص العازف على الطبل بأنه « دبدار » والى عازف الصاجات بأنه « كوسي » والى النافخ في الصور أو الناقور - وهي تسمية أخرى لبوق القرن النحاسي - بأنه « مشب » والى نافخ النفير بأنه « المنفر » والى العازف في فرقة الطبلخانة بوجه عام أنه « مُنقر » بضم الميم وكسر القاف

الآلات لها وظائف

والثابت أنه بالاضافة الى ما كان لهذه الالات بعضها أو مجتمعه من وظائف عسكرية في الميدان ، مثل اطلاق اشارتي الالتحام العسكري في القتال أو فض الاشتباك بدق « الطبول » ، أو مثل الاعلان عن بدء مسيرة الجند بدق الكوسات فانها أيضا كانت تلعب دورا مهما في مناسبات الأعياد والاحتفالات الكبرى ، كما كان من المعروف في شأن نظام المعارك أن تتخذ فرقة الطبلخانة موقعا للعزف يجعلها بمأمن من أخطار الصراع المشتبك ، وأن يستمر الكر والفر والقتال مادامت الطبلخانة مستمرة في عزفها ، وان تلتزم الطوابير المقاتلة بمعاودة الكر والفر والصمود حتى النصر أو الشهادة ، مادامت أنغام الطبلخانة تصدح

على أن طبلخانة العرب لم تكن تعرف دون توجيه

ولا ارشاد اد كان يرأسها شحص قائد برتبة « أمير علم » وكان من خصائصه « أن يقف عليها عند ضربها ، وأن يشرف على أفرادها ، وأن يتصرف في أمورها وعاداتها ، ويحكم عليها » ، كما كان الفرقة ومرات العرف اليومي لها يختلف باختلاف رتبة صاحبها صعودا الى مقام أمير المؤمنين الخليفة الذي كان لمقامه السامي وحده حق اقتناء أكبر فرق الطبلخانة عددا ، والعرف بها في بلاطه ومعسكره خمس مرات يوميا بعدد الصلوات الخمس ، وللأقل رتبة ومقاما فرق طبلخانة أقل حجما ، وأن تعرف عددا أقل من نوبات الموسيقا ، لكن حين بدأ الأمراء الصغار والقواد يظهرون الاستقلال ، وينافسون مقام الخليفة العباسي في فترة انحطاط الدولة ، تغير الحال في حجم ومراسم عرف الطبلخانة لرتب أصحابها ، وأصبح كل منهم يفاخر بقوة طبلخانته ونوبات عرفها في ولايته الخاصة ، والى حد اعتراض المؤرخين القدامى والفقهاء على طالبي عرف النوبة الخماسية ، واعتبار ذلك جرأة على رتبة ومقام الخليفة بلغت حد الاغتصاب لحقوقه الشرعية ، فيما يذكر كاترمير بكتابه عن تاريخ المغول صفحة ٤٠٨

وأما عن جانب الأبهة والفخامة في تجهيز وتعداد الطبلخانات ، فانما نقرأ عن الشاه جلال الدين آخر حكام خوارزم ، المتوفى عام ١٢٣١م ، بأنه شكل لنفسه فرقة اشتملت أنواع الطبول على سبع وعشرين واحدة مذهبة باللآلىء ، وكان عازفوها من أبناء أمراء مملكته ، وانه لذلك كثيرا ما كان يتباهى بأن طبلخانته تماثل ما كان للاسكندر الأكبر ذي القرنين من طبلخانة ، وعن السلطان محمد شاه خوارزم ، نجد رواية حول احدى مرات المراسم في بلاطه ، ان السلطان لبس جبته وعمامته بعد أن فرغ من حمامه ، ثم استقبل وكيل القصر وسار معه على ضوء مصباح في يد أحد العبيد ، الى قمة البرج الكبير المطل على ساحة القصر ، ومن ثم وجد في انتظاره كبار رجال الدولة ، وبينهم فرقة موسيقية من سبعة وعشرين عازفا ، كلهم من أبناء امراء أقاليم غزنة وبلخ التابعة له ، علامة على منتهى الاستقرار في أرجاء ملكه ، ولما أطل « السادي شاه » سيف الاسلام المسلول وخليفة الاسكندر ذي القرنين في الناس بالحول والطول ـ كما كان يدعو نفسه ـ ضربت له النوبة مراسم عرفها ، ثم أمرها باشارة الانصراف »

الموسيقا والأبهة

ويسوق الرحالة الفارسي الحكيم ناه حديثا خاصا لأبهة وفخامة الموسيقا العسكرية في الدولة الفاطمية بكتابه سفرنامة (المطبوع في باريس سنة ١٨٨١) فيذكر ما يدل على أنها فاقت من حيث التنوع والعدد كل تصور سابق أو لاحق ، بمراميرها وأبواقها وطبولها وخصوصا طبل الذهل ، وان حملة العزيز الفاطمي المتوفى عام ٩٩٦م الى سوريا تضمنت طبلخانة موسيقية ، كان فيها من آلات الأبواق وحدها خمسمائة نفير وما أظن حدوث النظير لهذا في سجل كافة تشكيلات الموسيقا العسكرية التي عرفناها ونعرفها بطول فترات التاريخ حتى الآن

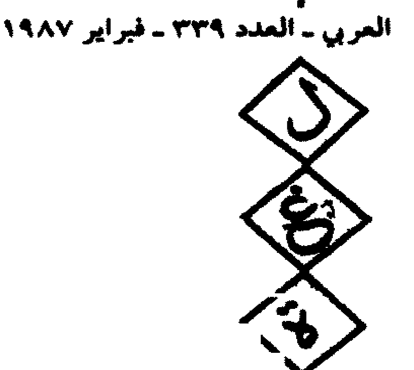
وعلى ذكر الفاطميين في مصر وأبهة موسيقاهم العسكرية ، سوف نجد أن الطبلخانة الخاصة بالسلطان غياث الدين الغوري المتوفى عام ١٠٢٢م ، كانت تشتمل هي الأخرى على عدد وفير من الكوسات الذهبية التي كانت تتطلب توفير عربة بنقل لحملها أو فصيلة كاملة من دواب الابل

ولقد منح السلطان الغوري ولده الناصر رتبة الامارة وطبلخانتها في شهر شوال من عام ٩٢٠ الهجري ، ووصفت المراجع فخامة حملته الكبرى بموسيقاها الى حلب ، وما كان من استعراضه لطوابير كتائبها ، وكيف مرت أمامه في أول الأمر فرقة الكوسات ، فالساحق السلطانية والخليفية ، ومن بعدها أربعة أنواع من الطبول من بينها ـ على حد رواية ابن اياس ـ طبول نارات من المعتادة ، وطبول نارات مرصعة بالذهب ، وحمل عشرة جمال من الكوسات

وكان من المعروف أن في خزائن جيش الغوري منها حمولة أربعين جملا

وهذه هي قصة طبلخانة العرب التي نقلتها أوروبا عن شرقنا الاسلامي ، عبر صقلية والأندلس ، وخلال احتكاكهم بالمنطقة في الحروب الصليبية ، ثم أعادتها الينا في شكل آلات حديدة ومعاصرة على أيام الحملة الفرنسية

□





بقلم : محمد خليفة التونسي

الأشجار الأولى خضراء مزهرة

جاءت إلينا رسالة من الأخ السيد يوسف عز الدين(الخياطة ـ دمياط ـ مصر) يسأل فيها عن كلمة صماء ، هل يوصف بها الجمع فيقال « الغددالصماء » ، أم لا بد أن نقول « الغدد الصم » وصفا للجمع بالجمع . وهو يرى أن القول الأخير هو الصواب

وقد أجبناه برسالة عاجلة خاصة ، قلنا فيها : إن كلا القولين صواب ، ووعدناه بزيادة بيان في إحدى صفحاتنا اللغوية ، لأن الموضوع عام ، وها نحن نستوعب جملته بإيجاز لضيق المقام .

علامات تأنيث الأسماء (والصفات) في لغتنا ثلاث : الأولى تاء التأنيث المتحركة ، مثل : جميلة ، والثانية : ألف التأنيث المقصورة ، مثل : صغرى ، والثالثة ألف التأنيث الممدودة ، مثل : زهراء .

وكما يوصف المفرد المؤنث بأمثال هذه الصفات يوصف كل اسم يدل على الجمعية[1] ، مما يسميه علماؤنا جمعا ، (ما عدا جمع المذكر السالم) ، مثل : نسور (جمع تكسير) ، وحشرات (جمع مؤنث سالما) ، ونظيرهما الجموع الملحقة بجمع المذكر السالم ، وما يسمونه اسم جمع (يدل على جماعة ولا مفرد له) مثل : قبيلة ، وكتيبة ، وسائر الأسماء الدالة على جماعات ، مثل : قريش ، وتغلب ، وعدنان وقحطان ، أو ما يسمونه اسم جنس جمعيًا ، (وهو ما يميز من مفرده بتاء التأنيث أو بياء النسب) مثل : نخل ، وقصب ، ومثل : عرب ، وأفغان ، وسيتضح ذلك من الشواهد والأمثلة التالية .

وسبدأ بتاء التأنيث في الصفات ، وعلينا أن نلاحظ أن هذه التاء قد تكون للتأنيث المحض أحيانا ، وقد تأتي لأغراض أخرى مع التأنيث أو بدونه ، ومن الأغراض الدلالة على الجمع ، مثل : سيارة (قرآنية) ، ومارّة ، ومعتزلة ، ومرجئة ، ومسلمة . ومنها نقل الكلمة من الوصفية إلى الاسمية ، مثل : خليفة ، ونطيحة ، وسائبة (وثلاثتها قرآنية) . ومنها المبالغة ، مثل : نابغة ، وراوية ، وحاكية . ومنها زيادة المبالغة ، مثل علاّمة ، ونسّابة ، وفهامة . ومن أمثلة وصف الاسم الجمعي بوصف المفرد المؤنث قولنا : زهور جميلة ، ونخلٌ باسقة ، وعرب عاربة ومتعربة ومستعربة ، وقريش متحضرة ، وتميم بادية ، ويقول المتنبي في وصف شجاعة سيف الدولة في الحرب :

تمر بك الأبطال كلْمى هزيمة
ووجهك وضّاح وثغرك باسم

وفي الأثر « عليكم بالجماعة ، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » ، وفي القرآن الكريم « صحفا منشّرة » ، و « والقناطير المقنطرة » ، و « الخيل المسوَّمة » ، و « ووجوه يومئذ ناعمة ، لسعيها راضية » ، و « ووجوه يومئذ مسفرة ، ضاحكة ، مستبشرة » . وهكذا يوصف المفرد المؤنث ، فنقول : زهرة جميلة ، ونخلة باسقة ، وطلعة مسفرة ضاحكة مستبشرة « وقد ورد الوصف بالجمع في القرآن « والنخل باسقات » و « أياما معدودات » ، كما ورد بالمفرد المؤنث « أياما معدودة » .

وكذلك تعامل هذه الأسماء الجمعية مع ألف التأنيث المقصورة كما في قوله تعالى « الصحف الأولى » ، و « آيات ربه الكبرى » ، و « الأسماء الحسنى » ، و « مآرب أخرى » ، وكقولنا : الدرجات العليا ، والدول العظمى ، والقصائد الطولى ، واللغات الفصحى ، والبلاد القصوى ، والآفاق الدنيا ، والأحداث الجُلّى ، والكتب الصغرى ، وكذلك تستعمل هذه الصفات مع المفرد المؤنث ، كما في قوله تعالى « الآية الكبرى » ، وكقولنا : الصحيفة الأولى ، والفتاة الحسنى ، والدرجة العليا ، والدولة العظمى ، واللغة الفصحى .

وقد توصف الأسماء الجمعية بصفات جمعية ، كقوله تعالى « فعدة من أيام أخر » ، و « الدرجات العُلى » ، وكقولنا : الوقائع الكبر ، والطبقات الدنى ، والصحف الكبريات ، والأشجار الصغريات ، والأيام الأخريات ، والنساء الفضليات

ونأتي إلى ألف التأنيث الممدودة في صيغة فعْلاء ، فهذه الصيغة كما تكون وصفا للمفرد المؤنث قد ترد وصفا للاسم الجمعي ، فكما نقول امرأة عرباء ، نقول « عرب عرباء » كما جاء في لسان العرب (مادة « عرب ») ، ويقول المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة :

فإن تكن تغلبُ الغلباءُ عنصرها
فإن في الخمر معنى ليس في العنب

وتغلب اسم قبيلة ، ويقول في قصيدة يمدح بها كافور ، ويهنئه على بناء دار :

وبساتينك الجياد وما تحـ
ـمل من سمهرية سمراء

ومفرد سمهريه هو سمهري أي الرمح ويقول شيخنا المعري :

زعم الناس أن يقوم إمام
ناطق في الكتيبة الخرساء

وفى لسان العرب « كتيبة شهباء . . (مادة شهب ») ، والكتيبة تدل على جماعة ، بدليل وصفها بجمع ، كما جاء في الحماسة لأبي تمام من قول باعث بن صريم اليشكري :

وكتيبة سُفْع الوجوه بواسل
كالأسد حين تذُبُّ عن أشبالها

وقد كانت كتيبة النبي في فتح مكة تسمى « الخضراء » ، وكانت آخر الكتائب الزاحفة إليها ، وسميت الخضراء ـ كما قال ابن هشام في سيرته ـ لكثرة الحديد وظهوره فيها ، واستشهد على ذلك بقول الحارث بن حلزة اليشكري

ثم حُجرا ، أعني ابن أم قطام
وله فارسية خضراء

ويقول حسان بن ثابت في غزوة بدر :

لما رأى را تسير جلاهُـ
بكتيبة خضراء من بَلخزرج

والفيلق كالكتيبة معنى ، ومن شعر العباس بن مرداس السُّلمي في فتح مكة :

حتى صبحنا أهل مكة فيْلقا
شهباء يقدمها الهمام الأشوس

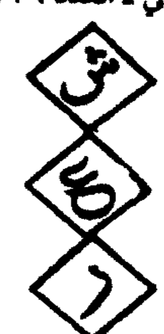
وقال ابن لقيم العبسي في حصن نطاة اليهودى من خيبر ، وكان النبي قد وعده ببعض غنائمها عند فتحها :

رُميتْ نطاةُ من الرسول بفيلقٍ
شهباءَ ذات مناكب وفِقار

وقد ينقل وزن فعلاء إلى الاسمية للدلالة على جماعة ، كما في القاموس مثل : القصباء (جماعة القصب) ، والشجراء (الشجر) ، والشّعْراء (كثرة الناس أو ذباب أزرق) ، والطرفاء (شجر) ، والحلفاء (نبت الواحدة حلفة) ، واللّفّاء (الأغصان الملتفة في الروض) ، والبرشاء (الناس) .

ولهذا يجوز أن نصف كل اسم جمعي (ما عدا جمع المذكر السالم) بما نصف به كل مفردة مؤنثة ، سواء كان تأنيثها بالتاء ، أو بالألف المقصورة على وزن فُعلى ، أو بالألف الممدودة على وزن فَعلاء ، لدلالتها على المفردة والجمع بصيغة واحدة . □

١ ـ مما حفظناه منسوبا الى الامام الزمخشري : ان قومي تجمعوا وبقتلي تحدثوا
لا أبالي بجمعهم (كل جمع مؤنث)



هكذا غنى الآباء

حَنِين

لأبي صَخْرٍ الهُذَليّ

أبو صخْرٍ عبدُ الله بنُ سلمة السهمي من بني هُذيل شاعرٌ من الفصحاء ، عاش في العصر الجاهلي وصدر الاسلام ، كان مواليا لبني مروان الأمويين في دولتهم ، متعصبا لهم ، وله في عبدالملك بن مروان وأخيه عبدالعزيز مدائح ، وقد حبسه خصمهُم عبدُ الله بن الزبير بحو سنة ، وأطلقه بشفاعة رجال من قريش

أما ، والذي أبكى وأضحك ، والذي ... أمات وأحيا ، والذي أمرُهُ الأمرُ [١]
لقد كنت آتيها ، وفي النفس هجرُها ... بتاتا لأخرى الدهر ، ما طلع الفجر [٢]
فما هو إلاّ أن أراها فجاءة ... فأُبْهتَ ، لا عرفٌ لديَّ ولا نكر [٣]
وأنسى الذي قد كنتُ فيه هجرتُها ... كما قد تُنَسّي لبَّ شاربها الخمرُ
وما تركتْ لي من شدا أهتدي به ... ولا ضلع الا وفي عظمها وقرُ [٤]
وقد تركتني أغبطُ الوحش ، أن أرى ... أليفين منها لا يروعُهما الذُعر
ويمنعني من بعض إنكارِ ظُلمها ... إذا ظلمت يوماً ، وإن كان لي عُذْر
أني قد علمتُ لئن بدا ... لي الهجرُ منها ما على ،
واني لا أدري اذا النفس أشرفتْ ... على هجرها ما يَبلُغنَّ بي الهجرُ [٥]
أبى القلبُ الا حبَّها عامريةً ... لها كُنْيةُ عمرٍو ، وليس لها عمرُو
تكاد يدي تَنْدى اذا ما لمستُها ... وينبُتُ في أطرافها الورقُ النضْر [٦]
وإني لتعرُوني لذكْراك هزةٌ ... كما انتفض العصفورُ بلَّله القطْر
تمنيتُ من حبّي عليّة أننا ... على رمثٍ في البحر ، ليس لنا وفْرُ [٧]

١ ـ معنى البيت أقسم بالله الذي يبكينا ويضحكنا ، ويميتنا ويحيينا ، والذي حكمه نافذ فينا
٢ ـ بتاتا قطعا ، أخرى الدهر آخر الدهر
٣ ـ أبهت أحتار لاختلاط الأمور علي
٤ ـ الشدا بقية القوة ـ الوقر الثقل
٥ ـ أشرفت قاربت النهاية
٦ ـ تندى يظهر عليها البلل.
٧ ـ الرمث حزمة أخشاب تلقى في الماء لتكون كالقارب

علی دائم لا يعبُر الفلكُ موجَهُ — ومن دوننا الأهوالُ واللُّجَجُ الخُضر(٨)
فنقضِيَ هَمَّ النفسِ في غير رِقْبةٍ — ويُغرِق من تُخشى نميمتَه البحر(٩)
عَجِبتُ لسَعْيِ الدهرِ بيني وبينها — فلما انْقضى ما بينَنا سكنَ الدهر
فياحبَّ ليلَى قد بلغتَ بيَ المَدى — وزدْتَ علي ما ليس يبلغُه الهَجْر(١٠)
ويا حبَّها زِدْني جوًى كلَّ ليلةٍ — ويا سَلْوةَ الأيامِ موعدُك الحشرُ
هجرتك حتى قلتِ : لا يعرفُ القِلَى — وزرتُك حتى قلتِ : ليس له صبرٌ(١١)
صدقتِ ، أنا الصبُّ المصابُ الذي به — تباريحُ حبٍّ خامرَ القلبَ ، أو سحرُ(١٢)
فيا حبذا الأحياءُ ما دمتِ فيهمُ — ويا حبذا الأمواتُ ما ضمَّكِ القبر

٨ ـ دائم : مستقر ـ اللجة : الماء الغزير ٩ ـ همّ النفس : مطالبها ـ النميمة : نقل كلام الآخرين
١٠ ـ بلغ المدى : وصل الى النهاية . ١١ ـ القلى : البغض
١٢ ـ الصبّ : المحبّ ، التباريح : الشدائد ، خامر : خالط

حَيرة الحب

لجُنادة العُذري

هذه الأبيات تنسبها بعض مصادرنا الأدبية لشاعرنا الاسلامي « الفرزدق » ، وهي لاتتفق مع مزاجه وشخصيته التي يدل عليها شعره ولاسيما غزلياته ، وتنسبها مصادر أخرى الى « جنادة العذري » أحد الشعراء الذين ظهروا في البادية الحجازية في عصر صدر الاسلام فنظموا في الحب وتباريحه أرق الأشعار وأصدقها ، ولهذا كان جنادة أولى بنسبتها اليه من الفرزدق ، وهي أشبه بأشعار هؤلاء الشعراء الذين يسمون « العذريين » وهي من ابدع الشعر في تمثيل « حيرة الحب » حين يعتلج في النفس الانسانية .

سَرَتْ لعينيكَ « سَلْمَى » بعد مغفاها — فبتَّ مستلهياً من بعد مَسراها(١)
وقلتَ : « أهلا وسهلا ، من هَداكِ لنا — إن كنتِ تمثالَها ، أو كنتِ إيّاها »
تأتي الرياحُ التي من نحو بلدتكم — حتى نقولَ : « دنَتْ منّا بريّاها »(٢)
وقد تراخت بكم عنا نَوًى قَذَفٌ — هيهات مُصبحها ، هيهات مُمساها(٣)
من أجلها أتمنى أن يلاقيَني — من نحو بلدتِها ناعٍ ، فينعاها(٤)
كيما أقولَ : « فِراق لا اجتماعَ له » — وتضمرُ النفسُ يأساً ، ثم تَسْلاها(٥)
ولو تموتُ لَراعَتْني ، وقلتُ : « ألا — يابؤسَ للدهر ، ليتَ الدهرَ أبقاها »

(١) سرت : سارت ليلا . مغفاها : نومها . (٢) رياها : رائحتها الطيبة . (٣) نوى قذف : فراق بعيد .
(٤) ينعاها : يعلن خبر موتها . (٥) تسلاها : تتعزى عنها .



يهدف هذا اللغز الى تسليتك وامتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة والمطلوب منك الاجابة على أسئلة هذه اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
										١
				■						٢
■					■					٣
			■		■					٤
■					■					٥
		■						■		٦
		■				■	■			٧
				■						٨
			■	■					■	٩
	■	■							■	١٠

كلمات أفقية

١ ـ طبيب وكيميائي عربي كان يؤمن بامكان تحويل المعادن الخسيسه الى ثمينه
٢ ـ ما يتلألأ ، مكان سبك المعادن
٣ ـ كافور مسوري ، يُروِّد
٤ ـ المسرّة ، طاف ودار
٥ ـ قوانين أو قواعد يبنى عليها العلم ، زوج فارقته شريكته
٦ ـ لحد من صخر ، مثل او مكافيء
٧ ـ اسكت ، سدّ ، حرف جر
٨ ـ حكيم معمّر ورد ذكره في القران الكريم ، ينحى أو ينحرف
٩ ـ يأسر ، قطع أو استأصل
١٠ ـ جزيرة في المحيط الهندي عاصمتها تاناناريف

كلمات رأسية

١ ـ مخترع الهاتف
٢ ـ وعاء كسر عاده في صيغة الجمع ، علل
٣ ـ نواة الذره ، حبل من ليف
٤ ـ الحروب مقلوبه ، فعل أمر بمعنى اطلب
٥ ـ حشرات تمتص دم الانسان ، طلاء برّاق
٦ ـ يخادع طلبا للمكر
٧ ـ مقذوفات ، عكس ودّي
٨ ـ من عبده النار مقلوبه ، صفرة البيض
٩ ـ طبيب عربي كان له السبق في اكتشاف دورة الدم الصغرى
١٠ ـ كن مقلوبة ، من بلاد الديلم

حل مسابقة
العدد الماضي يناير ١٩٨٧

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
■	ن	ا	ط	ف	ي	ن	ب	ي	ح	١
ن	س	ل	■	ر	■	ب	ر	ق	م	٢
ق	ر	ب	ط	■	ن	و	ن	ي	ر	٣
ن	ي	ل	■	د	و	■	ا	ل	ه	٤
ق	ن	ا	د	■	ب	ا	ب	■	■	٥
■	■	د	م	■	ل	د	ا	ب	ب	٦
م	ي	ر	■	م	■	ي	■	ن	ق	٧
ر	ب	ي	ل	ك	■	م	ي	د	ن	٨
ص	س	■	ح	م	ح	■	س	■	ي	٩
د	■	ر	ص	ن	د	ح	و	ب	ن	١٠





كتاب الشهر

تأليف : كارل براون

عرض وتحليل : د . أديب نصور

السياسة الدولية والشرق الأوسط

حلال دراسته لمائتي عام من تاريخ الشرق الأوسط اكتشف المؤلف أن الأحداث والصراعات والنزاعات في هذه المنطقة وعبر امتداداتها الدولية مرتبطة برباط واحد ، وأن هذه الأحداث والنزاعات هي ـ بشكل أو باخر ـ امتداد لما عرف بالمسألة الشرقية ، منذ نحو قرنين من الزمان ، غير أن طرفا حديدا دخل اللعبة هو الولايات المتحدة



1 عنوان كتاب هذا الشهر ألفه كارل براون ، أستاذ بجامعة (برنستون) الأمريكية ، واستعرض فيه مائتي سنة من تاريخ الشرق الأوسط ، وتفاعل هذا الشرق مع الدول الكبرى ، وانتهى من دراسة المسألة الشرقية - كما عرفت منذ الربع الأخير من القرن الثامن عشر - إلى نظرية في العلاقات الدولية الخاصة بالشرق الأوسط ، جديرة بالدراسة والتفكير

بدأ المؤلف بحثه برفض التقليد الدبلوماسي ، والتقليد المدرسي القديم الذي ينظر إلى الشرق الأوسط على انه ميدان مواجهة بين الدول الكبرى ليس غير ، فيقول « إن الشرق الاوسط يستحق الانتباه لذاته ، ولخصائصه ، ولمزاياه ، ويستبعد النزعة الغربية التي تصور الشرق الأوسط مسرحا ، وأن كل اللاعبين الحقيقيين ذوي الخطر الذين يظهرون عليه هم من الخارج » وعندما يطرح فكرة عن النظام السياسي السائد في الشرق الأوسط يقرر أنه نظام دخيل ، فيقول « ان الشرق الأوسط ظل متشابكا سياسيا مع الغرب ، حتى كاد أن يصبح ملحقا بنظام الدول الغربي » ، ذلك النظام الغربي الذي كان دائما يضم روسيا ، ثم امتد فشمل الولايات المتحدة الأمريكية

المسألة الشرقية

ويحدد المؤلف المسألة الشرقية بتحديدها المتعارف عليه الذي أصبح اصطلاحا يطلق على الحقبة الزمنية الممتدة من القرن الثامن عشر الميلادي حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، ففي رأيه أن المسألة الشرقية لعبة دولية قديمة ، عمرها مائتا عام ، ولها قواعدها المفصلة الدقيقة ، وأن الشرق الأوسط هو الوسط الأكثر عرضة لتدويل قضاياه ، والتدخل في شؤونه ، فكل الدول الكبرى كانت تعي المسألة الشرقية ، وبرغم ذلك كان كل قادتها الكبار يسعون للتدخل ، ولعل الاستثناء الوحيد في هذا الأمر هو (بسمارك) الذي قال - لأمر ما - مقولته الشهيرة « إن المسألة الشرقيه لا تساوي عظام جندي واحد من مشاة بوميرانيا »

ولننظر بإمعان للأمور التالية

* في القرن السادس عشر وضع العثمانيون معظم الوطن العربي في فلكهم

* حصلت روسيا - منذ تسوية « كتشوك كينرجي » سنة ١٧٧٤ مع الدوله العثمانية على حقوق عامه غامضة في التقدم بمطالب عن المسيحيين الشرقيين من رعايا الامبراطوريه العثمانية .

حين حُرم محمد علي الكبير من ثمار انتصاراته العسكرية على السلطان العثماني أظهر للعالم أن النظام الأوروبي هو الحكم الأخير في المساله الشرقية والنظام الاوروبي المقصود هو نظام الدول المتعدده ، أو نظام التوازن بين الدول الأوروبية الكبرى ، والقبول بذلك التوازن على أنه من نظام الأشياء أنتج نسقا من العلاقات الدولية مستقرا وقائما بذاته ، وذلك هو المقصود بالتوازن الكلاسيكي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وقد اضطرب او تعطل هذا التوازن في زمن الثورة الفرنسيه ونابليون بونابرت

وفيما يتعلق بالمسألة الشرقية ، فإن عدة دول أو وحدات سياسية من الشرق الأوسط أدخلت في اللعبة بطريقة خاصة جدا ، كبيادق على رقعة الشطرنج ، أو لتكون لقمة سائغة للدول الكبرى

قامت إبان الحكم العثماني حركات دينية فعالة ، استمدت وحيها من ينابيع إسلامية تاريخية ، كالوهابية ، والسنوسية ، والمهدية ، وهذه الحركات - كما يقول براون - هي التي ساعدت على تقويض شرعية الامبراطورية العثمانية في نظر المسلمين ، ولم تكن متأثرة بالغرب .

بعد الثورة الفرنسية وتسوية فيينا ابتدعت أوروبا نظام المؤتمرات (١٨١٥ - ١٨٢٢) ، واصطلحت بشكل رسمي على أن تخضع التغييرات في الشرق الأوسط للوفاق الأوروبي مع إيجاد تعويضات مناسبة

لدول اوروبا الكبرى ودلك لحفظ التوارن بينها ، حتى وإن كان دلك على حساب شعوب الشرق الأوسط

ظل الشرق الأوسط منطقه قابلة للعطب ومعرضه للخطر يدخل فيها تدخلا شاملا نظام الدول العربي ، مع دلك لم يستطع ان يبتلعها ابتلاعا تاما

ومن جهه اخرى لم يبرز نظام إقليمي جديد من الشرق الأوسط في السياسة الدولية ، ولم تستطع دولة واحده ـ من داخل المنطقة او من خارجها ـ ان تبسط هيمنه فعاله على الشرق الأوسط ، كي تنظمه

ويذكر الاستاذ براون محاولات لتنظيم المنطقه على اساس الاسلام ، ثم على اساس القوميه العربيه . ويتعرض لدور بريطانيا منذ بدء المسألة الشرقيه فيذكر محاولتين لها في تنظيم الشرق الأوسط ، أولاهما كانت في دعمها للسلطان العثماني ، وثانيتهما قامت على سياسه عربية متطورة ببطء ، ويقرر أن بريطانيا العظمى في الحالتين لم تبلغ السيطرة الكافية لتغيير قواعد اللعبه المشرقية

كما يذكر محاولة جمال عبد الناصر ، وأنه منذ وصوله إلى الحكم سنة ١٩٥٢ إلى وفاته سنة ١٩٧٠ سيطر على السياسة العربية ويرى الكاتب أن « أقصى ما استطاع ناصر أن يفعله هو جعله دولة عظمى منافسة للدول العظمى الأخرى المساندة لاسرائيل ، » ويقول أن الاتحاد السوفياتي واجه مشكلة قديمة قدم المسألة الشرقية ذاتها ، وهي كيف يوازن بين السياسات المتغيرة والاستراتيجيات في ساحة الصراع الدولي ، وبين الأهداف الاقليميه ؟ فعندما بدأت الحرب الباردة تفسح الطريق أمام الانفراج وجد الاتحاد السوفياتي نفسه مضطرا الى حصص دعمه للمتعاملين معه من أهل المشرق الكلمة التي استعملها الاستاذ هي client ، وترجمتها « زبون » أو « عميل » ، وهي في الاستعمال الشائع غير دقيقة وغير لائقة فعل الاتحاد السوفياتي دلك لكي يحقق الهدف الأهم ، وهو استئناف علاقة عمل مع الولايات المتحدة ، يندفع بها الحال الحاضر ويتحقق التعايش السلمي

قواعد اللعبة

وبعد أن عرض المؤلف ما سبق ذكره يستنتج منه القاعدة كما يلي

١ ـ ان أي دوله كبرى لا تسمح بسهولة بهزيمة كلية « لصديقتها » الاقليميه ، لكنها لا تبالي بأن تبقى تلك الدولة في حالة تبعية واتكال إلى ما لا نهايه

٢ ـ المحاولات الأميركيه والمحاولات السوفياتيه للهيمنه على الشرق الأوسط لم تبرهن على أنها قادرة على تغيير نزوع تلك المنطقه العنيد إلى الميزان المتغير الأوزان ، المتأرجح باستمرار

٣ ـ برغم كل التغير الذي حدث من سنه ١٧٧٤ إلى سنة ١٩٢٣ « سنة إعلان الجمهوريه التركيه » ، ومن سنه ١٩٢٣ إلى اليوم ، بقي ذلك النظام من العلاقات الدوليه بكامله لم يمس ، ألا وهو المسألة المشرقيه ذات القرون

٤ ـ الثقافة الدبلوماسيه للشرق الأوسط تكونت في الحقبة بين ١٧٧٤ و ١٨٢٠ ، عندما وقع الشرق الأوسط فريسة لأوروبا الأقوى منه ، وان مفاهيم وسياسات مماثلة تميز السياسة الدولية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين « محمد على ، وناصر ، وبالمرستون ، ودلسى ، والقيصر نقولا الاول ، وبريجنيف ، وكلهم لعبوا ذات اللعبة »

٥ ـ الدراسات الحديثة في موضوع الشرق الاوسط تكاد تجمع على نقطتين مهمتين أولا ـ مركب معقد من الافعال وضد الافعال يميز التطورات في المسأله الشرقية وتبدو فكرة المخطط الواحد الموضوع والمعلم الاوحد ، مبسطة جدا وساذجة

ثانيا ـ المبادرات الاقليمية (النابعة من دول الاقليم) ترجح في الوزن على المبادرة القادمة من الخارج ، في أثناء الأزمة وعند نقاط التحول الفاصلة

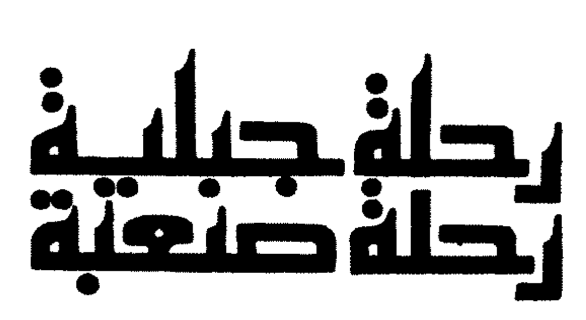
٦ ـ تفترض الدولة الكبرى أن منافستها الدولة الكبرى الأخرى تسحب خيوط الشرق الأوسط وتصطاد بالماء العكر ـ هذا الافتراض هو سمة شائعة في القرنين الماضيين من المسألة الشرقية

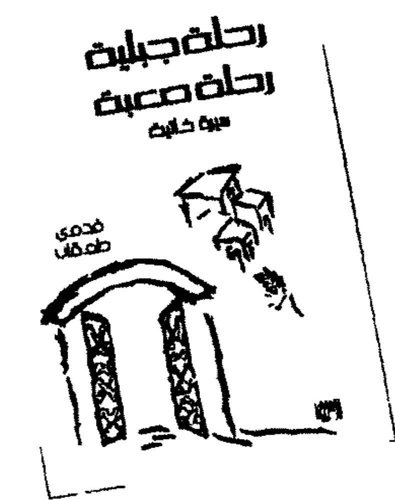
٧ ـ أهل الشرق الأوسط يربطون التطورات السياسية الرئيسية ضمن المنطقة بأعمال مفترضة وراء الستار ، تقوم بها دولة كبرى ، مثل هذه العقلية يبدو أنها سادت منذ أن أصبح نظام المسألة الشرقية مؤسسة دولية

« الحروب العربية الاسرائيلية الأربع ـ حرب ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ كلها أوقفت



من المكتبة العربية





سيرة فدوى طوقان الذاتية

عرض : جمال وردة

السيرة الذاتية لماذا ؟ هل هي تزاويق وزخارف تجميلية لترميم صورة قديمة ؟ أم نزهة فكرية جديدة فيها بوح ومكاشفة ؟ إن الغوص في أعماق الفنان ضرورة نقدية لكشف الحقيقة ، وإن قام الفنان نفسه بهذه الرحلة أمكن البوح بحقائق أكثر

السيرة الذاتيه باب لم يطرق كثيرا في أدبنا العربي ، فمنذ « أيام » طه حسين و « زهرة العمر » لتوفيق الحكيم لم تشهد الساحة الأدبيه العربيه الكثير في هذا المضمار الابداعي الى أن جاءت ـ حديثا ـ رحلة فدوى طوقان الصعبة المريرة ، فكانت هذه المكاشفة الجريئة ، والطرح العميق لعلائق وقضايا انسانية واجتماعية يعاني منها مجتمعنا العربي الكبير إن المرأة العربية كانت تطرح هذه الهموم بالرمز أو التلميح لكن شاعرتنا فدوى طوقان جاءت بكل جرأة لتفتح كل النوافذ المغلقه بصدق الكلمة يقال إن الكتابة عن فنان مبدع قد تفتح نافذة واحدة على ذاته ، لكن حين يكتب الفنان عن نفسه فإنه يفتح أبوابا قيمة هذه السيرة الذاتية لشاعرتنا أنها تجاوزت حدود المذكرات الخاصة ، لتعبر بأصالة عن قصية جيل كامل في تاريخ المرأة العربية ، وهذه المذكرات رغم خصوصيتها أشبه بوثيقة اجتماعية عن هموم المرأة العربيه ، وصرخة مكتومة فجرتها فدوى طوقان في وجه تاريخنا العربي المعاصر

الصفراء والخفر :

لقد ظلت شاعرتنا طوال عمرها الأدبي تحس بانكماش ونفور من الاجابة عن الأسئلة التي توجه اليها عن حياتها ، وكانت ترجع ذلك الى عدم رضاها عن حياتها ، فشجرة حياتها ـ كما تقول ـ لم تثمر الا القليل ، لكنها رغم ذلك لم تخل من عنف الكفاح ، وإن الكفاح من أجل تحقيق الذات يعطي للحياة معنى وقيمة لقد خرجت شاعرتنا من ظلمات المجهول الى عالم غير مستعد لتقبلها ، فقد حاولت أمها التخلص منها في الشهور الأولى من حملها ، لأنها كانت تلد كل

عامين مولودا جديدا ، ويوم وصعت ابها البكر كانت لم تتم الخامسة عشرة من عمرها ، واستمرت تعطي علتها من بين وبنات بانتظام حتى بلغ عددهم عشرة لكن المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، عند والد فدوى الذي كان يطمع بصبي خامس فولدت شاعرتنا وخاب توقعه حتى تاريخ ميلادها ضاع طي السنين ، لكن المرجح أنه كان في عام ١٩١٧

لم تكن طفلة مدللة ولم تكن والدتها متفرغة لها ولا متوددة إليها ، فقد سلمتها الى صبية كانت تعمل في المنزل اسمها « السمرة » لتقوم برعايتها ، واكتفت الأم بوظيفة الارضاع ، ولم تكن تلبس ملابس « جاهزة » ، ولم تكن تذهب الى الخياط ليصنع لها ملابسها ، فقد كانت أمها تخيطها بنفسها ، وكانت بنيتها عليلة منهكة بحمى الملاريا التي رافقت سني طفولتها ، وجعلت شحوبها مصدرا لتندر عائلتها ، وكانت كما يفعل الكبار في ليلة القدر ترفع وجهها إلى السماء ضارعة الى الله أن يجعل لخديها لونا جميلا حتى يكفوا عن تسميتها « بالصفراء » ، تلك التسمية التي كانت تجرح إحساسها كان الناس في فلسطين - كغيرها من الأقطار العربية - يربطون السعد أو النحس بالمولود الجديد ، وقد تم بعد مولد شاعرتنا أن أبعد الانجليز أباها إلى مصر منفيا عن عائلته ووطنه

عن اصول أسرتها تقول فدوى طوقان « إن أجداد العائلة منذ خمسة قرون كانوا يقيمون في الباديه بين حمص وحماة ، حيث ما يزال هناك التل المعروف باسم « تل طوقان » ، وكانوا قد انخرطوا بعد الفتح العثماني بجيش الانكشارية ، ثم استقر الجد الأكبر للعائلة في مدينة نابلس ، فقد كان من رجال الجيش الانكشاري ، وهو الجد الذي عمر البيت الكبير الذى توارثوه جيلا بعد جيل ، هذا البيت الذي يذكرك بقصور الحريم والحرمان في هذا البيت وبين جدرانه العالية التي تحجب كل العالم الخارجي عن الحريم انسحقت طفولة شاعرتنا ، عاشت فيه جزءا من شبابها ، فالجو العائلي - كما في كل بيت يسيطر عليه الرجل - يجعل الضحك والغناء من المحرمات ، والتعبير عن النفس قضية محظورة ، والاستقلال الشخصي مفهوم غائب لا حضور له

لم يكن في نابلس في ذلك الوقت أكثر من مدرستين للبنات ، هما « الفاطمية » و « العائشية » ، وكان أعلى صف في احداهما هو الخامس الابتدائي . في المدرسة الفاطمية أمضت فدوى طوقان السنوات الثلاث الأولى ، ثم نقلت مع صفها إلى المدرسة العائشية ثم جاء سن البلوغ ودهشة الحب الأول كان شابا في السادسة عشرة من عمره لكن لم تتجاوز علاقته بها حدود متابعته اليومية لها في ذهابها وإيابها الى المدرسة فقد كانت الطاعة من أبرز صفاتها لأن جوانحها مسكونة دائما بالخوف ، لهذا كان التواصل الوحيد الذي جرى لها مع ذلك الشاب هو زهرة فل ركض بها إليها ذات يوم وهي في طريقها الى بيت خالتها ، ثم حلت اللعنة التي تضع النهايه لكل الأشياء الجميلة في حياتنا ، فقد كان هناك من يراقبها ويتتبع أخبارها لهذا صدر الحكم عليها بالاقامة الجبرية في البيت حتى الممات وبعدها قبعت شاعرتنا داخل هذه الحدود الجغرافية المحددة ذاهلة مفجوعة مغلوبة على أمرها ، لا تكاد تصدق ما حدث ، لقد كان أشد ما عانته هو حرمانها من الذهاب إلى المدرسه ، وانقطاعها عن التعليم

وفكرت فرأت أن الانتحار هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن تحصل به على حريتها المسلوبة ، لكنها كانت تخاف الموت ، ثم تعودت الانكفاء على النفس ، والغياب داخل الذات ، حتى جرفها هذا الاضطهاد النفسي الى حاله غريبه من اللاحضور والتشيئه

ما فعله ابراهيم :

في عام ١٩٢٩ عاد أخوها ابراهيم من بيروت يحمل شهادته من الجامعة الأمريكية ، واستقر في نابلس معلما في مدرسة النجاح الوطنية ، ومع وجه ابراهيم أشرق وجه جديد على حياتها ، فقد كان الوحيد الذي ملأ الفراغ النفسي الذي عانته في طفولتها ، ومع افاقة ابراهيم بدأ سمر جديد في حياتها ، لقد أصبحت تشرف على خدمته وتهيئة شئونه ، وكان ابراهيم على غير عادة رجال الأسرة ، يجلس مع شقيقاته ، ويبادلهن الحديث ، ويروي لهن الطرائف الادبية ، والتاريخية ، لقد كان بالنسبة لهم ينبوع الحب والحنان

كان لفدوى طوقان ميل فطري للشعر منذ

طفولتها ، فقد بدأت بحفظه وإنشاده ، ثم جاء الوقت للتعبير عن شيء ما ، فكانت محاولاتها الأولى لكتابة الشعر ، وقد أخذ أخوها ابراهيم يشجعها ، ويختار لها الكتب المناسبة ، والقصائد العربية القديمة لتحفظها وتدرسها . فوجدت في الانكباب على الدراسة عالم الخلاص بالنسبة لها ، وأصبحت مستغرقة في عملية خلق نفسي جديد ، ورغم أنها كانت ما تزال تحت الحكم بالاقامة الجبرية الا أن الدراسة وحفظ آلاف الأبيات من الشعر العربي القديم قد عمل نفسها من عراناتها ، ومن مشاعر الشفقة على ذاتها ، وفي السنوات من ١٩٣٠ الى ١٩٤٠ تعرفت تماما على الأدب العربي ، قديمه وحديثه ، ثم بدأت تنشر قصائدها في المجلات الأدبية في بيروت والقاهرة ، وكانت تبعث بقصائدها العربية موقعة باسم « دنانير » لتنشر في مجلة « الأمالي » لصاحبها عمر فروخ ، وفي مجلة « الرسالة » القاهرية .

ثم بدأت شاعرتنا تحس أن الديباجة (الكلاسيكية) والاهتمام الزائد بالكلمة ورسمها سقف حائلا دون الحركة والتدفق الشعري العفوي الصادق ، لقد كانت تشعر ان هناك شيئا يكبل هذا الجيشان العاطفي المتدفق في داخلها ، ويحول دون جريان التيار النفسي في قصيدتها بهدوء ويسر ، إلى أن اهتدت الى مقالات الناقد محمد مندور التي كان ينشرها في مجلة « الثقافة » المصرية ، وهي عبارة عن دراسة نقدية مطولة حول ما يسمى بظاهرة الأدب المهموس ، تناول فيها ادب المهجر بشقيه (الشعر والنثر) . وجدت فدوى طوقان أن شعر أولئك الشعراء المهجريين أقرب الى تكوينها النفسي والذهني ، كما اكتشفت في تلك الفترة شعراء مدرسة « أبولو » كابراهيم ناجي والشابي والتيجاني وعلي محمود طه ، فأدارت ظهرها للديباجة العباسية في القصيدة وأخذت تستلهم في قصائدها الجديدة البساطة والليونة والصياغة الخالية من التكلف .

فصاحة شرقية :

في عام ١٩٣٩ جاءت لها الفرصة لتتعلم اللغة الانجليزية بأخذ دروس خصوصية لدى فتاة مسيحية كانت قد تخرجت حديثا في مدرسة « الفريندز » في رام الله ، لكن قرار الحرمان تجدد صدوره . لقد كان هذا الموقف عجيبا من جماعة متمدينة نوعا ما ـ يرتدون الزي الأوروبي ويأكلون بالشوكة والسكين ويقعون في الحب ثم يقفون بالمرصاد كلما حاولت إحداهن تحقيق إنسانيتها ـ لقد كانوا يمثلون جمود الانسان العربي وعجزه عن الاحتفاظ بشخصية واحدة غير مشطورة . لقد ظلوا يمثلون انقسام الشخصية العربية الى شطرين ، نصف مع التطور ومسايرة الحياة المعاصرة ، ونصف مشلول مسكون بالأنانية المترسبة في أعماق الرجل العربي بكل ما فيها من عنجهية شرقية .

والتحقت بمدرسة مسائية لتعليم اللغة الانجليزية في جمعية الشبان المسيحية بالقدس ، كما أخذت تشارك ببعض البرامج الاذاعية كالأحاديث والتمثيليات ، وتساهم بالانشاد مع فرقة الأناشيد في الاذاعة ، وتأليف عدد من الأناشيد التي لحنت وأذيعت ضمن البرامج . لقد كانت سعيدة فرحة بعالمها الجديد ، وبعدها عن نظام الأسرة الصارم ، والى جانب ذلك كله كانت هناك المكتبات العامرة بالكتب ، وهناك الحفلات العامة ، وسهرات الأدب والفن ، فالمجتمع المحيط بها مجتمع متحرر ، تتمتع فيه المرأة الجديدة بشخصيتها وسلوكها الطبيعي ، حيث رفع الحجاب الحاجز بين الجنسين ، وأتاح للمرأة الشابة قسطا من التعليم .

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية ، وفرضت الرقابة على وسائل الاعلام ، وأقيل ابراهيم طوقان من مصلحة الاذاعة الفلسطينية ، وغادر الوطن الى العراق ليعمل هناك ، ولم تمض شهور حتى عاد الى نابلس مريضا ثم مات .

لقد ظلت علاقة فدوى بأخيها مصدر كتابة باطنية ، رافقت تعلقها به طوال حياته القصيرة ، ومازالت حتى اليوم تحتفظ بأشياء صغيرة كان يملكها مثل مفكرة جيب صغيرة ، ورباط عنق ، ومشط صغير ، ودفتر عناوين ، لقد بقيت العلاقة حية بين الموت والحياة ، وكما يقول ثورنتون وايلدر « للأموات أرض وللأحياء أرض ولا يصل بينهما إلا الحب » .

لم تكن تحمل لأبيها عاطفة قوية ، بل ظل شعورها أقرب الى الحيادية في الاحساس ، فهي لم تبغضه ،

لكنها لم تحبه ، بل لم يكن له أي حضور وجداني في نفسها الا حين كان يمرض أو يسجن أو يبعد لأسباب سياسية ، وحين انتقل الى العالم الآخر حاولت - شاعرتنا - أن ترثيه ففشلت ، بعد فترة من الزمن كتبت قصيدتها « حياة » التي تظهر فيها حقيقة احساسها بفقدان والدها ، وقد كان احساسا حادا الى مدى بعيد - مات والدها في ضجة السقوط والنكبة عام ١٩٤٨ م ، وآلاف اللاجئين ينزحون الى نابلس ، حتى اكتظت بهم الدور والمساجد والمدارس ، ومع هذا الحدث المأساوي الوطني انفكت عقدة لسانها ، وراحت تكتب الشعر الوطني الذي طالما تمنى أبوها أن يراها تتفرغ له ، تسد الفراغ الذي خلفه ابراهيم بعد أن أوقفت يد القدر نتاجه في هذا الباب .

مع السقوط الوطني سقط الحجاب عن وجه المرأة النابلسية ، فقد حان الوقت للمشاركة والخروج من الشرنقة ، ومع هبوب رياح التغيير والثورات خرج الشعر من بروج الترف ليواكب مسيرة الجماهير ، وأصبحت قضية الشاعر جماعية بعيدة عن الفردية ،

وبدأ الفكر الاشتراكي والثقافي يتوغل في ضمير الشعب العربي ، موجها كفاح الانسان ضد المفاهيم التقليدية ، وجاء ذلك السطوع الباهر للثورة الناصرية لتفجر في الجماهير ينابيع القوة ، وليبدأ عصب الحياة بالنبض مرة أخرى . في تلك الفترة بالذات - بين عامي ١٩٥٦ - ١٩٥٧ - أسس الدكتور وليد قمحاوي النادي الثقافي المختلط في نابلس ،

لكي يسد فراغا ثقافيا واجتماعيا كان يهيمن على المدينة ، وكانت شاعرتنا واحدة من أعضاء هذا النادي وهي المرة الأولى التي تنخرط فيها مع الجماعة .

الخروج من الشرنقة :

استطاع النادي الثقافي نابلس أن يقوم بتحقيق بعض أهدافه من حيث النشاطات الفكرية والاجتماعية ، ولكن لم يلبث أن أغلقت الحكومة - آنذاك - أبوابه ، بسبب نشاطه السياسي - كما **قالت** الحكومة في تبريرها - ثم أقيلت حكومة النابلسي في العاشر من نيسان ١٩٥٧ لتأتي حكومة ابراهيم هاشم معلنة الأحكام العرفية ، وإلغاء الأحزاب وفرض منع التجول ، ثم حدثت حركة الاعتقالات المباغتة لكافة الشخصيات التقدمية في البلاد . وعن هذه الفترة الحرجة تروي لنا شاعرتنا كيف استطاعت أن تساعد على اختفاء أحد الزعماء السياسيين المطاردين المطلوبين للسلطة وتؤويه في بيتها العائلي لمدة قاربت الأسبوعين ، ومن ثم تهريبه الى دمشق ، وقد كانت سعيدة جدا بهذه التجربة الجديدة عليها ، وحريصة على انجاحها مهما كلف الأمر .

تلك الشخصية السياسية التي ساعدتها شاعرتنا لم تكن الا شخصية الدكتور عبدالرحمن شقير ، القطب السياسي التقدمي المعروف في الأردن . في تلك الفترة أيضا ومن خلال صديقتها الدكتورة ياسمين زهران التي كان بيتها في رام الله ملتقى للمثقفين تعرفت فدوى طوقان على الشاعر الشهيد كمال ناصر

كان كمال ناصر مختبئا أيضا عن عيون السلطة ، يبعث من مخبئه السري بقصائده التي كانت تنشر أسبوعيا ، وعندما كان كمال يشكو ألما حادا في أسنانه استطاعت فدوى طوقان أن تصل الى مخبئه ، وتغامر باصطحابه الى طبيب الأسنان برهان عبدالهادي ، لقد اكتشفت شاعرتنا في تلك الأيام الحاسمة القليلة التي أمضتها مع الدكتور عبدالرحمن شقير ، وكمال ناصر ، الفرق بين إحساس الانسان وتفكيره وهو يعمل منفردا ، واحساسه بالعمل الجماعي ، فلقد أسعدها الشعور الجماعي المشترك ، لكنها رغم ذلك بقيت بعيدة عن الالتزام الحزبي أو التنظيم السياسي ، لقد ظلت شاعرتنا فريسة لتشابك صعب بين مشاعر « الأنا » ، وبين إدراكها التام لما في شعرها من نقص نابع أساسا من قضية الالتزام السياسي ، وبقيت تتساءل في حوار مع النفس . هل من الممكن أن يتجرد الانسان الشاعر من ذاتيته الى درجة الذوبان ؟ ثم لماذا يساق الشعراء جميعا بهذه العصا الواحدة (عصا السياسة) بينما جوانب الحياة كبيرة ومتعددة ؟

هكذا ظلت شاعرتنا تفلسف حالتها الشعرية الخاصة ، وبقيت تجربتها أسيرة للحالات العاطفية والذاتية ، ولم تصل الى الوجدان الجماعي والالتصاق به الا بعد حرب حزيران ١٩٦٧ م . □



مكتبة العربي

مختارات

الكتاب همسات في الغربة
المؤلف اسكندر عودة
الناشر دار حلقة الأحبار للطباعة والنشر ـ لوس انجلوس ـ كاليفورنيا
عدد الصفحات ١٨٨ من القطع الصغير

مؤلف الكتاب هو اسكندر عوده أو اليكس عودة ، الذى قتل عام ١٩٨٥ بحادث تفجير المقر الاقليمي للجمعيه العربيه الأمريكيه لمكافحه التمييز التى تكافح تشويه الصوره العربية في أمريكا

والكتاب مجموعة من الخواطر والمقالات التى كتبها الفقيد في مناسبات متعدده ، ثم جمعها ليضمها هذا الكتاب الذى قد لا تكون قيمه الأدبية كبيرة ، لكنه مع ذلك إسهام جيد من مغترب عربي ، لم تحرفه أحلام الغربة ، ولم تفلح في صرفه عن قضيته التي دفع حياته ثمنا للدفاع عنها

الكتاب حرب الثمانين يوما في الشعر « الاسرائيلي »
المؤلف خليل السواحري
الناشر دار الكرمل للنشر والتوزيع ـ عمان
عدد الصفحات ٧٤ من القطع المتوسط

ضم هذا الكتاب مجموع المقالات التي نشرها الكاتب في الصحف الأردنية أثناء الغزو « الاسرائيلي » لبيروت عام ١٩٨٢ في هذه المقالات تتبع القاص والناقد الفلسطيني خليل سواحري ـ بما له من معرفة وخبرة في قضايا الأدب « الاسرائيلي » عموما ـ الاثار التي أحدثها الغزو واجتياح بيروت في كتابات الشعراء « الاسرائيليين » ، سواء كانوا مؤيدين لهذا الغزو ، أو مهاجمين له ، وداعين إلى وقفه لهذا وضع المؤلف لكتابه عنوان « الشعر الاسرائيلي » وليس « الصهيوني » ليتضمن شعر المؤيدين للصهيونية والمعادين لها داخل الكيان « الاسرائيلى » ، وقد أورد المؤلف في نهاية كتابه بعض نماذج الشعر الذى قام بدراسته في الكتاب

الكتاب علم النفس العسكري
المؤلف د فخري الدباغ ، و د قيس عبدالفتاح مهدي
الناشر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ـ جامعة بغداد
عدد الصفحات ٣٦٤ صفحة

تشعبت بحوث علم النفس ، وتوزعت على أكثر من مجال ، منها على سبيل المثال علم النفس العسكري ، وهو أحد الفروع التطبيقية لعلم النفس ، ويذكر المؤلفان أن هذا العلم يتناول المؤسسة العسكرية ، سواء كان ذلك أيام السلم أو أيام الحرب ، ويهتم بدراسة مشكلات مختلفة تتعلق باختيار الأفراد ، وتطوير منظومة الأسلحة ، وتفسير الشواهد والظواهر والمتغيرات والسمات المميزة في المجتمع ، وغيرها

الكتاب الأدب والايديولوجية
المؤلف عمار بلحسن
الناشر المؤسسة الوطنية الجزائرية للكتاب
عدد الصفحات ١٤٢ صفحة

مشروع هذا الكتاب طموح جدا ، يهدف إلى نقد الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية ، ويمتد إلى

كثير من الكتابات الفكرية والنظرية ، ليخلص إلى نتيجة أساسية مؤداها غياب شبه كامل لأدوات التحليل العلمية ، وللمصطلحات الواضحة . يقول عمار بلحسن في هذا السياق:إن الدراسات التي تعتمد على مناهج التحليل العلمية المعاصرة ـ مثل السيكولوجيا والبنيوية والمادية التاريخية ـ تعد على أصابع اليد الواحدة ، لذلك فإن أزمة الثقافة الجزائرية ـ برأيه ـ تعود إلى ذلك الفقر النظري ، وإلى ذلك التأخر ، وذلك الخلط بين المناهج ، مما يعيق بناء صرح علمي متناسق ، يجمع بين التراث الثقافي العربي وبين مكتسبات العلم المعاصر ، ومن هذا المنظور يطرح الكاتب مسألة العلاقة بين الأدب والايديولوجيا ، على الأخص علاقة الرواية بالايديولوجيا من خلال نماذج محددة لأدباء وروائيين جزائريين وعالميين

الكتاب : الأدب الالخميادو ، الموريسكي .
المؤلف : مجموعة من الباحثين .
الناشر : مركز البحوث في علوم المكتبات والمعلومات ، المغرب .
عدد الصفحات : ٢٢٧ صفحة .

موضوع هذا الكتاب طريف ، لأنه يبحث في تاريخ العرب الذين بقوا في اسبانيا بعد زوال الدولة العربية منها ، وهؤلاء يسمون (الموريسكيين) ، وهم رغم انتمائهم إلى المجتمع الاسباني ، ومحاولات تغيير أسمائهم ، وتنصيرهم ، فإن هويتهم (العميقة) ظلت عربية إسلامية ، وبقي أدبهم يمثل تعبيرا حيا عن أقلية دينية ، ورثت إشعاع الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس ، وظلت تقيم في شبه الجزيرة الايبرية إلى أن تم طردها نهائيا في القرن السابع عشر .

تبحث الدراسات المنشورة في هذا الكتاب ـ وهي في الأصل أوراق مقدمة إلى المؤتمر الأول للجنة العالمية للدراسات الموريسكية الأندلسية ـ في أدب هؤلاء العرب المكتوب باللغة الاسبانية الذي يشكل وثيقة هامة عن حياتهم وتاريخهم ومعاناتهم في مجتمع مناهض .

* *

الكتاب : الاقتصاد الكويتي
المؤلف : محمد سلمان غانم .
الناشر : معهد الثقافة العمالية ـ الاتحاد العام لعمال الكويت .
عدد الصفحات : ٢١٢ صفحة .

اختلفت الاجتهادات حول أسباب الظواهر الاقتصادية التي برزت بداية الثمانينات في الكويت ومنطقة الخليج العربي ، وقد وجد من اجتهد وأعاد الأمر إلى خلل عارض ، في حين وجد من قدم اجتهادا آخر ، أعاد الأمر فيه إلى خلل في البنية الاقتصادية في الأساس ، وطرح اجتهاد ثالث جعل من الظروف الخارجية الركن الأساسي في هذا الأمر .

الكتاب الذي بين أيدينا يجتهد في تشخيص وتحليل كثير مما يتعلق بالظواهر الاقتصادية ، وعلاقاتها بالسياسات الأخرى .

الكتاب : إمارة الزبير بين هجرتين
المؤلف : عبدالرزاق عبدالمحسن الصانع ، وعبدالعزيز عمر العلي .
الناشر : المؤلفان .
عدد الصفحات : ٣٦٨ .

يتناول الكتاب تاريخ الزبير ، منذ الهجرة الأولى إليها التي نزحت فيها عوائل من منطقة نجد (سدير والقصيم والشمال والجنوب والدواسر) ، حتى الهجرة المعاكسة منها إلى المملكة العربية السعودية .

تقع بلدة الزبير في أقصى الجنوب الغربي من القطر العراقي ، أي في المنطقة المحصورة بين البصرة وصحراء شبه الجزيرة العربية ، وقد كانت الزبير نقطة التقاء للقوافل التجارية الصادرة والواردة .

يتناول الكتاب تاريخ الزبير وتأسيسها ، وعلاقتها بالكيانات الاجتماعية والسياسية المجاورة لها في ذلك التاريخ ، والعائلات التي استقرت بها ، ووصفا تاريخيا وجغرافيا لها ، ثم يتناول سياسة الحكم والعلاقات الخارجية ، ثم أمراءها وتاريخهم ، كما يضم الكتاب عددا من الوثائق والصور التاريخية لتلك المرحلة . □

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٣٩
فبراير ١٩٨٧

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ ديناراً
الجائزة الثانية ٣٠ ديناراً
الجائزة الثالثة ٢٠ ديناراً
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي :
مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الرمز البريدي 13008 الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٣٩ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ مارس ١٩٨٧ .

١ـ من المعروف أن القارات الخمس ليست ثابتة في مكانها ، فهي تتقارب حسب رأي بعض العلماء ، أو تتباعد حسب رأي أكثرهم . . ترى ماهي مسافة ابتعادها (أو اقترابها) بعضها عن بعض في السنة الواحدة . . . ؟

* ٢ سنتيمترين .
* ٢ مليمترين .
* ٢ مترين .

٢ـ ما الفرق بين القار والزفت والقطران . . . . ؟

٣ـ عطارد هو أقرب الكواكب من الشمس يليه كوكب الزهرة . . ترى أي الكوكبين أشد حرارة من الآخر . . . ولماذا . . . ؟

* عطارد فهو أقرب الى الشمس .
* الكوكبان حرارتهما متساوية تقريبا . . وذلك نظرا لتفاوت سرعتهما في الدوران حول الشمس .
* الزهرة هي الأشد حرارة . . ويعزي ذلك الى غلافها الجوي (ثاني أكسيد الكربون) الذي يحتفظ بحرارة الشمس فيضاعفها .

٤ـ استعمل كلا من الفعلين التاليين في جملة مفيدة . . لها (يلهو) ، ولهى (يلهى) . . .

٥ـ حدائق بابل المعلقة وأهرامات الجيزة ومنارة الاسكندرية وبرج بيزا المائل . . كلها منسجمة ماخلا واحدا . . فأيها الناشز ؟

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٣٩



٦ـ لو نظرت الى السماء في ليلة صافية . . فما **هو أكبر عدد من النجوم تستطيع أن ترى بالعين المجردة . . . ؟**

* ٤٠٠٠ نجم .
* ٤٠,٠٠٠ نجم .
* ٤٠٠,٠٠٠ نجم .

٧ـ يتضاءل جبل افرست لو قورن بجبل اوليمبوس من حيث الارتفاع . . اذ يبلغ علو هذا الجبل ٣ أصعاف علو افرست . . . **فأين يقع جبل اوليمبوس هذا ؟**

* على سطح كوكب الزهرة .
* على سطح القمر .



* يقع جبل اوليمبوس على سطح كوكب المريخ .

٨ـ ثمة جزر في أقصى الجنوب من أمريكا الجنوبية تسمى أرض النار أو (تيرا دل فوجو) وهو اسم خاطىء ومضلل . . فطقسها بارد جدا ، وكان الأجدر أن تسمى ارض البرد والصقيع . . **ترى من الذي سماها . . ولماذا ؟**

٩ـ ما هو الارتفاع الأقصى الذي تستطيع بلوغه الطيور في تحليقها . . ؟

* حوالي ٥٠٠٠ قدم .
* حوالي ٣٠.٠٠٠ قدم .
* حوالي ١٠.٠٠٠ قدم .

١٠ـ من القائل وما المقصود ؟ :

وما ضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الأكثرين قليل

١١ـ ثمر الخبز وخبز الغراب . .
أيها أشبه بالخبز الذي نأكل . . ؟

١٢ـ أي المأكولات التالية هي الأغنى بالحديد . . . ؟

* السبانخ .
* الزهرة (القرنبيط) .
* لحم الكبد .

حل مسابقة العدد ٣٣٦

١ ـ قصدوا التشبيه بين ذلك الحديث (حديث خرافة) وبين حديث رجل من بني عذرة اسمه خرافة ادعى مصاحبة الجن ، واكثر من الحديث عن أعاجيبهم

٢ ـ سطح العالم هو بلاد التبت الواقعة في أواسط اسيا بمحاذاة جبال هملايا،ولهاسا هي عاصمة التبت أما وصفها بسطح العالم فمرده الى ارتفاعها عن سطح البحر الذي يبلغ بالمتوسط ٤٠٠٠ ـ ٤٥٠٠ متر

٣ ـ ينتهي الغلاف الجوي ويبدأ الفضاء على ارتفاع ١٦٠ كيلومترا على وجه التقريب

٤ ـ الملك فرديناند الثالث ملك بوهيميا والمجر هو الذي اخترع أول ميزان حرارة في التاريخ وكان ذلك في القرن السابع عشر ، وقبل اختراع ميزان فهرنهايت وسلسيوس بعشرات السنين والمرجو ألا يكون أحد قد أخطأ في الرد على هذا السؤال وقد تضمن نصه الجواب الصحيح

٥ ـ لفظ حرِّيف (بكسر الراء) يعني أن الشيء ذو حرافة أو طعم يلذع اللسان

٦ ـ نعم فالمحيطات تحتوي مياهها على مقادير كبيرة من الذهب ، تقدر بحوالى ١٨٠ ضعف ما استخرج من مناجمه على اليابسة أو مايعادل ٩ ملايين طن

٧ ـ اقدام الرشقة هي الأقدام الصغيرة التي عدت لأهل الصين ـ في وقت مضى ـ ـ شرطا من شروط الجمال في المرأة وقد عمدوا الى تقييد قدمي الطفلة بقوالب صلبة تحول دون نمو هذين القدمين على أن هذا التقليد الذي ظهر في القرن التاسع الميلادي لم يلبث أن ألغي وقد أبطلته حكومة الصين في أواسط القرن العشرين

٨ ـ الجامعة المتخصصة في تعليم الصم هي كلية جالودث الموجودة في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية وتوماس جالودث هو الذي أسس تلك الكلية سنة ١٨٥٧

٩ ـ تيماء بلدة تقع بين الحجاز والشام وفيها حصن طالما تمثل العرب بمناعته ويقال ان سليمان بناه بالحجارة والكلس

١٠ ـ يقدر نمو شعر الانسان بحوالى نصف بوصة في الشهر الواحد

١١ ـ أخطأ الأخ بقوله ٦٠ ثانية والصواب هو ٦٦ ثانية

١٢ ـ المُلس (بضم الميم) هو الفصح الثرثار ، والألس هو الفصيح البليغ

الفائزون في مسابقة العدد ٣٣٦ نوفمبر ١٩٨٦

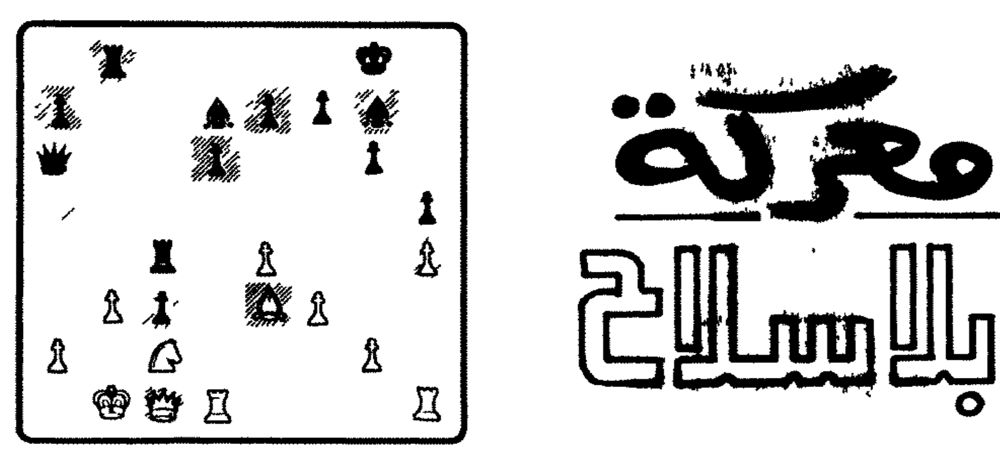
الجائزة الأولى الدكتورة سلوى جرجس لبيب / مصر الجديدة / القاهرة ـ جمهورية مصر العربية

الجائزة الثانية عبد القادر علي النعيم / الخرطوم ـ السودان

الجائزة الثالثة سمير عبد الرحيم خليل / الصفاة ـ الكويت

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ السيد حسن الفقيه رمضان / نهج ريلة بالمهدية / تونس
٢ ـ كنج محمد المدني / المكتبة الإسلامية ـ كيرلا
٣ ـ ثريا العسري / المديرية الإقليمية للتجهيز / الناظور / المملكة المغربية
٤ ـ عصام محمد الأعور / تبوك ـ المملكة العربية السعودية
٥ ـ فتحي الصادق محمد رحوبة / طرابلس الغرب ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
٦ ـ عبد الهادي السمكري / دمشق ـ الجمهورية العربية السورية
٧ ـ يوسف حينو / برج البراجنة / بيروت ـ لبنان
٨ ـ صلاح الياس / الجزائر



بطولة عربية واعدة

من الأبطال العرب الشباب الذين برزوا في السنوات الأخيرة وحققوا نتائج مشرفة لبلدهم ووطنهم العربي في المحافل الدولية ، اللاعب السوري الشاب عماد بديع حقي البالغ من العمر ٢٩ عاماً . وهو يحمل لقب استاذ اتحادي ويتمتع هذا اللاعب العربي الشاب بامكانات ضخمة ، وطموح كبير ، يؤهلانه لمزيد من العطاء على الساحتين العربية والدولية ، وله دراسات شطرنجية جادة نالت استحسان العديد من كبار أساتذة الشطرنج .

فاز هذا اللاعب المرموق ببطولة القطر العربي السوري في عام ١٩٧٨ وفي عام ١٩٨٤ ، وقد فاز بالمركز الرابع بين أبطال العالم العربي في الشطرنج عام ١٩٨٤ ومن أحدث انتصاراته في المحافل الدولية فوزه بميدالية المركز الثالث في بطولة القارة الاسيوية التي أقيمت في الأمارات العربية المتحدة عام ١٩٨٦ .

ومن النتائج المشرفة التي حققها لبلاده فوز فريقه في اولمبياد مالطا ١٩٨٠ حيث احتل الفريق السوري المرتبة الأولى بين الدول العربية ، والمرتبة الثانية بين الدول الأسيوية ، بفارق عشرين مركزا دولياً بينه وبين الفريق العربي الذي يليه ، وقد لعب على الرقعة الثانية وحصل على مجموع قدره ٧,٥ نقطة من ١٣ نقطة .

والدور التالي من الدفاع الصقلي « تصريعة الدراحون » من الأدوار الجيدة التي لعبها في الاولمبياد المذكور ، أمام الاستاذ الدولي السوريلندي سارابيو الذي حمل بطولة بلاده لمدة خمسة عشر عاماً

□ سارابيو :	■ عماد حقي :
١ ـ هـ ٤	حـ ٥
٢ ـ ح ـ و٣	د ٦
٣ ـ د٤	حـ×د٤
٤ ـ ح×د٤	ح ـ و٦
٥ ـ ح ـ جـ٣	ز٦
٦ ـ ف ـ هـ٣	ف ـ ر٧
٧ ـ و٣	ح ـ جـ٦
٨ ـ و ـ د٢	ت
٩ ـ ف ـ جـ٤	ف ـ د٧
١٠ ـ ت ت	ر ـ جـ٨
١١ ـ ف ـ ب٣	ح ـ هـ٥
١٢ ـ حـ ٤	حـ ٥

للحد من خطورة الهجوم الوشيك

الفائزون في حل مسابقة الشطرنج

العدد ٣٣٦ نوفمبر ١٩٨٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١ ـ د أحمد نعمان ـ أسيوط/ ج م ع
٢ ـ شفيق الخصر ـ جدة/ السعودية
٣ ـ حسن سابل ـ أم درمان/ السودان
٤ ـ عمرو امام ـ حليب التيبوح/ الكويت
٥ ـ نبيه بدور ـ بيروت/ لبنان

الفائزون باشتراك ستة أشهر

١ ـ بدر حضير ـ عجمان/ الامارات
٢ ـ وئام هزيم ـ صافيتا/ سوريا
٣ ـ طاهر الموسى ـ طرابلس/ ليبيا
٤ ـ هنادي الرمحي ـ قطر
٥ ـ سهيل الياس ـ عمان/ الاردن

---

١٣ ـ ف ـ ر٥	ر ـ ح٥
١٤ ـ م ـ ب١	ب ٥
١٥ ـ ح ـ د٥	ح ×د٥
١٦ ـ ف× د٥	ح ـ حـ ٤
١٧ ـ و ـ حـ ١	و ـ ب٦ ! (رائعة)

مهددا ر×د ٥ ومن ثمّ الفوز بالحصان

١٨ ـ حـ ٣	ب٤ !(رائعه)
١٩ ـ ح ـ حـ٢	ب ×حـ٣
٢٠ ـ ف ×حـ٤	ر ×حـ٤
٢١ ـ ب ٣	ر ـ ب٨
٢٢ ـ ف ـ هـ٣	و ـأ٦(الشكل)

لو أقدم الأبيض على أحد ٨هـ ٧ بالفيل في النقلة ٢٢ لوقع في فخ مميت

٢٣ ـ ف ـ د٤	ر ـ أ٤
٢٤ ـ و ـ هـ٣	ر ×أ٢
٢٥ ـ و × ح٣	و ـ أ٤
٢٦ ـ ر ـ د٣	ف ـ هـ٦
٢٧ ـ ح ـ أ١	ف × د٤
٢٨ ـ ر × د٤	ر × أ١+
٢٩ ـ و × أ١	و × ب٣+
٣٠ ـ م ـ حـ ١	ر ـ حـ ٨+
٣١ ـ م ـ د٢	ر ـ حـ ٢+
٣٢ ـ يستسلم	

مسألة العدد رقم ٣٣٩

فبراير ١٩٨٧

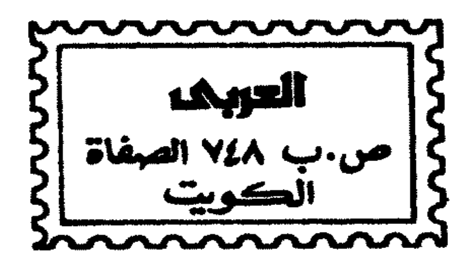
مات ٢

مهداة من القاريء د يوسف حسن

حل مسألة العدد ٣٣٧

(ديسمبر ١٩٨٦)

الحل ر ـ جـ ٧ فلو أخذ الأسود البيدق بالرخ لخسر الحصان ولو أخذ الرخ لأخذه الحصان ، وحمى البيدق السالك



على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

نحو تنمية الذكاء :

● طلعت علينا مجلة (العربي) كعادتها بموضوع شيق في عدد سبتمبر ١٩٨٦ هو « أول وزير للذكاء في العالم » ، بقلم الدكتور عادل عبدالكريم ياسين الذي تناول الموضوع من جانبه النظري ، ورأيي أنه كان من المناسب إبراز بعض الجوانب التطبيقية ، في برنامج وزارة الذكاء الفنزويلية ، وذلك ما جاء في تقرير « روفائيل تروديلا » ، رئيس الجامعة الفنزويلية ، ومساهمة مني في تطوير النقاش حول الموضوع أبعث إليكم بنسخة من هذا التقرير الذي نشره السيد / مارك ريان ، في صفحة (الشطرنج) التي أشرف على تحريرها ، في جريدة (ألوان) المغربية .

عبدالحفيظ العمري - المغرب

إننا إذ نشكر للقارىء الكريم اهتمامه ، ننشر هنا لمحات من ملخص التقرير الذي بعث به مع رسالته ، لما فيه من معلومات ، يعتبر نشرها إثراء للموضوع ، وتطويرا للنقاش على حد تعبيره .

لأول مرة في التاريخ شكلت في فنزويلا وزارة مهمتها تنمية الذكاء العام للمواطنين ، وقد تم اعتماد الشطرنج كإحدى وسائلها الأساسية ، وقد نوهت بالمشروع نخبة من أبرز السياسيين ، مثل : فيدل كاسترو ، والملك خوان كارلوس ، ووزير الثقافة الصينية

وقد صرح واحد من أكبر علماء الاجتماع المعاصرين هو « البروفيسور ف . ب . سكينز قائلا : « ليس ثمة شك في ان هذا المشروع سيعتبر واحدا من اكبر التجارب الاجتماعية لهذا القرن » .

والفكرة الأساسية للمشروع هي تنمية الذكاء ، وتمكين الشعب كله - دونما تمييز طبقي - من الاستفادة من المعارف العلمية ، مع الاهتمام الخاص بالفئات المحرومة ثقافيا واجتماعيا ، وحتى نهاية سنة ١٩٨١ تم تدريب مائة ألف أستاذ لتطبيق المنهجية التي يعتمدها المشروع الذي أطلق عليه اسم (تعليم التفكير) . إن الشطرنج - كأداة من أدوات التعليم - كانت ذروة هذا المشروع ، وقد تألفت لجنة من علماء الاجتماع والشطرنج لدراسة المشروع كعملية تفكير محايد يقتضي أكثر من التعليم توظيف التجريد الذهني ، ويطمح هذا المشروع إلى نقل منهجية التفكير في الشطرنج ، سواء (الاستراتيجي) أو (التكتيكي) إلى مستوى الحياة اليومية التي تتطلب حلولا مستمرة لمشاكل مستمرة ، وطبق المشروع كتجربة اختبارية أولى في دائرة من دوائر العاصمة (كاراكاس) ، حيث شملت ٤٢٦٦ تلميذا ، وأثبتت النتائج أن التعليم المنهجي للشطرنج يساعد على رفع (معامل الذكاء) لدى الانسان العادي ، وأن نمو هذا المعامل يصبح محسوسا بعد خمسة أشهر ونصف شهر من بداية التجربة .

وكانت الخلاصة إعداد برنامج عام للشطرنج ، يعتمد على ستة مستويات مختلفة للتفكير ، لا علاقة لها بالسن (البيولوجي) ، ويحتوي البرنامج إجمالا على ٧٨ حصة ، مدة كل حصة ٦٥ دقيقة ، والهدف النهائي هو تقويم مكثف لهذا البرنامج ، ومن ثم تحويله من المرحلة الاختيارية إلى مادة إجبارية في جميع المدارس .

« ملاحظات حول « السيمائية »

● قرأت مقال الدكتور كمال أبو ديب « السيمائية أحدث العلوم الانسانية » في العدد ٣٣٤ من مجلة العربي سبتمبر سنة ١٩٨٦ . . . وأود أن أبدي حوله الملاحظات التالية :

ترجم الدكتور كمال أبو ديب عنوان كتاب (دوسوسور) بـ (منهاج في اللسانيات العامة) ، ولست أدري من أين أتى بكلمة منهاج ؟ فعنوان كتاب (دوسوسور) هو : (Cours de Linguisti-que generale) ، وكلمة (cours) بمعنى دروس ، وعليه فالترجمة الصحيحة للعنوان هي (دروس في اللسانيات العامة) .

ولعدم الدقة في ترجمة المصطلح العلمي ، ترجم الكاتب كلمة (langue) بـ (لغة) ، في حين أن الترجمة الصحيحة لها هي (لسان) ، وهناك فرق واضح بين لسان (langue) ولغة (langage) وكلام (Parole) .

فاللسان وسيلة من وسائل الاتصال ، ونظام من الأدلة الصوتية الخاصة بأفراد مجموعة لسانية ، أما اللغة فتعني القدرة على الاتصال ، الخاصة بالجنس البشري عن طريق نظام من الأدلة الصوتية ، أما الكلام فغالبا ما يخلط مع اللغة ، والكلام قدرة طبيعية على الكلام ، وهذا الفعل يشبه فعل المشي والأكل ، وكلها أفعال غريزية ترتكز على أسس (بيولوجية) ، الخ .

إرجاع السيمائية إلى أصول تراثية عند الجاحظ لاشارته إلى الأدلة (البيان حسب رأي الكاتب) لايسمح لنا بالقول ان الجاحظ سبق (سوسور) ، أو أن نضعه في صفه ، ومع ذلك فالموقف المألوف عند كثير من الكتاب عندنا كلما ظهر علم جديد أو نظرية جديدة أن يسرعوا بالقول : إن هذا موجود عندنا ، وان أجدادنا سبقوا الافرنج إلى هذا . وكان الأجدر بالكاتب بدلا من الاشارة إلى الجاحظ أن يشير الى العالم السيمائي الفرنسي (رولان بارت) الذي يعتبر بحق رائد السيمائية ، فكتبه الكثيرة شاهدة على ذلك .

د/ محمد الحبيب بنشيخ ـ احفير/ المغرب

نشكر للقارىء الكريم ملاحظاته ، ونؤثر أن نترك الرد للكاتب الدكتور كمال أبو أديب ، لتكون الفرصة أكبر لافادة القراء من مثل هذا الحوار.

العدسات اللاصقة . . مرة أخرى

● قرأت في العدد رقم ٣٢٩ لشهر ابريل ١٩٨٦ من مجلة العربي في باب « الجديد في العلم والطب » وتحت عنوان « احذروا من العدسات اللاصقة » ما يفيد بأن استعمال العدسات اللاصقة يمكن أن يؤدي إلى فقدان البصر في غضون ٢٤ ساعة ، ومع أنني استعمل هذه العدسات منذ أكثر من ثلاث سنوات ، وحالتي ممتازة ، فقد شعرت بشيء من الفزع بعد قراءتي لهذا المقال ، وذهبت الى طبيبي المختص الذي طمأنني ، وقال لي ان كثيرين اتصلوا به يستفسرون عما جاء في هذا المقال ، ثم أضاف :

« إن ما جاء في مجلة العربي عن فقدان البصر في غضون ٢٤ ساعة لم يكن على لسان طبيب متخصص ، لكي يحدث مثل هذا الهلع . . . » .

وتضيف القارئة :

إن الفكرة في استخدام العدسات اللاصقة قديمة وترجع الى العالم العربي ابن الهيثم الذي صمم عدسة بين الصلابة والليونة للقرنية المخروطية ، وأنجز لأول مرة عدسة لعلاج عمى الألوان .

هبة ـ الجمهورية العربية السورية

العربي
ص ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء ..

لعله من المناسب هنا أن نوضح أن ما ينشر في باب «الجديد في العلم والطب» يركز على تقديم معلومات، لا بد من الرجوع الى الطبيب المختص في تقدير مدى انطباقها على هذه الحالة الخاصة أو تلك

وما جاء في هذا الباب بالتحديد هو أن فئة معينة من العدسات اللاصقة، وهي فئة العدسات اللينة الطويلة الأجل سببت أضرارا جسيمة لبعض الذين استعملوها، دون أن يحرصوا على تنظيفها مرة كل أسبوعين وواضح أن التحديد الوارد في المعلومة لا يبرر حالة الفزع العامة التي ألمحت اليها القارئة، وعلى فرض أن التحديد الوارد في المعلومة ينطبق على حالة القارئة أو على غيرها، فهو يعني أن على من يعنيه الأمر أن يراجع طبيبه المختص، ويكون دور المعلومة هو التنبيه لهذه المراجعة، وليس بديلا لها

ملاحظات حول «حضارة البتراء»

● قرأت في عدد أكتوبر ١٩٨٦ من مجلة العربي في باب «حضارات سادت ثم بادت» مقالا عن «حضارة البتراء»، ولما كنت من المهتمين بالحضارات القديمة، وأتابع ما ينشر حولها في «العربي» وفي غيرها، فيهمني أن أقدم هذه الملاحظات حول بعض ما ورد في هذا المقال

ـ لاحظنا أن المقال استعمل لفظ «سيق» بمعنى الشق ولعله خطأ مطبعي، فأهل المنطقة جميعا يسمونه «الشق» ولفظ «سيق» غير مألوف في اللغة العربية على كل حال

ـ يؤكد المقال أن المباني المحفورة في الصخور، وهي من الروائع العمرانية التي تتميز بها حضارة البتراء، لم تبن بقصد استعمالها قصورا أو منازل للسُّكْنى أو دوائر لتصريف الأعمال الحكومية، بل هي مجرد واجهات حفرت في صخور الجبال لأغراض دينية، والحقيقة خلاف ذلك كما يجزم كثير من العلماء والخبراء، وكما يمكن أن يلاحظ زوار البتراء جميعا وهم يرون قصرا مهيبا تتوسطه قاعة رحبة تحيط بها غرف عديدة، ومبنى آخر يبدو كالسجن، بل هو السجن بعينه، ومبنى ثالثا كالمحكمة، ومبنى رابعا كدائرة الجمارك

ـ لاحظت أن المقال أغفل ذكر الأسباب والعوامل التي أحدثت ذلك الشق الضيق في تلك الجبال الشاهقة، وهو أضخم بكثير من أن يكون من صنع إنسان، كما ألمح المقال عرضا وربما من غير قصد

ـ أغفل المقال أيضا الأسلوب الفذ الذي أبدعه النبطيون لسحب مياه الأمطار من فوق قمم الجبال الى منازل البتراء، عبر حفر جانبية تتفرع من الحفر الرئيسية التي حفروها على رؤوس الجبال على نحو يضمن جريان الماء فيها وسقوطه الى منازل البلدة

الحاج سعدي بدران ـ الكويت

نشكر للقارىء الكريم ملاحظاته القيمة، وبخاصة ما اتصل منها بسحب مياه الأمطار الى المنازل. أما عن الملاحظة الخاصة بالمباني المحفورة في الجبال وهل بنيت كواجهات أو بقصد استعمالها مباني، فالعلماء والمؤرخون على خلاف في ذلك، ولعل ما ذهبت إليه هو الصواب

أما بالنسبة للأسباب والعوامل التي أحدثت الشق فهي الزلازل التي ضربت المنطقة في الماضي البعيد، وجدير بالذكر أن ثمة شقاً شبيهاً بشق البتراء يوجد في بلدة معلولا القريبة من دمشق، وهو أيضاً من صنع الزلازل، ولا يمكن أن يكون من صنع إنسان

بقي أن نؤكد صحة استعمال لفظ (سيق) أو (شيق) فاللفظ يعني لغة « شق في الجبل » (لسان العرب مادة شق) وهو الاسم الذي أطلقه النبطيون أنفسهم على الشق وهو كما لا يخفى اللفظ الذي يفيد المعنى المقصود بالتحديد .

أصداء حول ظاهرة مرضية :

● إن ما جاء في حوار القراء في العدد رقم ٣٣٦ من مجلة « العربي » حول ظاهرة النقل الحرفي من مجلات قديمة ، وإعادة نشرها منسوبة الى غير أصحابها تعد من أسوأ الظواهر الثقافية التي أخذت تنتشر في هذه الأيام ، وهذه الظاهرة تجاوزت حدود النقل الحرفي لمقال ، الى السطو على كتاب وتلخيصه ونشره على أنه عمل علمي خالص لمن يحلل اسمه . . .

إن استاذ جامعيا يمنعني الحياء من الافصاح عن اسمه لخص رسالة لأحد تلاميذه ونشرها بمصادرها في حولية الجامعة التي يعمل بها دون أن يشير الى تلميذه بكلمة واحدة،بل ان عميدا لكلية جامعية يؤلف كتابا نقله نقلا حرفيا عن غيره ، والنماذج كثيرة ، ولا مجال لحصرها .

والذي أراه لمقاومة هذا التيار الذي يهدد قيمنا وثقافتنا أن تخصص المجلات الجادة عددا من صفحاتها لمراجعة ما ينشر وتقويمه ، فغياب النقد الموضوعي ، هو الذي يشجع على شيوع تلك الظاهرة المرضية التي لا ينبغي السكوت عنها ، يجب أن نكشف عن هذه الأقلام التي لا تحترم أمانة الكلمة ، حتى لا يتعامل معها ناشر أو صحيفة أو مجلة ، وبذلك يمكن أن تتوارى من حياتنا الثقافية تلك الظاهرة الخطيرة . . .

دكتور محمد الدسوقي
كلية الشريعة/ جامعة قطر

نشكر الدكتور محمد الدسوقي غيرته وحماسه لرفض هذه الظاهرة المرضية ومع أننا نتفق معه في أهمية المراجعة النقدية الموضوعية عامة للدراسات العلمية لمواجهة مثل هذه الظاهرة .. إلا أننا نعتقد أن المكان الأكثر مناسبة لمثل هذه المراجعة النقدية التي تكشف هذه السرقات هو المجلات الجامعية التي تعنى بعرض ونقد مثل هذه الدراسات.ومع تقديرنا لما تنطوي عليه رسالة الدكتور محمد الدسوقي إلا أننا نرى أنه كان من الأنسب لتحقيق الهدف الذي يتطلع اليه أن يبعث بمقال لمجلة جامعية يكشف فيها عن الأسماء التي منعه الحياء من ذكرها ـ فلا حياء في الحق ـ ويقدم فيه الأدلة التي تدين من يسمحون لأنفسهم بمثل هذه السرقات كما فعلنا في زاوية حوار القراء .

انتاج الشباب في « العربي » :

● « . . . وبهذه المناسبة لدى اقتراح للمجلة ، وسؤال يهمني أن أحصل على إجابته . .

أولاً : يجب الاهتمام بانتاج الشباب ، وألا تقتصر المجلة على الأسماء المعروفة لأن هؤلاء الشباب لو أعطوا الفرصة اليوم لدفعهم هذا لمزيد من الانتاج والتجويد ، ليتقدموا الى الصفوف الأولى وهذه سنة التطور .

ثانيا : أود أن اشترك في « المجلة العربية للعلوم الانسانية » لأن هذه المجلة لا تصل عندنا رغم أهميتها ، وحاجتي لمتابعتها ، فهل يمكن أن تكتبوا لي عنوان المجلة وقيمة الاشتراك وأكون شاكرا لكم .

فرج كامل منصور
سلمانة / شمال سيناء / ج . م . ع .

مجلة العربي توفر فرصة النشر للعمل الجيد بغض النظر عن عمر كاتبه ، ما دام في مستوى ما ينشر في مجلة العربي ، وعادة تقدم المجلة نبذة للتعريف بالكاتب الذي يكتب فيها لأول مرة .

وعنوان « المجلة العربية للعلوم الانسانية » ص.ب (٢٦٥٨٥) الصفاة/ الكويت/ السيد الدكتور عبد الله العتيبي ، رئيس تحرير المجلة وقيمة الاشتراك ١٥ دولاراً خارج الكويت . □



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

فبراير ١٩٨٧ م



تأليف : رينيه ويليك

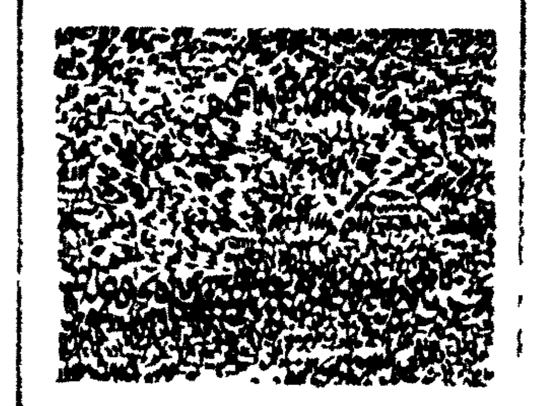
ترجمة الدكتور محمد عصفور



الكتاب ١١٠

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص ب 23996 الكويت

* *



من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

العدد ٢٠٩ فبراير ١٩٨٧

السكين الكبير

تأليف : كليفورد أوديتس
ترجمة : د. أمين العيوطي
تقديم : اريك موترام
مراجعة : د. طه محمود طه